صفوة البيان لمعاني القران

تفسير القران الكريم لفضيلة الاستاذ
الشيخ حسنين محمد مخلوف
مفتي الديار المصريه السابق وعضو جماعة كبار العلماء

لجنة الاحتفالات بمقدم
القرن الخامس عشر الهجري
دولة الامارات
العربيه المتحده

الجزء الاول

من الفاتحه حتى نهاية سورة طه

قام باعداده بصيغة وورد

الدكتور هشام محمد طاهر الحربي

الموصل2021

لاتنسونا من دعائكم

الفاتحة

.1

*بسم الله الرحمن الرحيم«1» *

.2

*الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ «2» *

«الْحَمْدُ لِلَّهِ» ثناء أثنى الله به على نفسه. وفي ضمنه تعليم عباده كيف يثنون عليه. وأمْرُهم به. وعن ابن عباس: الحمد لله هو الشكر لله، وهو الاستخذاء له، والاقرار بنعمته وهدايته.

«رَبِّ الْعَالَمِينَ» مالكهم. وكل من ملك شيئا يدعى ربه، او مُربيهم و متولي امورهم والقائم عليهم بما يصلحهم؛ يقال لمن قام بإصلاح الشيء وإتمامه: قد ربَّه. ويقال: فلان يَرُبّ صنيعته عند فلان إذا كان يحفظها ويربّيها عنده، وفي الحديث: «هل لك من نعمة تربُّها عليه؟» «رواه مسلم» أي :تحفظها وتربيها كما يربِّي الرجل ولده. واصل الرَّب مصدر بمعنى التربية – وهي تبليغ الشيء إلى كماله بحسب استعداده شيئاً فشيئاً، واستعير للفاعل أي المربِّي. والرَّبُّ على الاول صفة ذات، وعلى الثاني صفة فعل.

«الْعَالَمِينَ» جمع عالم. وهو ما سوى الله تعالى؛ وسميَ بذلك لانه علم على وجود الخالق،. وجمع جمع

العقلاء تغليباً.

3.

*الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ «3» *

«الرَّحْمَنِ» بما ستر في الدنيا وافاض من الخير على خَلقِه.

«الرَّحِيمِ» بما غفر في العُقبى وجاد بالفضل على عباده.

4.

*مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ «4» *

«مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» صاحب المُلك في ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والحساب على الأعمال. والمتصرّفُ فيه بالامر والنهي وحده: قال تعالى: «الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ «17» [غافر]. «يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ «25» [النور]ويقال دنته بما صنع ديناً–بفتح الدال وكسرها– جزيتُه. وكما تدين تُدان. والله الدّيان: اي المجازي.

5.

*إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ «5» *

«إِيَّاكَ نَعْبُدُ» لا نخضع ونَذِلّ الاّ لك. إقراراً لك بالرُّبوبية. فلا نعبد سواك. والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل. وتستعمل بمعنى الطاعة، ومنه: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ «60» [يس]. وبمعنى الدعاء؛ ومنه: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ «60» [غافر]. و يعني ألتوحيد: ومنه: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ «56» [الذاريات]. وكلها متقاربة المعنى.

«وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أي لا نستعين إلا بك على عبادتنا وطاعتنا لك في جميع أمورنا: مخلصين لك: فلا نستعين بغيرك؛ وفي الحديث: «إذا استعنت فاستعن بالله» «رواه الترمذي» ". وقدمت العبادة على الاستعانة لأنها وسيلة الإجابة، و تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة اقرب إلى الاجابة.

6.

*اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ «6» *

«اهْدِنَا» ارشدنا إلى الاستقامة على امتثال اوامرك، واجتناب نواهيك. أو أرنا طريق هدايتك الموصلة إلى قربك، أو ألهمنا الطريق الهادي– وهو دين الله الذي لا عوج له. والهدايةُ: الدّلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب. وقيل: هى الدلالة الموصلة إليه. «الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»: الطريق السهل السوي الذي لا اعوجاج فيه. والمراد منه: الطريق الحق، أو دين الاسلام.

7.

*صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ «7» *

«صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» أي بطاعتك من ملائكتك وأنبيائك والصدّيقين والشهداء والصالحين؛ وإليه

الإشارة بقوله تعالى: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا «69» النساء»

«غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» روي مرفوعاً تفسير «المغضوب عليهم» باليهود، و «الضَّالِّينَ» بالنصارى؛ قال تعالى في اليهود:

«قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ «60» المائدة»

وقال تعالى في النصارى: «قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ «77» المائدة»

واليهود قد عرفوا الحق وانحرفوا عنه؛ فغضب الله عليهم. والنصارى جهلوه وعموا عنه؛ فضلّوا وأضلّوا. وفي حكم اليهود والنصاري من هم على شاكلتهم من اهل النِّحل الاخرى من غير المسلمين.

والغضب: صفة اثبتها ذاته: نؤمن بها. ونفوض إليه تعالى علم حقيقتها بالنسبة إليه. مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث. وأثرها الانتقام والعذاب. والضلال: العدول عن الطريق السّوي. والذهاب عن سنن القصد، وطريق الحق؛ ومنه: ضلَّ اللبن في الماء إذا غاب.

البقرة

.1

*الم «1» *

[راجع المسألة الرابعة من المقدمة ص ««و»»]

.2

*ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ «2» *

«ذَلِكَ الْكِتَابُ»

ذلك الكتاب الكامل، وهو القرآن العيظم. والكتاب: مصدر كتب كالكَتْب وأصل الكَتْب ضمُّ أديم الى أديم بالخياطة، واستعمل عرفا في ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط. وأريد به: هنا المنظومُ عبارةً قبل أن تنظم حروفه التي يتألف منها في الخط؛ تسميةً للشيء، باسم ما يئول إليه.

«لَا رَيْبَ فِيهِ» أي ليس هذا الكتاب محلا لأن يرتاب عاقلٌ منصف في أنه منزل من عند الله، أو في هدايته للبشر لأن معه من الدلائل ما لو تأمله لم يتطرق إلى نفسه أدنى شك في ذلك. والريب: الشك والظِّنة والتهمة. مصدر رابه الامر إذا حصل عنده فيه ريبة، وقال ابن الأثير: هو الشك مع التهمة.

«هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» هو هدايةٌ وإرشاد لهم مصدر هداه هدىً و هداية و هِدْيةً – بكسرهما – فَهُدِيَ. ومعناه الدلالة الموصلة: إلى البغية، وضدَّه الضلال. والمتقون: هم الذين يجتنبون كلَّ ما يؤثم من قول أو فعل. أو يمتثلون ما أمر الله به ويجتنبون: ما نهى عنه؛ وقايةً لأنفسهم من عذاب الله وسخطه. جمع متَّقٍ، اسم فاعل من

اتّقَى وأصله اوْتَقَى – بوزن افتعل – من وقي الشيء وقايةً اي صانه و حفظه مما يضره ويؤذيه. فإذا بَنَيتَ منه افتعل قلبت الواو تاءً وأدغمت في التاء الأخرى فصارت اتّقَى. وخص المتقين. بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون به

.3

*الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ «3» *

«الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» يصدقون بماغاب عن حواسهم؛ كالصانع و صفاته واليوم الاخر وما فيه من البعث والحساب والجزاء.

والإيمان لغة: التصديق والإذعان وهو إفعال من الأمن؛ كأن حقيقة قولهم: آمن به. آمنه التكذيب والمخالفة وشرعا: التصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد –صلى الله عليه وسلم–،كالتوحيد والنبوة والمعاد والجزاء.

والغيْبُ: مصدر غاب, اقيم مقام اسم الفاعل وهو غائب مبالغةً كأنه هو. وهو الخفيّ الذي لايدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل. وانما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام، ومنه ما لم يُنصب عليه دليل، وهو الذى استأثر الله تعالى بعلمه. كالقدر،: ومنه ما نصبت عليه الدلائل كوجود الصانع وصفاته.

والباء صلة للايمان لتضمينه معنى الاعتراف.

«وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» يعدّلون أركانها , ويوفون شرائطها ,ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها. من أقام العود إقامة إذا أزال عِوجه كقوّمه.

«وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» ومما اعطينا هم وملّكناهم يتصدقون في سبل الخير تطوّعا اوفرضا. من الإنفاق، وهو إخراج المال وإنفاده وصرفه. يقال: نفق –كفرح و نصر – نفِد و فنِيَ او قلّ. و انفق ماله: أنفده. والهمزة للتّعدية. وأصل المادة يدل على الخروج والذهاب و منه: نافق فلان، والنَّافقاء والنَفَق.

.4

*وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ «4» *

«وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» وبالنشأة الآخرة هم يعلمون علما قطعيًا ,لا اثر فيه للادعاءات الكاذبة والأوهام. من الإيقان. وهو التحقق، يقال: يقِن الماء، إذا سكن وظهر ما تحته. وهو واليقين: العلم وزوال الشك؛ يقال: يقِنتُ بالكسر – يَقْناً، وأيقنتُ وتيقّنت و استيقنت بمعنى واحد. وهو درجة من العلم فوق المعرفة والدراية واخواتها ي يصحبها ثبات الحكم وسكون النفس، وطمانينتها.

.5

*أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ «5» *

«وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الفائزون بما طلبوا الناجون مما منه هربوا. من الفلاح، وهو الفوز والظَّفر بدرْك البُغية. وأصله من الفلْح – بسكون اللام – وهو الشق والقطع؛ ومنه فلاحة الارض وهو شقها للحرث: واستعمل منه

الفَلَاح في الفوز؛ كأن الفائز شق طريقه وفلحه للوصول إلى البُغية. أو انفتحت له طريق الظَّفَر و انشقّت.

.6

*إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «6» *

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» جحدوا الرسالة. والمراد بهم هنا المشركون؛ لذكرهم بعد المؤمنين. وذكر المنافقين بعدهم بقوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ «8»». والكُفْر – بالضم ضد الإيمان، واصله الماخوذ منه: الكَفْر – بالفتح – وهو ستر الشئ وتغطيته: ومنه قيل: كافر للسحاب؛ لستره ضوء الشمس. ولليل لستره الأشياءَ بظلمته، وللزارع لستره البَذَر في الأرض. والكافر عند الإطلاق ينصرف إلى من يجحد الوحدانية أو النبوّة أو الشريعة أو يجحدها كلها؛ فهو اعم من المشرك. وقد يطلق على جاحد النعمة. وعلى الفاسق عن أمر ربه؛ ويتبين المراد بالقرائن. «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» أي مستوٍ عندهم إنذارك وعدمُه، فهم لايصدقون بأي حال. وألإنذار: إخبار مع تخويف في مدة تتسع للتحفُّظ من المَخُوف، فان لم تتسع له فهو إعلام واشعار، لا إنذار. وأكثر مايستعمل في القران في التّخويف من عذاب الله تعالى. والايه فيمن شاقههم النبيّ –صلى الله عليه وسلم– بالإنذار وهم مصرون على الكفر والجحود، وقد حقت عليهم كلمة العذاب لسبق علم الله تعالى بانهم لا يؤمنون: لسوء استعدادهم وفساد فطرهم. وسواء: اسم مصدربمعنى الاستواء خبر «إنَّ» والجملة الاستفهامية

بعده مرفوعة به على الفاعلية لتأويلها على المفرد.

.7

*خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ «7» *

«خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» طبع عليها: فلا يصل إليها الحق ولا ينفذ فيها، كما سبق في علمه تعالى أزلاً أنهم لا يؤمنون. من الختم، وهو وضع الخاتَم على الشيء و طبعه فيه؛ لكي لا يخرج منه ما حصل فيه، ولا يدخله ما خرج منه. وفيه–كما قال الراغب –: «إشارة إلى ما أجرى الله به العادة أن الإنسان إذا تناهى في اعتقاد الباطل أو ارتكاب المحظور، دون تلّفتٍ بوجهٍ إلى الحق يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصي وكأنما يُخْتم بذلك على قلبه» وإنما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم. «وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ» غطاء. والغِشاوة: ما يغطّى به الشيء من غشاه إذا غطّاه. يقال: غشِيَه غشاوةً – مثلثة ـ وغِشاية، ستره وغطاه. وهو هنا غطاء التعامي عن ايات الله ودلائل توحيده «وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» أصل العذاب: المنع. يقال: عَذَب الفرسُ –كضرب –: امتنع عن العَلَف وعذَبَ الرجل إذا ترك المأكل والنوم؛ فهو عاذب وعذوب، ثم أطلق على الإيجاع الشديد؛ لما فيه من المنع عن اقتراف الذنب. والعظيم: الكبير؛ من عظم الشيء، وأصله كبُر عظمه، ثم استعير لكل كبير، محسوساً كان أو معقولاً، عيناً كان أو معنىً.

.8

* «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ «8» *

هذه الآية إلى قوله تعالى: «يا أيها النّاس اعبدوا ربكم» في وصف المنافقين بعد وصف المؤمنين والمشركين.

.9

*يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ «9» *

«يُخَادِعُونَ اللَّهَ» يخادعون رسول الله بإظهار الإيمان وإبطان الكفر ليدفعوا عن انفسهم القتلَ والاسر والجِزْية، ويفوزوا: بسهم من الغنائم، وليعلموا اسرار المؤمنين ثم يُفشوها لأعدائهم نكاية بهم. يقال خدعه –كمنعه – خدعاً، ختَله وأراد به مكروها من حيث لا يعلم؛ كاختدعه، والأسم منه الخديعة. ونسب ذلك إلى الله تعالى للتنبيه الى علوّ منزلته–صلى الله عليه وسلم – حيث جعل خداعه خداعاً له تعالى. وصيغة المفاعلة تقع كثيراً لغير أثنين؛ نحو عافاك الله، وعاقبت اللص و قريء «يخدعُون الله». أو المراد أن صورة صنيعهم مع الله حيث أظهروا الإيمان وأخَفُوا الكفر، وصورة صنيع الله معهم حيث امرَ بإجراء أحكام الإسلام عليهم في الدنيا وأخر عقابهم إلى الآخرة – تشبه صورة المخادعة وهو كقوله تعالى: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا «142» النساء». «وَمَا يَشْعُرُونَ» أي يفطنون إلى أن وبال خداعهم عائد عليهم بالشقاء الأبديّ. يقال: شَعُرَ بالشيء –كنصر و كرم – أي فطِن له؛ و منه الشاعرلفطنته؛ لأنه يفطن لما لايفطن له غيره من غريب المعاني و دقيقها.

.10

*فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ «10» *

«فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» هو النفاق و الكفر. وسُمّيَ مرضا لكونه مانعا من إدراك: الفضائل، كالمرض المانع للبدن من التصرُّف الكامل. أو لكونه مانعا من تحصيل السعادة الأخرويّة. أو لميْل النفس به إلى الاعتقادات الفاسدة ميلَ المريض

إلى الأشياء المضِرّة. «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» مؤلم، أي موجع وجعاً شديداً. من ألِمَ– كفرح –فهو ألِمَ. وآلمه يؤلمه إيلاما، اوجعه إيجاعا شديدا.

.11

*وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ «11» *

«لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ» أي لا تفسدوا في جنس الارض. او ارض المدينة؛ بالكفر وموالاة أهله، وتعويق الناس عن الإيمان بالرسول والقرآن. والفسادُ: خروج الشئ عن حالة الاعتدال والاستقامة. وضدّه الصلاح. يقال منه: فَسَد الشيء فساداً، وأفسده إفسادًا.

.12

*أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ «12» *

.13

*وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ

«13» *
«أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ» أي الجُهّال الخَرْقَى. وكان المنافقون يصفون المسلمين بذلك فيما بينهم. واصل السّفه: الخفّةُ والرّقة والتحرُّك والاضطراب. يقال: ثوبٌ سفيه، إذا كان رديء النسج خفيفَه، أو كان باليا رقيقا. وتسفّهت الريحُ الشجر: مالت به. وزمامٌ سفيه: كثير الاضطراب لمنازعة الناقة إيَّاه. وشاع في خفة العقل وضعف الرأي.

.14

*وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ «14» *

«وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ» انفردوا مع رؤسائهم وقادتهم المشبهين للشياطين في تمرُدهم و عتوّهم، و هم اليهود. يقال: خلا به وإليه ومعه، خلْوًا وخلاءً وخَلْوةً، سأله أن يجتمع به في خَلْوة ففعَل، وأخلاه معه. أو مضوا وذهبوا الى شياطينهم. يقال خلا بمعنى مضى وذهب. ومنه «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ «137» ال عمران».

«إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ» ساخرون مستخفُّون بالمؤمنين. والاستهزاءُ: السُخْرية والاستخفاف؛ يقال: هَزأ منه وبه–كمنع وسمع–وأستهزأ به؛ أي سَخِر، كعجِب واستَعجب.

.15

*اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ «15» *

«اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» يُحقّرهم تحقيرا يُتَعجّب منه. أو يجازيهم بالعذاب على استهزائهم بالمؤمنين، وسُميَ ذلك استهزاءً مشاكلة؛ كما في قوله تعالى «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ «40» الشورى». «وَيَمُدُّهُمْ» يُمهلهم ويُملي لهم؛ ليزدادوا اثما. من المدّ بمعنى الامهال؛ يقال: مدّه في غَيِّه – من باب ردّ – أمهله وطوّل له. أو يزيدهم ويقوّيهم على وجه الإملاء والإرخاء، يقال: مدّ الجيش وأمدّه، إذا الحق به ما يقويه ويكثره. وقيل: أكثر ما يستعمل المدّ في المكروه. والامدادُ في المحبوب. «فِي طُغْيَانِهِمْ» في ضلالهم و كفرهم. والطُّغيان: مجاوزة الحدّ. ومنه طغا الماء: اي أرتفع. «يَعْمَهُونَ» يَعمَون عن الرشد. أو يتحيّرون ويتردّدون بين الإظهار والاخفاء، أو بين البقاء على الكفر و تركه الى

الإيمان. يقال: عَمِهَ –كفَرِح ومَنَع – عَمَهًا إذا تردد وتحيّر، فهو عمه وعامهٌ، وهم: عَمِهون وعُمّه، كركع. والعَمَه في البصيرة كالعمى في البصر، وهو التحير في الأمر. والجملة حال من الضمير في «يمدهم».

.16

*أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ «16» *

.17

*مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ «17» *

«مَثَلُهُمْ» أي صفة المنافقين. والمَثل: الصفة. ومنه «لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «60» النحل» اي الصفات العلا. واصل المثل، بمعنى المثل. النظير والشبيه، ثم اطلق على القول السائر المعروف؛ لمماثلة مضربه وهوالذي يُضرب فيه،"لمورده الذي ورد فيه اولا، ولايكون الا فيما فيه غرابة ثم استعير للصفة او الحال أو القصة إذا كان لها شأن عجيب وفيها غرابة.

«كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» اي أوقد نارًا عظيمة. والسين والتاء مزيدتان و ليستا للطلب؛: وتنكير «ناراً» للتفخيم:: والإضاءة: فرط الإنارة. شُبّهت حَيْرة المنافقين في ضلالهم وشدّة الامر عليهم، بما يكابده مَن طُفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل. أو شُبّه المنافق بموقد النار، وإظهاره الإيمان لاجتناء ثمراته بالإضاءة، وانقطاع انتفاعه بإهلاكه، وإفشاء حاله بانطفاء النار وذهاب نورها.

.18

*صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ «18» *

«بُكْمٌ» خُرسٌ عن االهدى وألحق فلا ينطقون بهما. جمع أبكم وبَكيم، و هو الذي يولد أخرس. أو من به، داء في اللسان يمنع من الكلام.

.19

*أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ «19» *

الصِّيب –كسيد–:المطر؛ من الصوب وهو النزول. يقال: صاب صَوْباً، إذا نزل وانحدر؛ سُميَّ به المطر لنزوله، أي كمثل قوم نزل بهم المطر من السماء، وهي جهة العلوّ والمراد السحاب وهو مثل اخر للمنافقين، يصف حيرتهم وشدّة الامر عليهم.

«فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ» تصحب الامطار الشديدة التى تحدث عند تكاثف السُّحب في السماء وحَجْبها "ضوء الشمس عن الأرض – ظلمات كأنها سواد الليل، ورعدٌ يصم الاذان، وبرق يخطف الابصار وصواعق تحرق ما تصيبه. وهذه ظواهر مُدركةٌ بالحواس، واقعةً في كل في كل زمان، تحدث عند حدوث اسبابها التي اوجدها مقدِّر الاسباب والمسببات، ومُودع الخواص في المخلوقات تعالى شانه! و عظُمت قدرته. وقد بيّت العلوم الكونية أسباب حدوثها فليراجعها من اراد الوقوف عليها فيما ألف في الكهرباء التى أودعها الله تعالى في الأجسام وفي آثارها وتفاعلها. ففيها البيان الشافي.

.20

*يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «20» *

«يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ»

يذهب بها ويستلبها. من الخَطف بمعنى السّلب. و فعله من باب تعِب. «وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا» وإذا اختفى عنهم وقفوا عن المشي في اماكنهم، متحيرين مترصّدين و مضةً أخرى ليصلوا إلى مقاصدهم. يقال: قامت الدابة إذا وقفت. وقام الماء إذا جمد.

.21

*يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ «21» *

.22

*الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ «22» *

«جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا» صيّرها لاجلكم مهاداً كالبساط المفروش. فذلّلها لكم، ولم يجعلها حَزْنةً غليظة؛ لإمكان الاستقرار عليها. ويقال للمفروش: فرْش وفِراش. وهذا لا ينافي كُروِيّتها في الجملة؛ لأن الكرة إذا عظمت كانت كل قطعة منها كالسطح في إفتراشه. ذكره النبيسابوري والالوسي. «وَالسَّمَاءَ بِنَاءً» سقفا مرفوعا أو كالقبة المضروبة. «أَنْدَادًا» أمثالاً ونظراء تعبدونها وتسمّونها آلهة، وتعتقدون فيها النفع والضّر، وتجعلون لها ما لله تعالى وحده؛ فأشبهت حالُكم حالَ من يعتقد أنها آلهة حقيقة، قادرة على ان تدفع عنكم عذاب الله، وتمنحكم مالم يُرد الله بكم من خير. جمع ند، وهو مِثل الشيءالذي يضاده وينافره ويتباعد عنه. وأصله من: ندَّ البعير يَنِدّ ندّا ونِداداً وندوداً، نفرَ وذهبّ على وجهه شارداً.

.23

*وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «23» *

«وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ» اي ان ارتبتم في شأن مانزّلناه على مهل وتدريج، وظننتم ان تنزله كذلك دليل على أنه ليس وحياً من عند الله تعالى فأتوا أنتم بسورة من مثله في سُمُو الرتبة، وعُلُوّ الطبقة في النَّظم البديع، والاسلوب البليغ. «وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ» أي ادعوا إلى المعارضة من يحضركم، أو من ينصركم–بزعمكم–من دون الله، أو من يشهد لكم أنكم أتيتم بما يماثله. جمع شهيد؛ معنى حاضر او ناصر او قائم بالشهادة.

.24

*فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ «24» *

الوقود: ما توقد به النار وترفع. والمراد بالحجارة: الأصنام التي اتخذوها آلهةً وقُرنت بهم في العذاب في الآخرة كما اقترنوا بها في الدنيا. وهو نظير قوله تعالى: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» الاية 98 الانبياء. " اي حطبها ووقودها.

.25

*وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا

قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «25» *
«أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ» جمع

جَنّة، وهي كل بستان ذي شجر متكاثف، مُلتفّ الأغصان، يُظلّل ما تحته ويستره. من الجَنّ، وهو ستر الشيء عن الحاسّة. و هي سبع درجات جنة الفردوس، وجنة عدن، وجنة النعيم، ودار الخلد و جنة الماوى ودار السلام و عِلّيون. و تتفاوت منازل المؤمنين في كل درجة بتفاوت الأعمال الصالحة «وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا» يُشبه بعضه بعضاً في الصورة والرائحة، ويختلف في اللذة والطعم، أو في الشرف والمزيّة. والحُسن. وعن ابن عباس – رضي الله عنهما–: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسامي، وفي الصحيحين: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».» وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ «نساء مختصّات بهم، مطهَّراتٌ غاية التطهر من كل دَنَس و قذر، حسيّ و معنويّ؛ لا كنساء الدنيا. جمع زوج، ويُطلق على الذكر والانثى، قال تعالى: ««وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ «35» البقرة».

.26

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ «26» *
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا» أي ليس الحياء بمانعٍ لله تعالى من ضرب الأمثال بهذه المخلوقات الحقيرة الصغيرة في نظركم؛ كالبعوض والذباب والعنكبوت، فإن فيها من دلائل القدرة وبدائع الصنعة ما تحار فيه العقول، ويشهد بحكمة الخالق. وقد جعلوا ضرْب المثل بها ذريعةً إلى إنكار كون القرآن من عند الله تعالى. وفي الآية إشعارٌ بصحة نسبة الحياء إليه تعالى. ومذهب السلف: إمرارُ هذا وأمثالِه على ما ورد، وتفويض علم كنهه وكيفيته إلى الله تعالى، مع وجوب تنزيهه عما لا يليق بجلاله من صفات المحدَثات، واختاره الآلوسى.
وذهب جمعٌ من المفسرين إلى تأويله بإرادة لأزِمِهِ، وهو ترك ضرب الأمثال؛ لأن الأستحياء من الحياء، وهو تغير و انكسار يعتري الإنسان من تخوّف ما يُعاب ويُذمّ به. أو هو انقباض النفْس عن القبائح. وهذا المعنى محال في حقه تعالى.: فيصرف اللفظ إلى لازم معناه وهو الترك. «بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا» البَعوض: ضرب من الذباب، ويطلق على البَقّ المعروف وعلى الناموس. «فَمَا فَوْقَهَا» أي في الحجم. أو في المعنى الذي وقع التمثيل فيه. وهو الصغر والحقارة. «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» الفِسق: الخروج عن الطاعة؛ من قولهم: فَسَق الرطب فسوقاً–من باب قعد–إذا خرج عن قشره. ويقع بالقليل والكثير من الذنوب ولكن تعورف فيما كان كثيرا. وهو أعمّ من الكفر؛ فيقال للعاصي: فاسق وللكافر: فاسق؛ لخروجه عما الزمه العقل واقتضته الفطرة. والمراد بالفاسقين هنا الكفار جميعاً أو المنافقون، أو أحبار اليهود المتعنّتون؛ بدليل الاوصاف الآتية.
والإضلال: خلق فعل الضلال في العبد، كما أن الهداية خلقُ الاهتداء فيه.

.27

*الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ «27» *

«الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ» صفة للفاسقين. والعهد: اسم للمَوْثِق الذي يلزم مراعاته: وحفظه. يقال: عهد إليه في كذا، إذا أوصاه به ووثقه عليه. وعهد الله: تارة، يكون بما رُكّز

في العقول من الحُجّة على التوحيد. وتارة يكون بما أوجبه الله على الناس على لسان رسله صلوات الله وسلامه عليهم، وتارة بما يلتزمه المؤمن وليس بلازم له في أصل الشرع مما ليس بمعصية؛ كالنذور وما يجري مجراها. ونقضُه: فسْخُه وإبطاله.

.28

*كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ «28» *

.29

*هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ «29» *

«ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» علا إليها و ارتفع، من غير تكييف ولا تحديد ولا تشبيه؛ مع كمال التنزيه عن سمِات المحدثات. وقد سئل مالك . رضى الله عنه – عن الاستواء على العرش فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدْعة، أو المعنى: أقبل وعمَد إلى خلقها بإرادته. والمراد بالسماء: الأجرام العُلويّة، أو جهة العلو.

.30

*وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ «30» *

«لِلْمَلَائِكَةِ» هم جند من خلق الله. ركّز الله فيهم العقل والفهم، وفطرهم على الطاعة، وأقدرهم على التشكل باشكال مختلفة، وعلى الاعمال العظيمة الشاقة، ووصفهم في القرآن باوصاف كثيرة؛ منها انهم: «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ «20» الانبياء»، ««يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ «6» التحريم». ومنها: أنهم رسل الله ارسلهم بامره، ومنهم رسل الوحي إلى من اصطفاهم من خلقه للنبّوة والرسالة؛ قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «1» فاطر "، وقال تعالى: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ «75» الحج»، «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ «2» النحل» ". جمع ملَك والتاء لتانيث الجمع، واصله مَلْأك من مَلَك؛ نحو شمأَل من شَمَل، والهمزة زائدة. وهو مقلوب مألك، ثم سهّلوه فقالوا: ملك. وقيل: إن مَلْأك من لَأَك إذا أرسل؛ و منه: الأَلُوكة، أي

الرسالة. «خَلِيفَةً» هو من يخلف غيره وينوب منابه؛ فهو فعيل بمعنى فاعل، والتاء فيه للمبالغة. والمراد به آدم عليه السلام؛ لأنه كان خليفة الله في الارض. وكذلك سائر الأنبياء استخلفهم الله تعالى في عمارة الارض و سياسة الناس، و تكميلِ نفوسهم، وإجراء احكامه عليهم، وتنفيذ أوامره فيهم. وقيل: آدم وذرّيته؛ لأنه يخلف بعضهم بعضا في عمارة الأرض و استُغني بذكره عن ذكر ذريته لكونه الأصل. «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا» الفساد: الخروج عن الاعتدال والاستقامة، ويضادّه الصلاح. يقال: فسَد الشيء فساداً وفُسوداً، وافسده

غيره. وقد عَرف الملائكة وقوع ذلك من الإنسان بإخبار من الله: تعالى او إلهام ولم يقصّ علينا فيما حكى الله عنهم للايجاز على عادة القرآن. والاستفهامُ: إستكشاف عن الحكمة الخفية في هذا الاستخلاف مع ما سيترتّب عليه من الافساد وسفك الدماء. «وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ». السَّفْك: الصب: والإهراق؛ يقال: سفكت الدم والدمع سفكاً-. – من باب ضرب – صببتُه، والفاعل سافك وسفَّاك. والمراد به حصول التقاتل بين أفراد بني الانسان ظلماً وعدواناً. «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ» ننزهك عما لا يليق بعظمتك، تنزيها متلبِّساً بحمدك والثناء عليك؛ من التسبيح: وهو تنزيه الله من السُّوء على وجه التعظيم. وهو مشتق من السَّبْح وهو المَرُّ السريع في الماء أو الهواء، فالمسبِّح مسرعٌ في تنزيه الله وتبرئته من السُّوءِ. «وَنُقَدِّسُ لَكَ» نطهّر ذكرك عما لا يليق بك، تعظيماً لك وتمجيداً. من التقديس بمعنى التطهير؛ ومنه: الأرض المقدسة وروح القُدُس. واسمه تعالى القدوس، أي الطاهر. واللام، في «لك» زائدةٌ لتأكيد التخصيص.

.31

*وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «31» *

«وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» ألهمه معرفة ذوات الأشياء التي خلقها الله تعالى في الجنة، ومعرفة أسمائها ومنافعها. أو ألهمه معرفة أجناس الأشياء وأنواعها. ومعرفة أسمائها وخواصِّها، ثم عرض هذه المسمَّيات على الملائكة فقال لهم على سبيل التعجيز: «أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما اختلج في خواطركم من أني لا أخلق خلقاً إلّا أنتم اعلم منه وأفضل. فلما اعترفوا بعجزهم وقالوا: «لا علم لنا إلا ما علمتنا» وليس ذلك منه: أمر آدم أن ينبئهم بها؛ فأنبأهم بها إظهارًا لأحقّيته " في الاستخلاف في ألأرض التي من شأنها أن توجد فيها هذه المسمَّيات.

.32

*قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) *

{قَالُوا سُبْحَانَكَ} تنزيها لك عن أن يكون فعلك لغير حكمة، أو عن عدم قدرتك على خلق من هو أعلم وأفضل منا وهو مصدر منصوب بفعل محذوف وجوبا، وهو سَبح – مخففاً– بمعنى نَزَّه أو معناه: إسراعا إليك، وخفةً في طاعتك، والرضا بفعلك؛ كما يفعل السابح في الماء.

.33

* قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ

مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) *
.34
*وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) *
{اسْجُدُوا لِآدَمَ} السجود لغة: التذللُ والخضوع مع انخفاض با نحناء وغيره. وخُص في الشرع بوضع الجبهة في الأرض على قصد العبادة والأظهر أن المأمور به: السجودُ بالمعنى اللغوي، وهو التواضع والخضوع لآدم تحية وتعظيما. وإقرارا له بالفضل دون وضع الجباه؛كسجود إخوة يوسف له، وهو انما كان بالانحناء. وقد أبطل الإسلام ذلك، وجعل التحية السلام والمصافحة: وهذا الأمر

ابتلاءٌ واختبارٌ؛ ليميز الله الخبيث من الطيّب وينفذ ما سبق به من العلم، واقتضته المشيئة والحكمة. «إِلَّا إِبْلِيسَ» هو أبو الجِنّ مشتقٌ من الإبلاس وهو الحُزن الناشئ عن شدّة اليأس وفِعلُه أبلس ولم ينصرف لانه معرفة، ولا نظير له في الاسماء فأشبه الأعجمية. وقيل هو اعجميّ لا اشتقاق له فلم ينصرف للعلميّة والعُجمة. والاستثناء منقطع وقيل متّصل، وأن ابليس كان من الملائكة ورجحه الطَبريّ.
.35
*وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ «35» *
«وَزَوْجُكَ» تقول العرب للمرأة زوج. ولاتكاد تقول زوجة. «الْجَنَّةَ» جمهور اهل السنة على انها جنة المأوى، وهي دار الثواب والخلود للمؤمنين في الاخرة. وذهب اخرون منهم ابو مسلم الاصفهاني: الى انها بستان في الارض خلقه الله امتحاناً لآدم وزوجه. وساق ادلة الفريقين ابن القيم ولم يرجّح شيئاً منها. والأحْوَطُ الأسلم: الكفُّ عن تعيينها وعن القطع به، وإليه مال أبو حنيفة و أبو منصور الماتُريدي في التأويلات «رَغَدًا» أي أكلاً كثيرا واسعا بلا عناء؛ يقال: رغد عيشُه –كسَمِع و كرُم – رغداً ورَغَداً، اتسع وطاب. وأرغد القومُ: أخصبوا وصاروا في رَغَد من العيش «هَذِهِ الشَّجَرَةَ» أبهم القران تعيينها ولم يفم دليل عليه؛ فالأولى عدم القطع به. والتاء فيها للوحدة الشخصية. ولذلك ظن ادم انه انما نُهي عن عينها فأكل غيرها من جنسها. وقيل: للوحدة النوعية. وإنما اكل منها ناسياُ او متأوّلا ان النهي نهيُ ارشاد فقط.
.36
*فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ «36» *
«فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا».أذهبهما وأبعدهما عن الجنة بكذبه عليهما، و مقاسمته أنه لهما من الناصحين، من الإزلال وهو الإزلاق، يقال: زلَّ يَزِل زلاً وزَلَلاً، زَلِق في طين أو منطق. والاسم الزَّلة. وأزلّه غيره واستزلّه: أزلقه فيه. أطلق واريد به لازمه وهو الإذهاب. وقريء «فأزالهما» اي نحّاهما؛ من الإزالة. تقول: أزلتُ الشئ عن مكانه إزالة – نحّيته وأذهبته عنه. «اهْبِطُوا» الهبوطُ: النزول من اعلى إلى اسفل، ضد الصعود. يقال: هَبَطَ

يهبُط ويهبط. أي نزل من عُلوٍ إلى سُفْل. والخطاب لآدم وزوجه؛ كما قال تعالى: «قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى «123» طه»، وهما المقصودان بالخطاب في قوله تعالى: «قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ «24» الاعراف» والقصة واحدة. «وَمَتَاعٌ» المتاع: اسمٌ لما يُستمتع به من اكل وشُرب ولِبس وحياة وأُنس وغير ذلك؛ من مَتَع النهار متوعاً إذا ارتفع. ويُطلق على الانتفاع الممتد الوقت.

.37

*فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ «37» *

«كَلِمَاتٍ» هي كلمات التوبة والاستغفار. والمأثور أنها «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ «23» الاعراف» ". وعن ابن مسعود أنها سبحانك اللّهمّ وبحمدك وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، لا إله إلأ أنت، ظلمتُ نفسي

فأغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب. إلا انت. «التَّوَّابُ» الرجّاع على عباده بقبول توبتهم، أو بإعانتهم وتوفيقهم إليها. ويقال: للعبد: تواب؛ بمعنى كثير التوبة والنّدم والاستغفار من الذنوب. من التَّوْب و هوالرجوع، لرجوعه إلى ربه في ذلك، ويلزمه ترك الذنب. والتوبة في الشرع: ترك الذنب لقُبْحه والندم على فعله. العزم على ترك معاودته، وتداركُ ما فات من حقوق العباد بقدر الامكان.

.38

*قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «38» *

.39

*وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «39» *

.40

*يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ «40» *

«يَابَنِي إِسْرَائِيلَ» لقبُ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. ومعناه بالعِبرِية عبد الله، أو صفوة الله. وقد عدّد الله في هذه السورة على بني إسرائيل من هذه الآية إلى اية 142 نعماً عشراً، حباهم بها رحمةً وفضلاً. وقبائحَ عشراً، ارتكبوها جحوداً وإثما. وانتقاماتٍ عشرة، أنزلها الله جزاءًا وفاقاً. «وَأَوْفُوا بِعَهْدِي» ادُّوا ما عاهدتموني عليه من الإيمان والتزام الطاعة، وأتمّوه واحفظوه: يقال: أوْفَى بعهده. ووفى – مشددًا ومخففا؛ إذا أتمه ولم ينقض حفظه. والوفاءُ ضد الغدْر. «وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ» فخافوني في نقض العهد، أو في جميع ما تأتون وتذَرُون. من الرَّهبة، وهي الخوف مطلقا، أو خوفٌ معه تحرز وفِعْله كعَلِمَ.

.41

*وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) *

.42

*وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ «42» *
«وَلَا تَلْبِسُوا» ولا تَخلِطوا. يقال لَبَس عليه الأمر –كضرب – خلطه، ومنه: التلبيس:، بمعنى التخليط والتدليس. وتلبّس بالأمر: اختلط. ولابسه: خالطه.
.43
*وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ «43» *
.44
*أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ «44» *
«بِالْبِرِّ» هو التوسّع في الخير؛ مأخوذ من البَرّ–بالفتح– وهو الفضاء الواسع. وأصلُ كلِّ بر: الإيمان بما جاء به محمد– صلى الله عليه وسلم. وكان احبار اليهود يأمرون الناس بالطاعة والكف عن المعصية ولا يفعلون ذلك.
.45
*وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ «45» *
«وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ» أي وإن الصلاة لثقيلة شاقّة، كما قال تعالى: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا «142» النساء» يقال: كبُر–ككرم – كِبَراً و كُبْراً؛ اي عظم. «إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ» أي المتضرعين المحبين للطاعة، الذين

اطمأنت قلوبهم إليها؛ وفي الحديث: (وجُعلت قُرّة عيني في الصلاة) [رواه احمد والنسائي]، من الخشوع وهو الضراعة، وأكثر ما يستعمل فيما يظهر على الجوارح: قال تعالى: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) [المؤمنون].
.46
* الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46) *
{الَّذِينَ يَظُنُّونَ} المراد بالظن هنا اليقين، كما في قوله تعالى: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20)} [الحاقه].
.47
* يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47) *
{عَلَى الْعَالَمِينَ} أي على الموجودين في زمانهم بالفعل؛ فلا يتناول اللفظ من مضى ولا من يُوجد بعدهم.
.48
* وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48) *
{لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا} أي لا تقضي فيه نفسٌ عن نفس شيئا مما وجب عليها ولا تنوب عنها فيه، من الجزاء، يقال: جَزَى عنه، أي قضى. و {شَيْئًا} مفعول به. وقُرِيءَ (تُجزي) – بضم التاء – من أجزأ عنه: أي أغنى عنه. أي لا تغني نفس عن نفس شيئا من– الإغناء –، ولا تجديها نفعا. و (شيئا) مفعول مطلق. {عَدْلٌ} فدية وبدل. وأصل العَدْل – بالفتح –: ما يساوي الشيء قيمة وقدرا وإن لم يكن من جنسه. والعِدل –

بالكسر –:المساوي من الجنس؛ ومن العرب من يَكسر العين من معنى الفِدْية. وقيل للفدية: عدل لما فيها من معنى المساواة والمماثلة والمعادلة. {وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}

يُعانون، من النصر وهو العَوْن. والمراد أنهم لا يُمنعون من عذاب الله.

.49

*وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) *

{فِرْعَوْنَ} لقب لكل من ملك مِصْر في ذلك العهد. وفرعون الذي ولد موسى في زمنه، ورُبّي في بيته، وكان يسومهم سوء العذاب، هو رعمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة. أما فِرعون الذي أغرق فهو ابنه منفتاح؛ على ما نقله صاحب قصص الأنبياء [العلامة الشيخ عبدالوهاب النجار رحمه الله] عن علماء الآثار.

{يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} يبغون لكم أشد العذاب وأفظعَه. من السَّوم، وهو مطلق الذهاب، أو الذهاب في ابتغاء الشيء. يقال: سامت الإبل فهي سائمة؛ أي ذهبت إلى المرعى. وسام السِّلعة: إذا طلبها وابتغاها.

والسُّوء – بالضم –: كل ما يَغُم الإنسان من أمر دنيوي أو أخروي. وهو في الأصل مصدر، ويؤنث بالألف فيقال: السُّوءى. {وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} يستبقون بناتكم ولا يقتلونهن ليستخدموهن. يقال: استحياه؛ أي استبقاه. وأصله: طلبَ له الحياة والبقاء. {بَلَاءٌ} اختبار وامتحان بالمحن المقتضية للصبر، أو المِنَح المقتضية للشكر، أولهما للتَّرغيب والتَّرهيب. يقال: بلوْتُه بِلُوا وبلاء، اختبرته وامتحنته. والاسم البَلْوى والبِلية والبِلْوة.

.50

*وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50) *

{فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ} الفرق: الفصل والتمييز. يقال:

فَرَقت بين الشيئين فَرْقاً – من باب قتل – فَصَلْتُ بينهما؛ و منه الفرقان، وقوله تعالى ««وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا «106» الاسراء» فصّلناه وميّزناه بالبيان، أي فَصلنا لاجلكم البحر بعضه عن بعض. والباء بمنزلة لام التعليل. والبحرُ: بَحرُ القُلْزُم، وهو البحرُ الاحمَر. وكان عبورهم شماليّ المكان المعروف بـ «عيون موسى» في البَر الاسْيَويّ، وهي لاتبعد عن السويس كثيراً كما في قصص الانبياء. وهذا الفرق احدى معجزات موسى عليه السلام.

.51

*وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ «51» *

«ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ» أي اتخذتم العجل الذي صنعه السامِرِيّ إلهاً معبودا. والمراد: أنهم اتخذوا ما يشبه العجل في الصورة والشكل ونسبة الخُوار إليه في قوله تعالى: ««عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ» الاعرف 148،طه 88»

مجاز، وهو الذى ذهب إليه الجمهور، كما ذكره الآلوسى.

.52

*ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52) *

.53

*وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ «53» *

«الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ» الكتاب: هو التوراة والفرقان: هو التوراة أيضا؛ لفرقها بين الحق والباطل، والعطف من قبيل عطف الصفات. وقيل: هو المعجزات الفارقة بين دعوى الصّادق والكاذب؛ كالعصا واليد وغيرهما. أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام، والعطف من قبيل عطف الخاص على العام.

.54

*وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ «54» *

«بَارِئِكُمْ» خالقكم من العدم على أبدع صورة. يقال: {برأ الله الخلق –كجعل – خلقهم من العَدَم، واصل مادة " برأ" يدل على انفصال شيء عن شيء، يقال: برأ المريضُ يبرأُ ويبرُؤ بُرْءاً و بُرُأً، إذا نَقِه وزال عنه المرض وانفصل. وبَرِئ من الدَّين –كسلِم –يبرأ إذا زال عنه الدَّين وسقط، ومنه البرية للخليقة؛ لانفصالهم من العدم إلى ألوجود. «فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» فليقتل البريء منكم المجرم.

.55

*وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ «55» *

«جَهْرَةً» جِهاراً عيانًا بحاسة البصر. يقال جَهَر البئرَ–كمنع – واجتهرها، إذا أظهر ماءها. وجَهَر الشيء: كشفه. وجهَر الرجلَ: رآه بلا حجاب. «فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ» فأحاطت بكم نار من السماء أحرقتكم؛ عقاباً لكم لفرط عنادكم، او لظلمكم بطلب رؤية الحق في الدنيا. ونزول الصواعق المهلكة من السماء واقع مشاهد.

.56

*ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «56» *

«ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ» الجمهور على انَّ الموت هنا هو مفارقة الرُّوح للجسد. والبعث: إحياؤه بإعادة الروح إليه. ومن المفسرين من حَمَل الموت على الغشيان و الهمود؛ كما

في قوله تعالى: « .. وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ «17» ابراهيم» "، والبَعَث على الإفاقة. ومنهم من حمل الموت على الجهل؛ كما في قوله تعالى: «أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ .... » 122 الانعام»،والبعث على التعليم.

.57

*وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ «57» *

الْغَمَامَ «سحاباً أبيض، ظُلِّلوا به في التِّيه – بشبه جزيرة سيناء –من حَر الشمس؛ واحدُهُ غَمامة؛ كسحابة. وأصلُ

الغَمِّ: ستر الشيء؛ وسمّيَ السحاب غماماً لسَتره ضوء الشمس. «الْمَنَّ وَالسَّلْوَى» ««المنُّ»»: مادَّةٌ حلوة لَزِجة تشبه العسل – كالطّل – تسقط على الشجر من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. ««وَالسَّلْوَى»» طائر معروف بالسُّمانَي، أو طير يشبهه؛ أُطعموا بهما في التِّيه. وقيل: هما كناية عما أنعم الله به عليهم، وهما شيء واحد؛ سمي منًّا لامتنان الله به عليهم وسَلْوى لتسلّيهم به.

.58

*وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ «58» *

«رَغَدًا» كثيرًا واسعا بلا عناء. «وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا» خُضَّعاً متواضعين خاشعين، شأن التائب من ذنوبه. «وَقُولُوا حِطَّةٌ» أي شأنك يا ربنا حِطَّةٌ: أي أن تحط عنّا ذنوبنا وتغفرها. والحِطة – كجلسة – اسم للهيئة، من الحط بمعنى الوضع والإنزال، وأصله: إنزال الشيء من عُلّو. يقال استحطّه وزْرَه، سأله أن يحطه عنه ويُنزله. أمِرُوا أن يقولوا قولاً دالاً على التوبة وإظهار الندم، فخالفوا وجَهروا بما يدلّ على الكفروالعصيان.

.59

*فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ «59» *

«رِجْزًا» عذاباً، قيل هو الطاعون. وأصلُ الرِّجْز الاضطراب؛ ومنه: ناقة رَجْزاء، إذا تقارب خطُوها واضطربت لضعفٍ فيها. وسُمّيَ العذاب رجزا لما يلازمه من الفزع والاضطراب. «يَفْسُقُونَ» يخرجون عن الطاعة. يقال: فسق فلان عن أمر ربّه – كنصر وضرب وكرُم – فسقاً وفسوقاً، إذا خرج عن حَجْر الشرع.

.60

*وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ «60» *

«فَانْفَجَرَتْ» انبجست وانشقّت وسالت. يقال: فجَر الماءَ فانفجر، اي بجَسَه فانبجس؛ و بابه نصر. وفجر القناة: شقها. وفجر الماء: فتح له طريقاً فجرى وسال. «اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا» لكل سِبْط عينٌ تجري بالماء يشرب منها؛ حتى لا تقع بينهم شحناء وكانوا متضاغنين. وكانت العيون بالبَّر الشرقي من مصر قرب مدينة السويس. «مَشْرَبَهُمْ» موضع شربهم. «وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ» أي لاتتمادوا في الفساد حال افسادكم في الأرض. والمقصودُ النهيُ عمّا كانوا عليه من التمادي في الفساد. مأخوذ من العَيْث وهو أشد الفساد؛ يقال عَثِيَ – ك «رَضيَ» – عُثُوًّ إذا افسد أشدَّ الإفساد.

.61

*وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ

الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ «61» *

«وَفُومِهَا» الفوم: الحنطة، أو جميع ما يُخبز من الحبوب «وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ» جعلتا مُحيطتيْن بهم، إحاطةَ القبّة بمن ضُربت عليه؛ مجازاةً لهم على كفرانهم. وجُمْلَتُهُم في غالب الأمر في ذِلّة ومَسْكنة، أو هم مستحقون للذلة و الهوان؛ بسبب إرتكاب المعاصي والاعتداء على حدود الله في كل شيء، والفساد في الارض وجحود الحق عناداً وقتل الأنبياء ظلماً، وبما طُبعوا عليه من الكذب والنِّفاق والمكرِ السَّيِّء والخداع، وعبادة المال وشدة الحرص على جَمْعه والشح به. وامَّا إحاطة المَسْكنة بهم فلِما يبدو عليهم من الاستكانة والخضوع عند الضعف، والخوفِ من القهر. «الْمَسْكَنَةُ»:الخضوعُ –مَفعَلة من السكون– لأن صاحبها قليلُ الحركة والنهوض لما به من الحاجة والذّلِة، وشدّة المحنة. «وَبَاؤوا بِغَضَبٍ» رجعوا به مستحقين له.

.62

***إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «62» ***

«هَادُوا» صاروا يهوداً. يقال: هاد وتهود، أي دخل في اليهودية. وسُمُّوا يهودًا نسبة إلى يهوذا أكبر أولاد يعقوب؛ بقلب الذال دالاً في التعريب. أو لمّا تابوا من عبادة العجل؛ من هاد يهود هَوْداً بمعنى تاب؛ ومنه «إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ» الاعراف 156 أي تُبنا. «وَالنَّصَارَى» جمع نصْران بمعنى نصرانيّ؛ كندامَى ونَدْمان، والياء في نصرانيّ للمبالغة؛ كما في أحمَرِيّ. سُمُّوا بذلك في الأصل لأنهم نصروا المسيح. «وَالصَّابِئِينَ» جمع صابيء،، و هو الخارج من دين إلى دين، يقال:: صبأ الظِّلْفُ. والناب والنَّجُم –كمنع و كرم –إذا طلع. والمراد بهم الخارجون من الدِّين الحق إلى الدِّين الباطل، وهم قوم يعبدون الكواكب او الملائكة ويزعمون: أنهم على دينِ صابيء ابن شيث بن ادم.

.63

***وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ «63» ***

«مِيثَاقَكُمْ» العهد عليكم بالعمل بما في التوراة. «وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ» الطور: الجبل

المعروف بسيناء، وهو جبل المناجاة الذي أنزلت فيه التوراة على موسى. ورفعُه: إعلاؤه عن مَقرّه، و هو نَتْقُه المذكور في قوله تعالى: «وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ «171» الاعراف» وهذا من الايات التي رأوها بعد أخذ الميثاق عليهم تقويةً لإيمانهم.

.64

*** ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64) ***

.65

***وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ «65» ***

«اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ» تجاوزوا الحد بصيد الحيتان فيه وقد نهُوا عنه، وأمروا بتعظيم السبت والتجرد للعبادة فيه؛ قال تعالى: «وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ «163» الاعراف» والاعتداءُ: مجاوزة الحدّ؛ يقال: اعتدى وتعدَّى إذا ظلم. والظالم: مجاوز: مجاوزٌ للحد والحق.

«خَاسِئِينَ» مُبعَدين عن رحمة الله، مطرودين كما يخسأ الكلب. والخسُوء: الطرد والإبعاد. يقال: خسأت الكلب خسئاً و خسوءًا – من باب منع – طردته وزجرته؛ وذلك إذا قلت له اخسأ. و خسأ الكلب–كخضع–بَعد. والجمهور على أنهم مُسخُوا حقيقةً. وعن مجاهد: لم تمسخ صُورهم، ولكن مُسخت قلوبهم؛ فلم تقبل وَعظاً ولم تَعِ زجرا .. فمثلوا هنا بالقردة، كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ «5» الجمعة».والقردة من أخس الحيوان وأدْنئه.

.66

*فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ «66» *

«نَكَالًا» عقوبة. يقال: نكَّل به تنكيلا إذا صنع به صنيعاً يحذِّرُ غيرَه، والاسمُ النَّكال وهو ما نكَّلت به غيرك. وأصله من النِّكل – بالكسر– وهو القيد الشديد، وحدِيدةُ اللجام؛ لكونهما مانعيْن، وجمعه أنكال. وسُمِّيت العقوبة نَكَالاً لأنها تحذِّرُ غيرَ مَن نزلت به ارتكاب ما أوجبها.

.67

*وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ «67» *

«هُزُوًا» سخرية.

.68

*قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ «68» *

«لَا فَارِضٌ» لا كبيرة هَرِمة، ولا فَتيَّة صغيرة لم يلحقها الفَحل بل نَصَفٌ بين السنين. يقال: فَرضَت البقرة – كجلس وظَرُف – فروضاً وفراضةً، طعنت فى السن. «عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ» نَصَفٌ، «وسط» بين السنين والعَوَان من البقر: التي نُتِجت بعد بطنها البكر، وجمعها عُون.

.69

*قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ «69» *

«فَاقِعٌ لَوْنُهَا» صادقُ الصُفرة. يقال: أصفر فاقعٌ،

وأبيض ناصع. وفقعَ لونُه يَفْقَع فَقْعاً وفقوعاً: اشتدت صُفرته أو خَلَصت.

.70

*قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ «70» *

.71

*قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ «71» *

«لَا ذَلُولٌ» لم تُذلَّل بالعمل. يقال: بقرةٌ ذَلول بيّنة الذِّل –بالكسر–اي هيّنة سهلة الانقياد «تُثِيرُ الْأَرْضَ» تقلب الارض للزراعه. «الْحَرْثَ» هو الأرض المهيأة للزرع، أو نفس الزرع. ويُطلق الحرثُ على إلقاء البَذر في الأرض، وعلى إعدادها للزراعة. «مُسَلَّمَةٌ» بريئة من العيوب. من السلامة، وهي التّعري من الآفات. «لَا شِيَةَ فِيهَا» لا لوْنَ فيها يخالف لوَ سائر جلدها. وأصلها ««وَشْيٌ»» لَحِقها من النقص ما لحق زِنَة وعِدَة. يقال: وشَيْت الثوبَ أشِيه وَشْياً وشِيَةً، إذا جعلت فيه أثراً يخالف مُعْظَمَ لونه.

.72

*وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ «72» *

«فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا» تخاصمتم أو تدافعتم في شأن هذه النفس التي قُتلت، فألقى كلٌّ منكم تهمة القتل على الاخر. وأصله: تدارأتم من الدَّرءُ وهو الدفع؛ لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً ويدفعه. يقال: درأت عنه، دفعت عن جانبه؛ فقلبت التاء دالاً لتقارب مخرجهما وسكنت للإدغام، فاجتلبت الهمزة للنطق بالساكن.

.73

*فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «73» *

«فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا» أي اضربوا القتيل ببعض البقرة المذبوحة؛ فضربوه بها، فأحياه الله وأخبر عن قاتله ثم سقط ميتاً. وهذه معجزة أجراها الله تعالى على يد موسى عليه السلام في هذه الحادثة، للدّلالة على: صدق رسالته ووجوب أتباعه، كما اجرى على يد عيسى عليه السلام إحياء الموتى.

.74

*ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ «74» *

«يَتَفَجَّرُ» يتفتح بسعة وكثرة «يَشَّقَّقُ» يتصدع بطول أو بعرض.

.75

*أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ «75» *

«يُحَرِّفُونَهُ» يبدلونه أو يؤوِّلونه بالباطل.

.76

*وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ «76» *

«خَلَا بَعْضُهُمْ» مضى اليه، أو انفرد معه «أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» أتخبرون المؤمنين بما بيّن الله لكم في التوراة من نعت محمد وصفته. من قولهم: فتح الله على فلان علم كذا، اي رزقه ذلك و سهّله له. أو أتخبرونهم بما حكم الله به عليكم في التوراة من أخذ الميثاق على أنبيائكم بالإيمان بمحمد و نصرته. من الفتح بمعنى الحُكم والقضاء؛ ومنه: «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ «89» الاعراف» أي احكم بيننا و بينهم بالحق.

.77

*أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ «77» *

.78

*وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ «78» *

«وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ» اي جُهّال بالتوراة. جمع أُمِّيّ و هو الذي لا يقرأ ولا يكتب نسبة إلى الأمّ، لأن الكِتاب كان في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولايقرأ من الرجال إلى أمّه في جهله بهما دون أبيه. «إِلَّا أَمَانِيَّ» اي لكن يعتقدون اكاذيبَ و أباطيلَ افتعلها أحبارُهم؛ فاخذوها عنهم تقليداً لهم لفرط جهلهم. جمع أُمْنِيّة، وهي الصورة الحاصلة في النفس من تمنّي الشيء و تقديره. من مَنَى الشيءَ: قدّره؛ و اكثر ما يكون التّمنّي في تصور الشيء عن ظنّ و تخمين؛ فصار الكذب له أملك، وساغ أن يعبّر عن الكذب بالتمني، و عن الأكاذيب بالأماني، كما فسره مجاهد، والاستثناء منقطع.

.79

*فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ «79» *

«فَوَيْلٌ» اي عذاب اليم، او فضيحة او حَسرَة أو هَلَكة، أو وادٍ في جهنم. وهو في الاصل مصدر لا فِعل له من لفظه؛ مثل: ويْح، ولا يثنّى ولا يُجمع.

.80

*وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ «80» *

«أَيَّامًا مَعْدُودَةً» اي أربعين يوماً؛ كما يزعمون. وهي مدة عبادتهم العجل.

.81

*بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «81» *

«بَلَى» تمسّكم النار مخلّدين فيها. وهي حرف جواب كنَعَم وأجَل، إلاّ أنها لا تقع جواباً إلا لنَفْي متقدم، إبطالاً

ونقضا وإيجاباً له، سواء دخله استفهام أم لا. ففي نحو: ماقام زيد. تقول بلى؛ أي قد قام. وفي نحو: أليس زيد قائماً؟ تقول بلى؛ أي هو قائم. ومنه: « ... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ... » 172 – الاعراف. أي انت ربُّنا. ولو قالوا نعم، لكفروا.

«كَسَبَ سَيِّئَةً» هي هنا الكفر «وَأَحَاطَتْ بِهِ .. » أحدقت به واستولت عليه.

.82

*وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «82» *

.83

*وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ «83» *

.84

*وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ «84» *

.85

*ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ «85» *

«تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ» تتظاهرون عليهم بحلفائكم من العرب. من التظاهر، وهوالتعاون. وأصله من الظَّهر، كأن المتعاونين يسند كل واحد منهم ظهره إلى الآخر.

«بِالْإِثْمِ» هو اسم للفعل المبْطيء عن الثواب، و جمعه آثام. ولذا، يطلق على الذنب والمعصية، يقال: أثِم يأثم إثماً ومأثماً؛ فهو آثم وأثيم: وقيل: اسم للفعل الذي يستحق عليه صاحبهُ الذمَّ واللّوم. أو هو ما تنفر منه النفس، ولا يطمئن إليه القلب. «أُسَارَى» جمع أسير بمعنى مأسور، وهو من يؤخذ على سبيل القهر والغَلَبة فيُشدّ بالإسار، وهو القِدّ. والقِدُّ: سيْر يُقَدّ من جلد غير مدبوغ. «تُفَادُوهُمْ» تنقذوهم من الأسر بالفداء. يقال: فاداه وفداه،،أعطى فداءه فأنقذه. «خِزْيٌ» بلاءٌ وفضيحة مصدر خَزِيَ الرجل يَخزَي خِزياً وخزى: وقع، في بلية فذل بذلك؛ وهو: خزيان، وهن خزايا .. وأخزاه الله فضحه.

.86

*أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (86) *

.87

*وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ «87» *

«وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ» أرسلنا على أثره الرسلَ متتابعين. يقال: قفا أثره يقفوه قَفْوًا وقُفُوًّا، إذا تبعه. وقفّى على أثره بفلان، إذا أتْبعه إيَّاه. وقفّيته زيدا؛ وبه: أتبعته إيَّاه.

واشتقاقه من: قَفَوته إذا اتَّبعت قفاه. والقفا: مؤخّر العنق، ثم أطلق على كل تابع ولو بَعُدَ الزمن بينه و بين متبوعه. «بِرُوحِ الْقُدُسِ» هو جبريل عليه السلام؛ قال تعالى: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ «102» النحل» والإضافة فيه من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ اي الرُّوح المقدَّس، ووصف بالقُدس لطهارته عن مخالفة ربّه في شيء. وسُمِّيَ روحاً لمشابهته الرُّوحَ الحقيقي في أن كلاً منهما مادّة الحياة للبشر. فجبريلُ من حيث ما يحمل من الرسالة الإلهية تحيا به القلوب. والروح تحيا به الاجسام.

.88

*وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ «88» *

«قُلُوبُنَا غُلْفٌ» مغشّاةٌ باغطية حِسية مانعة من نفوذ ما جئت به فيها. جمع اغلف، و هو الذي جُعلَ له غلاف؛ و منه قيل للقلب الذي لا يعِي ولا يفهم: قلب أغلف؛ كانه حُجب عن الفهم بالغلاف.

.89

*وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ «89» *

«يَسْتَفْتِحُونَ» يطلبون من الله النصر على المشركين بالنّبي العربيّ المبعوث في آخر الزمان، الذي يجدون صفته في التوراة. والاستفتاحُ: الاستنصار؛ من الفتح وهو النصر، كالفَتَاحة.

.90

*بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ «90» *

«اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» باعوا به أنفسهم «بغياً» حسداً لأجل تنزيل الله الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم. وأصل البَغي الظُّلْم، وأطلق على الحسد، لأن الحاسد يظلم المحسود جَهده بتمنّي زوال نعمة الله عنه. وهو منصوبة على أنه مفعول له لـ «يَكْفُرُوا». «فَبَاءُوا بِغَضَبٍ .. » رجعوا بغضب فوق غضب. يقال: باء بإثمه يَبوء رجع؛ وهما كفرهم بعيسى عليه السلام، وكفرُهم بمحمد صلى الله عليه وسلم.

.91

*وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91) *

.92

*وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ «92» *

«ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ» الذي صنعه لكم السامرِيّ إلهاً تعبدونه.

.93

*وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «**93**» *

«وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ

الْعِجْلَ» أي داخل قلوبهم وخالطها حبُّ عبادته؛ كما يُداخلُ الصِبغ الثوب. وأصل الإشراب: مخالطةُ المائع للجامد، ثم أُتسع فيه حتى قيل في الالوان؛ نحو أُشرِب بياضُه حُمرة. وحذف المضافان للعلم بها، وفي ذلك مبالغةً لا تخفى.

.94

*قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «**94**» *

«خَالِصَةً» اي مخصوصة بكم كا تزعمون. يقال: هذا الشيء خالصةٌ لك؛ اي خالصٌ لك خاصةً.

.95

*وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ «**95**» *

.96

*وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ «**96**» *

«وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» أي واحْرَصُ على الحياة من المشركين الذين لايرجُون بعثاً بعد الموت؛ فهم يحبون طول الحياة. واليهود احرص على الحياة منهم؛ لعلمهم بأنهم صائرون إلى العذاب، ومن توقع ذلك كان أحرص الناس علي أسباب التباعد منه. «لَوْ يُعَمَّرُ» لو يطول عمره.

.97

*قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ «**97**» *

«مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ» عادى اليهودُ جبريل لزعمهم أنه أُمرَ أن يجعل النبوة فيهم فجعلها في غيرهم. أو لأنه لا يأتي إلا بالشّدة والحرب والقتال. أو لنزوله بالقرآن على محمد مصدِّقاً لكتابهم وهم كارهون للقرآن؛ ولذلك حرّفوا التوراة. فأخبر تعالى أن من كان عدوّا لجبريل فلا حق له في عداوته لأنه لم ينزل بالقرآن من تلقاء نفسه، وإنما جاء به بأمره تعالى مصدقاً لما سبقه من الكتب، وهادياً ومبشرًا للمؤمنين. فهو من حيث إنه مأمور وجب أن يكون معذوراً، ومن حيث إتيانه بالهداية والبشارة وجب أن يكون مشكورًا؛ وعداوةُ مَن هذا سبيلُه عداوة لله تعالى. «عَلَى قَلْبِكَ» أي نزّله عليك. وذكرُ القلب لأنه هو القابل الأول للوَحْي، ومحلُّ الحفظ والفهم.

.98

*مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ «98» *

.99

*وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ «99» *

.100

*أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «100» *

«أَوَكُلَّمَا» ألهمزة للاستفهام والواو للعطف على محذوف، أيْ أكفروا بالايات البينات؟ وكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم. أي طرحوه ونقضوه. من النَّبذ، وهو إلقاء الشيء وطرحُه لقلّة الاعتداد به. و فِعله من باب ضرب.

«نَبَذَهُ» طرحه و نقضه.

.101

*وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ «101» *

.102

*وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ «102» *

«وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو» أقبل اليهود لمَّا نبذوا التوراة على كُتُب

السحرة من أهل بابلَ، التي كانت تخبر بها الشياطينُ الكهنة في عهد سليمان، وزعموا أنَّها علم سليمان، وأنه كان ساحراً ولم يَتِم له الملك والسلطان على الإنس والجنّ والطير والرّيح إلا به؛ فأكذبهم الله بهذه الاية.

فالتلاوة بمعنى الاخبار و التحديث. ولتضمُّن الفعل معنى الكذب عُدّىَ بعلى. «يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» الضمير للشياطين أو لليهود. وقد ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته: أن السحر والطِّلْسمات علومٌ بكيفية استعدادات، تقتدِر النفوس البشرية بها على التأثير في عالم العناصر بغير آلة ولا مُعين، أو بمُعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الاعداد وبعض الموجودات. فالنفوس الساحرة تؤثِّر بالهمة والتوجّه في الأشياء؛ فإن كان بغير مُعِين وآلةٍ فهو السحر، وإن كان بمُعين فهو الطِّلسم. وأنّ هذه العلوم كانت شائعة في أهل بابل من السُّريانيين والكلدانيين، وفي أهل مصر من القبط وغيرهم قبل بعثة موسى عليه السلام. وكان لها في زمن بعثته أسواق نافِقة؛ ولهذا كانت معجزته من جنس ما يدّعون ويتناغوْن فيه. وهنالك نوع ثالث من التأثير، وهو تأثير النفوس في القوى المتخيّلة بإلقاء انواع من الخيالات والمحاكاة والصور فيها، حتى تُرى كأنها واقعيّة وليست إلا خيالاً، وهو المسمى بالشعوذة. وأن خلاف العلماء في أن السّحر حقيقة أو تخييلٌ خلافٌ لفظيّ. فالقائلون بأن له حقيقة نظروا إلى النوعين الأوّليْن، والقائلون بأنه تخييل نظروا إلى النوع الثالث. والشريعة لم

تفرّق بين السحر والطِّلْسمات؛ وحرمتهما جميعا لما فيهما من الضرر. وأما النوع الثالث فقد قال ابن خلدون: إنه ملحق بهذين النوعين في التحريم؛ لما فيه من الضرر. والحق أنه لا يحرْمُ منه الا ما فيه مضرة، واما ما ليس فيه مضرة فلا يحْرُمُ، وإنما ينبغي تركه لأنه لا يعني الجادّين، و «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» رواه الترمذي ". وما جاء في الحديث من عدّ السحر من الكبائر، وعدِّه كفراً، إذا كان الساحر يتجه في رياضته بالتعظيم والعبادة والخضوع والتذلل لغير الله تعالى، فهو محمول على النوعين الاولين. ثم ذكر الفرق بين المعجزة والسحر بانه راجع إلى التحدِّى، وهو دعوى وقوع

المعجزة على وَفق ما ادّعاه، وأن الساحر مصروف عن مثل هذا التحدِّي؛ فلا يصح منه. ووقوعُ المعجزة على وَفق دعوى الكاذب غير مقدورُ؛ فراجعه. وفي الاية إشارة الى أن تعليم السحر مُوجبٌ للكفر. «وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ» أي ويعلّمون ما أنزل على الملَكين: هاروت وماروت، ببابل: أي ما أُلهماه وعُلّماه وهو السحر وعطفُه على ما قبله لتنزيل تغاير الذات، وكان نزولهما لتعليم السحر إبتلاءً من الله تعالى وامتحاناً للناس. فمن تعلّمه وعَمِل به كفر، و من تعلّمه وتوقّّى العمل به ثبت على الايمان؛ ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء، كما امتحن قوم طالوت بالنهر. وكانا يحذِّران الناس أشدّ التحذير من العمل به، فلا يصفانه لأحد ولا يكشفان له وجوه الاحتيال فيه حتى يبذلا له النصيحة، فيقولا له: «إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ».وكذلك كان للتمييز بين السحر والمعجزة، حيث كثر السحر في ذلك الزمان، وأظهرالسحرة من الأمور الغريبة ما يوقع الشك فى النبوة؛ فبعث الله تعالى هذين الملكين لتعليم ابواب السحر، حتى يزيلا الشُّبَه، ويُميطا الأذى عن الطريق. والظاهر انهما نزلا بصورة آدَمِيّة، ولا بُعد في ذلك فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بصورة دِحْيَة الكلبيّ وغيره. وما يرويه المفسرون في قصّة هاروت وماروت لا أصل له وهو من اكاذيب الإسرائيليِّين فلا يُعوّل عليه. وقد أنكره من الأئمة: القاضي عياض والإمام الرازى والشهابُ العراقي و ابن كَثِير والالوسي. «إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ» ابتلاءٌ من الله واختبارٌ للناس؛ أيتبعون النصح ولا يعملون ألسحر أم يخالفونه ويعملون السحر، من الفَتن وأصله إدخال الذهب النار لتظهر جوْدته من رداءته. ثم استعمل في الاختبار والامتحان بالمِحَن والشدائد، وبالمِنَح واللطائف؛ لما فية من إظهار الحال والحقيقة. وأكثر ما تُستعمل فيه الفتنةُ: الامتحان بالمحن. وعليه يُحمل تفسير بعضهم الفتنة بالمحنة. وابتلاءُ اللهِ العبادَ، ليس ليعلم احوالهم، لانه تعالى عالم بجميع المعلومات التي لانهاية لها على سبيل التفصيل من الازل، ولكن ليعلمَ العبادُ احوالهم من ظهور جَودة ورداءة، وهي الاحوال التي يعلمها الله تعالى أزلاً. «خَلاق» نصيب من الخير، هو ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة وتخلّق به. وفسّر الخَلاقُ: بالقَوام وبالقدْر؛ والمعاني متقاربة «شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» باعوا به انفسهم.

.103

*وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ «103» *

«لَمَثُوبَةٌ» لأجرٌ وجزاء. وسُمّى بذلك لأن المحسن يثوب اليه ويرجع.

.104

***يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ «104» ***

«لَا تَقُولُوا رَاعِنَا» كان المؤمنون إذا حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون له «راعِنا». من المراعاة. وهي المبالغة في الرّعْي، وهو حفظ الغير وتدبير أموره، وتدارك مصالحه، يريدون: راقِبنا وتأنّ بنا، حتى نفهم كلامك ونحفظه. وكانت هذه اللفظة بلغة اليهود سَبّاً قبيحاً. أو بمعنى: اسمع لا سمعتَ. أو يا أحمق، من الرُّعونة، وهى الحماقة والخفّة. فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين، اخذوا يخاطبونه صلى الله عليه وسلم بها، و يضحكون فيما بينهم، قاصدين بها سبه والاستهزاء به؛ كما قال تعالى: «مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا «46» النساء» فنهي المؤمنون مخاطبته بهذه اللفظة؛ قطعاً لألسنة اليهود حتى لايّتخذوها ذريعةً إلى سبه صلى الله عليه وسلم وإيذائه، وأمِروا بأن يقولوا ما في معناها، مما لا يمكن التذرع به إلى ذلك، وهو انظرنا؛ أى انتظرنا وتأنّ، أو انظر إلينا. وهذه الآية أصل في سد الذرائع.

.105

*** مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105) ***

.106

***مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «106» ***

«مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ» لما قال الكافرون: إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه و يأمرهم بخلافه، و يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا وأنه ما يقول إلا من تلقاء نفسه—أنزل الله هذه الآية بياناً لوجه حِكمة النسخ، وأنها رِعايةُ مصالح العباد، وأنَّ النسخ من عند الله لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم. والنَّسخُ: الرفعُ والازالة، يقال: نسخت الشمس الظلَّ تَنْسَخُه، إذا أذهبته وأبطلته، ونسخُ الاية تارةٌ برفع حُكمها مع بقاء تلاوتها، وتارة برفع تلاوتها مع بقاء حُكمها و تارةٌ برفعهما معاً. وتارةٌ يكون النسخُ ببدل، وتارة بغْيرِ بدل؛ كما تقرر في الاصول. والمرادُه ب في الآية نسخُ الحكم ببدل، وإنْساءُ الآية – من النسيان – إذهابُها من القلوب حتى لا تذكرها، و هو النوع الثالث من النسخ. والمعنى: ما ننسخ من آية فنرفع حكمها، أو نَمْحُها من القلوب، نإت بدلها بما هو أنفع لكم و اسهل، واكثرُ لأجركم في ألمنفعة، أو بمثلها في ألمنفعة والثواب. فما نسخ بالأخف فهو في العمل أيسر. وما نسخ بالأشد فهو في الثواب أكثر. وقرئ «ننسأها» من النسئ بمعنى التأخير، أي نؤَخر إنزالها من اللوح المحفوظ.

.107

***أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ «107» ***

«وَلِيٍّ» مالك، أو مُتَوَلِّ لأموركم.

.108

*أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ «108» *

«سَوَاءَ السَّبِيلِ» قصد الطريق ووسطه

.109

*وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «109» *

«فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا» فتجاوزوا عما كان منهم من عداوة وحَسَد، والعَفْوُ: ترك العقوبة على الذنب، والصَفح: ترك اللوْم والعقاب عليه، وهو أبلغ من العفو، إذ قد يعفو الإنسان ولا يصفح. «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» أي بأمره بقتالهم، أو بالجزاء يوم القيامة. والأمرُ على الأول واحد الأوامر، وعلى الثاني واحد الأمور.

.110

*وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ «110» *

.111

*وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «111» *

«تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ» اي دعوى اليهود: لن يدخل: الجنة إلا من كان هوداً، و دعوى النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى وزعْمُهم جميعاً من حرمان المسلمين منها أمانيُّ باطلة، تمنوْها على الله بغير حق. «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» اي أحضروا حجّتكم على ما ادعيتوه من اختصاصكم بدخول الجنة. و «هاتوا» فعل: أمر، وهاؤه أصلية. والبرهانُ: الحُجة على صحة الدعوى، مصدرُ بَرَه يَبْرهُ اذا ابيضّ. سميت به الحجةُ لنصوع دلالتها على المطلوب؛ ومنه: أبْرَهَ إذا آتى بالبرهان، او من البَرْه، وهو القطع ومنه البُرْهة وهي القطعة من الزمان، وسميت به الحجةُ لأن بها قطع دعوى الخصم، أو من البَرهنة بمعنى البيان.

.112

*بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «112» *

«بَلَى مَنْ أَسْلَمَ» اي ليس الامر كمازعمتم، وإنما يدخل الجنة من أخلص دينه وعبادته لله وحده، وهو متبعٌ فيه امر ربه، محسنٌ في عمله.

.113

*وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ «113» *

«يَتْلُونَ الْكِتَابَ» اي جنس الكتاب، فيصدُق على التوراة والإنجيل وليس فيهما شيء مما يزعمون. «قَالَ الَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ» قال مشركو العرب الذين لا كتاب لهم يتعلمون منه في محمد وأصحابه؛ إنهم ليسوا على شيء من الدِّين. كما قال اهل الكتاب فيمن خالفهم: لستم على شئ من الدين، فتشابهت قلوبهم.

114.

*وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ «114» *

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ .. » هم المشركون الذين حالوا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابِه وبين المسجد الحرام يوم الحُدَيْبِية. وقيل: هم النصاري الذين كانوا يمنعون الناس من الصلاة في بيت المَقْدِس، ويظاهرون بُخْتَنَصَّر على خرابه. والتعبير بصيغة الجمع لأن كل موضع منه

مسجد. «ما كان لهم ... » أي ما صح لهم دخولها إلا خائفين من الله تعالى؛ لمكانها من الشرف والكرامة بإضافتها إليه تعالى. أو من المؤمنين أن يبطشوا فضلاً عن أن يستولوا عليها ويمنعوا المؤمنين منها. «خزي» ذل وصغار، وقتل وأسر.

115.

*وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ «115» *

«فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» ففي أي مكان من المشرق والمغرِب توليتم شطرَ القبلة، التى امركم الله بها ورضيها لكم فهنالك جهته سبحانه التي امرتم بها.

116.

*وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ «116» *

«وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» زَعمَ بعض اليهود أنَّ عُزَيْراً ابنُ الله. وزعم نصارى نَجْران أن ألمسيح ابنُالله. وزعمَ بعض مشركي العرب أن الملائكة بناتُ الله. تعالى الله عما يقولون عُلُّواً كبيراً! وكيف ذلك وله جميعُ ما في السموات والارض عبيدا و ملكا وخلْقاً، وتدبيرا

وتسخيرا وتصريفا؛ وكلُّها مربوبةً له تعالى، فكيفَ ينسَب اليه منها الولد! «سُبْحَانَهُ» تنزيهاً له عماهو نقصٌ في حقه، و محالٌ عليه من اتخاذ الولد؛ لاقتضاء الوالديّة النوعيّة، والجنسية والتناسل والافتقار، والتشبيه والحدوث. وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا أحدَ أصبرُ –على أذّى سمعه– من الله إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويكافئهم» «كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ» مطيعون طاعةَ تسخير و انقياد، خاضعون: لا يَستعصي منهم شيء علي مشيئته و تكوينه. شاهدون بلسان الحال والمقال بوحدانيته، من القنوت، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ «15» الرعد»

117.

*بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «117» *

«بديع السماوات» مبدعهما ومنشئهما بلا احتذاء ولا اقتداء، وبلا آلة ولا مادّة. صفةٌ مشبَّهة من أبدع؛ و الذي ابتدعهما من غير أصل ولا مثال هو الله تعالى – الذى ابتدع المسيح عليه السلام من غير أب بقدرته سبحانه، وابتدع عُزَيْراً والملائكة؛ فكيف يضيفون إليه تعالى بُنُوّة شيء من هذه المخلوقات. «وَإِذَا قَضَى أَمْرًا .... » أى إذا أراد سبحانه إحداثَ أمرٍ من الأمور حدث فورا؛ قال تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «82» يس» وهو على ما ذهب إليه كثير من أهل السُّنة تمثيلٌ لحدوث ما تتعلق به إرادته تعالى بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقُّف. وليس المراد إحداثَ أمْرٍ أتى بالكاف والنون، ففي الكلام استعارةٌ تمثيلية. وذهب آخرون إلى أن الأمر بـ «كُن» محمولٌ على حقيقته،

وأنه تعالى أجرى سنته في تكوين الأشياء أن يكونها بكلمة «كن». أزلاً .. ومن ذلك عيسى عليه السلام خُلق بكلمة «كن» فكان.

.118

*وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ «118» *

«وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» هم مشركو العرب [آيه 113 من هذه السورة ص 28]. «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» هم اهل الكتاب.

.119

*إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ «119» *

.120

*وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ «120» *

«وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ» الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، والمقصودُ منه امّتُه.

.121

*الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ «121» *

«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» هم مؤمنو أهل الكتاب، والكتابُ: التوراة أو
الإنجيل، أو هم أصحابه صلى الله عليه وسلم، والكتاب: القرآن.

.122

*يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ «122» *

«الْعَالَمِينَ» عالَمَيْ زمانكم.

.123

*وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ «123» *

«لَا تَجْزِي نَفْسٌ .. » [آيه 48 من هذه السورة]. «عَدْلٌ» فدية

.124

*وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ «124» *

«وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ ... » اختبره ربُّه تعالى بما كلفه به من الاوامر والنواهي. و معنى اختبار الله تعالى العبدَ معاملتُه إياه معاملةَ المختبَر مجازاً، إذ حقيقة الاختبار محالةٌ عليه تعالى، لعلمه المحيط بالأشياء. أو الاختبار لإظهار ما في المبتلَى من جودة ورداءة وطاعه وعصيان؛ دون التعرّف لحاله والوقوف على حقيقة أمره. وهو تعالى يختبر عباده تارةً بالمضار ليصبروا، وأخرى بالمسارّ ليشكروا، وفي كلا الحالَيْن تبدو النفس على حقيقتها. «بِكَلِمَاتٍ» بأوامر ونواه. «فَأَتَمَّهُنَّ» أتى بهنَّ على الوجه الأكمل، وأدّاهن كما يليق به عليه السلام، قال تعالى: «وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى «37» النجم»

.125

*وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ «125» *

«مَثَابَةً لِلنَّاسِ» مرجعاً للناس يرجعون اليه من كل جانب و يحجُّون، مصدرٌ ميميٌّ، من ثاب القوم إلى المكان رجعوا إليه، فهم يثوبون إليه ثوبا وثووباً. أو معاذا لهم يلجَأون إليه. أو موضع ثواب يُثابون بحجه و اعتماره. «مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ» هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت، وهو على المشهور تحت المصلى المعروف الآن. «عَهِدْنَا» وصينا أو أمرنا أو أوحينا .. «بَيْتِيَ» الكعبة المشرفة بمكة المكرمة.

.126

*وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ «126» *

«أَضْطَرُّهُ» ادفعه وأسوقه وأُلجئه.

.127

*وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «127» *

.128

*رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ «128» *

مخلصين موحِّدين لك. من أسلمَ وجهَهُ: اذا اخلص نفسه أو قصده، أو منقادين لك. قائمين بشرائع الإسلام. من استسلم: إذا انقاد. «وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا» علِّمنا شرائع ديننا وأعمال حجِّنا؛ كالطواف والسّعي والوقوف. أُو متعبداتنا التي تقام فيها شرائعه؛ كمنى و عرفاتٍ و نحوهما. جَمعُ مَنْسِك –بفتح السين وكسرها– بمعنى الفعل،

و بمعنى الموضع. من النُسُك – مثلّثة النون، وبضمها وضم السين – وهو غاية العبادة، وشاعَ في الحج، لما فيه من الكُلْفة غالباً والبُعد عن العادة.

.129

*رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «129» *

» وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ» وابعث في الأُمَّة المسلمة. أو في ذرّيتنا – وهم العرب – رسولا منهم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ لم يُبْعَث في ذريتهما غيره. «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» اي يعلمهم معاني الكتاب وحقائقه، وهو القرآن. ويعلمهم الحكمة، و هي في الأصل إصابة الحق في القول والعمل. والمراد بها هنا: الفقهُ في الدين و معرفةُ اسراره، وحِكَمِه و مقاصده الي يكمُلُ بها العلم بالكتاب. «وَيُزَكِّيهِمْ» يطهرهم من ارجاس الشرك و ادران المعاصي، يقال: ز كاه الله اي طهّره و اصلحه. و منه زكاة المال؛ لتطهرّه بها و طهارةِ

ألنفس بأخراجها. وأصلُ الزكاء–بالمدّ–:ألنماءُ وألزيادةُ؛ ومنه: زكا ألزرعُ وألارض زَكاءً وزكُوّاً، اي نَما ونمت.

.130

*وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ «130» *

«يَرْغَبُ عَنْ ... » يزهد وينصرف عن ... «سَفِهَ نَفْسَهُ» خَسِرَ نفسه، أو جهلها أو إمتهنها وأذلها و استخف بها. والسَّفه: خفةٌ في النَفْس لنقصان العقل في أمور الدنيا أو الدِّين. و «سفه» متعد بنفسه. و «نفسه» مفعول به.

.131

*إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ «131» *

«أَسْلِمْ» انقَدْ، أو أصلح ألعبادة لي.

.132

*وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «132» *

«اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ» اختار لكم دين التوحيد، وهو دين الإخلاص لله في العبادة والطاعة والانقياد لحكمه؛ فليس عند الله دين مَرْضيٌّ سواه وهو دين الإسلام.

.133

*أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ «133» *

.134

*تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ «134» *

«خَلَتْ» مضت وسلفت.

.135

*وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «135» *

«حَنِيفًا» مائلا عن الضلال والباطل إلى الهدى والحق. جمعه حُنفاء، وأصلُه من الحَنَف، وهو مَيْل في إبهام القدمين من كل واحدة إلى صاحبتها؛ يقال: حَنَفَ يَحْنِف مال، وتحنف إليه: مال وتحنف: تحرى طريق الاستقامة. والحنيف: المسلم و «حنيفاً» حالٌ من إبراهيم.

.136

* قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ «136» *

«وَالْأَسْبَاطِ» هم اولاد يعقوب الاثنا عشر، جمع سبط وهو ولدُ الولدِ، وسموا أسباطاً بالنسبة لإسحاق وإبراهيم عليهما السلام. وقيل هم أحفادُ يعقوب، وهم اولاد اولاده وكانوا كثيرين. والأسباط في بنى إسرائيل كالقبائل في العرب من ولد إسماعيل، وسُمُّوا أسباطاً من السبط، وهو الشجرة ذات الأغصان الكثيرة، وهم في الكثرة بمنزلتها.

.137

* فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «137» *

«فِي شِقَاقٍ» فى مخالفة لله تعالى ومعاداة. . من الشق وهو

الجانب؛ لأن كل واحد من الفريقين يكون في شِق غير شِق صاحبه. أو من قولهم: شق العصا، إذا أظهر العداوة.

.138

*صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ «138» *

«صِبْغَةَ اللَّهِ» دينَ الله، أو فِطرةَ الله التى فطر الناس عليها وهي الايمان. والصِبغة –كجلسة – من صَبَغ، وهى الحالة التى يقع عليها الصِّبغ، عبّر بها عن التطهير بالايمان بما ذكر؛ لظهور اثره عليهم، كظهور أثر الصبغ على المصبوغ، ولتداخله في قلوبهم

تداخله وصيرورته حلية لهم. و «صِبْغَةَ اللَّهِ» مصدر مؤكِد لـ ««آمنا»» منصوب بفعل مقدّر، اي صبغنا الله صبغته.

.139

*قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ «139» *

.140

* أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ «**140**» *

.141

*تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ «**141**» *

.142

*سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «**142**» *

«سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ» جمع سَفيه؛ من السَّفه وهو الخفه الناشئة من نقصان العقل. " أي سيقول الخفافُ ألاحلام، الطاعنون في تَحويل القبلة إلى الكعبة، وهم اليهود والمنافقون والمشركون: أيُ شيء صرفهم عن قبلتهم التي كانوا يصلون إليها، وهي بيت القدس؟! و قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى إليها منذ قدم المدينة، وبعد ستة عشر أو سبعة عشر شهراً–على الارجح–أُمرَ بالصلاة الى الكعبة؛ فأخبره الله تعالى بما سيقولونه قبل أن يقولوه؛ ليوطِّن نفسه عليه، وأعلمه الجواب عنه، وهو أعلام النبؤة. وقيل: إنه أخبره به بعد ما وقع، وأُتي بالسين مع مُضي القول لاستمرارهم عليه. «مَا وَلَّاهُمْ» ايُّ شيء صرفهم «عَنْ قِبْلَتِهِمُ» عن بيت المقدس.

.143

*وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ «**143**» *

«وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

وسطا» اي كا هديناكم الى قبلة هى أوسط القِبَل جعلناكم امَّة وسطاً. أو مثل ذلك الجَعْل العجيب جعلناكم أمةً وسطاً، أى عدولا خياراً، أو متوسطين: اي معتدلين في الدِّين غير مُفَرِّطين فيه، كاليهود والمشركين، وكالنصارى والصابئين. ووَسطُ الشيء في الأصل: مالَه طرفان متساوين القدر، واستعير للخصال الحميدة، لكونها أوساطاً لطرفي الخصال الذميمة؛ ثم أطلق على المتّصف بها، من إطلاق اسم الحال على المحلل، لاعتدالة بعده عن طرفي الافراط والتفريط الذّه ميمين، وخيرُ الأمور: الوسط. «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ» بيان للحكمة في جعل بيت المقدس قبلةٌ له ثم صرفه عنها إلى الكعبة. أيْ أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة، وأنّ استقبالك لبيت المقدس هذه المده ثم صرفك عنه، انما كان ليظهر حال من يتبعك ويستقبل معك حيثما توجَّهت ممن ينقلب على عقبيه مرتدّاً عن دينه فنجازي كلاً بعمله. وعبَّر عن ذلك بالعلم لترتبه عليه. «مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ» يرتدّ عن دين الإسلام، ويرجع إلى ما كان عليه، إلفاً لقبلة ابائه؛ وهو كقوله تعالى: «نَكصَ على عَقِبَيْه» ايه **48** الانفال، "، «فارتدا على آثارهما قصصاً» ايه **64** الكهف، وقولهم: رجعت علي حافرتي، اي طريقي الذي أصعدت فيه.

والحافرة: العَوْد في الشيء حتى يرد آخره على أوله. «وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً» أي وإن كانت هذه التولية لشاقةً ثقيلةً على النفوس إلاً على الذين هدى اللهُ قلوبهم إلى اتّباعك، والإيمان بك، والعلمِ بان لله تعالى ان يكلف عباده بمايشاء وينسخ مايشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك. «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» لما وُجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله: كيف بالذين ماتوا منا وهم يصلون الى بيت المقدس!؟ فنزلت. اي: وما كان الله مريداً لإضاعة ايمانكم؛ اي صلاتكم الى القبلة المنسوخة فالايمان مجازٌ عن الصلاة، من إطلاق اللازم على ملزومه بقرينة المقام. او لإضاعة ثباتكم على الإيمان بالرسول، بل يجازيكم عليه بالحسنى.

144.

*قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ «144» *

«قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ .. » كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلّب وجهه نحو السماء في الدعاء إلى الله تعالى: أن يحوّله إلى الكعبة، قبلة أبيه ابراهيم عليه السلام. فاستجاب
الله له وحوّله إليها. «تَرْضَاهَا» تحبّها وتهواها، لأنها قبلة ابراهيم عليه السلام، واقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان؛ فوافقت أغراضه الشريفة – صلى الله عليه وسلم–مشيئةَ الله وحكمتَه. «شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» نحوه وجهته وتلقاءه، منصوبٌ على الظرفية. والمراد من المسجد الحرام: الكعبة؛ كما في الصحيحين. أي فولّ وجهك في

الصلاة جهتها، وحيثا كنتم من بر أو بحر، شرق أو غربٍ فولوا وجوهكم في الصلاة جهتها. وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة الي هي القبلة ايذانٌ بكفاية محاذاة الجهة للبعيد؛ لأن في وجوب محاذاة عينها على البعيد حرجاً عظيماً دون القريب. وروى عن ابن عباس: أن البيت قبلةٌ لأهل المسجد، والمسجد قبلةٌ لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل المشرق والمغرب. وإليه ذهب مالك.

145.

*وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ «145» *

146.

*الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ «146» *

«يَعْرِفُونَهُ» اي يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم بالنعوت المسطورة في التوراة، التي من جملتها انه صلى الله عليه وسلّم يُصلِّي إلى القبلتين.

147.

* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ «**147**» *

«فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» اي الشاكين او المتردّدين في كتمانهم الحق مع العلم به. من الامتراء في الشيء، وهو الشك فيه، والشاك في الشيء يتردد فيه، ويدافع اليقين ويجادلُ فيه؛ ليستخرج ما عند خصمه من القول والحجة. من مَريْتُ الناقةَ إذا مسحت ضَرعها لتَدِر. ومريتُ الفرس إذا استخرجت ما عنده من الجَري بسوط أو غيره. والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمُرادُ أمتهُ، كما في نظائره.

.148

* وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «**148**» *

.149

*وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ «**149**» *

«وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ» أعاد سبحانه هذا الأمر ثلاث مرات، وفي كل مرة فائدةٌ زائدةٌ. فعلّل الأمرَ الأوَّل باكرامه تعالى لرسوله والمؤمنين بالقبلة التى يحبُّونها ويَرضَوْنها، وهي قبلة أبيهم إبراهيم. وعلل الثانى بما جرت به العادة الإلهيَّة من أن يؤتى أهل كلِّ مِلةٍ قبلة، وقد شرع للمؤمنين أشرف الجهات التى يعلم أنها حقٌّ، وهى بيته المُعظَّم قبلةٌ لهم. وعلل الثالث بدفع شُبَه الطاعنين الجاحدين. كأنه تعالى يقول: الزم هذه القبلة، فإنها التى كنت تهواها. ثم يقول: الزم هذه القبلة، فانها قبلةُ الحقِّ لا قبلةُ الهوى. ثم يقول: الزم هذه القبلةَ، فإن في ذلك انقطاع حججُ الطاعنين.

.150

*وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ «**150**» *

«لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ» أي لينتفي احتجاج اليهود بقولهم: يَجحَد دينَنا ويتبع قِبلَتنا. والمشركين بقولهم: يَدعي مِلَّة ابراهيمَ ويخالف قبلته؛ ويتبعهم المنافقون في كل باطلٍ من القول. فلما حُوّلتم إلى الكعبة انتفى احتجاجهم جميعا. وسُمّيَ قولهم حجةٌ لانهم يسوقونه مساق الحجة وإن كان في نفسه باطلا.

«إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» أي لكن الذين ظلموا منهم يتعلّقون بالشُّبه ويجادلونكم بالباطل؛ فيقول اليهود: ما تحول الى الكعبة إلاّ ميلاً لدين قومه، وحباً لبلده. ويقول المشركون بَدا له فرجع الى قبلة ابائه، ويوشِك أن يرجع الى دينهم.

.151

*كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ «**151**» *

«وَيُزَكِّيكُمْ» يطهّركم من الشرك والذنوب، ومن رذائل الاخلاق وأعمال الجاهلية.
«الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» القران والسنن والفقه في الدين.
152.
*فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ «152» *
فاذكروني بطاعي، أذكرْكم بمغفرتي.
"وفي الحديث الصحيح: «يقول الله تعالى: فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و ان ذكرني في ملأ ذكرته في مَلأٌ خيرٍ منه. «متفق عليه».
153.
*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ «153»
*
154.
*وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ «154» *
«وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ .. » إخبارٌ بأن الشهادة في سبيل الله حياةٌ أبدية خالدة، بعد بيان أن أقوى ما يستعان به على تحمُّل المصائب والشدائد الصبرُ والصلاة؛ كما قال تعالى:
«واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها
الكبيرة إلا على الخاشعين» ". ايه 45 البقره.
«بَلْ أَحْيَاءٌ» اي بل هم احياء يُرزقون، حياة " برزخية خاصَّةٌ، لايَعلم حقيقتها إلا الله تعالى، تمتاز عن حياة سائر المؤمنين في البَرْزَخ. وقال الآلوسي: {إن الرُّوح تتعلَّق بعد الموت ببدن برزخِيّ، مغاير لهذا البدن الكثيف.
وأرواح الشهداء يثبت لها هذا التعلّق، على وجه يمتازون فيه عمَّن عداهم من المؤمنين، إما في نفس التعلّق أو نفس الحياة، أو في نفس المتعلق به، مع ما ينظمّ الى ذلك من البهجة والنعيم اللائقين بهم، ولهذه الابدان البرزخيّه
شبَهٌ صوري بالأبدان الدنيويّة. والله أعلم. وقد اسهبَ القولَ في ذلك والدنا – رحمه الله – في كتابه «المطالب القدسيّة، في أحكام الروح وآثارها الكونية»
155.
*وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ «155» *
«وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ» والله لنختبرنكم، من الابتلاء بمعنى الاختبار: اي لنعاملنّكم بقليل

من البلايا معاملةَ المختَبِر لاحوالكم؛ ليظهر: هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أو لا تصبرون. وقد أخبرهم الله تعالى بذلك قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم، ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له، وليعلموا انه شئ يسير

هيِّن، له عاقبة حميدة.

.156

*الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ «156» *

.157

*أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ «157» *

«صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ» ثناء أو مغفرة منه تعالى.

.158

*إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ «158» *

«مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» أي من أعلام دينه و متعبَّداته. تعبَّدنا الله بالسعي بينهما في الحج والعمرة. وشعائُر الحج: معالمه الظاهرةُ للحواس، التي جعلها الله أعلاماً لطاعته ومواضعَ نسكه و عبادته؛ كالمَطاف والمَسْعى والموْقف والمَرمى والمَنحَر جمعُ شعيرة وهى العلامة. وقيل للبَدَنة المُهداة إلى البيت المعظَّم: شعيرة، لانها تُشعَر، أي تُعَلَّم ويقال لمواضع النّسك: مشاعر، جمع مشعر وهو المَعلْم والمتعبَّد من متبَّداته، من الإشعار وهو الإعلام ومنه المشعر الحرام للمُزْدَلِفة؛ لأنها مَعْلَمٌ للعبادة وموضعٌ لها. وتطلق الشعائر على العبادات التى تعبَّدنا الله بها في هذه المواضع، لكونها علامات على الخضوع والطاعة والتسليم لله تعالى. «اعْتَمَرَ» زار. والعُمرة: يارة البيت المُعظَّم على وجه الخصوص، أخذاً من العمارة؛ كأن الزائر يَعمُر البت بزيارته، وجمعها عُمر و عُمرات، كغرف زيارة البيت المعظم جمعها عُمر وعُمرات كغرف و غرفات في جمع غرفة.

«فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» أى فلا إثم عليه في التطوف بهما. من جَنح، أى مال عن القصد وسُمِّىَ الإثمُ به للمَيْل فيه من الحق إلى الباطل. وقد كان على الصّفا صنم يسمّى «إساقاً» وعلى المَرْوَة صنم يسمّى «نائلة»، و كانوا في الجاهلية يستلمونهما ويتمسحون بهما؛ فتحرَّجوا بعد الإسلام و تكسير الاصنام من السَّعي بين الصفا والمروة. فنزلت هذه الاية، واخبر الله انه من شعائر الله ولاجناح فيه.

.159

*إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ «159» *

«يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ» يطردهم ويُبعدهم من رحمته. يقال: لَعَنه، اي طرده وابعده ساخطا عليه، فهو لعين و ملعُون، وجمعه ملاعين. واللاعنون هم الملائكة والمؤمنون. والمراد دوام

اللّعن واستمراره.

.160

*إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ «160» *

.161

* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ «161» *

.162

*خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ «162» *

«وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ» اي لا يُمْهَلون، ويؤخَّرون عن العذاب ساعة. من الإنظار بمعنى التأخير والإمهال. أو من النظر بمعنى الانتظار. يقال: نظرته و انتظرته وأنظرته، أخَّرته وأمهلته؛ ومنه: «فَنَظِرةٌ إلى مَيْسَرة» البقرة 280. أو من النظر بمعنى الرؤية، أى لا ينظر الله إليهم نظر رحمة ورضا.

.163

*وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ «163» *

.164

*إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «164» *

«وَبَثَّ فِيهَا» فرق و نشر فيها بالتوالد.

«وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ» تقليبها جنوباً و شمالاً ي ودَبورا، حارةً و باردةً. عاصفةً وليِّنَة، عقيماً ولواقحَ، بالرحمة تارة وبالعذاب أخرى. «تصريف» مصدر مضافٌ للمفعول، والفاعل هو الله، اي وتصريف الله الرياحَ. أو مضاف للفاعل، والمفعول السحاب؛ أي وتصريف الرياح السحابَ.

.165

*وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ «165» *

«أَنْدَادًا» أمثالاً ونظراء جمع نِدّ «راجع ايه 22 من هذه السورة. والمراد بها الاصنام والاوثان " التي اتخذوها " الهة، ورجوْا منها النفع وخافوا الضُّر وقرّبوا لها القربان. وقيل: الرؤساء الذين يطيعونهم طاعةَ الأرباب. وقيل الأعمُّ مما ذكر. «وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» اي ولو يعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشّرك شدة عذاب الله وعقوبته حين يعاينون العذاب المُعَد لهم يوم القيامة لوقعوا من الحسرة والندامة فيما لايكادُ يوصف.

.166

*إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ «166» *

الأسباب جمع سبب. وهو في الأصل الحبل الذي يُرتَّقى به الشجر و نحوه، ثم سُمِّيَ به كل ما يُتوصَّل به الى غيره، عينا كان أو معنى. والمراد بها هنا: الوشائج التى كانت بين الأتباع والمتبوعين في الدنيا، من القرابات والمودَّات, والاتفاق على الدِّين والاتِّباع. وتقطيعها: فصلها فصلاً شديداً والباء في «بهم» للسببية، أي وتقطعت بسبب كفرهم الاسبابُ الي كانوا يرجُون بها النجاة.

.167

*وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ «167» *

«لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً» لو ثبت أنَّ لنا عودةً ورجعةً إلى الدنيا لتبرّأنا منهم كما تبرّءوا. والكَرَّة: العودة والرجوع. يقال: كَّرَ يَكُر كراً، رجع.

«حسرات» جمع: حَسْرة، وهي. اعلى درجات النّدم والغمّ على ما فات. يقال: حسِرَ يحْسَر حَسَراً وحَسرة، فهو حسير، إذا اشتدت ندامته على أمر فاته، وأصله من الحَسْر بمعنى الكشف أو ألاعياء؛ كأنه انحسرت قواه من فَرْط الغَمّ، او

أدركه الإعياء عن تدارك ما فَرَط منه. يُرِى الله المشركين أعمالهم السيئة يوم القيامة في الصحائف، ويتيقنون الجزاء عليها فيتحسرون ويندمون.

.168

* يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ «168» *

«حَلَالًا طَيِّبًا» الحَلَال: المباح الذى انحلت عُقدة الحَظْر عنه. من الحَل الذي هو نقيض العَقد. والطَّيبُ: المستلذّ، أو المباحُ الذي لا يتعلق به حق الغير، أو كما قال الإمام مالك: ما يجده فَمُ الشرع لذيذاً لا يَعافه ولا يكرهه، أو تراه عينه طاهراً من دَنَس الشُّبهة. نزلت في الذين حَرّموا على أنفسهم البَحيرة والسائبة ونحوهما.

«خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ» آثاره وزلاته و طُرُقه التى يحرّم بها الحلال ويحلل الحرام. جمع خطوة كغرفة، وأصلها ما بين القدمين، ثم استعيرت لما ذُكر، وقري بسكون الطاء.

.169

* إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ «169»
*

«بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ» السوء: ما يُكره من الأمور والأحوال. وهو في الأصل مصدر ساءه يسوؤه سوءا ومَساءةً إذا أحزنه. والمراد به هنا كلُّ ما يُغضب الله تعالى من المعاصى، لأنه يسوء صاحبه. والفَحشاءُ والفاحشةُ و الفُحْشُ ما عَظُم قُبْحُه – شرعاً – من الأفعال والأقوال.

.170

*وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ «170» *

«أَلْفَيْنَا» وجدنا.

.171

*وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ «171» *

النَّعيقُ: دعاءُ الراعى الشَّاء. يقال: نَعقَ الراعي بالغنم يَنْعِق نعْقاً ونعيقاً ونُعاقا ونَعَقاناً، صاح بها و زجرها. أي مَثلُ داعي الذين كفروا كَمَثل الناعق بغنمه، في كون الكافر لايفهم مما يخاطبه به داعيه الاّ دَويّ الصوت دون إلقاء فِكْر وذِهن،كما أنَّ البهيمة كذلك. فالكلام على حذف مضاف من الأول.

«بُكْمٌ» خرس عن النطق بالحق.

.172

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ «172» *

«كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» أي من مستلَذّات ما أحْللناه لكم.

.173

*إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «173» *

«وَالدَّمَ» اي المسفوح المُهراق، لآية: «أو دماً مَسْفُوحا» «أيه 145 الانعام» و هي خاصةٌ، والآية هنا عامَةٌ، والخاصُّ مقدَّم على العام. «وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ» المرادُ به جميعُ أجزائه. و عُبِّر عن ذلك باللحم لانه معظمه والمقصودُ بالأكل. «وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ» الإهلالُ: رفع الصوت عند رؤية الهلال استعمل لرفع الصّوت مطلقاً؛ ومنه: إهلالُ الصّبي، والإهلالُ بالحجِّ. وكانوا في الجاهلية إذا ارادوا ذبح ما قَربوه إلى الهتهم سَمَوْا عليها اسماءها –

كاللّات والعُزى–ورفعوا بها أصواتهم؛ وسُمّيَ ذلك إهلالاً. ثمَ توسع فيه فقيل لكل ذابحٍ: مُهِلٌّ، سمّى او لم يُسَمّ، جهر بالتَّسميةِ أو لم يَجْهَر. والمراد بما أهِلَّ به لغير الله: ما ذُبح للاصنام ونحوها، و منه مايذبحه المجوسي نار. ومنهي عند الجمهور: ذبائح أهل الكتاب إذا ذكروا عليها اسم غزير او عيسي علي٥ا السلام لأنها مما اهل به لغير الله. وذهب جماعة من التابعين الى تخصيص الغير بالأصنام، وإلى حِلِّ ذبائح أهل الكتاب مطلقا؛ لعموم قوله تعالى في سورة المائدة وهى آخر السور نزولا: «وطعام الذين أوتُوا الكتاب حل لكم» «اية 5 المائدة» أي ذبائحهم، وهو سبحانه يعلم ما يقولون. ورَوَى الحسن عن عليّ رضي الله عنه: إذا ذَكَر الكتابيُّ اسم غير الله وأنت تسمع فلا تأكل، فإذا غاب عنك فكُلْ، فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم مايقولون. ذكره الرازي والنيسابوري والآلوسي وغيرهم. وظاهر الآية يقتضى ألا يحرم من المطعومات سوى هذه الأربعة؛ لكنا نعلم أن في الشرع مطعومات أخرى محرمةٌ كلحوم الحمر الأهلية، فتصير كلمة «إنما» متروكة الظاهر في العمل، كما قاله الرَّازي. «فَمَنِ اضْطُرَّ» أى فمن أُلْجِئ بإكراه أو جوع مهلك – مع فقد الحلال – إلى اكل شيء من هذه المحرّمات الأربع، التى كانوا في الجاهلية يستحلونها، أو التى اعتقد ألمؤمنون حُرْمتها ولو في حالة الاضطرار فلا اثم عليه في اكلها. من الاضطرار و هو الاحتياج الى الشيء. يقال: اضطره إليه أحوجه وألجأه فاضطُّر. مأخوذ من الاضرار، وهو حَمْلُ الإنسان على أمر يكرهه، وقَهْرُه عليه بقوّة يناله بدفعها الهلاك. والآية استثناء لحالة الضرورة الملجئة.

«غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ» غير باغٍ في أكله طالبٍ للمحرم وهو يجد غيره. او غير طالب له للذَّته، أو على جهة الاستئثار به على مضطر آخر؛ بأن ينفرد بتناوله فيهلك الآخر. من: البُغَاء، وهو الطلب، تقول: بغيْتُه بُغاءً وبُغى، و بُغْية، وبِغْية، طلبته. «ولا عاد» فيه، اي متجاوز سَدَّ الجوْعة. اسم فاعل

بمعني مُتَعَدّ؛ تقول: عدَا طَوْرَه، إذا تجاوز حدَّه وتعدّاه إلى غيره، فهو عاد ومنه «بل أنتم قومٌ عادُون» آيه 166 الشعراء. «غَيرَ» منصوب على الحال من الضمير المستتر في «اضُطُّر» فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار. فجعل الأكل عزيمة لارُخصة.

.174

*إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ «174» *

«ثَمَنًا قَلِيلًا» عوضاً يسيراً «وَلَا يُزَكِّيهِمْ» ولا يطهرهم من دَنَس الكفر والذنوب بالمغفرة. من التزكية بمعنى التطهير [آيه 129 من هذه السورة].

.175

*أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ «175» *

فما أدومهم على عمل المعاصي التى تُفضي بهم إلى النار. والمراد بالتَّعجب في هذه الآية ونظائرها الإعلامُ، بحالهم، وانه ينبغي ان يتعجّب منها كل أحد.

.176

*ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ «176» *

«شِقَاقٍ بَعِيدٍ» خلاف ونزاع بعيد عن الحق.

.177

*لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ «177» *

«وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ» البِرُّ: اسم جامع لكل خير، ولكل طاعة وفربة الى الله تعالى. أي ولكنَّ البِرَّ بِرُّ مَن آمن؛ و حذف المضاف على حد: الجودُ حاتم: اي الجود جود حاتم. أو ولكنّ البر – أى البارّ – من آمن؛ على أنه اسم فاعل من بّرّ يَبِر فهو بَرّ، واصله بَرِر، فلما اريد الإدغام نُقلت كسرة الراء إلى ما قبلها بعد سلب حركتها. وقد اشتملت الآية على خمسة عشرَ نوعاً من أنواع البرّ. وهى ردُّ لما زعمته اليهود من أن البرّ هو مجرد التوجه إلى جهة المغرب، و مازعمته النصارى من آنه مجُرد التوجّه إلى جهة المشرق. أى ليس البر كلُّه فما زعموا، وإنما فيما بيَّنته هذه الآية. «وَابْنَ السَّبِيلِ» هو المسافر المنقطع عن اهله ووطنه؛ الذي قد فرغت نفقته. و

سُمِّي ابنَ سبيل لملازمته السبيل؛ اي الطريق في سفره. «وَفِي الرِّقَابِ» اي في فكِّ الرقاب وتخليصها من الاسترقاق أو الأسر. أو شراء رقاب و عتقها. «و الصابرين في البأساء والضراء» البأساءُ ما يصيب الناسَ في الأموال، كالفقر. والضراءُ: ما يصيبهم في الأنفس، كالمرض. مشتقّان من البُؤس والضُّر، والفهما للتأنيث.

يقال: بَئِس يَبْأَس بُؤساً وبَأْساً، اشتدَّت حاجته. وضَرَّه واضره وضارَّه ضُرَّاً وضَرَّا، ضد نَفع.

«والصَّابِرِينَ» منصوب على المدح بتقدير أخُصُّ، و غيّر سبكه عما قبله تنبيهاً على فضيلة الصبر ومزيَّته على سائر الأعمال حي كأنه ليس من جنس ما قبله. وهذا الضرب من الاسلوب يُسمّى القطع، وهو أبلغ من الإتباع.

«وَحِينَ الْبَأْسِ» إي ووقت القتال في سبيل الله. يقال: بَؤُسَ يبؤُس بأساً فهو بئيس؛ أي شديد شجاع. وهو ظرف منصوب بالصابرين.

178.

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ «178» *

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ» أي فرض عليكم. من الكَتْب، وهو في الاصل

ضَمُّ ادام بالاديم با لخياطة: وتُعُورف في ضَمِّ الحروف بعضها إلى بعض بالخط؛ وأطلق على المضموم في اللفظ وإن لم يكتب بالخط، ومنه الكتابة. ويُطلق الكَتب والكتاب والكتابة على الإيجاب والفَرْض: لأن الشأن فيما يُوجب ويُفرَض ان يراد ثم يقال ثم يكتب؛ ومنه «كَتَبَ الله عليكم الصيام» آيه 183 البقره، و منه «كَتَب الله عليهم الجَلَاء» آيه 3 الحشر.

«الْقِصَاصُ»:تتبعُ الدم بالقود. وأصله من القَص، وهو تتبُّع الاثر. يقال قص أَثَره أي تتبعه. ومنه القِصة والقصَص، لما فيهما من التتُّبع.

«فَمَنْ عُفِيَ لَهُ ..... » أي فالقاتل عمداً إذا عُفِيَ له عن جنايته من جهة اخيه وليِّ الدَّم، بأن صَفَحَ عنه من القصاص الواجب عليه، ورضيَ منه. بالدِّيةِ بدل الدم؛ فالواجب اتباع وليِّ الدم له بالمعروف بألا ياخذ منه اكثر من حقه ولا يُرهقه، وأداءُ القاتل إليه الدية أداء حسناً لا مَطلَ فيه ولابَخْس. «ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ» ففى شرع العفو تسهيل على القاتل، وفي شرع الدية نفعٌ لأولياء المقتول. وقد كتب على اليهود: القصاصُ وحدهّ وحُرِّم عليهم أخذ الدِّية والعفو. وكتب على النصارى: العفو، وحُرِّم عليهم الدية والقصاص. فخير الله هذه الأمة بين القصاص والعفو وأخذ الدية؛ توسعةً عليهم، وتيسيراً وتفضيلاً لهم على غيرهم.

179.

*وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ «179» *

«وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ»

أي لكم في تشريع القصاص في القتل العَمْد بقاءٌ فإن من هَمَّ بالقتل إذا علم أنه إذا قَتل اقتُصَّ امنه ارتدع و

انكفَّ، فسَلم هو وسَلِمَ صاحبه من القتل. ومَن قَتَلَ إنساناً واقتصَّ منه، ارتدعَ غيُره ممن كانَ يَهُمُ بالقتل؛ فسَلمَ الناسُ من يده. ولولا هذا التشريع الحكيم العادل لفشا القتلُ بين الناس فُشُوَّ صغائر الذنوب، وهانَ أمرُ الدماء على الناس

الذنوب، وهان أمْرُ الدّماء على الناس.

.180

*كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ «180» *

«إِنْ تَرَكَ خَيْرًا» أي مالاً يُعَدّ كثيراً في العرف. «الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ» فُرض الإيصاء في بدء الإسلام للوالدَيْن والأقربين – وارثين، أو غير وارثين – على من حضره الموت وله مال. ثم نُسخ بآية المواريث، و بحديث: «لاوصيةلوارث» رواه ابو داؤد والترمذي، وهو مذهب جمهور الأئمة وذهب ابن عباس إلى أن المنسوخ وجوبُ الوصية للوارثين منهم، وبقي في حق من لايرثُ منهم. وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومُسلم بن يَسَار والعلاء بن زياد.

.181

*فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ «181» *

.182

*فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «182» *

الجَنَف: المَيْل والجور. يقال: جَنِف في وصيّته وأجنف، مالَ وجارَ، فهو جَنِف وأجنف. وقيل: أجنف مختصٌّ بالوصية، وجَنِف في مطلق الميل عن الحق. ويقال:

جَنِف وجَنَف عن طريقه جَنَفاً وجُنُوفاً. والإثمُ: عَمَلُ ما لا يَحل. يقال: أثِمَ يأْثَمُ فهوَ آثم وأثيم. والمراد بالجنَف هنا: الميلُ عن الحق في الوصية خطأً، بقرينة مُقابلته بالإثم وهو الميل عن الحق فيها عمداً.

.183

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ «183» *

«مِنْ قَبْلِكُمْ ... » من لدُن آدم إلى عهدكم، والمماثلة في اصل الوجوب، فما أخْلى الله امة من فَرْضه عليها.

.184

*أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ «184» *

«وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ» ذهب اكثر المفسرين والفقهاء إلى ان هذه الاية منسوخة، ففي الصحيحين عن سَلمة بن الاكْوَع قال: لما نزلت هذه الايةُ كان من شاء منّا صام ومن شاء أفطر ويَفتدِي، حتى نزلت الآية بعدها فنسختها: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» اي انهها نسخت هذا التخيير. وذهب ابن عباس إلى أنها

مُحكمةٌ غير منسوخة –كما رواه البخاري و أبو داود وغيرهما – وانها نزلت قي الشيخ الكبير الهرِم والعجوز الكبيرة الهرِمة، اللذَيْن لا يستطيعان الصوم، فعليهما اِطعام مسكين عن كل يوم. وذهب اخرون إلى أنها غير مَنسوخة، وأن ألمعنى: وعلى الذين يصومونه مع الشدة والمشقة إذا أفطروا فَديةٌ؛ فتشمل الآية من ذُكر، والمرضعَ والحامل إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما، و من في حكمهما. بناء على أن الوسع اسمٌ للقدرة على الشيء على جهة السهولة، والطاقة اسمٌ للقدرة عليه مع الشدة والمشقة، وعلى أنه ممن أطاق الفعلَ إذا بلغَ غاية طوقه فيه. ولا تقول العرب: اطاق الشئ إلا إذا كانت قدرته عليه في غاية الضعف بحيث يتحمل به مشقّة شديدة. قال الراغب: «الطاقةُ اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، وذلك تشبيه بالطّوْق المحيط بالشيء، ومنه: «ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به» «أخر سورة البقرة» أي ما يصعب علينا مزاولته؛ وليس معناه: لا تحملنا مالا قدرة لنا به. وفي اللغة: الطاقةُ أقصى الغاية، وهي اسم لمقدار ما يمكن ان يفعله الانسان بمشقة. والطاقة اسم يوضع موضع المصدر، وهو الاطاقة، كالطاعة. وقيل يجوز ان تكون الهمزة في أطاق للسَّلب، كأنه سلب طاقته بأن كلف نفسه المجهود، فسلبَ طاقته وقدرته عند تمامه. «تَطَوَّعَ خَيْرًا» زاد في الفدية.

*شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «**185**» *

«الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» أي آبتُديءَ فيه انزاله – قاله ابن إسحق – وكان ذلك ليلة القدر؛ ويدل عليه قوله تعالى: «إن أنزلناه فى ليلة القدر» وهى الليلة المباركة، كما قال تعالى:

«انا آنزلناه في ليلة مباركة» «آية 3 الدخان». وقيل: انزل في فضله او في

إيجاب صومه القرانُ «وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ» لتحمدوا الله وتثنوا عليه.

186.

*وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ «**186**» *

«أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ .... » أقبل عبادة مَن عبدني. فالدعاءُ: العبادةُ، والإجابةُ: القبول. وقيل: الدعاءُ الابتهالُ إليه تعالى، وفي الحديث: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رَحِم إلا أعطاه الله تبارك وتعالى إحدى ثلاث: إمّا أن يُعَجِّل له دعوته، وإما أن يدَّخرها له في الاخرى، و اما أن يَكُفَّ عنه من السوء مثلها» «رواه احمد والحاكم». «لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» ليكونوا علي رجاء من إصابة الرُّشد، وهو الاستقامة على طريق الحق مع تَصَلُّب فيه. يقال: رَشَدَ ورَشِد، يَرْشُد رُشْداً ورَشداً؛ اهتدى.

187.

*أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ

الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ «187» *

«الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ» الافضاء إليهن؛ اي مباشرتههن. والرّفَثُ في الاصل: الفُحشُ من القول، وكلام النساء حين الجماع، كنّي به عن المباشرة للزومه لها غالباً. يقال: رفثَ في كلامه – كنصر وفرح وكرُم –وأرفث، إذا أفحش فيه: وقيل: أفحش في شأن النساء، وحلُّ الرَّفث في ليالي الصيام رخصةٌ ورفعٌ لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام؛ فانه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الطعام والشراب والنساء إلى أن يصلى العشاء أو ينام قبلها، فإذا صلى العشاء أو نام قبلها حَرُم عليه ذلك إلى الليلة القابلة، فوجدوا في ذلك مشقة عظيمة؛ فنزلت هذه الآية. {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ} سكن أو ستر لكم عن الحرام. {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا} أباح الله الاكل والشرب مع ماسلف من اباحة الجماع في الليل. {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا} اي محارمه و مَناهيه فلا تقربوها، او أحكامه المتضمنة لما نهاكم عنه، فلا تقربوا ما نُهيتم عنه. {حُدُودُ اللَّهِ} مُنهياته ومحرماته.

.188

*وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188) *

{بِالْبَاطِلِ} الباطلُ: الذاهب الزائل. يقال: بَطَل بُطلاً وبُطلاناً وبُطولاً، ذهبَ ضياعاً وخُسراً. والمراد به هنا؛ كل ما لم يبح الشرع أخذه من المال وإن طابت به النفس؛ كالرّبا والميسر، وثمن الخمر والرشوة، وشهادة الزور واليمين

الكاذبة، والغِشّ والخيانة، والسرقة والغصْب، ونحو ذلك؛ والباء للسَّبَبِية. والجار والمجرور متعلق بالفعل قبله؛ أي لا يأخذ بعضكم مال بعض بالسبب الباطل.

«وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ» اي تُلقُوا. يقال: ادْليتُ دلوي في البئر، إذا أرسلتها للاستقاء. ثم جُعل كلُّ إلقاء قول أو فعل إدْلاء؛ ومنه: أدْلَى بحجّته. والمعنى: ولا تلقوا بأمور تلك الأموال التى فيها الخصومة إلى الحُكام. أي لاتسرعوا بالخصومة الى الحُكام ليعينوكم على إبطال حقٍ او تحقيق باطل.

.189

*يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «189» *

«وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» كانوا في الجاهلية إذا أحرموا أتُوا البيت من ظهره، و كانوا يتحرّجون من الدخول من الباب؛ فانزل الله هذه الآية مبيِّناً لهم أن ذلك ليس

بهبِر، ولكن البر برُّ من اتّقى المحارم والشهوات.

.190

*وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ «190» *

هذه أوَّلُ آيةٍ نزلت في القتال بالمدينة. رُوِيَ عن ابن عباس: أن المشركين لمّا صَدُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحُدَيْبية، وصالحوه على أن يرجع عامه المقبل للعُمّرَة: تجهّز – صلى الله عليه وسلم – وأصحابُه لعمرة ألقضاء في ذي القَعدة من السنة السابعة، ولكنّ أصحابَه خافوا ألا تَفيَ لهم قريش بالعهد وتقاتلهم. وكَره المسلمون قتالَهم في الحَرم وفي الشهر الحرام؛ فأنزل الله هذه الآية بياناً لكيفيّة المقاتلة إن احتاجوا إليها. أي قاتلوا في طاعة الله تعالى الذين يناجزونكم فيهما القتال بالفعل، ولا تعتدُوا بالْبدء به، وكان هذا في الابتداء، ثم أمر بقتال المشركين كافة بدءوا أو لم يبدءوا. أو قاتِلوا في سبيل الله الذين أعدّوا أنفسهم للقتال فيهما وتهيّئوا له، ولا تعتدُوا بقتال من لم يُعِد نفسه له: كالصبيان والنساء والعجزة، ونحوهم. او لا يكن منكم اعتداءٌ بالقتال بوجه من الوجوه.

.191

*وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ «191» *

«وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ» أي اقتلوا هؤلاء الذين أُذنتم بقتالهم دون اعتداء منكم؛ حيث وجدتموهم وظفرتم بهم، في حلٍّ أو حَرَم، او شهر حلال او حرام، وبالغوا في تخويفهم، وتشديد الأمر عليهم؛ حتى يُضطرَوا إل الخروج من مكة، كما فعلوا معكم مثل ذلك. يقال: ثَقِف الرجل. كسمِع ه– ظَفِر به ; وثَقِفته صادفته. «وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ» أي و لا تستعظموا قتالهم في الحَرَم والأشهر الحرُم إذا بدءوا به. او إذا تهيئوا له؛ فإنَّ شركهم في الحَرَم أشدُّ قبحاً من القتل، او فإنَّ فتنتهم للمؤمنين بالتخويف والإيذاء والإلجاء إلى مفارقة الأهل والوطن أصعبُ من القتل. وأصلُ الفتنة: عَرْضُ

الذهب على النار؛ لاستخلاصه – من الغِش، ثم استعملت في الشِّركِ وفي الابتلاء بما ذُكر: ورُوِىَ أن بعض الصحابة قَتل في سَرِية رجلاً من المشركين في شهر حرام؛ فعابه المؤمنون. وقيل: عابه المشركون: فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم سؤال تبْكِيت؛ فنزلت الاية: «ولا تقاتلوهم عند المسجدِ الحَرَامِ» أي الحَرَم. نُهى المؤمنون عن القتال في هذا الموطن الشريف؛ إلا إذا بدأهم المشركون به، و هتكوا حرمته؛ فيكون قتالهم فيه عندَئذٍ، اضطرارياً. والآيةُ مُحكَمَةٌ غيرُ منسوخة. وهي تخصيصٌ لقوله تعالى: «وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ» بالنسبة للمكان.

.192

*فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «192» *

.193

*وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ «193» *

«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ» أي وقاتلوا المشركين قاصدين إزالَة الفتنة. وإعلاءَ الإسلام، حتى يَضمحِل الشرك، ويكون الدين لله خالصاً.

.194

*الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ «194» *

بيانٌ للحكمة في اباحة القتال في الاشهر الحُرُم. وقد وقع من المشركين يومَ الحُدَيْبية قتال خفيفٌ بالرَّمي بالسّهام والحجارة: اي هذا الشهرُ الحرام الذى تؤدُّون فيه عُمْرة القضاء بذلك الشهر الذي قُوتلم فيه قتالاً خفيفاً، فإذ بدءوا بانتهاك حُرْمته بالقتال فيه، فلا تبالوا أن تُقاتلوهم فيه لابتدائهم بهتك حُرْمته. أو فلمّا لم تمنع حُرْمتُه المشركين من الشرك والأفعال القبيحة، فكيف تمنع المؤمنين من قتالهم، دفعاً لشرورهم، وإصلاحاً لفسادهم.

«وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ» جمعُ حُرْمة، وهي ما مُنِع من انتهاكه. والقصاص: المساواة. اي وكل حُرمة يجري فيها القصاص. فمن هتَك أية حُرمة اقْتُص منه بأن تهتك له حُرمة. والمراد: أنهم إذا أقدموا على مقاتلتكم في الحَرَم والشهر الحرام والإحرام، فقاتلوهم انتم ايضا علي سبيل القصاص. ثُم أكّد ذلك بقوله: «فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»

.195

*وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ «195» *

«وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ التَهلُكة: الهلاك و الموت. او كلُّ شيء تصير عاقبته إليه. مصْدَر هَلَك يَهْلِك هُلْكاً وهلاكاً وتهلكة. والايْدِي

كـهناية عن الانفس؛ أي ولاتُلقوا أنفسَكم، فيما فيه هلاككم؛ فِي دِين أُو دنيا؛ بترك الجهاد والامساك عن الانفاق فيه، مع القدرة على ذلك.

.196

*وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ «196» *

«أُحْصِرْتُمْ» منعتم بعد الإحرام من الوصول إلى البيت؛ بسبب: عدو أو مرض، أو نحوهما. أو بسبب العدوّ فقط. من الإحصار، وهو الحبس والتضييق. «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» أي عليكم إذا أردتم التَّحَلُّل من الاحرام ذَبحُ ما تيسرَّ لكم من الهَدْيِ؛ وهو

ما يُهدى إلى البيت، من بَدَنة أو بقرة أو شاة. مصدرٌ بمعنى المفعول اي المهدى. «وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّ أي ولا تتحلّلَوا بالحَلْق حتي تعلموا أن الهَدْي المبعوث قد بلغ مكانه الذي يجب أن يُراق فيه دمُه، وهو الحرام، لقوله تعالى: «ثم محلها إلى البيت العتيق» «آيه 33 الحج»، و قوله: «هدياً بالغ

الكعبة» «آية 95 المائدة» وإليه ذهب أبو حنيفة. أو لا تحِلُّوا حتى يبلغ الهَدْي مَحِله؛ أي يُذبح في موضع الاحصار، حِلًّا كان أو حرما؛ وإليه ذهب جمهور الأئمة. ويُستفاد حكم غير المحصر من الآية بدلالة النص، كما ذكره الالوسي. «فَفِدْيَةٌ» فعليه

إذا حلق فدية. «نُسُكٍ» ذبيحة، واقلها شاة، وأصل النُسُك: سبائِكُ الفضّة التى خَلَصت من الخبث، وكلُّ سبيكة منها نسيكة. ومنه قيل للمتعبد: ناسكٌ؛ لأنه خلص نفسه لله تعالى من دنس الآثام. كالسَّبيكة المخلصة من الخبث. ثم قيل للذبيحة: نُسُك ونسيكة؛ لأنها من أشرف العبادات والقُرُبات. «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» اي فعليه ما تيسرله من الهدي بسبب التَمتُّع، «ذَلِكَ» اي التَّمَّتُّع او الحُكم المذكور. اي لزوم الهَدْي او بدله على المتمتِّع. «حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» حاضرو المسجد الحرام: هم أهلُ مكة وأهل الحِل الذين منازلهم داخل المواقيت. أو هم أهل مكة خاصّةً. أو هم أهل مكة ومن كان بينه وبين مكة مسافة لا تقصر فيها الصلاة، وإلى لأول ذهب الحنفيّة، وإلى الثاني المالكية، وإلى الثالث أحمد والشافعي رحمها لله، وتفصيل الأدلة في الفروع.

.197

*الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ «197» *

«فَرَضَ» الزم نفسه بالاحرام. «فَلَا رَفَثَ»

الرّفَثُ: الجماع أو الكلام المتضمن لما يُستقبَحُ ذكره؛ من ذِكر الجماع ودواعيه. أو هو الفُحش والخَنَا والقول القبيح. أو هو التعريض للنساء بالفحش من الكلام. «ولا فُسُوق» لاخروج عن طاعة الله تعالى بارتكاب العاصي ومنها السباب. وفعل محظورات الاحرام.

الإحرام. «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ

الزَّادِ التَّقْوَى» تزودوا ماتتبلغون به في سفركم، وتكفون به وجوهكم عن الناس. أو تزوّدُوا لمعادكم بالتقوى؛ فانها خير زاد في الاخرة.

.198

*لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ «198» *

«لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» كانت عُكاظُ و مَجَنَّة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتّجروا فيها في الموسِم؛ فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية. اي ليس عليكم حرَج أن تبتغوا رزقاً من ربكم بالتجارة في مواسم الحج. وسئل: عمر – رضي الله عنه–: هل كنتم تتجرون في الحج؟ فقال و هل كانت معايشهم الا في الحج. «فضلاً» رزقا بالتجارة والاكتساب في الحج. «أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ» دفعتم أنفسكم بكثرةٍ للخروج منها إلى مُزْدَلِفة. من الإفاضة، وهى دفعٌ بكثرة؛ تشبيهها بفيض الماء الكثير. يقال: أفضت

الماء إذا صببته بكثرةٍ، وعرفاتٌ: جَمْعٌ سُمِّيت به البقعة المعروفة، كأذرعات. «الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ» هو مُزْدَلِفة. أو جبلُ قُزَح. وسُمّي مشعرًا من الشِّعار وهو العلامة؛ لأنه من معالم الحج. ووصف بالحرام لحرمته. و قال ابن كثير: وانما سُمْيت المزدلفة بالمشعر الحرام لأنها داخل الحَرَم.

.199

*ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «199» *

.200

*فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ «200» *

«مَنَاسِكَكُمْ» عباداتكم الحجية. «مِنْ خَلَاقٍ» من نصيبٍ وحظ من الخير، بوزن سحاب.

.201

* وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ «201» *

«فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» النعمة والعافية والتوفيق. «وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً» الرحمة والإحسان والنجاة.

.202

*أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ «202» *

.203

*وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ «203» *

«فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ» هي أيام التشريق الثلاثة التالية ليوم النَّحر.

.204

*وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ «204» *

«أَلَدُّ الْخِصَامِ» شديد الخصومة في الباطل. صفة مشبَّهة كأحمر، وتجمع على لُدْ.

وأصل الألد الشديدُ اللَّديدِ –

أي ألشديد صفحة العنق–وهوالذي لايمكن صرفه عما يريد؛ واستعمل في الخصم الشديد التَّأبي. والخصامُ: مصدرُ خاصم. أو جمع خَصْم؛ أي أشدّ الخصوم خصومةً.

.205

*وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ «205» *

«الْحَرْثَ» الزرع.

.206

* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ «206» *

«أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ» العزة في الأصل خلافُ الذل؛ وأريد بها الأنَفة والحَمِيّة مجازاً. أى حملتهُ الأنَفَة وحمِيّةُ الجاهلية على فعل الإثم الذى أمِر باجتنابه. تقول: أخذته بكذا، إذا حملته عليه وألزمته إيّاه. والباءُ للتّعدية.

«فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ» كافيه جهنّمُ جزاءً. والمِهاد: الفِراش. وأصله ما يُوَطَّأ للصبيّ لينام عليه. والاية نزلت في الأَخنَس

ابن شَرِيق، وكان منافقا. وعن ابن مسعود: انّ من اكبر الذنب عند الله أن يقال للعبد اتقِ الله؛ فيقول: عليك بنفسك!؟ وروي أنه قيل لعمر: اتق الله؛ فوضع خدّه على الارض؛ تواضعا لله عزّ وجلّ.

.207

* وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ «207» *

«يَشْرِي نَفْسَهُ» اي يبيعها ويبذلها لمرضاة الله تعالى كالجهاد والامر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

.208

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ «208» *

أمرَ الله المؤمنين أن يعملوا بجميع أحكام الإسلام وشرائعه، ويحافظوا على فرائضه وإقامة حدوده. والسِّلْم – بكسر السين و فتحها و سكون اللام –: الإسلامُ وما فيه من الاستسلام والانقياد لله تعالى. و «كافة» اي جميعاً حال من «السلم» من

الكف بمعنى المنع، واستُعمل بمعنى الجملة والجميع؛ بعلاقة أنها مانعةٌ للأجزاء من التفرّق.

«خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ» آثاره وطرائقه التي يزيّن لكم بها المعاصي. جمع خُطوه–بالضم–وأصلها ما بين قدمي الماشي.

.209

* فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «209» *

«زَلَلْتُمْ» ملتم وضللتم عن الحق. «عَزِيزٌ حَكِيمٌ» عزيزٌ في انتقامه لايفوته هارب ولا يغلبه غالب، حكيمٌ في أحكامه و نقضه وإبرامه.

.210

*هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ «210» *

«هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ» أي ما ينتظر أولئك الذين أبَوُا الدخولَ في الإسلام من بعد ما جاءتهم البينات، إلا أن يأتيهم الله يوم القيامة في ظُلَل من الغام للحساب والجزاء. وإتيانُه تعالى إنما هو بالمعنى اللائق به سبحانه مع تنزيهه عن مشابهة المحدَثات، وتفويضِ علم كيفيته إليه تعالى؛ كما ذهب إليه السلف

في آيات الصفات وأحاديثها. وقد بيناه في المسألة الرابعة من

المقدمة، وفي تفسير قوله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا ... » البقرة 26.وقوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» البقرة

29.ومذهب جمهور المتكلمين أن ظواهر هذه الآيات غيرُ مرادة بالإجماع؛ لاستحالتها عليه تعالى، إذ صفاتُه مغايرةٌ لصفات خلقه، كما أنَّ ذاته مغايرةٌ لذواتهم، فوجب تأويلها على سبيل التفصيل، فَيحْملُ الإتيان على الإتيان بأمره أو بأسه، كما قال تعالى: «أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ... » النحل 33، «فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا .. » الانعام 43. «فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ» جمع ظُلَّة – كغرفة–وهي ما يُظِلّك. والغَمامُ: السحاب الأبيض الرقيق؛ جمع غمامة. ولا يكون ظلة الا حيث يكون متراكباً. أي يأتيهم الله في ظُلل كائنة من الغمام؛ أي في قطع متفرقة منه. كلُ قطعة منها في غاية الكثافة والعِظَم. وقيل: إن «في»، بمعنى الباء؛ أى يأتيهم الله بظلل من: الغمام، أي بالعذاب الذي ياتيهم في الغمام مع الملائكة.

.211

*سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ «211» *

«سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» سؤال تقريع و توبيخ. و هو تهديدٌ لليهود بالعقاب الشديد إذا سلكوا مسلك أسلافهم في جحود الآيات البينات.

.212

*زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ «212» *

«يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» أي بغير حساب من المرزوق. أو بلا حَصر وعدٍّ لما يعطيه. أو أنه لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج منها. أو يُعطي للمتقين في الآخرة ما يشاء بغير محاسبة منه لهم على ما منَّ به عليهم.

.213

*كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «213» *

«انَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» كان الناس جميعاً على شريعة من الحق ثم اختلفوا؛ فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين، و انزل معهم الكِتابَ بشرائعه ليحكم بين الناس بالحق فيما اختلفوا فيه. ولم يختلف أهل التوراة والانجيل الا من بعد ما جاءتهم البيناتُ؛ فكان اختلافهم ضلالاً بغيا و حسداً، ولكن الله تعالى هدى الذين آمنوا للحق بإرادته. فكانت هذه الأمة خيرَ الأمم. «بَغْيًا بَيْنَهُمْ» حسداً وحرصاً على الدنيا، أو ظلماً و مجاوزة للحدّ. يقال: بغى عليه

استطال؛ و بابه رَمَى. وكلُّ مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حدّ الشيء: بغْي.

.214

* أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ «214» *

«مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا» حال الذين مضوا من المؤمنين. «مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ» [آيه 177 من هذه السورة] والجملة

بيان للمَثل. «وَزُلْزِلُوا» أُزعجوا ازعاجا شديداً بالبلايا.

.215

*يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ «215» *

«يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ» نزلت في عَمرو بن الجَموح، وكان كثير المال فقال: يارسول الله، بماذا نتصدق؟ وعلى من نُنفق؟ فبين الله فيها من ينفق عليه.

.216

*كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ «216» *

«كُرْهٌ لَكُمْ» مكروه لكم طبعاً.

.217

*يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «217» *

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ» بعث الرسول صلّى الله عليه وسلم عبدالله بن جَحْش الاسدي في سَرِيّة لاستطلاع أخبار قريش ولم يأمرهم بقتال، فقتلوا أحد المشركين، وقد أهَلَّ رجبُ و كانوا لا يعلمون با هلاله؛ فتحدث المسلمون في ذلك، وسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم: هل يحل لهم القتال فيه؟ فنزلت. وقيل: السائلون هم المشركون، وقد قالوا: ان محمداً وأصحابَه استحلّوا الدماء في الشهر الحرام. «قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ» أي عظيم مستنكر. وفيه تقريرٌ لحُرْمة القتال في الشهر الحرام. والجمهور على أن هذا الحكم منسوخ، وأنه لا حرج في قتالهم في الاشهر الحُرُم، قاتَلُوا أو لم يقاتلوا –بقوله تعالى: «فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» الايه 5 التوبة، فإن المراد بالاشهر الحرم هي: هي أشهر العهد الاربعة التي أُبيح للمشركين السّياحة فيها، لا الأشهر الحرم الأربعة المعروفة؛ فالتقييد بها يفيد ان قتلهم بعد انسلاخها مأمورٌ به في جميع الأزمنة والأمكنة. وذهب عطاء بن ابي رَبَاح إلى انه لا يحلّ القتال في الحَرَم ولا في الاشهر الحُرم إلا أن يقاتلهم المشركون فيهما؛ فلم يجز القتال فيهما إلا دفاعاً. قال الالوسى:

والأمة اليوم على خلافه في سائر الأمصار. «وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ» أي و صَرْفُهم المسلمين عن كل ما يوصل إلى طاعة الله تعالى وعن المسجد الحرام، وشر كُهم بالله في بيته وحَرَمه، وإخراجُهم أهله منه، أعظم وزراً عند الله من القتال في الشهر لحرام؛ فإن كنتم قتلتموهم في الشهر الحرام فقد انتهكوا حرمةً أعظم وأفظع. «وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» اي والشركُ أو امتحان المسلمين بأنواع التعذيب والاذى و البلايا لصرفهم عن دينهم اعظمُ وزراً من القتل، لان الفتنة عن الدِّين تُفضي الى القتل الكثير في الدنيا، وإلى استحقاق العذاب الدائم في الآخرة. «حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» بَطلت أعمالهم من قولهم حبطت الدابة تحْبَط حَبَطا وحبُوطاً، إذا أصابت مرعى طيباً، فأفرطَت في الأكل حتى انتفخت فاتت.

.218

* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ «218» *

.219

* يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ «219» *

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ» سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أفتنا في الخمر المَيْسِر، فإنهما مذهبة للعقل، مَسلبة للمال. فنزلت هذه الاية؛ فتركها قوم وشربها آخرون. ثم صلى أحد الصحابة المغرب إماماً؛ فلم يُحسن القراءة لسُكْره، فنزل: «لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» آية 43 النساء. "فحرمت تحريماً باتاً في الصلاة. ثم اجتمع بعض الصحابة يوماً في دار عِتبان بن مالك، فلما سَكِروا افتخروا وتناشدوا أشعار الهجاء و تضاربوا؛ فشكا بعضهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهمّ بين لنا في الخمر بياناً شافيا، فنزل: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ–الى قوله–فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» آية 90 المائدة. فقال عمر: انتهينا، انتهينا. وَحَرُمت الخمر بهذه الاية تحريماً مؤبَّداً . وللتّدَرُّج في التحريم حكمة بالغة؛ فإنهم وقد الفوا الخمر لو مُنعوا منها دفعة واحدة لشقّ الأمر عليهم. فكان في التدريج في التحريم رِفقٌ عظيمٌ, والخمره: اسم لكل ما خامر العقلَ؛ اي خالطه، أو ستره وغطّاه، سواء اتُخذَ من العنب أو من غيره، وفي الاحاديث الصحيحة: «كل مُسكر خمرٌ» رواه مسلم «وما أسكر منه الفَرَق فملءُ الكفِ منه حرام» متفق عليه، الفرق–بالتحريك–:مكيال يسع ستة عشر رطلاً. ولعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم «عاصرَها ومعتصِرَها، و شاربَها و ساقيها، وحامِلَها والمحمولة إليه، وبائِعَها والمبتاعة إليه، وواهبَها وآكلَ ثمنها» أخرجه الترمذي. والخمر: يؤنث ويُذكَّر. «وَالْمَيْسِرِ» القِمار؛ مصدر ميمي من يَسَر؛كالمَوْعِد من وَعد. . مشتق من اليَسَر؛ لانه كسب المال بسهولة. وأصله: قمارُ العرب بالأزلام والأقلام؛، وفي حُكمه كلُّ شيء فيه خطرٌ؛ أي رهان. «وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ» سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم حين حثهم على الصدقة ماذا ينفقون؟ فقال تعالى: «قُلِ الْعَفْوَ» أي أنفِقوا العَفْو، وهو ما يفضُل عن الأهل و يزيد عن الحاجة. وهذا القدر هو الذي يتيسّر اخراجُه ويسهُل بذله، ولا يَجْهَد صاحبَه، وقد: بُين بآية الزكاة، وأصل العَفو

نقيضُ الجهد؛ ولذا يقال: للأرض الممهَّدة السهلة الوطء: عَفُوٌ.

.220

*فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «220» *

«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى» لمّا نزل قوله تعالى: «ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن» آيه 152 الانعام وقوله تعالى: «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ... » آية 10 ألنساء، انطلق من كان عنده مالٌ ليتيم يَعزِل طعامه من طعامه، و شرابَه من شرابه، ويحبس له ما يفضُل من طعامه؛ حتى يأكلَه أو يفسُد. فاشتد ذلك عليهم، فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية.

«إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ» أي مداخلتُهم مداخلةً يهرتب عليهها إصلاحُهم في أنفسهم بتقويمهم و تههذيبههم، وفي اموالم بالرعاية والاستثمار – خيرٌ لهم و للقائمين بأمورهم من مجانبتهم. «وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ» أي وإن تخالطوهم في المعيشة والمصاهرة تؤدُّوا اللائق بكم؛ لانهم إخوانكم في الدِّين، وقد تكون لهم مع ذلك اخوّةٌ في النسب، أو قرابةٌ فى العشيرة. «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ» العَنَتُ: الشدةُ والمشقة. يقال: أعنته في كذا يُعْنتُه إعناتا، إذا أجهده وألزمه ما يشق عليه. أى ولو شاء الله لضيبق عليكم، وأحرجَكم بتحريم المخالطة لهم ولكنه وسع وخفف عنكم، فأباح لكم مخالطتهم بالتي هي احسن.

.221

* وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ «221» *

«وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ» حرم الله في هذه الاية نكاحَ المشركات، وهنَّ الوثنيّات والمجوسيّات. وأحلّ نكاح الكتابيّات بقوله تعالى في آية المائدة: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ .. » آيه 5 ألمائده. وقيل: المرادُ بالمشركات غيرُ المؤمنات، فيحرمُ نكاحهنّ ولو كنّ كتابيّات. و قد نسخ الحُكم أو خصص فى حق الكتابيات خاصّةً، فأُجيز نكاحهن وإن كان مع الكراهة. وحرّم الله زواج الكفار مطلقا بالمؤمنات ولو كانوا كتابيِّين.

.222

*وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ «222» *

«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ» المَحِيضُ: الحَيْض. مصدرُ حاضت المرأة تحيض حيضاً ومَحيضاً ومَحَاضاً وأصله السّيَلان. يقال: حاض الوادي إذا سال، ومنه الحوضُ لسيلان الماء

إليه. وقيل: المحيضُ هنا اسم

مكان. «هُوَ أَذًى» أي قَذَر أو موضع قَذَر. يقال: أذِيَ الشيء يأذى اذًى، اي قذِر. ويطلق الاذى على الضرر. والحيضُ: ضَرَرٌ شرعاً وطِبا. «فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ» أي في زمن الحيض. أو في مكانه، وهو الفرج؛ فلا تواقعهنَّ فيه. «فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ» أي في المكان الذي أمركم الله باجتنابه لعارض الاذى، وهو الفرج، ولا تعدَّوه إلى غيره. و «مِن» بمعنى في.

.223

* نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ «223» *

«نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ ..... » الحرث في الأصل: إلقاءُ البَذْر في الارض، أو هو الزرع. والمرادُ: أنهنَّ مواضعُ حرث؛ اي هن مَزْرعٌ، لكم و مَنبِت للولد اعدهنّ الله لذلك، فأتوهن إذا تطهّرن من الحيض في موضع الحرث كيف شئتم: قائماتٍ قاعداتٍ مستلقيات مادام ذلك في صِمام واحد وهو الفرج. وفي الآية دليل على تحريم إتيانهن في ادبارهن.

.224

*وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ «224» *

«وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً» لا تجعلوا الله حاجزاً–للأجل حلفكم به–عن البر والتقوى والإصلاح بين الناس. وكان أحدهم يُدْعَى إلى بِرٍّ فيقول: حلفت ألا أفعله؛ فيعتَلُّ بيمينه في تركه. والعُرْضة: كلُّ ما يعترض الشيء فيمنع منه. يقال: عرض العودَ على الاناء إذا كان معترِضاً دونه

وحاجزا ومانعاً منه. وفلانٌ عرضةٌ دون الخير، اي حاجز عنه. و اللام في «لِأَيْمَانِكُمْ» للتعليل. «أَنْ تَبَرُّوا» , أي عرضة لأن تَبَروا، بمعنى مانع من البر.

.225

*لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ «225» *

لغْوُ اليمين: أن يحلف علي شيء يري أنه صادقٌ فيه ثم يتبين له خلاف ذلك. أى لا يعاقبكم بلَغْوا اليمين في الدنيا بالكفارة ولا في الآخرة بالعقوبة. وقيل: هو الذى يجرى على اللسان بلا قصد، كقولك لاوالله وبلى والله. ولا كفارة فيه.

«وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ» أي ولكن يؤاخذكم بالعقوبة في الآخرة بما تعمّدتم فيه الكذب. وهو أن يحلف أحدُكم على شئ ماضٍ كذبا؛ ويسمَّى اليمينَ الغَمُوس ولا كفارة فيها. او ولكن يؤاخذكم بوجوب الكفارة فيها؛ والأول مذهب جمهور الأئمة، والثانى مذهب الشافعية.

.226

*لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «226» *

«لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ» الإيلاء: الحَلِفُ على ترك مباشرة الزوجة. يقال: آلى، إيلاء.

وائتلى ائتلاء: حلف. وكانوا في الجاهلية يحلفون ألا يقربوا نساءهم السنة والأكثرَ إضراراً بهن؛ فنُهُوا عن ذلك وحدّد للايلاء مدةً أربعة أشهر فقط رحمة بالنساء. والتربُّصُ: انتظار هذه المدة. «فَإِنْ فَاءُوا» رجعوا فى هذه المدة عما حَلفوا

عليه. يقال: فاء يفيء فيئاً وفَيْئةً إذا رجع. و أحكام الإيلاء مبينةٌ فى الفقه.

.227

*وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ «227» *

.228

*وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «228» *

«ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» جمع قرْءٍ – بالفتح والضم – وهو الحيْضُ، أو الطهرُ الفاصلُ بين الحيضتين. وإلى الأول ذهب أبو حنيفة وأحمد، وإلى الثاني ذهب مالك والشافعي. «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ» أي أزواجهن أولى برجعتهن إليهم فى حال العِدّة. جمعُ بَعْل، و هو الذكر من الزوجين. يقال: بَعَل الرجُل يهِبْعَل بُعولةً، إذا صار زوجاً. «عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» زيادةُ في الحق – او فضيلة بالقيام بامرهن والحماية لهن. والدرجةُ في الأصل: ما يرتقى عليه، واستُعملت في المنزلة الرفيعة وفيما ذكرنا مجازاً.

.229

الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ «229» *

«الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ» اي التطليق الشرعيُّ: تطليقةٌ بعد تطليقة على التفريق. أو الطلاقُ الرجعيُّ: مرتان. وأما الثالثة فلا رجعةَ بعدها. «أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» أي طلاق مصاحب لجَبْر الخاطر وأداء الحقوق وعدم المضارة. «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» اي احكامه المفروضة.

.230

*فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ «230» *

«فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ» أي فإن طلقها الطلقةَ الثالثة فلا تحلّ له حتى تنكح زوجاً آخر. والمرادُ بالنكاح هنا: الوطءُ؛ فلا تحل بمجرد العَقْد.

.231

*وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ

يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ «231» *

«فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» اي شارفن انقضاء عدتهن. «وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا» اي مضارة لهن. «آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا» اي سخرية بالتهاون في المحافظة عليها. «وَالْحِكْمَةِ» هي السُّنَّه، و هي وحيٌ غير متلُوّ. أو هي اصابة الحق في القول والعمل. وإنزالُها عليهم: إنزال ما يرشد هم إليها؛ وهي في الأصل مصدرٌ من الإحكام، وهو الإتقان في علم أقول أو عمل، أو فيها كلها.

.232

*وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ «232» *

«فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ» فلا تمنعوهنَّ من الزواج بمن يُردن تضييقا عليهن. و العَضْلُ: التضييق والمنع الشديد. يقال عضلت الناقة بولدها، إذا نَشِب في بطنها، و تعسر عليه الخروج. ومنه: أعضَل به الامرُ اذا اشتد. والخطابُ للناس كافةً؛ فيشملُ عضل الأزواج والأولياء لهن. «أَزْكَى لَكُمْ» أنمى وأنفع لكم.

.233

*وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ «233» *

«وُسْعَهَا» طاقتها وقدرتها، لا ما يشق عليها وتعجز عنه. «لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ» نهيٌ عن أن يُلحِق أحدهما بالآخر ضررا بسبب الولد؛ فلا ينزعه الزوج منها إذا أرادت إرضاعه ولا يُكرهها عليه إذا أبته، ولا يمنعها شيئا مما وجب لها عليه. وكذلك لا تدفعه هي اليه لتضرّه بتربيته، ولا تطلب منه ما ليس حقاً لها، ولا تشغل قَلْبَه بالتفريط في شأن الولد. «وَعَلَى الْوَارِثِ» وارث الولد عند عدم الاب. «أَرَادَا فِصَالًا» أي فطاما للولد قبل الحولين.

«وَتَشَاوُرٍ» أي وتداولٍ في الرأي بينهما، أو مع أهل الخبرة في أمر الفطام قبل الحولين. والمشاورةُ: استخراجُ الرأي بما فيه المصلحة، من الشَّوْر وهو اجتناء العسل. يقال: شُرْتَ العسل إذا استخرجته من مواضعه. «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا» فلا حَرجَ ولا إثم عليهما في ذلك، من الجُنُوح؛ وهو المَيْلُ؛ لميل الآثم عن الحق.

«تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ» أي تسترضعوا المراضعَ أولادكم. يقال: أرضعتُ المرأةَ الطفل، واسترضعتها إياه. أو تسترضعوا المراضع لأولادكم. و حذف حرف الجر من المفعول الثاني؛

كما في قوله تعالى: «وإذا كالوهم» «آيه 3 المطففين».

.234

*وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ «234» *

«فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» أي فلا حَرج ولا اثمَ عليكم أيها القادرون عليهنّ، فيما فعلن بانفسهن بعد انقضاء العدة؛ مما كان محرَّماً عليهن أثناءها بالوجه الذى يعرفه الشرع ولا ينكره.

.235

* وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ «235» *

«عَرَّضْتُمْ بِهِ» لوّحتم واشرتم به. من التعريض، وهو إمالة الكلام عن نهجه إلى عُرْض منه و جانب. وضدُّه: التصر يح و الافصاحُ. «أَكْنَنْتُمْ» أي أسررتم وأخفيتم. «لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا» السرُّ ضدُّ الجهر، أريد منه هنا الوطء؛ لأنه لا يكون إلا سِراً، ثم العقد لأنه سببُه، فهو مجاز على مجاز. اي لا تأخذوا عليهن و هن في العدّة عهداً ألا يتزوّجن غيركم بعد انقضائها. او لا يقل الرجل للمعتدّة: تزوَّجيني؛ بل يعرّض لها تعريضا غير مفصح. «يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ» اي ينتهي المفروض من العدة.

.236

* لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ «236» *

«لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» أي لاتبعة عليكم من مهرٍ اذا طلقتم النساء ولم تكونوا دخلتم بهن ولم تفرضوا لهن مهراً؛ بل عليكم لهن مُتعةٌ بقدر وُسْعكم وطاقتكم. والمتعةُ: اسمٌ لما يُتمتّع به من المال والكسوة، و تقدر باجتهاد الحاكم كالنفقة. والمُوسِعُ: ذو السَّعة والغنى. يقال: أوْسعَ الرجلُ، اتسعت حاله. والمُقْتِرُ: ضيّق الحال. يقال: أقتر الرجلُ، افتقر وقلّ ما في يده. ولا تجب المتعة لغيرهن من المطلَّقات، وإنما تستحبّ لهن. «فَرِيضَةً» أي مهرا. «مَتِّعُوهُنَّ» أي أعطوهن ما يتمتعن به. «الْمُوسِعِ» اي ذي السعة والغنى. «قَدَرُهُ» أي قدر امكانه وطاقته. «الْمُقْتِرِ» أى الفقير الضيق الحال.

.237

*وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ «237» *

«وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ» أي

وإن طلقتموهن قبل الدخول وقد سميّتم لهن مهراً، فلهن نصف المهر ولا متعةَ لهن. أمّا المطلقات بعد الدخول و لهنّ مهرٌ مسمًّى؛ فيجب لهن المهرُ كاملا، وإن لم يُسمَّ لهن مهرٌ وجب لهن مهرُ المثل؛ ولا مُتعة لهن في الحالتين. وقيل: تجب فيهما مع المهر. «إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ» أي إلا أن تترك المطلّقات نصيبَهن من الصّداق للأزواج، أو يترك الأزواجُ ما يعود اليهم من نصف المهر الذي ساقوه كاملاً الى زوجاتهم.

.238

***حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ «238» ***

«وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى» هي صلاة العصر على الراجح؛ لتوسّطها بين الصلوات الخمس أو لانها الفُضْلى؛ وفي الحديث: «الذي يفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» «متفق عليه» اي نقص و سُلب اهلَه و مالَه فبقى فردا. والوسطى: مؤنث الأوسط؛ يقال: وسطت القوم أسِطُهم، إذا صرت في وسطهم. و اوسط الشيء و وسطُه: خيارُه. «قَانِتِينَ» مطيعين لله خاضعين. من القنوت،، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع.

.239

*** فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ «239» ***

«فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا» فإن خفتم العدوَّ في حال المقاتلة في الحرب، فصلُّوا مشاة أو راكبين على ركائبكم بإيماء؛ سواء وليتم شطر القبلة او لا. ورجالاً: جمعُ راجل، وهو القوي على المشي برجليه. ويُلحق بما ذكر: الخوف بسبب آخر؛ كالهارب من العدو, أو من قصده سبع هائج، او غَشِيه سيلٌ جارفٌ. و سياتي حكم خوف العدوّ في غير حال المقاتلة في قوله تعالى: «وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة» «آيه 102 النساء».

.240

***وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «240» ***

«وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ» أي يجب على الزوج حين مشارفة الموت أن يوصِيَ لزوجتة بالنفقة والسكنى حولاً، ويجب عليها الاعتداد حولاً. وهى مخيّرة بين السكنى في بيته حولاً ولها النفقة، وبين ان تخرج منه ولا نفقة لها؛ ولم يكن لها ميراث من زوجها. وقد نُسخ وجوبُ الوصية بالنفقة والسكنى بآية المواريث، وبحديث: «ألا لا وصيَةَ لوارث» «رواه ابو داؤد والترمذي». ووجوب العدة حولاً بقوله تعالى: «يتربصْنَ بأنْفُسِهن أربعةَ أشهرٍ وعشراً» المتأخر نزولا والمتقدم تلاوة. واختار الفخر ما ذهب إليه أبو مسلم من أن المعنى: والذين يتوفون منكم وقد أوصوْا وصيةً لأزواجهم بالنفقة والسكنى حولاً، فان خرجنَ قبل ذلك وخالفن وصيةَ الزوج بعد أن يُقِمْن المدة التى ضربها الشارع لهن، وهى أربعة أشهر وعشر فلا حَرج فيما فعلن في أنفسهن من معروف. اي الزواج الصحيح لان إقامتهن بهذه

الوصية غير لازمة.

.241

***وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ «241» ***

«وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ» أى نفقة. والنفقة: تسمى

متاعا. أو لهن مُتعة؛ والمراد ما يشمل الواجبة والمستحبَّة.

.242

*كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «242» *

.243

*أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ «243» *

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا» كان المشركون يستفتون اليهود في كثير من الأمور. وكانت هذه القصة معلومةٌ لليهود في أسفارهم وتواريخهم؛ فنزل القران بالإشارة إليها، ليرتديع المشركون عمّا هم فيه من الضلال وإنكار البعث، ويعلموا أن دلائل القدرة على البعث مشهورة. وأن عند اليهود منها ما لو رجعوا إليهم فيه لعلموا أنه حق لاريب فيه. وفي ذكر هذه القصة مع ذلك تشجيع للمؤمنين على الجهاد والتعرّض للشهادة، و تمهيدٌ لما بعد هذه الاية. ومعنى «ألم ترَ»: ألم تعلم. وتُستعمل فما تقدم للمخاطب العلمُ به. وفيما لم يعلم به من قبل. والخطابُ لرسول صلى الله عليه وسلم، والمرادُ أمتُّه. والمقصودُ: حثُّهم على العلم بها، والاعتبار بشأنها.

.244

*وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ «244» *

.245

*مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ «245» *

«يُقْرِضُ اللَّهَ» القرضُ الحسنُ: الإنفاقُ في سبيل الله. أو مطلقُ العملِ الصالح. «قَرْضًا حَسَنًا» احتساباً به عن طيبة نفس. «يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ» يَسْلُب تارة ويُعطي أخرى. او يسلُب قوما و يُعطي اخرين. أو يضيق على بعض ويوسع على بعض؛ بما اقتضته مشيئته المبنية على الحكمة والمصلحة. أي فلاتبخلوا بما وسّع عليكم كيلا تُبدَّل أحوالكم. والقَبْضُ: ضدُّ البسط. يقال: قبَضه بيده يقبِضه، تناوله. وقبضَ عليه بيده، أمسكه. و بَسَط يده: مَدَّها. وبسَطَ المكانُ القومَ: وسِعَهم. والاية تحريضٌ على الاقراض الحسن، و زجرٌ عن تركه.

.246

*أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ «246» *

«الْمَلَإِ» أشراف القوم ووجوههم، سُمُّوا مَلأ لانهم مليئون بما يُحتاج اليه منهم. أو لأن هيبتهم تملأ الصدور. وهو اسمع جَمعٍ لاواحد له من لفظه، كرهط. «هَلْ عَسَيْتُمْ» هل الامر كما أتوقعه منكم أنكم تجبون عن القتال معه؟.وألاستفهام لتقرير أن المتوقع كائن.

.247

*وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

وَاسِعٌ عَلِيمٌ «247» *
«أَنَّى يَكُونُ» كيف أو من اين يكون؟ «وَزَادَهُ بَسْطَةً» سعة و امتدادا وفضيلة.
.248
*وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «248» *
«التَّابُوتُ» صندوق التوراة. من التَّوب وهو الرجوع؛ لأنه لايزال يَرجع إليه ما يخرج منه. وتاؤه مزيدة لغير التأنيث، كجبروت. «فِيهِ سَكِينَةٌ» أي في إتيانه سكونٌ لكم وطمَأنينة. أو في التّابوت ما تسكنون اليه و تطمئنُّون وهو التوراة. والسكِينَةُ: من السكون، وهو ثبوت الشئ بعد التحرك، أو من السَّكن – بالتحريك –: وهو كل ما سكنتَ اليه وأطمأننتَ به من أهل وغيرهم.
.249
*فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ «249» *
«فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ» خرج بجنوده من بيت المقدس لمحاربة العمالقة قوم جالوت. «مُبْتَلِيكُمْ» مختبركم وهو أعلم بأمركم. «وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ» من لم يذقه أصلاً، لا قليلا ولا كثيراً. من طعمَ الشيءَ يَطْعَمُه، اذا ذاقه مأكولاً او مشروبا. و استعال طَعِمَ الماء بمعنى ذاق طعمَه مستفيضٌ. «غُرْفَةً بِيَدِهِ» الغُرْفَة: اسم للشيء المغترَف، وجمعه غِراف. وامّا الغرفةُ فهى اسم للمَرَّةِ الواحدة من الغَرف. وقيل: هما لغتان بمعنى واحد. رخَّص لهم في الاخذ باليد دون الكَرْع. «لَا طَاقَةَ لَنَا» لا قدرة ولا قوة لنا. «فِئَةٍ» جماعة من الناس.
.250
*وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ «250» *
«بَرَزُوا»: ظهروا وانكشافوا.
.251
* فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ «251» *
«وَقَتَلَ دَاوُودُ» وكان داود في عسكر طالوت. «وَالْحِكْمَةَ» هي النبوّة. ولم

يجتمع المُلك والنبوّةُ لأحد قبلَه

في بني اسرائيل، ووَرِثه فيهما ابنه سليمان عليهما السلام.
.252

*تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ «252» *

.253

*تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ «253» *

«بِرُوحِ الْقُدُسِ» جبريل عليه السلام [اية 87 من هذه السورة].

.254

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ «254» *

«وَلَا خُلَّةٌ» بضم الخاء. ولاخالصُ مودة وصداقة. أي لايمكن في هذا اليوم استجلابُ حسنة بمودة وصداقة؛ وسُمِّيت المودةُ خُلَّةً لتخلّلها النفس، وجَمْعها خلال. «وَلَا شَفَاعَةٌ» أي لاحدٍ إلا لمن يشاء ويَرضَى. فالاطلاق هنا مقيَّدٌ بآية «الا من أذن له الرحمن و رضيَ لهُ قولاً» «آيه 109 طه» والنبيُّ مأذون له، أو يستأذِن فيؤذَن له.

.255

* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ «255» *

«الْحَيُّ» اي الباقي الذي له الحياة الدائمة التى لا فناء لها. لم تحدُث له الحياة بعد موتٍ، ولا يعتريه الموتُ بعد الحياة؛ وسائرُ الأحياء سواه يعتريهمم الموت والفناء. «الْقَيُّومُ» الدائم القيامِ بتدبير أمر الخلق وحفظهم، والمعطي لهم ما به قِوامهم. وهو مبالغة في القيام، وأصله قَيْووم – بوزن فيْعُول – من قام بالأمر إذا حفظه ودبّره.» لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ» اي نُعاس. وهو الفُتور اوّل النوم مع بقاء الشعور والادراك، ويقال له غَفْوة. مصدرُ وسِنَ الرجلُ يَوْسَن وَسَناً وسِنَة؛ فهو وسِنٌ ووَسنان اِذا نَعَس. والمراد انه تعالى لا يَغْفُلْ عن تدبير امْر خلقه ابدا. و «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ» الكُرسِيُّ غيرُ العرش، وهما مخلوقان لله تعالى؛ كالسماوات والارض. ومن المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، فنفوّض علم حقيقتهما إليه تعالى، مع كمال تنزيهه عن الجسميّة، وعن مشابهة المحدثات؛ «ليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصير» «آيه 11 أشورى». وعن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيرُ الكرسي بالعلم؛ وهو قول مجاهد. وفسَّر بالملك والسلطان والقدرة وهي معانٍ مجازية.

«وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا» لا يُثقله ولايشق عليه حفظهما. يقال آده الأمر أو الحِمل–من باب قال–أثقله فهو مَئُود؛ كمقول.

.256

*لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا

انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ «256» *

«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» معناه على ما ذكره أبو مسلم والقفال: ليس في الدِّين – وهو عقدٌ في القلب وإذعانٌ في ألنفس–إكراه وإجبار من الله تعالى؛ بل مبناه على التمكين والاختبار، وهو مناط الثواب والعقاب، ولولا ذلك لما حصل الابتلاء والاختبار، ولبطُل الامتحان؛ وهو كقوله تعالى: «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» «أيه 29 الكهف». وقيل: معناه إن من حق العاقل بعد ظهور الآيات البينات على أن الإيمان بالله وطاعته رشد، والكفرَ به ومعصيَته غَيٌّ–ألَّا يحتاج الى الأكراه على التدين بالاسلام الحنيف؛ بل يختاره من غير تردّد. والجملة على المعنيين خبرية. وقيل: هي خبر في معنى النههي؛ أي لاتُكرهوا فِي الدِّين ولا تُجبروا عليه أحداً، فإنه بيِّنٌ واضح الدلائل والبراهين. فن هداه الله له، ونوَّر بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أضله الله وأعمى قلبه لا يفيده الإكراه على الدخول فيه. وهو عامٌ منسوخ بقوله تعالى: «جاهد الكفار والمنافقين و اغلظ عليه» «آيه 73 التوبة». أو مخصوصٌ بأهل الكتاب الذين قبلوا الجِزية. وعن ابن عباس:. أنها نزلت في أولاد الأنصار الذين تهوّدوا قبل الإسلام، وأراد أهلوهم من الأنصار استردادَهم حين أُجلِيَت بنو النَّضير في السنة الرابعة؛ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم إثر نزول الاية: «قد خير اصحابكم فان اختاروكم فانهم منكم وإن اختاروهم فاجّلُوهم معهم». اما الجهادُ الذى فرضه الله على المؤمنين فليس للإكراه على الإسلام والعقيدة وإنما هو من اجل بقاء الكفار على جحود حق الله وعصيانِهم أمرَه ومحادّتِه، بعد وضوح الحجج ظهور الدلائل والإعذار إلِيهم؛ ولحملهم على العمل بشريعته والانقياد لاحكامه، ولحماية الدعوة والحق الذي جاءت من عدوانهم، وليكون الدين كله لله وحده؛ قال تعالى «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ «193»» «البقره». «تَبَيَّنَ الرُّشْدُ» تميز الحقُّ من الباطل، والهُدى من الضلال؛ بوضوح الدلائل. والرُّشدُ: الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه، مصدر رَشِدَ يَرْشُد ويَرْشَد، أي اهتدى. والمراد هنا: الحق والهدى. والغَيُّ: الضلالُ؛ مصدرُ غَوَى يَغْوي أي ضلّ والاسم الغَواية. «بِالطَّاغُوتِ» اسم لكل ما يُطغِي الإنسان؛ كالأصنام والأوثان والشيطان والكاهن والساحر، وكل رأسٍ في الضلال، وكل ما عُبد من دون الله تعالى. من طَغَا يطْغُو طُغْواً وطُغواناً. او طغى –كرَضيَ و سَعَى – طَغياً و طُغْيانا، اذا جاوز الحد وغلا في الكفر، وأسرف في المعاصي والظلم. «اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» ثبت في امره و استقام

على الطريقة المُثلى؛ وهى الإيمان أو القرآن أو الاعتقاد الحق، أو السبب الموصّل إلى رضا الله تعالى. والعروة من الدَّلو والكوز: مَقْبِضُه. ومن الثوب: مدخلُ زرّه – أستُعملت في المعانى المذكورة على سبيل التجوّز.
والوُثقى: تأنيث الأوثق – من وثُقَ – بالضم – وَثاقة، قوِيَ وثبت فهو وَثيق: اي ثابت مُحْكم. «لَا انْفِصَامَ لَهَا» لا انقطاع ولا زوال لها.

.257

*اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «257» *

.258

*أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ «258» *

«الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ» هو نمروذ بن كنعان. وهو أوَّل من ادعى الرُّبوبية؛ فهو رأس الطواغيت. اي ألم ينته علمك إلى قصة هذا الكافر الذي لستُ له بوليّ، كيف تصدَّى لمحاجة من تكفّلت بنصرته وأخبرت أني وليٌّ له. وكيف خذلتُه و نصرت عليه خليلي الذي اصطفيته وواليته!. «فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ» غُلب وقُهر و تحيّر وانقطع في حِجاجه، وهو فعل جاء على صورة المبني للمفعول كزُهيَ وزُكِمَ، والمعنى فيه على البناء للفاعل. و «الذي كفر» فاعله. والبَهْتُ: الانقطاع والحيَرة. و قريء أيضا بوزن عَلِم ونَصَر وكَرُم.

.259

*أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «259» *

«أَوْ كَالَّذِي مَرَّ» اي اوْ رأيت مثل الذي مرَّ علي قرية – وهو عند أكثر المفسرين عُزَيْر –اراد ان يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة؛ كما طلب ذلك إبراهيمُ عليه السلام ليطمئن قلبه. «وَهِيَ خَاوِيَةٌ» ساقطةٌ حيطانُها على سقوفها التى سقطت. يقال: خَوِيَ البيت، سَقَط. أو خاليةٌ من الناس ثابتة على عروشها. يقال: خَوَت الدارُ تَخْوي خُوِيّا و خَوَاءً. أقوَت وخلَت.

والعروشُ جمع عَرش، وهو سقف البيت؛ ويُسمّى العريش وكلُّ ما يهيَّأ ليُظِلَّ أو يُكِنِّ فهو عَريش و عَرْش. «أَنَّى يُحْيِي» كيف أو متى يحي؟ «لَمْ يَتَسَنَّهْ» لم يتغيّر بمر السنين الطويلة عليه، ولم تذهب طراوته؛ فكأنه لم تمرّ عليه السنون. مشتقٌ من السَّنة، والهاء فيه أصلية إذا قُدّر لام سنة هاءً، وأصلها سَنْهَةٌ لتصغيرها على سُنَيْهة. وجمعِها على سَنهات كسَجْدة وسجدات، ولقولهم: سانَهتُه إذا عاملته سنةً فسنةً. وتَسَنَّه عند القوم إذا اقام فيهم سنةً. أو الهاء فيه للوقف نحو كتابِيَه. وجَزْمُه بحذف حرف العلة إذا قُدر لامُ سنة واواً، واصلها سَنَوة لتصغيرها على سُنَيّة

وجمعها على سنوات، وقولهم: سانيته و تسنيت عنده. أقمت سنين. «وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً» أي وفعلنا ما فعلنا من الإماتة والإحياء لنجعلك آية للناس وعبرة، ودلالة على البعث بعد الموت. «كَيْفَ نُنْشِزُهَا» كيف نرفعها من أماكنها من الارض فنردّها إلى أماكنها من الجسم، ونؤلف بينه١٥؛ من الانشاز و هور الرفع. يقال: أنشز الشيء رفعه من مكانه. وأصله ألنَشز –بفتحتين وبالسكون– وهو المكان المرتفع. وقريءَ «ننشِرُها» بضم النون والراء، أي نحييها من أنشر الله الموتى أي أحياهم.

.260

*وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «260» *

«أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ» بهَصِّرني كيفيَة احيائك للموتى. وسؤالُه عليه السلام ذلك لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين. أو من مرتبة العلم الاستدلالي إلى مرتبة العلم الضروريّ الناشيء عن الحِس. «فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ» فأمِلْهُن واضممهن إليك، لتتأمّلهن وتعرف أشكالهن و هيئاتهن، كيلا تلتبس عليك بعد الإحياء. ثم جزّئهن أجزاء أو فقطعهن. قريء بضم الصَّاد و كسرها و تخفيف الراء. يقال: صارَه يَصُورُه ويَصيره أماله. وصار الشيء: قطَّعه وفصله و «إليك» متعلق ب «صُرْهن» على الأول. وب «خُذ» على الثاني، باعتبار تضمينه معنى الضم.

.261

* مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ «261» *

«الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ» بيان لكيفية الإنفاق الذي بُيِّن فضله.

.262

*الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «262» *

«مَنًّا وَلَا أَذًى» المَنُّ: إظهار الاصطناع. وان يعتد الانسان بإحسانه على من أحسن إليه. يقال: منَّ عليه يَمُنَّ. اي أمتنّ عليه؛ وهو من كبائر الذنوب. ويقال: المِنةُ تهدِم الصَّنيعة. والاذى: ما يصل إلى الحيوان من الضّرر؛ يقال: آذاه يُؤْذيه أذى وأذاة وأذِية. والمراد هنا: التّطاولُ والتّفاخرُ على المنعَم عليه.

.263

*قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ «263» *

«قَوْلٌ مَعْرُوفٌ» كلامٌ جميلٌ يُرَدُّ به السائل، وصفحٌ وعفوٌ عما يفرُط منه عند الرد وعدم الإعطاء، خيرٌ وأفضلُ من صدقة عليه يتبعها أذىلما فيها من المضرة له. وهو تقرير لقبح المنّ و الاذى، ولم يذكر المنّ هنا لشمول الأذى له.

.264

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ «264» *

«رِئَاءَ النَّاسِ» مُراءاة للناس وسُمعةً. أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمَنّ والاذى كإبطال المنافق المرائي عمله الذي لا يبغي به رضاء الله، ولا ثوابَ

الآخرة. «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ» اي فَمَثَّلُ المرئي في الانفاق كمثل حجر كبير املس صُلْب؛ من الصَّفاء وهو خلوص الشيء مما يشوبه. يقال: يومٌ صفوان، أي صافي الشمس. وقيل: هو جمعٌ، واحده صفوانة. «فَأَصَابَهُ وَابِلٌ» اي مطرٌ شديدٌ عظيمُ القَطْر. يقال: وبَلَت السماء تبِل وبْلًا ووبُولا، اشتد مطرها. «فَتَرَكَهُ صَلْدًا» أي اجْرَدَ نَقِيا من التراب الذي كان عليه؛ ومنه رأس اصلدُ، إذا كان لا يُنبت شعرا. وصَلَد الزَّنْدُ يَصلِد، لم يُخرج ناڑراً. والمقصود: ان اعمال هؤلاء المرائين بالإنفاق تَبْطُل يوم القيامة وتضمحل؛ كما يُذهب المطر ما على الصَفوان من التراب.

.265

*وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ «**265**» *

«وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» اي كما أنفقوا أموالهم في سبيل الله ابتغاء مَرضاته انفقوها توطيناً لأنفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها؛ ف «مِنْ» بمعنى اللام. أو تثبيتاً للإسلام وتصديقا به، وتحقيقا للجزاء الموعود به من أصل أنفسهم؛ فهي الدافعة له وهي المنشا والمبتدأ. «جنةٍ» تطلق الجنة على الأشجار الملتفة المتكاثفة، وهو الانسب هنا. وعلى الارض المشتملة عليها. «بِرَبْوَةٍ» بمكان من الإرض مرتفع عن السَّيْل. والعادةُ في أشجار الرُّبى أن تكون احسنُ منظراً وازكى ثمراً. «أُكُلَهَا» ثمرها. وكل مأكول: أُكُل. «فَطَلٌّ» فمطر خفيف يكفيها لطيبها وكَرم منبتها. والطَّلُ: أضعف المطر وهو الرذاذ، وجمعه طِلال وطِلَل. والمرادُ: أن هذه الجنة تزكو وتثمر، كَثُرَ المطر أو قل؛ فكذلك نفقة هؤلاء ابتغاءَ مرضاة الله وتثبيتاً من انفسهم تزكو عند الله وتطيب، كثرت أو قَلَت.

.266

* أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ «**266**» *

«إِعْصَارٌ» ريحٌ عاصفةٌ تنعكس من الارض الى السماء، مستديرة كعمود، وتسمى زَوْبَعة؛ وسُمِّيت اعصاراً لانها تَعْصر ما تمر به من الاجسام، أو تلتف كما يلتف الثوب المعصور. الريحُ مؤنثة وكذا سائر اسمائها الا الاعصار؛ ولذا قيل «فيه نار» أي سَمُوم أو صواعق. وهو مثل لحبوط عمل المرائي يوم القيامة أحوجَ ما يكون اليه.

.267

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ «**267**» *

«مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ» أي حلال ما كسبتموه، أو كسبكم أو جياده. «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ» ولا تقصدوا الرّدِئ من أموالكم تنفقون منه. يقال: تيمّمت الشيء ويمّمته اذا قصدته.

«وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ» والحال أنكم لا تأخذونه لأنفسكم إلا بأن تتساهلوا فيه، وتغضُّوا الطَّرف عن رداءته؛ من الإغماض، وأصله غَمضُ البصر وإطباقُ الجَفْن على الجفن، ثم استعير للتغافل والتساهل. «تُغْمِضُوا فِيهِ» تتساهلوا وتتسامحوا في اخذه.

.268

*الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ «268» *

«يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ» يخوفكم سوء الحال والضعف بسبب قلة المال. وأصله كسر فَقار الظَّهر، يقال: رجل فقِر وفقير، إذا كان مكسور الفَقار. «وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ» يُغريكم بالبخل. والفاحِشُ عند العرب: البخيل. قيل: كلُّ فحشاء في القرآن فهى الزِّنى إلا في هذه الآية. أو ويأمركم بالخَصْلَة الفحشاء. وهي انفاق الرديء من المال لا الجيّد خشيةَ الفقر.

.269

*يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ «269» *

«الْحِكْمَةَ» اصابة الحق في القول والعمل،، أو العلم النافع.

.270

*وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ «270» *

«مِنْ أَنْصَارٍ» أي أعوانٍ ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله، جمعُ نصير او ناصر. وفيه و عيدٌ عظيمٌ لكل ظالم.

.271

*إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ «271» *

«إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ» الصدقةُ ما يُخرجه الإنسان من ماله على جهة القُربة، وتشمل الفَرْض والتطوُّع. وإبداؤها: علانيتها. وإخفاؤها: إسرارُها. والجمهورُ على أن الآية في صدقة التطوّع، وأن إخفاءَها أفضل من إظهارها؛ لما فيه من شائبة الرياء، وهَتك ستر الفقير. وفي الصحيحين في السبعة الذين يُظلّهم الله في ظله يوم لا ظلَّ الا ظلّه: « ... ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لاتَعلَمَ شِمالُه ما تنفق يمينه». وأما الصدقة

المفروضةُ فالإظهارُ فيها أفضلُ. لانها من شعائر الإسلام كالصلاة المكتوبة. و عن ابن عباس رضي الله عنهما: صدقةُ السرِّ في التطوع تفضلُ علانيتَّها سبعين ضِعفاً، وصدقة الفريضة علانيتُها أفضلُ من سرّها بخمسة وعشرين ضعفاً. وكذلك جميع الفرائض والنوافل.

.272

* لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ «272» *

«لَيسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ» الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم. والمراد هو وامَتُه. وقد كان لبعض الأنصار قرابةٌ من اليهود، فلا أسلموا كرهوا أن يتصدقوا عليهم وراودوهم أن يسلِموا؛ فنزلت الاية. أي ليس عليك هُدَى هؤلاء الكافرين فتمنعهم الصدقة، ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الإسلام؛ ولكن الله تعالي هو الذي يَهدي من يشاء إلى الإسلام فيوفِّقه له. فتصدق عليهم لوجه الله تعالى. والمرادُ صدقة التطوع؛ للإجماع على أنه لا يجوز صرفُ الزكاة إلى غير المسلم.

.273

* لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ «273» *

«لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا» ه بيانٌ لمن هم أشدُّ الناس حاجة إلى الصدقة، بعد بيان جواز التصدق على الفقراء عامة ولو من غير المسلمين، وهم فقراء المهاجرين أصحابة الصُّفَّة، وكانوا يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والجهاد، ويخرجون في كل سَرِيَّة يبعثها الرسول صلى الله عليه وسلم. أي ذلك الانفاق المحثوثُ عليه للفقراء. أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء الذين حبسوا

أنفسهم في سبيل الله. «لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا» سيراً في البلاد وتقلباً فيها؛ ابتغاءَ المكاسب والعيش؛ لاشتغالهم بالجهاد والتعلم. وسُمْيَ السير ضربا لما فيه من ضرب الارض بالارجل. «مِنَ التَّعَفُّفِ» اي من اجل تعفُّفهم عن السؤال. والتعفف: تركُ الشيء والإعراضُ عنه؛ بقهر النفس و حملها عليه. يقال: عفّ عن الشئ يَعِفّ. إذا كفّ عنه.

وتعفف: إذا تكلف الإمساك عنه.

«تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ» تعرِفُ فقرهم بما يُرى عليهم من الضَّعف والرَّثاثة. أو تعرفهم بما يبدو عليهم من الخشوع والتواضع. أو بما ألبسهم الله من الهَيْبَة والوقار. والسِّيما – بالقصر وتمد –: أصلها من الوَسْم بمعنى العلامة.

«إِلْحَافًا» أي الحاحاً. يقالُ: ألحف عليه في المسألة أي ألح فهو مُلحِف والنَّفيُ منصبٌ علي القيد والمُقيّد معا بقرينة السياق؛ أي أنهم لايسألون اصلاً تعففا منهم.

.275

*الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «275» *

«يَأْكُلُونَ الرِّبَا» يتعاملون به أخذاً وإعطاء. وخُصَّ الأكل بالذكر لأنه معظم المقصود من المال. والربا الزيادة. يقال: رَبَا الشئ يربو إذا زاد وكَثُر. وفي الشرع فضلُ مالٍ لا يقابله عوض في معاوضة مال بمال، قلّت الفائدةُ أو كَثُرت. وهو رِبا نسيئة، وربا فَضْلٍ، وكل منهما محرّمٌ شرعاً. وسيأتي تتمة لهذا في أية «130» من آل عمران.

«يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ» يتخبله الشيطان ويَصرَعه بسبب مسه إيَّاه

وأصلُ التَخبُّط: الضرب على غير استواء واتساق؛ كخبط البعير الأرضَ بيديه. وفعلُه من باب ضرب. والمَسُّ: الخبَلُ والجنون. يقال: مُس الرجل

فهو مَمْسُوس، إذا ألمّ به مُلِمٌّ فجُنَّ. والمعنى: أن المتعاملين بالربا المستحلّين له لا يقومون يوم البعث إلا كقيام المصروع الذى تَخَبله الشيطان و صرعه. وهو –كما اختاره الإمام القفال –: تشبيه جاء على ما تعارفوه من اضافة الصرع و كلّ شيء قبيح الى الشيطان؛ ونظيره قوله تعالى: «طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ «65» الصافات». واختار الفخر أن المراد بمس الشيطان: دعاؤه إلى طلب الملذات والشهوات والاشتغال بغير الله، ومن استجاب له كان متخبطاً في أمر الدنيا، فتارةً يجرُّه الشيطان إلى الهوى،، وتارة يجرُّه المَلَك إلى الهدى. و آكل الربا مُفْرط في حب الدنيا، فإذا مات على ذلك الحب صار حجاباً بينه وبين الله تعالى. فالخَبطُ الذي كان حاصلا له في الدنيا بسبب حب المال أورثه خبطاً في الآخرة، أوقعه في ذل الحجاب. «إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا» زعموا أنه حيث حل بيع ما قيمته درهم بدرهمين حالا أو مؤجّلا يحل بيع درهم بدرهمين. وجعلهم الربا اصلا وتشبيه البيع به مُبالغة منهم في التماثل. «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» إبطالٌ من الله تعالى لقول الكفار: «إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا»

.276

*يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ «276» *

«يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا» المَحْقُ: النقصان وذهابُ البركة. تقول: محقه الله فامَّحَق وامْتَحَق؛ اي ذهب خيره وبركته. ويقال: محقه مَحْقا؛ اي ابطله و محاه: ولما كان الباعثُ على الربا، تحصيلَ المزيد من المال، والصارفُ عن الصدقات الاحتراز عن نقصانه، بيّن الله تعالى في هذه الآية: أن الربا وإن كان زيادة في الحال فهو نقصان في الحقيقة؛ لذهاب بركة المال به لا محالة. وأن الصدقة وإن كانت نقصانا في الحال للمال صورة فهي زيادة فيه معنى، وذلك في الدنيا والاخرة.

.277

*إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «277» *

.278

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «278» *

«وَذَرُوا مَا بَقِيَ» دَعوا واتركوا مَا بَقَى مما شرطتم من الربا ولا تطالبوا به بعد ان علمتك حرمته؛ فليس لكم إلاّ رءوس أموالكم.

*فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ «279» *

«فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ»

فكونوا على علم ويقين بها؛ من اذِن بالشئ ياذَن إذا عَلِم.
و قريء «فآذِنُوا» من آذنه الامر و آذنه به، أعلمه إيّاه؛ اي أعْلِموا من لم ينته عن الرّبا بحربٍ من الله ورسوله. وهو وعيدٌ و تهديدٌ شديدٌ للمرابين.

.280

* وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ «280» *
«عُسْرَةٍ» ضيق الحال من عدم المال. «فَنَظِرَةٌ» فعليكم تأخيره وامهاله.
والنَظِرَةُ: اسمٌ من الإنظار وهو الامهال. يقال: نَظَره وانتظره و تنظّره، تأنى عليه و أمهله. وهذا الحكمُ عامٌّ في كل دين؛ على ما ذهب اليه الجمهور. وفي الحديث الصحيح: «من أنظر معسراً أو وضع عنه اظله الله عز وجل في ظله يومَ لا ظلّ إلا ظلّه.» رواه مسلم.

.281

*وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ «281» *

.282

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ «282» *
«فَاكْتُبُوهُ» أمْرُ استحباب. وقيل للوجوب. وعن ابن عباس: أن المراد الدَّين في ألاية السَّلَم «السلف». «لَا يَأْبَ» لا يمتنع. «وَلْيُمْلِلِ» وليكن المُمْلي من عليه الحق؛ لأنه المُقِرّ المشهود عليه. والإملالُ والإملاءُ لغتان بمعنى واحد. يقال أمَلّ وأمْلى. «وَلَا يَبْخَسْ» ولاينقص من الحق الذي عليه شيئا في الإملاء. يقال: بَخَس زيد عمرا حقَّه يَبْخسه، نقصه. ومنه: «وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ «20» يوسف».
«وَاسْتَشْهِدُوا» الأمر للندب. وقيل للوجوب. «أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا» الضلالُ: تركُ الطريق المستقيم؛ عمداً كان أو سهواً، قليلاً كان أو كثيرًا. اي خشية أن تنسَى إحداهما الشهادة

فتذكرها الاخرى. و هوا بيانٌ لحكمة اشتراط العدد في شهادة النساء في الأموال. «وَلَا تَسْأَمُوا» أي ولاتَضجَرُوا ولا تمَلّوا. يقال سَئمت الشيء أسأَمه سَأَماً وسآمة، ضجرته ومللته. ويقال سأمت منه؛ ومنه «لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ «49» فصلت». «أَقْسَطُ» أعدَل وأحفظ. يقال: أقسط الحاكم يُقسط اقساطاً وهو مُقسط، إذا عَدَل في حُكمه وأصاب الحق فيه، ومنه: « ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

«42» المائدة».
«وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ» أثبت لها وأعون على أدائها. «أَدْنَى» أقرب. «تِجَارَةً» التجارة: التصرف في رأس المال طلبا للربح. يقال: تجَرَ يَتْجُر وهو تاجِر والجمع تَجَر وتِجارٌ وتُجار. اي لكن التجارة الحاضرة يجوز عدم الإشهاد والكَتْب فيها. «فُسُوقٌ» خروج عن الطاعه إلى المعصيه.
.283
*وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ «283» *
«فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ» جمعُ رَهْن بمعنى مرهون. وأصلُ الرهن الدوامُ. يقال: رهنَ الشيءُ إذا دام وثبت. و رَهَنه و عنده الشيء –كمنع–وأرهنه، جعله رَهْناً. ورهانٌ خبرُ مبتدأ محذوف؛ أي فعليكم رهان مقبوضة.
.284
*لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «284» *
«وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ» وإن تظهروا ما استقر ي انفسكم مما عزمتم عليه من السُّوء أو تخفُوه يجازكم به الله. فالعَزْم على المعصية، والتصميمُ عليها مؤاخَذٌ عليه. وأمّا حديث النفس بها، والخواطرُ الفاسدةُ التي تَرِد علي القلب دون أن يصحبه١ه عزمٌ وتصميمٌ فمعفوٌّ عنها؛ إذ ليس في الوسع الخلوُّ عنها. وفي الحديث: «إن الله

تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به» «متفق عليه».
.285
*آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ «285» *
«وَمَلَائِكَتِهِ» الايمانُ بالملائكة: هو التصديقُ بوجودهم، وبأنهم معصومون مطهَّرون، وبسائر صفاتهم التي جاء به١ه التنزيل. «غُفْرَانَكَ» مصدرٌ نائبٌ عن فعله؛ اي اغفر غفرانك؛ على حد سَقْياً ورَعْياً. والمرادُ: نسألك غفران ذنوبنا.
.286
* لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ «286» *
«وُسْعَهَا» طاقتها وقدرت٥ها في فضلاً منه ورحمة. «وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا» الاصرُ: والثِّقل والعَهْد الثقيل. أى لا تُكَلفنا أمرًا يثقل علينا. أو عهدا ثقيلا لا نفي به؛ كما كلَّفت بني اسرائيل من قبلنا، فلا تمتحنا بمثله، رأفةً

منك وفضلاً. والله اعلم.

سورة آل عمران.

.1

*الم «1» *

.2

*اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ «2» *

«الْحَيُّ الْقَيُّومُ» [راجع آية 255 البقرة ص 61].

.3

*نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ «3» *

«نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ» اي القرآن. وفي تخصيص القران القرآن بصيغة التنزيل ايماءٌ الى انه منزل مُنَجَّماً على التدريج بخلاف التوراة والانجيل فقد نزلا جملة.

.4

*مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ «4» *

«وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ» الفُرْقانُ: كل ما فُرق به بين ألحق والباطل. مصدرُ فَرَق يَفْرق بين الشيئين فَرْقاً وفُرْقَاناً. إذا فصل بينهما. أي وأنزل بهذه الكتب الفرقان بين الحق والباطل؛ فلم يبق لأحد عذر في جحودها والكفر بها.

«عَزِيزٌ» منيعُ الجانب. او قويٌ غالبٌ كلَ شيء، من العِزَّةِ وهى حالة تمنع الإنسان أن يُغلب ويُقهر. يقال: عَزَّ يَعِز عِزًّا وعِزَّة، صار عزيزاً وقوِيَ بعد ذِلَّة. «ذُو انْتِقَامٍ» ذو عقوبة شديدةٍ لمن يكفر به لا يقدر على مثلها منتقم. يقال: انتقم منه إذا عاقبه بجنايته. والفعل المجرد منه نَقِمَ، كضَرب وعلم.

.5

*إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ «5» *

.6

*هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «6» *

.7

* هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ «7» *

«آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ» آياتٌ بيناتٌ واضحاتُ الدلالة، لا: التباس فيها ولا اشتباه. من: الإحكام بمعنى الاتقان. يقال أحكمه اي اتقنه، فاستحكم ومنعه من الفساد؛ كحَكَّمه حكماً. وذلك لإحكام عبارتها عن احتمال التأويل

والاشتباه؛ ولمنع الخلق من التصرف فيها؛ لظهورها ووضوح معانيها، وإقامتها حجّة من الله على عباده، وعِصمة لهم من الزّيغ. وإلى هذا المعنى يرجع تفسير بعضهم المُحكمات: بما عُرف تأويلُها وفُهم معناها المراد منها، أو مالا التباس فيها، ولا تحتمل من التأويل إلا وجهاً واحدا. [المسألة الرابعة من المقدمة ص: و]. «هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ» اي أصله الذى يُعول عليه في لأحكام، ويرجع إليه في الحلال والحرام. ويردّ إليه ما: تشابه من آياته و أشكل من معانيها. وامُّ كل شيء اصله و عِمادُه؛ قال الخليل: كلُّ شيء ضُمّ إليه سائر ما يليه يسمى في لغة العرب أُمًّا. «وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» و منه " ايات اخرُ متشابهاتٌ، و هي غير المحكمات. والمتشابهُ: ما استأثر الله بعلمه؛ كوقت الساعة والروح والحروف المقطعة في اوائل السور، وإليه ذهب الحنفية. أو ما لا يتضح معناه إلا بالنظر الدقيق وهو يشمل المُجمل ونحوه؛. وإليه ذهب الشافعية. أو ما دلّ الدليل القاطعِ على أن ظاهره غيرُ مراد، ولم يقم دليل على تعيين المراد منه؛ كآيات الصفات مثل: الاستواء واليد والقَدَم، والتعجّب والضحك، والفوقيّة والنزول والرحمة والغضب، ونحو ذلك. يقال: اشتبه الأمران، إذا أشبه كل واحد منهما الآخر حتى التبسا.

وأمورٌ مشتَبهَةٌ ومشبَّهة –كمعظَّمة –:مُشكِلةٌ. وشُبِّه عليه الأمرُ تشبيها: لُبِّس عليه. «فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ» مَيْلٌ عن الاستقامة وانحرافٌ عن الحق، وطرحٌ للقصد السَّوى. يقال: زاغ يزيغ، مال. ومنه: زاغت الشمس: إذا مالت. «ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ» الابتغاءُ: الاجتهادُ في الطلب. يقال: بغيتُ الشيء وأبتغيته، إذا طلبت أكثر مما يجب. والفتنةُ: ما يُدفع إليه الإنسان من شدة. وابتغاءُ الفتنة: طلبُ فتنة المؤمنين عن دينهم بالتشكيك والتلبيس، وإثارة الشُّبَه ومناقضة المُحكم بالمتشابه أو فَتْن أتباعهم الجهال بذلك. «وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» وطلب تأويلِ الكتاب وتحريفه. التأويلَ الباطل الذي يشتهونه، و التحريف السقيم الذى يقصدونه، زاعمين انه الغاية المرادة منه، وذلك شأن أهل البدع والأهواء والملاحدة في كل: عصر. وتبعهم في ذلك الذين سموا أنفسهم مبشرين في هذا العصر. والتأويلُ: يطلق بمعنى التفسير والبيان؛ و منه « ... نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ... » «36 يوسف» "، و قول المفسرين: تأويلُ هذه الآية كذا وكذا. و بمعنى حقيقة الشيء وما يئول إليه؛ من الأول وهو الرجوع إلى الأصل، وردّ الشئ إلى الغاية. وردُّ الشيء الى الغاية المرادة منه. يقال آل الامر إلى كذا يئول أوْلاً، رجع. وأوّلته

اليه رَجَعته؛ ومنه: « ... هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ... » «الاعراف 53» أي ما ينتظرون إلا حقيقة حقيقة ومآلَ ماأُخبروا به من أمرالمعاد. والمراد هنا المعنى الثاني، على ما أختاره الراغب. وذهب آخرون إلى اختيار المعنى الأول. «وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» اي الثابتون المتمكّنون فيه، وهم الذين أتقنوا علمهم؛ فلم يداخلهم فيه شك ولم تعرض لهم فيه شبهة. وأصله في الأجرام أن يَرْسَخ الجبل والشجر في الأرض، واستعمل في المعاني، ومنه: رسخ الإيمان في قلبه اى ثبت، واستقر. فإذا فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه فالوقف على لفظ الجلالة، وما بعده استئناف؛ أي والراسخون في العلم يقولون آمنا به، ويفوضون علمه اليه سبحانه، ولا يقتحمون أسواره كأهل الزّيْغ والضلال الذين خلطوا فيه بغير علم، واتبعوا أهواءهم بغير هدى. وإذا فسر بما لا يتضح معناه إلا بنظر دقيق، فالحق الوقف على لفظ «العِلْم»؛ أي أنه لا يعلم تأويلَه الحقَّ المطابق للواقع إلا

الله والراسخون في العلم؛ دون أولئك الزائغين. ويجوز الوقف على لفظ الجلالة؛ لانه لا يعلمه كله الا الله تعالى، أو لا يعلمه بالكُنه سواه. وإذا فسّر بما قام الدليل القاطع على أن ظاهره غيرُ مراد، مع عدم قيام الدليل علي تعيينه، جاز الوقف والعطف عند من يجوّز الخوض فيه، وتأويله بما يرجع إلى الجادّة في مثله؛ وهم جمهور الخلف. ووجب الوقف على لفظ الجلالة عند من يمنع الخوض فيه ويمنع تأويله؛ وهم جمهور السَّلف. ونقل ابن كثير: انه اذا اريد من التأويل المعنى الاول الذي أسلفناه فالوقف على لفظ «العلم»،لأنَّ الراسخين يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به، وإن لم يُحيطُوا علماً بحقائق الأشياء على ما هى عليه. وإذا أريد منه المعنى الثاني فالوقف على لفظ الجلالة؛ لأن الحقائق لا يعلمها على الجليّة إلا الله عزَّ وجلَّ. والحكمةُ في إنزال المتشابه على التفسير الأول: الابتلاءُ به؛ ليخضع العبد لسلطان الربوبيّة ويُقر بالعجز والقصور. وفي ذلك غايةُ التربية ونهايةُ المصلحة؛ كما ابتلى سبحانه عباده بسائر التكاليف والعبادات، وعلى التفسير الثاني وكذا الثالث: أن يشتغل أهل النظر والفقه في الدِّين بردّ المتشابه إلى المُحْكَم؛ فيطول بذلك نظرهم، ويتصل بالبحث عن معانيه فكرهم؛ فيثابون على اجتهادهم كما أثيبوا على عباداتهم. ولو انزل القران كله محكماً لاستوى في معرفته العالم والجاهل، ولم يَفْضُل العالم على غيره، ولماتت الخواطر وخَمَدَت القرائح؛ ومع الغموض والخفاء تقع الحاجة إلى الفكرة، والحيلةُ إلى استخراج المعاني، هذا إلى أن القرآن في أعلى طبقات البلاغة والاعجاز، وفي ألفاظه و آياته وأسلوبه من المجازات والكنايات، والتشبيهات والاشارات، ما يوجب كَدَّ الاذهان وشحذَ القرائح؛ لاستخراج معانيه و استقصاء مراميه، وذلك مما لايقدر عليه إلا من أوتيَ أوفر حظٍّ من العلم والفقه، وكانت له قَدَمٌ راسخة في البحث والفهم. هذا، ومن المتشابه آيات الصفات وأحاديث الصفات كما قدّمنا. ومذهب السَّلف فيها: أنها صفات ثابتة الله تعالى وراء العقل، جاء بها السمع؛ فيجب الإيمان بها كما وردت، مع وجوب إعتقاد تنزيهه تعالى عن التجسيم والتشبيه؛ لئلا يضادّ النّقلُ العقلُ، وان ظاهرها غير مراد قطعا لاستحالته عليه تعالى، فإن ذاته وصفاته مخالفةٌ لذوات المحدثات وصفاتهم. قال الإمام الشعراني وغيره: إن مذهب السلف أسلم وأحكمُ، وقد درج عليه صدر الأمة وساداتها، واختاره ائمة الفقه والحديث، حتى قال الإمام يتحمله بر الحسن: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه. اهـ. أي من غير تأويل
على سبيل التفصيل، ولا تمثيل

له بالحوادث: تعالى الله عن الشبيه والمثال. الراجع المسألة الرابعة من المقدمة ص و].

.8

*رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ «8» *

اي لا تُمِلْها عن ألحق والإيمان بك والتسليم لك. يقال: زاغت الشمس تزييغ زيغاً، مالت، وهو من قول الراسخين. وقيل من كلامه تعالى؛ أي قولوا ذلك.

.9

*رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ «9» *

.10

*إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ «10» *

.11

*كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ «11» *

أي حال هؤلاء في الكفر واستحقاق العذاب كحال ال فرعونَ والذين من قبلهم من الأمم. وأصل الدأب الدوام، يقال دأب على كذا يَدأبُ دَأَباً ودأْبا ودُؤُباً إذا داوم عليه وجد فيه وتعِب، ثم غلب استعماله في الحال والشأن والعادة.

.12

*قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ «12» *

قل لليهود الذين دعوتهم الى الاسلام فتمردوا عليك بنقض العهد، ومُمالأة قريش عليك بعد غَزْوة أحُد، وقالوا: لسنا أمثال قريش في الضعف وقلة المعرفة بالقتال، بل نحن أولُو قوّة ومعرفة به –: انكم ستُغلبون في القتال كما غلب المشركون في بدر.

«وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ» ما مهدتموه لأنفسكم في الاخرة. والمهادُ –.كفراش وزناً ومعنى–وهو الوضع الذي يُوطّأُ للصبيّ ويُمهّد له؛ وجمعه مُهُد، ككتاب وكتب.

.13

*قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ «13» *

«فِي فِئَتَيْنِ» جماعَتَين التقتا في القتال يومَ بدر، جماعةِ المسلمين وجماعةِ المشركين. وأصل الفِئة: من الفَيء، وهو الرجوع، وسُمِّيت الجماعة فِئةً لأنه يُرْجع إليها في وقت الشدة، وجمعها فئات وفئون. «يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ» يري الكفار المسلمين مِثلَيْهم، أي مثلَي الكفار في العدد، وذللك عند الالتحام في ساحة القتال، لتضعف قلوبهم وينهزموا، فيتمكن منهم المسلمون قتلاً وأسرا. وأما تقليلُهم في أعين الكفار في قوله تعالى: «وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ .. » «الانفال 44» فهو قبل ذلك ليطمعوا في المسلمين ولا يَجبُنُوا عن قتالهم. «وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ» يقوّي بنصره ولو بدون الأسباب العاديّة: يقال: أيّدته تأييدا فهو مؤيَّد. أي قويته تقوية وأعنته، ومنه: «ذا

الايد» «ص 17» اي القوة. «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً» لعِظة. من العُبُور، وهو التجاوز من حالٍ إلى حال؛ ومنه: عبر الوادى يَعبُرُه عبْراً وعبوراً، قطعه من عِبْره إلى عبره، أى من شاطئه إلى شاطئه. وسُميَ الاتعاظُ عِبْرَة لأن المتعظ يعبرُ به من الجهل إلى

العلم، ومن الهلاك إلى النجاة.

.14

*زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ «14» *

«حُبُّ الشَّهَوَاتِ» المشتهيات بالطبع. «وَالْبَنِينَ» لم يذكر البناتِ لشمول البنينَ لهنّ على سبيل التغليب.

«وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ» جمع قِنطار، وهو المال الكثير الذي يتوثق به في دفع الحاجة. مأخوذ من الاحكام تقول: قَنْطرت الشئ إذا أحكمته؛ ومنه القنطرة لتوثقها بعقد الطاق. والمقنطرة: أي المجموعة قنطاراً قنطاراً، كقولهم: دراهمُ مدرهَمة، وإبلٌ مؤبلة. وذكره للتأكيد. «وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ» أي الراعية في المُرُوج والمسارح. يقال: سوَّم ماشيته إذا أرسلها في المرعى. أو المطهَّمة الحسان؛ من السِّيما بمعنى الحسن. أو المعلَّمة ذات الغرة والتحجيل؛ من السِّمة أو السُّمومة بمعنى العلامة. والخيل: اسم جَمع كرهط. أو جمع خائل، كطير وطائر. وسُميت خيلاً لاختيالها في مشيتها بطول أذنابها. «وَالْأَنْعَامِ» الإبل والبقر والغنم، جمع نعَم. ولا يقال للجنس الواحد منها نَعَم إلا للإبل خاصَّة. «وَالْحَرْثِ»

اي المزروعات. «حُسْنُ الْمَآبِ» المرجعُ الحَسَن وهو الجنة؛ فهيَ الاحق بالرغبة فيها لبقائها دون المُتَعِ الفانية. والمآبُ: إسم مصدر بوزن مَفْعَل، من آب –كقال – إيابًا وأوْباً و مآبا، إذا رجع. واصله مأوب، نقلت حركة الواو إلى الهمزة ثم قلبت الواو ألفا، مثل مقال.

.15

*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ «15» *

«وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ» رضاءٌ عظيم منه تعالى، لا سَخَطَ بعده أبدا.

.16

*الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ «16» *

.17

*الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ «17» *

«وَالْقَانِتِينَ» المطيعين الخاضعين لله؛ من القنوت، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع. «وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ» ه جمع سَحَر، وهو من ثلث الليل الاخير. أو من حين يُدبر الليل إلى طلوع الفجر. وتخصيصُ الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، إذ العبادة حينئذ أشقُّ، والنفسُ أصفى، والرُّوعُ أجمع. وعن أنس: كنا نُؤمر إذا صلَّينا من

الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرةً.

.18

*شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «18» *

«قَائِمًا بِالْقِسْطِ» قائما بالعدل في قَسْمه و حكمه، وتدبير أمر خلقه. والقِسْطُ والإقساطُ: العدل. يقال: قسَط

يقسِط ويقسُط قِسطا، وأقسط إقساطاً فهو مُقسِط،، إذا عدل،.
ومنه: « ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ «42» المائده» ويُطلق القِسْط على الجَوْر، والفاعلُ قاسط؛ منه: «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا «15» الجن»

.19

*إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ «19» *

«إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»

اي ان الشريعة المرضية عند الله تعالى هي: الاستسلامُ والانقيادُ اليه، والدخول في طاعته. يقال: اسلم أي انقاد واستسلم، واسلم امره لله سلمه إليه. وفسر قتادةُ الإسلام بأنه: شهادة أن لا الله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله وهو دين الله الذي شرعه وبعث به رسله، ودلّ عليه أولياءه فلا يقبل غيره

ولا يجزي بالإحسان الا به. وهو الدين الحنيف الذي جاء به خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم. «الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» هم اليهود و النصارى، و قد اختلفوا في الإسلام أو في التوحيد من بعد قيام الدلائل على صحته، وشهادة كتبهم به. «بَغْيًا» حسداً وطلباً للرياسة.

.20

*فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ «20» *

«أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ» أخلصت عبادتي لله وحده، وأطعتهُ وانقدتُ له. وعبّر عن الذات بالوجه لأنه أشرف الأعضاء، وبه يحصل التوجه إلى كل شيء «وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» هذه الآية من أصرح الأدلة على عموم بعثته صلى الله عليه وسلم للخلق كافة. وقد نطقت بذلك الايات والاحاديث الصحيحة، قال تعالى: «قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا .... » «158 الاعراف» وقال: « ... لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا «1» الفرقان. وقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الامة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسِلتُ به إلا كان من أهل النار» رواه مسلم. وقال: «بُعِثت إلى الأحمر والأسود» أخرجه ابن سعد. والأمِّيونَ: من ليس لهم كتاب، والمرادُ مشركو العرب.

.21

*إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ «21» *

.22

*أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ «22» *

«حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» أي

بطلت أعمالهم وخلت عن ثمراتها.

.23

*أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ «23» *

«أَلَمْ تَرَ» خطابٌ لكل من يتأتى منه الرؤية؛ على طريق الاستفهام التَّعجيبيّ من حال اليهود من أهل الكتاب. أي ألم ينته علمك إلى الذين ... الاية. والكتاب: التوراة.

.24

* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ «24» *

«أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ» أربعين يوماً، و هي مدة عبادتهم العجل. فهوّنوا على أنفسهم الخطوب، ولم يبالوا بالمعاصي والذنوب. «وَغَرَّهُمْ» اي خدعهم وأطمعهم في غير مطمع. «يَفْتَرُونَ» اي يكذبون على الله.

.25

* فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ «25» *

.26

* قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «26» *

«اللَّهُمَّ» أصله: يا ألله؛ فحذف حرف النداء و عُوض عنه اليمُ المشددة.

.27

*تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ «27» *

«تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ» تُدخل طائفةً من الليل في النهار؛ فيَقصُر اللْيلُ و يزيد النهارُ، و تُدخل طائفة من النهار في الليل، فيقصُر النهارُ و يزيد الليل. من الولوج وهو الدخول؛ يقال: وَلَجَ منزله يلِجُه، دخله. ويقال: أولجه، أدخله. «وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ» تخرج الحيوان من النُّطْفة، والنطفة من الحيوان، وتُخرج النبات الغضَّ الطرِيّ من الحبّ اليابس، وتخرج الحبَّ اليابس من النبات اليّ النامي. «بِغَيْرِ حِسَابٍ» [ايه 212 البقرة].وفي الاية دليلٌ علي مزيد عظمته، وكمال قدرته على البعث والجزاء.

.28

* لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ «28» *

«لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ ... » كان بعض اليهود يباطنون نفراً من الانصار ليَفتِنُوهمْ عن دينهم؛ فقال لهم بعض الصحابة: اجتنبوهم، واحذروا مباطنتهم، لا يفتنوكم عن دينكم؛ فأَبَوْا الا ملازمتهم، فنزلت الاية. اي لا تتخذوا لكم أنصارًا وبطانة من الكافرين، متجاوزين اخوانكم المؤمنين، تُسِرُّون اليهم بالمودّة وتركنون إليهم. وتُلقون

اِلي٥هم ذات صدور كم؛ فإن٥هم لا يألون جهدا في مضرتكم والنكاية بكم. ومثله قوله تعالى: «لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ... » «118 ال عمران».
وقوله تعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..... » «22 المجادلة»
وقوله:
«لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى

أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... » «اية 51 المائدة» وقوله: «لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ... » «اية 1 الممتحنه».والاولياءُ: جمعُ وَليّ، بمعنى الموالي؛ من الوَلِي وهو القُرْب. «فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ» أي ومن يوالِ الكفارَ هذه المولاة، فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية، يعني انه منسلخ من ولاية الله رأساً. «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً» أي الا ان تخافوا منهم مخافةً. أو تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه؛ من الضَّرر في النفس أو المال أو العِرض. وذلك إذا كان الكفار غالبين ظاهرين، أو كنتم في قومٍ كفار؛ فيرخص لكم مداراتهم باللسان، بل تدارونهم وأنتم لهم كارهون. وألاتعملوا ماهو محرم؛ كشرب الخمر، وإطلاعهم على عورات المسلمين، والانحياز إليهم في مجافاة بعض المسلمين؛ فلا رُخصة إلا في المداراة باللسان. وعن معاذ و مجاهد: أن هذا الحكم قد نُسخ بعد قوة الإسلام. وعن الحسن: جوازُ التقية في كل وقت؛ لدفع الضرر بقدر الامكان. و «تُقَاةً» مصدر تقيتُه –كرميته – بمعنى اتقيته، ووزنه فُعَلَة، ويُجمع على تُقى؛ كرُطَبَة و رُطب. وأصل تقاةٍ: وُقَيَة من الوقاية، فابدلتالولوُ المضمومةتاءً والياءُ الفاً لتحركها وانفتاح ماقبلها. و «تقاة» على المعنى الأول مفعول مطلق؛ والتقدير: إلا أن تتقوا منهم اتقاءً؛ فوقع «تقاة» موقع اتقاء، والعرب تنيب المصادرَ بعضها عن بعض. وعلى الثاني مصدرٌ مفعول به؛ وتقديره: إلا ان تتقوا منهم متقى؛ أي أمراً يُتَّقى ويُخاف ويُحذر. «وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» يخوفكم عقابه وانتقامه.
.29
* قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «29» *
.30
*يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ «30» *
«مُحْضَرًا» مشاهداً في الصحف لم يُبْخَس منه شيء؛ قال تعالى: « ... وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا «49» «الكهف»
.31
*قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ «31» *
«تُحِبُّونَ اللَّهَ» أي تُحبون طاعتَه أو ثوابَه. وأكمل من ذلك: محَبته تعالى لذاته؛ لاطمعاً في ثوابه، ولاخوفاً من

عقابه.

.32

* قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ «32» *

.33

*إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ «33» *

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ» نزلت حين قال اليهود: نحن ابناء ابراهيم وإسحق ويعقوب، ونحن: علي دينهم. اي ان الله تعالى اختار هؤلاء لاداء رسالته و هي الإسلام، وأنتم على غير دين الإسلام، إذ امركم باتباعه فخالفتم وأرسل إليكم رسولاً بشَّر به موسى وعيسى فكذبتم، وهو من بيت النبوّة، ومن ذرّية إبراهيم، كموسى و عيسى عليهما

السلام، وقد اصطفاه كما اصطفى

مَن قبله فلمَ كفرتم به!؟

.34

*ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ «34» *

.35

*إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «35» *

«امْرَأَتُ عِمْرَانَ» هي حنة أمُّ مريم. وعمرانُ هذا، غير عمران أبي موسى عليه السلام؛ وبينهمانحو الف وثمانمائة الف سنة.

«مُحرّرا» مُخلَصاً لعبادتك وخدمةِ بيت المَقْدس، معتقاً من أمر الدنيا؛ من حرَّرت العبد: خلصته من الرق وأعتقته. ورجل حُرٌّ. إذاكان خالصاً لنفسه، ليس لاحدٍ عليه يدٌ وتصرُّف.

.36

*فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ «36» *

«أُعِيذُهَا بِكَ» أمنعها وأجيرها بحفظك؛ من العوْذِ، وهو أن الى غيرك وتتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان إذا استجار به؛ ومنه العُوذة و هي التميمة والرُّقية.

.37

*فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ «37» *

«وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا» ضمَّها الله تعالى إلى زكريا وجعله كافلاً لها، و ضامنا لمصالها – وهو زوج خالتها – بالقُرعة التى أجروْها حينما اختلفوا فيمن يكفلها؛ من الكفالة بمعنى الضمان. يقال: كَفَله وتكَفّل به واكفله إياه، ضمنه.

والكفيلُ: الضامنُ، كالكافل، و هو الذي يعولُ غيره. و «الْمِحْرَابَ» هو غرفة في بيت المقدس، لا يُصعَد إليها إلا بسلم. أو هو المسجد؛ وكانت مساجدُهم تسمى المحاريب. وسُمِّى محرابا لأنه محل محاربة الشيطان والهوى. «أَنَّى لَكِ هَذَا» من أين يجئ لك هذا الرزق الذي أرى عندك في غير أوانه!؟ و تُستعمل "أنى" بمعنى من أين ومتى وكيف لتضمُّنها معانيه١٥.

.38

*هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ «38» *

.39

*فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ «39» *

«مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» أي بكلمة كائنة من الله، يعني عيسى بن مريم. وسُمِّيَ كلمةً لان الله تعالى خلقة بكلمة «كن» من غير توسط سبب عادِيّ فكان؛ وكان تأثير الكلمة في حقه أظهر. أو مصدقاً بكتاب من الله والمراد به الإنجيل وإطلاق الكلمة عليه؛ كما تقول العرب: أنشدني كلمة؛ يريدون قصيدة. «وحصوراً» هو من لا ياتي النساء وهو قادر على ذلك، من

الحَصْر وهو الحبس، لحبسه نفسه عن شهوتها.

.40

* قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ «40» *

كيفَ او مِن اين يكون؟ «عَاقِرٌ» عقيم لا تلد لكبر سنِّها؛ من العقر وهو العُقْم. يقال: عَقَرت المراة تعقِر عَقْرا؛ فهي عاقر.

.41

*قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ «41» *

علامة تدلى على حصول الحمل؛ لأبادر الى شكر هذه النعمة والقيام بحقها. «أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ» أي تعجز عن تكليمهم بغير افه. «إِلَّا رَمْزًا» إيماءً وإشارةً، حيثحُبس عن النطق من غيرآفه. وفِعْلُه من بابَيْ نصرةضرب. والاستثناء منقطع، لان الرمز ليس من جنس الكلام، أي النطقِ باللسان. «وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ» التسبيحُ: الصلاة. والعشيُّ: جَمْعُ عشية، وهي من الزوال إلى الغروب. والابكار: مصدر أبكر بمعنى بكر، أريد به الوقت الذي هو البُكرة، وهو من طلوع الفجر إلى الضحى. ويقال: ألتسبيحُ التنزيه، والمراد نزهه تعالى دائما عما لايليق به من العجز والنقص.

.42

* وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ «42» *

«عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ» اي عالمي زمانها؛ كما في نظائره.

.43

* يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ «43» *

«اقْنُتِي لِرَبِّكِ» أُخلصي له وحده العبادة، واديمي له الطاعة؛ من القنوت، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع.

.44

*ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ «44» *

«يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ» يرمون سهامهم في الماء الجارى للاقتراع على من يكفُلُ مريم؛ فمن وقف قلَمُه عن الجرى مع الماء فهو أحقُّ بها، فجرت كلها مع الماء إلا قلمَ زكريا فانه ثبت فكفلها الله له. والأقلامُ والسِّهام والأزلامُ و القداحُ بمَعْنى.

.45

*إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ «45» *

«بِكَلِمَةٍ مِنْهُ» اي كائنة من الله، أي مبتدأة منه من غير توسط الأسباب العادية، قال له كن فكان. «الْمَسِيحُ» فعيل بمعنى فاعل؛ للمبالغة في مسحه الأرضَ بالسياحة للعبادة.

او مسحه ذا العاهة ليَبْرأ أو بمعنى مفعول، أي ممسوح لأن الله مسحه بالبركة، أو طهره من الذنوب. و هو لقبٌ منقولٌ

عن الصفة. «وَجِيهًا» أى ذا جاه و قدر و شرف.

.46

*وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ «46» *

«فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا» اي في حال كونه صغيرًا قبل أوان الكلام، وفي حال الكهولة. والمَهدُ: اسم للمضجع الذي يُهيَّأ للصبي في رَضاعه. وهو في الأصل مصدرُ مَهَده يَمْهدُه، اذا بسطه وسواه. والكهلُ: من وخَطَه الشيبُ، أو اجتمعت قوته وكَمُل شبابه؛ و منه: اكتهل النبات اذا طالب و قويَ. فهو عليه السلام يكلِّمهم بكلام الانبياء، من غير تفاوت بين حالتي الطفولة والكهولة، وهو إحدى معجزاته عليه السلام. وفي تغير أطوار حياته من طفولة إلى كهولة ردّ على النصارى الذين يزعمون ألوهيته.

.47

*قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «47» *

«إِذَا قَضَى أَمْرًا» اي اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون، ويحدث فورا بلا مهلة؛ قال تعالى: «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا

وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ «50» القمر». وأكثر المفسرين على أنه تمثيلٌ لتأثير قدرته في مراده، بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف، وافتقارٍ إلى مزاولة عملٍ واستعمال آلة. وكأن أصل الكلام: إذا قضى أمرًا فيحصل عَقِبه دفعةً، فكأنما يقول له كن فيكون. وقيل هو حقيقة لآية يي ي البقرة ص يي]. وقيل هو حقيقة [آيه 117 البقرة ص 29]

.48

*وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ «48» *

«وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ» أي الكتابة والخط ليستفيد بهما. «والحكمة» وهي الإصابة فى القول والعمل. أو احكام الشرائع.

.49

*وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «49» *

«أَخْلُقُ» أصور وأقدِّر. «لكم» لاجل تصديقكم بي. «وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ» أشفي بإذن الله من ولد أعمى فيُبْصر يقال: برأ المريض يبرأ ويبرُو بُرْءا وبروءًا، إذانقه من مرضه. وبرؤ –ككرم وفرح – بَرْءا وبُرْءا و بُروءًا، إذا نَقِه من مرضه. وأبرأه الله فهو بارى و برئ. و كَمِه يَكْمَه كَمَهاً، إذا ولد أعمى؛ فهو أكمه، وامرأة كمهاء، «تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» تَخْبَئُونه فيها لحاجتكم إليه؛ من الادخار، وهو إعداد الشئ لوقت الحاجة إليه. يقال: ذخرته وادّخرته، إذا أعددته للعُقبى. وأصله «تذتخرون» بالذال المُعجَمَة – من اذتخر الشيء – بوزن افتعل – ثم دخله الإبدال.

.50

*وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ «50» *

«حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» اي في التوراة. و هو صريح في أن شريعة عيسى نَسخت شريعةَ موسى عليهما السلام في بعض الاحكام.

.51

* إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ «51» *

.52

*فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ «52» *

«أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ» أي علمه يقيناً، وتحققه تحقُّقَ مايدرك بالحواس. يقال: أحسَّ الشيء، علمهُ

بالحس. وأحسَّ بالشيء، شعرَ به بحاسته. ومنه: «هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ» مريم 98. «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» اي اعواني، حال كوني ذاهباً إلى الله، اي ملتجئاً اليه؛ جمع نصير. «الْحَوَارِيُّونَ» أصفياء عيسى، جمعُ حواريٌّ. وحواريُّ الرجُلِ: ناصره وخالصتهُ، من الحَوَر: وهو شدة البياض. ومنه قيل: الحُوارَي للخبز الخالص الدقيق. وسُمُّوا حواريين لخلوص نيّاتهم ونقاء سرائرهم من النفاق والريبة، كنقاء الثوب الابيض من الدنس.

.53

*رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ «53» *

.54

*وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ «54» *

«وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ» دبراليهود الذين احس عيسى منهم الكفر قتله غِيلة، وتواطئوا عليه؛ فأحبط الله تعالى تدبيرهم برفعه الى محل كرامته، والقاء شَبَهه على من قصداغتياله فقتلوه. والمكر: التدبيرالمحكم، أو صرف غيرك عمايريده بحيلة. وهو مذموم إن تحرى به الفاعلُ الشرَّ والقبيح؛ كمكر هؤلاء اليهود. ومحمودٌ ان تحرَّى به الفاعلُ الخير والجميل؛ ومنه «مكر الله» حيث نجَّى رسوله منهم. فلا ضرورة لادعاءالمشاكلة اللفظية في اطلاق المكرفي حقه تعالى، وانما يراد به في حقه سبحانه وتعالى المعنى الائق بكماله.

.55

*إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ «55» *

«إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ» . اي آخذك وافياً بروحك وجسمك. ورافعُك إلى محل كرامتي؛ فالعطف للتفسير. يقال وفّيت فلاناً حقه، أي أعطيته إياه وافيا؛ فاستوفاه و توفاه اي أخذه وافيا. أو قابضُك ومستوفى شخصك من الأرض؛، مِن توفى المال بمعنى استوفاه وقبضه. واعلم أن عيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يُصلب؛ كما قال تعالى: «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ «النساء 157»» وقال: «وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا «157» النساء». فاعتقادُ النصارى القتل والصّلب كفرٌ لا ريب فيه. وقد أخبر الله تعالى أنه رفع إليه عيسى، كما قال: «وَرَافِعُكَ إِلَيَّ» ال عمران 55» وقال: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» 158 النساء فيجب الإيمان به.

والجمهور علي أنه رُفع حيًا من غير موت ولا غَفوة بجسده وروحه الى السماء. والخصوصية له عليه السلام هي في رفعه بجسده وبقائه فيها إلى الأمد المقدّر له. وأما التوفى المذكور في هذه الآية، وفي قوله تعالى: «فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ» 117 المائدة. فالمراد منه على الرواية

الصحيحة عن ابن عباس والصحيح من الاقوال، كما قاله القرطبي، و هو اختيار الطبري وغيره. وكما كان عليه السلام في مبدإ خلقه آية للناس ومعجزة ظاهرة، كان في نهاية أمره آية ومعجزة باهرة. والمعجزات بأسرها فوق قدرة البشر ومدارك العقول؛ و هي من متعلقات القدرة الإلهية ومن الأدلة على صدق من الرسل عليهم السلام. «وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بتبعيدك منهم برفعك، وبنجاتك مما قصدوا بك. «وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ

... » هم كلُّ من آمن بأنه عبد الله ورسوله، وكَلمتُه القاها إلى مريم ورُوحٌ منه؛ وآمن بما جاء به من التوحيد الذي جاء به جميع الرسل. ويندرج في٥هم المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الذين آمنوا برسل الله جميعا. ولم يفرِّقوا بين أحد منهم. وهم فوق الذين كفروا بالحجّة والبرهان إلى يوم القيامة.

.56

*فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ «56» *

.57

*وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ «57» *

.58

*ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ «58» *

.59

* إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «59» *

«إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ» إن شأن عيسى بالنسبة لقدرة الله حيث خلقه من غير أب كشأن آدم حيث خلقه من غير أبوين؛ بل شأن آدم أعجبُ حيث خلقه من تراب يابس. فمن آمن بقدرته تعالى في خلقه آدم من تراب، كيف لا يؤمن بها في خلقه عيسى بن مريم من غير أب! «خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ» كلام مستأنف؛ لبيان أن المشبّه به اخرق للعادة وأغرب.

.60

*الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ «60» *

«فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» أي الشاكين في أنَّ ذلك كذلك. والامتراء: الشك؛ من قولهم: مريت الناقة والشاة إذا حلبتها. فكأن الشاك يجتذب بشكه مراء؛ كاللبن الذي يُجْتذَب عند الحَلب. ويقال: مارى فلان فلاناً اذا جادله، كأنه يستخرج غضبه. والخطاب له صلى الله عيه وسلم والمراد به أمته أو لكل من يصلح للخطاب.

.61

*فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ «61» *

«تَعَالَوْا» أي هلموا، أقبلوا بالعزم والرأي. «نَدْعُ أَبْنَاءَنَا» أي يدعُ كل منّا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة «ثُمَّ نَبْتَهِلْ» أي نتباهل ونتلاعن: بأن نقول: بُهلة الله على الكاذب منا ومنكم؛ وأفتعل وتفاعل أخوان، كأقتتل وتقاتل.

والبَهْلةُ: اللعنة. يقال: بَهَله الله يَبْهَله بهلاً، لعنه وأبعده من رحمته؛ ثم شاعت في كل دعاء مجتَهَد فيه وإن لم يكن التعانا. والآية نزلت في محاجَّة نصارى نجْران للنبي صلى الله عليه

وسلم، ولما دعاهم إلى المباهلة امتنعوا وقالوا: إنه والله النبيُّ المبشر به في التوراة والإنجيل! ولو باهلناه لم يبق نصرانيّ على وجه الارض.

.62

*إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «62» *

.63

* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ «63» *

.64

*قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ «64» *

«كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ..... » السَّواء: العدل والنَّصفةُ. أي هَلمُّوا الى كلمة ذات عدل وإنصاف بيننا وبينكم. أو السَّواءُ مصدر بمعنى مستوية، لا تختلف فيها الرسل والكتبالمنزَّلة، وهي: «أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»

.65

* يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ «65» *

«أَفَلَا تَعْقِلُونَ» اي: أتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه؟! وقد زعم اليهود أن إبراهيم كان يهوديا يَدِين بما يَدِينون، وزعم النَّصارى انه كان نصرانيًّا كذلك؛ فكذبهم الله تعالى بأنه لم يكن كما قالوا. وإنما كان «حنيفا مُسلما وما كان مثلهم «من المشركين». فإن: النصارى أشركوا بزعم ألوهيّة المسيح، واليهود أشركوا بزعم التشبيه.

.66

*هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ «66» *

«هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ» «ها» حرف تنبيه، و «أنتم» مبتدا خبرُه «حاججتم»، و «هؤلاء» منادَى حذف منه حرف النداء. وقيل: خبره «هؤلاء» وجملة «حاججتم» مستأنفة مبيّنة للجملة الاولى.

.67

* مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «67» *

«حَنِيفًا مُسْلِمًا» مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدِّين الحق، منقاداً لطاعته أو موحِّداً. والإسلام يُطلق بمعنى التوحيد، ومنه «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» ايه 19 البقره.

.68

* إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ «68» *

«وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» اي ناصرهم و مجازيهم بالحسنى.

.69

*وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ «69» *

.70

*يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ «70» *

«لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» أي لِمَ تكفرون بآيات الله المنَّزلة في كتبه، الدّالةِ على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم! وأنتم تعلمون أنها حقٌّ بما قام عليها من دلائل الصدق.

.71

*يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ «71» *

«لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ

بِالْبَاطِلِ» تخلطونه به بتحريفكم التوراة والإنجيل، أو بإظهار تكذيبه مع علمكم بصدقه صلى الله عليه وسلم؛ من اللَّبس وهو الخلط. يقال: لَبَسَ عليه الامر يَلبِسهُ فالتبس، إذا خلطه عليه حتى لا يعرف جهته. وأمْرٌ مُلبِسٌ ومُلْتَبِس، اي مُشتَبه.

.72

*وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ «72» *

«آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ» مكيدةٌ دبّرها ليهود ليُلبِّسوا على الضعفاء من المسلمين أمر دينهم؛ فتشاوروا بينهم أن يُظهروا الإسلام أوَّلَ النهار، فإذا جاء آخره أظهروا الكفر، ليقول الجهال: إنما ردّهم إلى دينهم إطلاعُهم على نقيصة وعَيبٍ في دين الاسلام؛ وهم أهل كتاب؛ فيرتدُوا عن الإسلام مثلَهُم فاطلع الله نبيه بهذه الاية على ما دبروا.

.73

*وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ «73» *

«وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ ... » هذا من قول اليهود. يقول بعضهم لبعض: لاتصدقوا إلا نبياً يُقَرر شرائع التوراة؛ فأمّا من جاء بما يخالفها كمحمد فلا تصدقوه. واللام زائدة، كما في قوله تعالى: «قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ «72» النمل» اي رَدفَكم. «إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» اي قل جوابا لهم: إنَّ الدِّين دينُ الله، فكلٌّ ما رضيَه ديناً فهو الدِّين الذى يجب أتباعه، وقد رَضِيَ الإسلام ديناً ناسخاً لبعض شرائع التوراة فيجب اتباعه. «أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ» اي وقل لهم: لأن: أي من أجل أن يُؤتى أحد شريعةٌ مثل ما أوتيتم، ولما يتصل به من الغلبة بالحجة يوم القيامة؛ دبرتم ما دبرتم؟ لاجَرَم انه لم يَدعُكم إلى ذلك إلا الحسد؛ فحذف الجواب اختصارا، وهو كثير فى لغة العرب. ويؤيده قراءة ابن كثير بهمزتين وتليين الثانية.

.74

*يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ «74» *

.75

*وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ «75» *

«عَلَيْهِ قَائِمًا» ملازما له تطالبه وتقاضيه. «لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» ليس علينا فيما أصبناه من أموال العرب إثم ولاحَرَج؛ مبالغة منهم في التعصُّب لدينهم، حتى استحلُّوا ظلم من خالفهم فيه وأخذ ماله بأي طريق. أو لانهم قالوا: نحن أبناءُ الله وأحباؤه؛ والخلق لنا عبيد؛ فلا سبيل علينا إذا أكلنا أموالهم. فأكذبهم الله في ذلك بقوله: «وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» أنهم

كاذبون جراءةً منهم على الله. أو يعلمون أن الخيانة محرَّمةٌ في كل شريعة.

.76

*بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ «76» *

.77

*إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ «77» *

«لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ» لا نصيبَ لهم ولاحظّ فى نعيمها. «وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ» اي كلام لُطف بهم؛ بل كلامَ نقمة وغضب. «وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ» أي لا يرحمهم ولا يُحسن إليهم، ولاينيلهم خيرا. «وَلَا يُزَكِّيهِمْ» اي لا يطهّرهم من دَنس الذنوب والاوزار بالمغفرة. أو لا يثني عليهم بجميل.

.78

*وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ «78» *

«يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ» يحرّفون التوراة فيفتلون ألسنتهم بها، ويُميلونها عن المنَّزل إلى المحرف المبدَّل كذبا على الله؛ ولهم في ذلك ما لا يحصى من الّليّ، از وهو الفتْل والميْل. يقال: لَوَى فلان يد فلان يَلْويها ليًا، فتَلَها وأمالها. ولَوَى لسانه بكذا، كناية عن الكذب وتخرص الحديث.

.79

*مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ «79» *

«وَالْحُكْمَ» الحكمة أو الفهم والعلم. «وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ» ولكن يقول: كونوا رَبَّانِيِّينَ؛ جمع ربّاني، وهو العالم الفقيه أو المدبّر أمر الناس: نسبة إلى الرَّب، بزيادة الألف والنون للمبالغة، كما في رَقَبانى للغليظ الرَّقَبة. أو إلى رَبّان –كعطشان –بمعنى مُرَب، وهو المعلم للخير، ومن يسوس الناس ويعرِّفهُم امور دينهم. «تَدْرُسُونَ» تقرأون

الكتاب.

.80

* وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «80» *

«وَلَا يَأْمُرَكُمْ» عطفا على يقول، و «لا» مزيدة لتأكيد معني النفي، وههو شائع في الاستعمال. أي ماكان لبشر أن يؤتيَه الله ما ذُكر ثم يأمر الناس بعبادة نفسه، أو باتخاذ الملائكة أو والنّبيين أرباباً. وقُريء بالرفع على الاستئناف؛ أي ولا يأمركم الله.

.81

*وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ «81» *

«وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

النبيينَ» أخذ الله الميثاق من النبيين أن يصدِّق بعضهم بعضاً. وأخذ العهدَ على كل نبيّ ان يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره إن أدركه؛ فان لم يدركه يأمر قومه بنصرته إن أدركوه. فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى، ومن عيسى أن يؤمن بمحمد؛ صلواتُ الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين. وإذا كان هذا حكم الأنبياء، كانت الأمم بذلك أوْلى وأحرى. وأصل الميثاق: العقدُ المؤكّد باليمين. «لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ» اللام موَطئة للقسَم، و «ما» شرطية في موضع النصب بآتيت، والمفعول الثاني ضمير المخاطَب، و «من» بيانٌ لـ «ما»، وقوله: «لَتُؤْمِنُنَّ»

جواب القسم. وهو دليل جواب الشرط. «وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي» قبلتم عهدي. والإصرُ: العهدُ. وأصلُه من الاصار، وهو الطُّنب والأوتاد التي يُشد بها البيت؛ و اطلق على العهد إصرٌ لانه مما يؤصَر أي يُشد و يُعقد.

.82

* فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ «82» *

.83

* أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ «83» *

«وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ» اي وله تعالى استسلم وانقاد كلُّ من في السموات والارض، من الملائكة والإنس والجن؛ طائعين وكارهين، مالكلُّ تحت قهره وسلطانه، وفي قبضة قدرته و تسخير ارادته. والطّوُعُ: الانقياذ بسهولة، يقال: طاعه وفي لغة من بابي باع وخاف – انقاد له. والكُرهُ: الاباءُ. يقال: كرهه –كسمعه – كَرْهاً وكُرهاً وكراهيةٌ وكراهة. إذا أباه. والجملة حالية: أى كيف يبْغُون غير دينه والحال هذه! وطاع له طوعا من باب قال.

.84

*قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ «84» *

«وَالْأَسْبَاطِ» أولاد يعقوب لصُلْبه أو أولاد أولاده

[آيه 136 البقره]

.85

*وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ «85» *

«وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ» من يطلب بعد مبعثه صل الله عليه وسلم دينا غير دين الإسلام، وشريعة غير شريعته، فلن يرضى الله منه ذلك؛ لأن الإسلام الذي جاء به هو الدِّين المرضيُّ عند لله تعالى؛ قال تعالى: «وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» «المائدة 3». وقيل: الاسلام التوحيد، وهو الذي أجمعت عليه الشرائع الالهيَّة؛ لما فيه من إسلام الوجه لله تعالى.

.86

*كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ «86» *

.87

*أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ «87» *

.88

* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ «88» *

«يُنْظَرُونَ» يؤخرون عن

العذاب لحظة.

.89

* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «89» *

.90

*إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ «90» *

«ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا» ضمُّوا إلى كفرهم ما به ازدادوا فيه. وذلك كالإصرار عليه، وكطعن أهل الكتاب في الرسول صلى الله عليه وسلم، ونقضهم ميثاقه، و فتنتهم للمؤمنين، وطعنهم في القران. «لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ» أي لن يُتوقع منهم توبةٌ حتى تقبل؛ لأنهم غير أهلٍ لأن يوفَّقوا لها. فهو من قبيل: – ولا ترى الضَّبَّ بها يَنْجحِر.

.91

*إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ «91» *

.92

*لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ «92» *

«لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ» ه لن تبلغوا حقيقة البِرّ. او لن تنالوا ثوابه حتى يكون ما تبذلونه في سبيل الله مما تحبُّونه وتؤثرونه من الأموال وغيرها. والنَيْلُ: الإصابة. يقال: نال ينالُ نيلاً، إذا أصاب ووجد، والبرُّ: الاحسان وكمالُ الخير. وأصلُه التوسُّعُ في فعل الخير. يقال: بَرَّ العبد ربه، أي توسع في طاعته. والإنفاقُ: البَذلُ؛ ومنه إنفاق المال. وعن الحسن: كلُّ شيء أنفقه المسلم من ماله بيتغي به وجه الله تعالى ويطلب ثوابه حتى التمرة يدخل في هذه الآية.

.93

*كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «93» *

«كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا» قالت اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تزعم أنك على مِلة إبراهيم وانت تاكل لحوم الإبل وتشرب البانها، وهي محرمة في مِلَّته؟ فقال لهم: كان ذلك حلالاً لإبراهيم. فقالوا: كلُّ شيء تحرِّمه فإنه كان محرّماً في مِلة نوحٍ و ابراهيم حتي انتهى إلينا؛ فأنزل الله الآية مكذباً لهم. والمعنى: كلُّ الطعام كان حلا لبني اسرائيل من قبل أن تُنَّزل التوراة مشتملة على تحريم ما حُرِّم عليهم بسبب بغيهم وظلمهم، إلا ما حرمه إسرائيل—وهو يعقوب عليه السلام—على نفسه وعلى بنيه. باجتهاد منه؛ و هو: لحوم الإبل وألبانها، وكانت أحبَّ شئ إليه، فحرّمت عليهم في التوراة، ولم تكن محرمة من قبل في مِلة إبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب، عليهم السلام. «فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فلم يجسُروا علي الاتيان بها فَبُهتوا.

.94

*فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ «94» *

.95

*قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «95» *

«فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» وهي ملة الاسلام التي انا عليها؛

حتى تتخلّصوا من اليهودية التى اضطرتكم إلى الكذب على الله بتحريف آياته، والتشديد على أنفسكم بتحريم الطيبات.

«حنيفا» اي مائلاً عن سائر الأديان الباطلة إلى الدين الحق [آية 135 البقرة].

.96

*إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ «96» *

«إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ... » قالت اليهود للمسلمين: بيتُ المقدس قبلتُنا، وهو أفضل من الكعبة وأقدم، وهو مُهاجَر الانبياء. وقال المسلمون: بل الكعبةُ أفضل، فأنزل الله الآية. اي ان اوَّل بيت وضعه الله متعبَّدا للناس وقبلة

للصلاة، وموضعاً للحج والطواف، سواء العاكف فيه والباد، لهو الكعبة التى بناها إبراهيم عليه السلام بمكة، وأنتم تزعمون أنكم على دينه ومنْهَجه، فكيف لا تصلُّون إليها، ولا تنسُكون فيها، مؤمنين بشريعته! «ببَكَّة» لغة في مكة، والميم والباء يتعاقبان لغة كمافي لازم ولازب. «مُباركاً» كثير الخير والنفع لمن حجه أو اعتمره، أو اعتكف فيه أو طاف حوله؛ لمضاعفة ثواب العبادة فيه. من البَركة، وهي النماء والزيادة.

.97

* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ «97» *

«فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ» على حُرْمته و مزيد فضله؛ منها: أن الآمر ببنائه الربُّ الجليل، وبانيه إبراهيم الخليل، وهو مهبط الخيرات ومصعَد الطاعات. ومنها: الحجرُ الأسود، والحطيمُ وزمزم، والمشاعر كلها، و مقامُ ابراهيم وهو الحجر الذي قام عليه اثناء البناء. ومنها: إهلاكُ من قصده من الجبابرة بسوءٍ؛ كأصحاب الفيل وغيرهم. وعدمُ تعرّض ضواري السباع للصيود فيه. ومنها: أمْنُ من دخله. «مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ» وقد كان ملتصقا بجدار البيت، حتى أخَّره عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خلافته إلى ناحية المشرق حيث هو الآن؛ ليتمكن الطائفون من الطواف، وليصلى المصلون عنده دون تشويش عليهم من الطائفين. «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» الضمير المنصوب عائد إلى البيت بمعنى الحَرَمَ كله: بقرينة أن بعض هذه الآيات موجودٌ في كل الحَرَم لا في خصوص البيت. فهو من باب الاستخدام، و هو ذكر اللفظ بمعنَى وإعادة الضمير إليه بمعنَى آخر. والمرادُ أمْنُ من دخله في الدنيا وفي الآخرة. «وَمَنْ كَفَرَ» أي جحدَ فرضية ألحج فلم يرَ فِعلَه بِرا ولا تركَه ماثماً.

.98

*قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ «98» *

.99

*قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ «99» *

«تَبْغُونَهَا عِوَجًا» تطلبون لسبيل الله – و هي ملة الإسلام– إعوجاجاً وميلا عن القصد والاستقامة. أو تطلبونها معوجّة أى مائلة زائغة عن الحق، والمرادُ طلب ذلك لأهلها، وذلك بالتحريش والإغراء بينهم؛ لتختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم. من البُغاء –بالضم–وهو الطلب؛ يقال: بغيتُ له كذا وبغيةٌ، أبغيه بُغاءً وبُغي و بُغيَة وبغيةٌ، إذا طلبته. وأعوج–بكسرالعين وفتحها–:مصدرُ عَوِج، كتَعِب. قال ابن

الأثير: إن مكسور العين مختص بما ليس بمرئيّ؛ كالرأي والقول. والمفتوح مختصٌ بما هو مرئيٌّ؛ كالاجساد. و عن ابن السكيت: أن المكسور أعمُّ من
المفتوح. واختار المَرزوقيُّ أنه لا
فرق بينها.

.100

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ «100» *

«إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا» أي من اليهود في إثارة الإحن التي كانت بينكم في الجاهلية وتهييج ألأفتن، كراهةً لما أنتم عليه بعد الاسلام من التآخي والتراحُم يصيِّروكم بعد ايمانكم كافرين؛ فاحذروهم أشدّ الحذر.

.101

*وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «101» *

«يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ» يمتنع بالله ويستمسك بدينه او كتابه؛ من الاعتصام وهو الاستمساك بالشيء في منع النفس من الوقوع في آفة. ويقال: اعتصم بالله،

أى أمتنع بلطفه من المعصية.

.102

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «102» *

«اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ» أي اتقاءً حقاً. أي ثابتاً واجباً، من حق الشيءُ بمعنى ثبت ووجب. وذلك بأداء ما كلفتم به على قدر الطاقة، كما قال تعالى بياناً لذلك: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» «التغابن 16» والتقاة: اسم مصدرٍ من اتَّقى، كالتُّؤدة من اتأد.

.103

* وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ «103» *

«بِحَبْلِ اللَّهِ» اي بعهد الله، او بدينه، او بالقرآن، لأنه سبب يوصِّل إليه. وأصل الحبل: السبب الذي يتوصُل به الى ألبُغْية. «وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا ... » على طرف «حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ» ليس بينكم وبينها إلا أن: نموتوا كفاڑراً والشَّفا طرفُ الشئ وحَرْفُه: مثل شفا البئر. «فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا» بمحمد – صلى الله عليه وسلم –.

.104

* وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ «104» *

«أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ» الامة: الجماعة الي تؤم وتُقصد لامر ما. وتُطلق في القرآن أيضاً على أتباع الأنبياء، وعلى القُدْوة، وعلى المِلة، وعلى الطائفة من الزمان، إلى غير ذلك من معانيها. والمراذ بالخير: ما فيه صلاحٌ للناس، دينيٌ او دنيويٌ. و بالمعروف: ما عرف بالعقل والشرع حُسنُه أو ما وافق الكتاب والسُّنة. وبالمنكر: ضدُّ ذلك.

.105

*وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ «105» *

«كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا» هم اليهود والنصاري وفيه زجرٌ

للمؤمنين عن التَّفرق والاختلاف للهوى.

.106

* يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ «106» *

.107

* وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «107» *

.108

*تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ «108» *

.109

*وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ «109» *

.110

*كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ «110» *

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» أفاد ان هذه الامة خيرُ الأمم وأنفعُ الناس للناس لاتصافها بما وصفها الله به في هذه الايه.

.111

*لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ «111» *

«إِلَّا أَذًى» أي لن يضركم اليهود إلا ضرراً يسيراً لا يبالى به؛ كالسب والطّعن والتهديد ونحوه؛ فلا تبالوا بهم.

«يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ» ينهزموا ويُخذلوا.

.112

* ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ «112» *

«ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ..... » [راجع آيه 61 البقره]،و «ثُقِفُوا» أي وُجدوا، أو ظفر بهم. «إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ» أي لايَسلمون من الذلة في أي حال إلا في حال اعتصامهم بحبل من الله وهو دينه او كتابُه، «وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ» وهو عهد الذمة والأمان. والواو بمعنى أو. «بَاءُوا بِغَضَبٍ» رجعوا به مستحقين له. «الْمَسْكَنَةُ» فقر النفس وشحها.

.113

*لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ «113» *

«لَيْسُوا سَوَاءً» تمهيدٌ لتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام واضرابه والنجاشِي وأصحابه. أي ليس أهل الكتاب متساوين في الاتصاف بما ذُكر من القبائح؛ بل منهم طائفةٌ سلمت منها، واتصفت بالخير،

وقد وصفها الله هنا بثمانية أوصاف. «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ» مستقيمةٌ ثابتةٌ على طاعة الله؛ من قام بمعنى استقام. تقول أقمت العودَ

فقام؛ أي استقام واعتدل. «آنَاءَ اللَّيْلِ» أي ساعاته. جمع إنى وأنى وأنيٍ وإنيٍ وإنوٍ. فالهمزة في «آنَاءَ» منقلبة عن ياء؛ كرداء. أو عن واو ككساء.

.114

*يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ «114» *

.115

* وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ «115» *

.116

*إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «116» *

«لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ» لن تدفع عنهم أو تجزى عنهم.

.117

* مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ «117» *

«مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ» اي حال ما ينفقه الكفار في الدنيا قربةً أو مُفاخرةً وسُمعةً في ضياعه وذهابه وقت الحاجة إليه في الآخرة، من غير أن يعود عليهم–كحال زرع لقوم ظالمين، أصابته ريحٌ مُهلِكةٌ فاستأصلته؛ ولم ينتفع أصحابه منه بشيء وهو من التشبيه المركَّب. «فِيهَا صِرٌّ» بكسرِ أوله: بردٌ شديد. أو سَمومٌ حارةٌ مهلِكةٌ. «حَرْثَ قَوْمٍ» زرعهم.

.118

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ «118» *

«لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً» أي لاتتخذوا أولياءَ وأصفياءَ لكم من غير إخوانكم المؤمنين: كاليهود والمنافقين، تُصافونهم وتُطلعونهم على اسراركم؛ لانهم لايألون جَهداً في افساد أمركم، ويودّون مضرتكم ومشقّتَكم في دنياكم ودينكم. وآية ذلك ظهورعداوتهم لكم، وما يخفونه منها أشدّ وأفضع. إنهم يكرهونكم وأنتم تحبونهم، والحال أنكم تؤمنون بكتابهم وهم يكفرون بكتابكم. وينافقونكم بإظهار الإيمان إذا لقُوكم؛ فإذا خلوْا إلى أنفسهم عضُّوا عليكم الأنامل من الغيظ والحَنَق، وإن نلتم حسنةً أساءتهم، وان

أصابتكم سيئةٌ أفرحتهم فكيف تنخدعون بهم، وتتخذونهم بطانة لكم!؟ وبطانةُ الرجل وَ وَليجتُه: خاصته الذين

يستبطنون أمره ويداخلونه؛ تشبيهاً ببطانة الثوب للوجه الذي يلي البدن لقُربه؛ و هي ضدُّ: الظهارة. و يُسمَّى بها الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث. «لا يألونكم خبالاً» أصل الأَلوِ: التقصيرُ، يقال: ألا في الأمر يألُو أَلوًا وأُلوًّا، إذا قصر فيه. وهو لازم يتعدى بالحرف، ويستعمل متعدياً إلى مفعولين؛ فيقال: لا آلوك نُصحاً، على تضمين الفعل معنى المنع، أي لاأمنعك ذلك: والخَبالُ الشرُ والفساد، أي: لا يقصرون لكم عن جُهد فيما يورثكم شراً و فساداً. او لايمنعونكم خبالا، أي أنهم يفعلون معكم ما يقدرون
عليه من الفساد ولا يُبقون شيئًا منه عندهم. «ودوا ما عنتم»

أحَبُّوا عنتكم، اي مشقتكم وشدة ضرركم من العَنَت، وهو الوقوع في أمر شاق، أو ألاثم. وفعله من باب طرِب «ما» مصدرية.

.119

* هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ «119» *

«خَلَوْا» خلا بعضهم ببعض، حيث لا يراهم المؤمنون [اية 14 البقرة ص 7]. «عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ» أي لاجلكم والعضُّ معروفٌ مصدرُ عضّ، من باب فَرِح. والانامِلُ رءوسُ، الاصابع جمع أنملة. والغيظُ: أشدُّ الغضب. وعضُّهم الأناملَ: كنايةٌ عن شدة غضبهم وتحسرهم: لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم، وعجزهم عن ان يجدوا سبيلا إلى التّشفِّي منهم.

.120

*إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ «120» *

.121

*وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ «121» *

«وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ» واذكر لهم وقت خروجك غُدْوَةً إلى غزوة أُحُد من حُجرة عائشة؛ ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر، فيعلموا انهم إذا لزموا الصبر والتقوى لا يضرّهم كيدُ اعدائهم. «تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ» تنزلهم و تُهيِّيء لهم مواطن واماكنَ للقتال. يقال: بوّأته وبوأت له منزلاً أنزلتُه فيه. «مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ» مواطن و مواقف له يوم احد.

.122

*إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ «122» *

«إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ» هما حيّان من ألأنصار: بنو سَلَمهمن الخَزرَج، وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر. والفَشَلُ: الجبنُ والخَور. يقالُ: يَفشَل فشلاً فهو فَشِل، أي جبانٌ ضعيف القلب. والظاهرُ أن ذلك

كان مجرد حديثِ نفس عند رؤية انْخذالِ رأس المنافقين: عبدالله بن أبي مع أصحابه عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

.123

*وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «123» *

«وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» أي ضعفاء لقلة العَدد والعُدد. فقابلوا هذه النعمة بامتثال أمر الله وطاعته وشكره على ما أنعم.

.124

*إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ «124» *

«إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ..... » أي في يوم بَدْر، وقد أمدَّ الله فيه المؤمنين بألف من الملائكة؛ كما قال تعالى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ «9» الانفال. ثم زاد عددهم إلى ثلاثة آلاف، كما قال

تعالى: «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» اي يكفيكم ذلك؟ ولذا قال تعالى:

.125

* بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ «125» *

«بَلَى» ثم صار خمسة الاف؛ لقوله تعالى: «إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» وقد صبروا واتقوا وأتاهم المشركون من مكة فوراً حين استنفرهم ابو سفيان لإنقاذ العِير. فكان المَدَدُ خمسة آلاف؛ كما روي عن قتادة. وقال الشعبي: إن المدد لم يزد على الالف، وقد بلغ المسلمين أنَّ كُرْزَ بن جابر المُحاربي يريد أن يمد المشركين، فشق ذلك عليهم فانزل الله «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ» إلى قوله «مُسَوِّمِينَ» فبلغ كُرْزاً الهزيمة فرجع ولم يمدهم؛ فلم يمدّ الله المسلمين بالخمسة الالاف أيضاً وأختار ابن جرير أنهم وُعدوا بالمدد بعد الالف، ولا دلالة في الآية على أنهم أمِدُّوا بما زاد عن ذلك، ولا على انهم لم يُمدُّوا به، ولا يثبت شيء من ذلك إلا بنص. «وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا» ويأتوكم – أي المشركون – من ساعتكم هذه. والفورُ: مصدر فارت القِدر، اي اشتد غليانها. ثم استعير للسرعة، ثم إطلق على الحالة التى لا بطء فيها. وقد تحقق من المشركين ذلك، حيث أتوا على عجل دون إبطاء لإنقاذ العير من المسلمين. «مُسَوِّمِينَ» معلِّمين أنفسهم أو خيلهم. بعلامات مخصوصة. وقريء بالفتح؛ اي معلَّمين من جهته تعالى بعلامات القتال؛ من التسويم وهو إظهار علامة الشيء.

.126

* وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ «126» *

.127

*لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ «127» *

«لِيَقْطَعَ طَرَفًا» اي ولقد نصركم الله يومَ بَدْر ليهلك طائفةً «مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بالقتل والاسر. أو يخزيهم

ويغيظهم بالهزيمة. أو يتوبَ عليهم إن أسلموا. أو يعذبهم العذاب الشديد في الاخرة إن ماتوا مصرّين على الكفر؛ وليس لك من أمرهم شيئ. إنما أنت عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم. فجملة «ليس لك من الامر شيء» اعتراضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه. وأصل ألكبت: الخزي والاذلال. «يَكْبِتَهُمْ» يخزيهم ويغمهم بالهزيمة.

.128

* لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ «128» *

.129

* وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ «129» *

.130

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «130» *

«لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا» نهيٌ عن تعاطي الربا، مع تقريعهم لما كانوا عليه من تضعيفالفائده الربوية. فقوله: «أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً» ليس لتقييد النَّهى به، بل هو بيان لما كانوا عليه في الجاهلية من التعامل الفاسد المؤدّي إلى استئصال المال. وقد حرّم الله أصل الربا و مضاعفتَه.

.131

*وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ «131» *

.132

*وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ «132» *

.133

*وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ «133» *

«عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» عرضها كعرضهما. والمراد أنها في غاية السعة والبَسْط، فشُبّهت بأوسع ما يتصوره الإنسان. وخُصَّ العرضُ بالذكر للمبالغة في ذلك؛ لأنه غالباً يكون أدنى من الطول. أي فإذا كان عرضها كذلك فما بالك بطولها؟

.134

*الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ «134» *

في اليُسر والعُسر. والمراد أنهم يتركون الإنفاق في الخير في جميع الأحوال. «وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ» المُمْسكين عليه، الكافّين عن إمضائه مع القدرة عليه؛ من الكَظْم، وهو الحبس. يقال: كَظَم البعيرُ جرَّته اذا ردَّها و كفَّ عن الاجترار. وكَظَم القِربة: ملأها وشدّ على رأسها مانعاً من خروج ما فيها. والغَيْظُ: توقّدُ حرارة القلب من الغضب.

.135

*وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا

عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ «135» *
«فَاحِشَةً» فعلة بالغة في القُبح كالزنا؛ من الفُحْش، وهو مجاوزة الحد في السُّوء. «أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بارتكاب أي ذنب. وعطفُه على ماقبلَه من عطف العام على الخاص.
.136
*أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ «136» *
.137
*قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ «137» *
«سُنَنٌ» وقائع في الامم المكذبة، أجراها الله حسب عادته؛ وهي الإهلاك عند التمرُّد والعصيان.
.138
* هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ «138» *
.139
*وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «139» *
«وَلَا تَهِنُوا» تحريضٌ على الجهاد الصَّبر، وتشجيعٌ للمؤمنين وتسليةٌ لهم عما أصابهم يوم أُحُد. أي لا تضعفوا بالذي نالكم من عدوِّ كم يومَ أحد عن القتال في سبيل الله، ولا تحزنوا على من قُتِل منكم ولا على ما فاتكم من الغنيمة. والوهْن –بالسكون والتحريك–الضَّعف.
.140
* إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ «140» *
«القَرْحُ» –بفتح القاف وضمها–:عضُّ السلاح ونحوه مما يجرح الجسد؛ فيشمل القتل

والجراح. او هو الجراح: اي ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يومَ بَدْر، ثم لم يثبِّطهم ذلك عن العودة إلى قتالكم؛ فأنتم أولى الا تضعُفوا إذ أنكم ترجون من الله مالا يرجُون. «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» نصرِّفها بينهم فنُديل لهؤلاء مرة ولهؤلاء اخرى: أُديل المسلمون من المشركين يومَ بدر فقتلوا منهم سبعين واسَرُوا سبعين، وأُديل المشركون من المسلمين يوم احُدٍ حتى جرحوا سبعين وقتلوا خمسة وسبعين؛ من المداولة، وهي نقل الشيء من واحد إلى آخر. يقال: تداولَته الايدي إذا انتقل من واحد إلى آخر. ومنه قولهم: الدّولة–بالضم–للكرة. والأيام دُول: يومٌ لهؤلاء ويومٌ لهؤلاء. «وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» أي نداولها بينكم و بين عدوِّ كم؛ ليظهر امركم، وليعاملكم الله معاملةَ من يريد أن يعلم ألمخلصين من غيرهم. أي يميز الثابتين على الإيمان من غيرهم وإطلاق العلم على التمييز مجاز، من اطلاق اسم السبب على المبسبب.
.141
*وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ «141» *

«وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» وليطهّرهم ويصفّيهم من الذنوب؛ من المَمحص، أو التمحيص. يقال: مَحصْت الذهب بالنار ومحَّصته، إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبَث. أو من التمحيص بمعنى الابتلاء والاختبار. «وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ» يهلكههم إن كانت الدُّولةُ عليهم؛ من المَحْق، وهو محْوُ الشيء والذهاب به. وأصلُه: نقص الشيء قليلاً حتى يفنى. يقال: مَحَق فلان هذا الطعام، إذا نقصه حتى أفناه محقاً.

.142

* أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ «142» *

«أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا» عتاب للمنهزمين يوم أحُد؛ اي بل أظننتم أن تدخلوا الجنة وتنالوا درجة القرب والرضا، ولمّا تجاهدوا في سبيل الله جهاد الصابرين على مُرّه وشدائده! ولقد كنتم قبل هذا اليوم تتمنَّونَ ان تنالوا مرتبة الشهادة؛ لتلحقوا بمن استُشهد من إخوانكم ببدر، وتُلحون اجل ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى القتال؛ فلا حَمى و طيسه ورأيتم باعينكم ما تمنيتم حين استُشهد بعض إخوانكم لم تلبثوا أن انهزمتم، ولم تثبتوا لأعدائكم! «وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ» أي ولم تجاهدوا جهاد الصابرين فيعلم الله ذلك منكم. وهو مثل ما يقال: ما علِمَ اللهُ في فلان خَيراً؛ ويراد: ما فيه خيرٌ حتى يعلمه. فهو كنايةٌ عن نفي تحقق هذا الجهاد منهم في الماضي مع توقعه في المستقبل.

.143

*وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ «143» *

.144

* وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ «144» *

«انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» رجعتم الى ماكنتم عليه من الكفر والضلال. يقال لكل من رجع الى حاله السيء الاول: نكَصَ على عقبيه، وارتد على عقبيه. والعَقبُ: مؤَخر الرِّجل، وجمعه أعقاب.

.145

*وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ «145» *

«وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ ... » تحرضٌ على الجهاد، وإعلامٌ بأنَّ الحَذر لايدفع القدر، وأن أحداً لن يموتَ قبلَ أجله، وان خاض المهالك واقتحم المعارك؛ فقد كتب الله ذلك كتاباً مؤقتاً، قدّر فيه الأجل المعلوم، فلا يتقدم يتأخر. «كِتَابًا مُؤَجَّلًا» مؤقتاً بوقت معلوم.

.146

*وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ «146» *

«وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ ... » كلامٌ مستانَف، سيق توبيخاً للمنهزمين، حيث لم يستنُّوا بسنن الربانيّين المجاهدين مع ألرسل. مع أنهم أولى بذلك حيث كانوا خير أمةٍ أخرجت للناس. «وَكَأَيِّنْ» كلمةٌ مركبةٌ من كاف التشبيه واي الاستفهامية المُنوَّنة، ثم هُجر معنى جزئيهما وصارت كلمة واحدة بمعنى كم الخبرية المفيدة للتكثير، يكنى بها عن عدد مُبْهم فتفتقر إلى تمييز بعدها. وهي مبتدأ خبره جملة «قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ» أي و كثير من الانبياء قاتل معه لإعلاء كلمة

وإعزاز دينه علماءٌ أتقياءٌ. أو عابدون أو جماعات كثيرة؛ فما جَبُنُوا وما ضعفُوا عن الجهاد وما خضعوا للاعداء. و «رِبِّيُّونَ» جمع رِبِّي وهو العالم بربه، منسوب إلى الرب كالرَّباني؛ و كسرُ الراء من تغييرات النسب. أو منسوبٌ إلى الرِّبة وهي الجماعة. «فَمَا وَهَنُوا .. » أي فما جَبُنُوا عن الجهاد وأصل الوهن: الضَّعف. أريد به ما ذُكر بقرينة عطف قوله: «وما ضعفوا» عليه. «وَمَا اسْتَكَانُوا» أي ما خضعوا؛ من الاستكانه وأصلها من السكون؛ لأن

الخاضع يسكن لن خضع له. او ماذلوا: من الكَوْن. يقال: أكانه يُكِينُه إذا ذله

.147

*وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ «147» *

.148

*فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ «148»
*

.149

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ «149» *

.150

*بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ «150» *

«اللَّهُ مَوْلَاكُمْ» الله ناصركم لا غيره.

.151

*سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ «151» *

«سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ... » اي

الخوف والفزع. يقال: رَعَبه يرْعَبُه، خوَّفه. وأصلُه من الملء؛ يقال: سَيْلٌ راعبٌ، إذا ملأ الاودية. ورعَبت الحوض: ملأته. أي سنملأ قلوب ألمشركين خوفاً وفزعاً. «مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا» اي أشركوا به آلهة لم ينزِّل الله بها حجَّةً. والمراد: أنه لا حُجَّة لهم حتى ينزلها. و سُمِّيت الحجَّةُ سلطاناً لقوّتها ونفوذها. وأصلُ المادّة يدل

لغةً على الشدة والقوة؛ ومنها السَّلِيط للشديد، واللسان الطويل. والتَّسليطُ: التغليبُ. واطلاق ألقهر والقدرة.
«مَثْوَى الظَّالِمِينَ»
مكانُ إقامتهم واستقرارهم. يقال: ثوي بالمكانِ و فيه يَثوِي ثواءً وثُوِيّاً، و اثوى به، أطال الاقامه به أو نزل.
.152
* وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ «152» *
«إِذْ تَحُسُّونَهُمْ» تقتلونهم قتلاً ذريعاً يقالحسَّه حساً، إذا قتله. وحقيقتُه: أصاب حاسَتَه بآفه فأبطلها؛ نحو كَبَده وفأَده أي أصاب كبده وفؤاده. ومنه جرادٌ محسوس؛ و هو الذي قتله البرد، أو مَسَّته النار. «حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ» جبُنتم وضعُفتم امامَ عدوِّكم «وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ» أمرَ نبيكم منعكم الله النصر؛ فجواب الشرط محذوف. «ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ» ردكم عنهم بهزيمتكم. «لِيَبْتَلِيَكُمْ» ليعاملكم معاملة من يَمْتحنُ غَيَره، ليتميز الصابر المخلص من غيره.
.153
* إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ «153» *
«إِذْ تُصْعِدُونَ» متعلق بـ «صَرَفكم» أي تذهبونَ في الوادي وتمضون فيه هرباً من عدوكم؛ من الإصعاد، وهو الذهاب في صعيد الارض والإبعادُ فيه. يقال: أصعد في الأرض، إذا أبعد في الذهاب وأمعن فيه؛ فهو مُصْعِد.
«وَلَا تَلْوُونَ» لا تعرّجون على أحد منكم ولا تلتفتون الى ما وراءكم من شدّة الهرب؛ من لَوَى بمعنى عطف.
«غَمًّا بِغَمٍّ» اي حزنا متصلا بحزن.
.154
*ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ «154» *
«أَمَنَةً نُعَاسًا» ألأَمَنَةُ–بفتحتين–:الأمنُ. والنعاسُ: ألفتورُ في أوائل النوم. أي ثم أعقبكم بما أصابكم من الخوف والرُّعب أمنا تنامون معه أيها المؤمنون وأنتم في مصافكم. أما المنافقون فلم يُلق وبَقوا في خوفهم فزعين. و ««نُعَاسًا»» بدل من ««أَمَنَةً»». «يَغْشَى» يلامس كالغشاء. «لَبَرَزَ» لخرج. «إِلَى مَضَاجِعِهِمْ» مصارعهم التي قدر الله قتلهم فيها بأحُد؛ وقتلوا هنالك ألبتَّة. فان قضاء

الله لا مردّ له، ولا ينفع الحذرُ القَدَر. جمعُ مَضْجع وهو مكان الاضطجاع. «وَلِيَبْتَلِيَ» ليختبر وليمتحن وهو العليم الخبير. «وَلِيُمَحِّصَ» ليخلص ويزيل او ليكشف و يميز.

.155

*إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ «155» *

«اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ» طلب زلتهم وخطيئَتهم. أو حملهم عليها بوسوسته لهم: أن يخالفوا أمر الرسولِ صلى الله عليه وسلم لهم بالثبات في مواقفهم التي عينها لهم؛ فأطاعوه فحُرِموا التأييد و تقويةَ القلوب حتي تولوْا.

.156

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ «156» *

«ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ» سافروا فيها لتجارة أو غيرها فماتوا. وأصلُ الضرب: إيقاعُ شيء على شيء، ثم استعملَ في السير؛ لما فيه من ضرب الارض بالارجل، ثم صار حقيقة فيه. «أَوْ كَانُوا غُزًّى» أي غزاةً فقتلوا. جمع غاز؛ كصائم وصُوّم. والغزْوُ: الخروجُ لمحاربة العدوّ. وأصله قصدُ ألشيء؛ ومنه المَغْزى. أي المقصِد.

.157

*وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ «157» *

.158

*وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ «158» *

.159

*فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ «159» *

«فَبِمَا رَحْمَةٍ» فبرحمةٍ عظيمة. «لِنْتَ لَهُمْ» سهلت لهم لهم أخلاقك ولم تعنفهم. «فَظًّا» كَريه الخَلق، خشن الجانب نجافياً في المعاشرة قولاً وفعلاً. وفعْلُه من باب تعب. وأصلُ الفظّ: ماءِ الكَرش وهو مكروه طبعا. «غَلِيظَ الْقَلْبِ» قاسيه؛ من الغِلظة ضد الرقة، وتنشأ عنها الفظاظة. وفعلُه كَكَرُم وضرب.

«لَانْفَضُّوا» لتفرقوا ونفروا. «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» اي في امر الحرب و نحوه مما تجري فيه المشاورة عادة وفي أمر الدين ين الذي لم ينزل فيه وحي؛ للاستظهار بأرائهم، ولتطيب قلوبهم، ولتستنَّ بك أُمّتُك في ذلك. رُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أما إن الله ورسوله لغَنِيّان عنها ولكن جعلها الله تعالى رحمة لامتي فمن استشار منهم لم يَعدَم رشدا و من تركها لم يعدم غيًّا» أخرجه البيهقي وابن عدي. و قد درج الأئمة الراشدون من بعده – صلى الله عليه وسلم – على هذه السُّنة التي هي من أهم عزائم الأحكام في الاسلام. وإنما كانوا يستشيرون الأمناء الصلحاء من ں أهل العلم والدين، والبصر بالأمور، والصدق والأمانة، والشجاعة في الحق،

والمشورةُ والمشاورةُ: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعضَ. ماخوذة من قولهم: شُرتُ الدابة، إذا علمت خبرها يجرى أو غيره. أو من قولهم:. شرتُ العسل واشترتُه، إذا أخذته من الخليَّة. «فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» أى فإذا عقدت قلبَك على الأمر بعدالمشورة فاعتمد على الله في إمضائه وفوض أمرك إليه؛ فإنَّ بيده مقاليد الأمور كلها، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. والتوكل: الاعتماد على الله والتفويض إليه. وهو لا ينافي الأخذ بالأسباب؛ ومنها الشُّورى،كما تشير إليه الايةُ، وحديث «اعقلها وتوكل» رواه الترمذي. والله خلق الاسباب والمسببات، وربط بينهما ربطاً عادياً، وجعلها في سُنَّتِه الكونية؛ فَتَرَكُ الاخذُ بها جهلٌ، وترك التوكل عليه زندقه.

.160

*إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ «160» *

«فَلَا غَالِبَ لَكُمْ» فلا قاهر ولا خاذل لكم.

.161

*وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ «161» *

«أَنْ يَغُلَّ» يخون في الغنائم؛ من الغُلول. وهو الاخذُ من الغنيمة خفْيةً قبل قسمتها. يقال: غلّ شيئا من المغنم يغُل غلولاً، أخذه خفية. وأصله من الغَلَل، وهو دخول الماء في خلل الشجر. وسُمِّيت هذه الخيانةُ غُلولاً؛ لأنها تجري في المال على خفاء من وجه لا يحل. والمرادُ: تنزيهه صلى الله
عليه وسلم عما اتهمه به بعض المنافقين يوم بَدْر، أو المرادُ نهيُ أمته صلى الله عليه وسلم عن الغلول.

.162

* أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ «162» *

«بَاءَ بِسَخَطٍ» رجع متلبساً بغضب شديد.

.163

*هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ «163» *

.164

*لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ «164» *

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» أي من قومه، أو من العرب مطلقاً. «وَيُزَكِّيهِمْ» يطهرهم من الكفر و الذنوب. او يدعوهم الى ما يكونون به زاكاين طاهرين مما كانوا عليه من دنس الجاهلية، والاعتقادات الفاسدة.

.165

* أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «165» *

«أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ» احين نالكم من المشركين يومَ أحُد نصف ما نالهم منكم قبل ذلك يوم بدر، رجعتم وقلتم: مِن اين لنا هذا القتل والخذلان ونحن مسلمون نقاتل غضباً لله وفينا رسوله وهؤلاء مشركون!؟ «أَنَّى هَذَا» من أين لنا هذا الخذلان؟ «قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» أي الذي نالكم إنما هو من شؤم مخالفتكم أمرَ الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

.166

*وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ «166» *

.167

*وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ «167» *

.168

*الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «168» *

«فَادْرَءُوا» فادفعوا «عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في انَّ الحَذَر يدفع القَدَر.

.169

*وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ «169» *

«بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» [آيه 154 البقرة]

.170

*فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «170» *

.171

* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ «171» *

.172

* الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ «172» *

«أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ» نالهم القتل والجراح بالسلاح يوم أحُد [آيه 140 من هذه السورة]

.173

* الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ «173» *

.174

*فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ «**174**» *

.**175**

* إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «**175**» *

«يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ» أي يخوفكم أولياءه؛ بأن يعظمهم في قلوبكم. وهم أبو سفيان وأصحابه.

.**176**

* وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ «**176**» *

.**177**

*إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ «**177**» *

.**178**

*وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ «**178**» *

«وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» ولا يظنن الذين كفروا أن إمهالنا لهم بإطالة اعمارهم –مع ما هم فيه من التمتع بطيبات الدنيا وزينتها، وعلى ما هم عليه من الكفر و الطغيان – خير لأنفسهم؛ إنما نمهلهم لازدياد ذنوبهم وآثامهم بتعزُّزهم وتجبُّرهم. والإملاء في الأصل: إطالةُ المدّة، يقال: أملى عليه. الزمان، طال عليه. وأملَى عليه الزمانُ، طال عليه. وأملى له: طوَّل له وأمهله.

.**179**

*مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ «**179**» *

«مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ» ما كان الله مريدا لان يَذَر كم، على ما أنتم عليه أيها المؤمنون من اختلاط المؤمن بالمنافق، حتى يميّز المنافق منكم من المخلص؛ بالامتحان والابتلاء، وقد وقع ذلك في يوم أُحُد. يقال: مِزْت: الشيء أميزه ميزا، فصلت بعضه عن بعض. ومَّيزته: فرقت بين جزئيه. «يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ» فيطلعه على بعض غَيْبه، ومن ذلك نفاق المنافقين وإخلاص المؤمنين. كما قال تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا «**26**» إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ... » [الجن]. من الاجتباء بمعنى الاختيار. و اجتباءُ الله العبدَ: تخصيصهُ ايّاه بفيض الهي، يحصل له منه أنواعٌ من النّعم بلا كسب منه.

.**180**

*وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ «**180**» *

«سَيُطَوَّقُونَ» سيُجعل ما باخلوا به من المال الواجب عليهم أداؤه طوقاً من نار في

أعناقهم يوم القيامة. أو سيُلزمون وبالَ ما بخلوا به إلزامَ الطَّوق.

.181

*لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ «181» *

.182

*ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ «182» *

«لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» أي ليس بذي ظُلم لهم اصلا حتى يعذبهم بدون جُرم؛ بل هو عادل ,ومن العدل أن يُثيب ويعذب العاصي. وصيغةُ «ظلاّم» صيغة نَسَبٍ؛ كعطار ولبّان.

.183

*الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «183» *

«عَهِدَ إِلَيْنَا» أمرنا وأوصانا في التوراة. «بِقُرْبَانٍ» ما يُتقرّب به الى الله من أنواع البِر. مصدرٌكالغُفران والرّجحان؛ من قولك: قربت قُرباناً؛ وسمِّيَ به المتقرَّب به الى الله تعالى من نَعَمٍ وغيرها.

.184

*فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ «184» *

«وَالزُّبُرِ» أي الكتب. جمع زبور, وهو الكتاب المقصور على الحِكَم والمواعظ؛ كزَبور داؤد عليه السلام. من الزَّبر وهو الزجر؛ لزجره عن الباطل. وأما الكتاب فهو ما تضمن الأحكامَ والحكم.

.185

*كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ «185» *

«زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ»

بَعُدَ ونُحِّيَ عنها. «الْغُرُورِ» الخداع أو الباطل الفاني.

.186

* لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ «186» *

«لَتُبْلَوُنَّ» واللهِ لَتُختبَرُنَّ وتُمْتَحنُنَّ في أموالكم وأنفسكم حتى يتبيّن الجازعُ من الصابر, والمخلصُ من المنافق؛ من الابتلاء وهو الاختبار والامتحان. والمرادُ: أنه تعالى يعاملهم بهذه المحن معاملةَ من يختبر غيره ليتميّز الصادق من الكاذب. وقد أخبرهم الله بذلك ليوطّنوا أنفسهم على احتماله عند وقوعه, ويتستعِدُّوا للقائه, ويقابلوه بحسن الصبر والثبات.

.187

*وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ «187» *

«فَنَبَذُوهُ» أي طرحوه ولم يراعوه.

.188

*لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ «188» *

بمنجاة من العذاب. مصدرٌ بمعنى الفوز. تقول: فاز يفوز إذا نجا.

.189

*وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «189» *

.190

*إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ «190» *

«الْأَلْبَابِ» العقول الخالصة عن شوائب الحس والوَهم, خلوص اللبّ عن القشر، جمعُ لُب بوزن قُفل.

.191

*الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ «191» *

«بَاطِلًا» عَبَثاً وهَزْلاً, عاريًا عن الحكمة. خالياً عن المصلحه؛ بل خلقته مشتملاً على حِكم جليلة، منتظماً لمصالح عظيمةٍ؛ يدور عليها أمر معاش العباد, ومعرفة احوال المبدأ والمعاد. «سُبْحَانَكَ» تنزيهاً لك عما لايليق بك من خَلْق الباطل! «فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» فاحفظنا من عذابها.

.192

* رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ «192» *

«أَخْزَيْتَهُ» فضحته أو أهنته أو أهلكته.

.193

*رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ «193» *

«مُنَادِيًا» الرسول أو القران. «ذُنُوبَنَا» أي الكبائر. «وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا» أزل عنا صغائر ذنوبنا. «وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ» أي في زُمرتهم, وعلى مثل أعماهم. والأبرارُ: الأنبياء والصالحون. جمع بَر؛ كربٍّ وأرباب. أو جمع بار؛ كصاحب وأصحاب. وهو الكثير الخير والاتساع في الاحسان.

.194

*رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ «194» *

.195

*فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ «195» *

.196

*لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ «196» *

«لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ» الخطاب للرسول – صلى الله عليه وسلم – والمراد أمته. أي لا يغرنّكم ضربهم في الارض, وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب المكاسب والأرباح. وما هم فيه من رَغد العيش.

.197

*مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ «197» *

«وَبِئْسَ الْمِهَادُ» ما مَهَّدُوا لانفسهم في جهنم بكفرهم. وأصل المهاد:

ألفراش الذي يوطأُ للصَبي ويمهَّد.

.198

*لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ «198» *

«نُزُلًا» أي حال كون الجنات ضيافةً وإكراماً من الله تعالى، أعدّها لهم كما يُعدّ القِرَى للضيف. وأصلُ النزل– بضمتين وبضم فسكون –: ما يُعدّ للضيف أول نزوله من الطعام والشراب والصّلة، ثم اتسع فيه فاطلق على الرزق والغذاء وإن لم يكن ضيف؛ وجمعه أنزال.

.199

*وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ «199» *

.200

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «200» *

«اصْبِرُوا» أي على المصائب فلا تجزعوا، وعلى الطاعات فلا تضجروا، وعن المعاصي فلا تشتهوا. «وَصَابِرُوا» غالبوا الأعداء في الصبر على شدائد الحرب , ولا تكونوا أضعف منهم فيكونوا أشدَّ منكم صبراً. «وَرَابِطُوا» أقيموا في الثغور، رابطين خيلكم فيه١٥، مترصِّدين للغزو, مستعدين له اكثرَ من أعدائكم. والمرادُ به: الحثُّ على مداومة الجهاد في سبيل الله؛ إذ هو سبيل الفلاح. والله أعلم

سورة النساء

.1

*يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا «1» *

«خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» هيَ آدم عليه السلام. وذلك من أظهر الادلة على كمال القدرة, وأقوى الدواعي الى اتقاء موجبات نقمته, والى مراعاة حقوق الأُخُوّة فيما بينكم. وخَلَق من آدم زوجَهُ حواء؛ كما قال تعالى «وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا» [الاعراف 189]. «وَبَثَّ مِنْهُمَا» أي نشر وفرق منهما بالتناسل. «وَالْأَرْحَامَ» واتَّقُوا الارحام ان تقطعوها فلا تصلوها بالبِر والإحسان. جمع رَحِم, وهي القرابة؛ مشتقَّة من الرَّحمة؛ لان القرابة من شأنهم ان يتراحموا، ويعطفَ بعضهم على بعض. «رَقِيبًا» حافظا يحصي كل شيء؛ من رَقَبه اذا حَفِظه. او مطَّلِعاً، و منه: المَرْقَب للمكان العالي الذي يُشْرِف منه الرقيب ليطلع على ما دونه. وإذ كان الله رقيباً وجب أن يخاف و يُتَّقى.

.2

*وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا «2» *

«وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ» مما يجب تقوى الله تعالى فيه: اليتامى والنساء والصغارُ. أي اتركوا أموال اليتامى التى في تصرُّفِكم سالمةً غيرَ متعرِّضين لها بسوء؛ حتى تؤدوها اِليهم حين بلوغهم الرشدَ كاملةً. «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ» لاتأكلوها مع أموالكم؛ أي لا تسوُّوا بينهما في الانتفاع؛ وهذا حلال وذاك حرام. والمرادُ: تحريم التصرُّف فيها بسائر التصرفات الضارة باليتامى. و خُصَ الأكلُ بالذِّكر لانه معظم ما يقع لأجله التصرُّف.

«حُوبًا كَبِيرًا» إثماً عظيماً. اسم مصدر من حاب يحوب حَوْبا، إذا اكتسب إثماً. ويطلق الحُوبُ على ألهلاك والبلاء.

.3

*وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا «3» *

«وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا» كانت اليتيمة في الجاهلية تكون في حِجر وليِّها، فيرغب في مالها و جمالها، ويريد التزوج بها دون أن يعدل في صداقها فنُهُوا أن ينكحوهن الا ان يعدلوا فيهن باكمال الصّداق رعايةً ليُتْمِهِنَّ.

وأُمِروا أن ينكحوا من غيرهن ما حل لهم، أو ما لا تحرج منه من النساء. والمعنى: وإن خفتم أيها الأولياء الجْورَ والظلم في نكاح اليتامى اللاتي في ولايتكم فانكحوا من غيرهن ما طابَ لكم من النساء. وقد علم الله تعالى أن مصلحة الرجال والنساء–بل مصلحة المسلمين–قد تستدعي تعدد الزوجات، بل قد توجبه في بعض الحالات.

وعَلم أن التعدُّد المطلق مَظِنةُ الجور والفساد؛ فأباح التعدد وحدد غايته بأربع بحيث لا يجوز الزيادة عليهن.

وقيد الإباحةَ بالعدل بينهن فيما يستطيع الإنسان العدلَ فيه بحسب طاقته البشرية؛ فإن عجز عنه لم يُبح له

التعدد. وقوله «مَثْنَى» أي اثنتين اثنتين، و «ثُلَاثَ» أي ثلاثاً ثلاثاً، و «رُبَاعَ» اي أربعاً اربعاً. وهو كما تقول للجماعة اقتسِمُوا هذا المالَ، وهو ألف درهم: درهمين درهمين
وثلاثة ثلاثة، واربعةً اربعةً؛ فيصيب كلَّ واحد ما أراد من العدد بعد قصره على أربعة، وعدم جواز الزيادة عليه. وقد
أمرَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم
غَيْلَان الثَّقفي حين أسلم واسلم نِسْوَتُه– وكنَّ عشرا – ان يختار
اربعاً منهن: ويفارقَ سائِرهن. «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا» أي فإن علمتم أنكم لا تعدلون بين الأكثر من الواحدة في القَسْم والنفقة وحقوق: الزوجية بحسب طاقتكم، كما علمتم في حق اليتامى أنكم لاتعدلون؛ فالزموا

زوجة واحدة، ومفهومه: إباحة الزيادة على الواحدة إذا أمن الجوْر فيما ذكر. «ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا» اي اختيارُ الواحدة والتسرِّي أقربُ من ألا تميلوا الميلَ المحظورَ المقابلَ للعدل. والعول في الأصل: الميل المحسوس. يقال: عال الميزانُ عولاً إذا مال. ثم نقل إلى الميل المعنوى وهو الجور؛ ومنه: عال الحاكمُ إذا جار. وقيل: «أَلَّا تَعُولُوا» أي لا تكثُر عيالكم. يقال: عال يعول، إذا كثر عياله.
.4
***وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا «4» ***
«وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً» أعطُوهنَّ مهورَهنَّ عطية عن طِيبة نَفس منكم؛ والخطاب للأزواج. والصّدُقات: جمع صدُقة – بفتح فضم، و هي كالصَّداق–، ما يُعطى للزوجة من المهر، ويُسَمّى أجرًا وفريضة. والنِّحلة في الأصل العطية على سبيل التبرُّع. ويقال: نحله كذا نِحْلَة ونُحلا، إذا اعطاه إياه عن طيب نفس بلا مقابلة عِوَض. «هَنِيئًا مَرِيئًا» اي اكلاً سائغا حميد المَغَّبة؛ والمراد أنه حلالٌ خالصٌ من الشوائِب. يقال: هَنيءَ الطعام وهَنُؤ هناءةً، و هَنَأني الطعام وَهَنأ لى يَهْنِئنى ويهنؤنى، صار هنيئاً أي سائغا. ومَرَأ الطعامُ– مثلثة الراء– مراءة فهو مَرِيءٌ، هنيءٌ حميدُ المَغبَة.
.5
***وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا «5» ***
«وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ» نُهِيَ الأولياء عن إيتاء السفهاء من اليتامى أموالَهم التي جعلها الله مناطَ تعيّشهم؛ خشية إساءة التصرُّف فيها لخفة احلامهم. وأضيفت الأموال إلى الأولياء للتنبيه إلى أن أموال اليتامي كانها عينُ أموالهم، مبالغة في حملهم على وجوب المحافظة عليهها. «قياماً» أي قوام معايشكم وصلاح أمور كم.
.6
***وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا «6» ***

«وَابْتَلُوا الْيَتَامَى» خطاب للأولياء. أي اختبروهم قبل البلوغ بتتبُّع أحوالهم في الاهتداء الى ضبط الأموال، وحسن التصرُّف فيها، وجرِّبوهم بما يليق بأحوالهم. وزاد بعض الأئمه: تعرُّف صلاحهم في دينهم. «آنَسْتُمْ» أي علمتم و تبينتم. «رُشْدًا» اي اهتداء لحسن التصرف في الأموال. «وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا» لا تأكلوها مُسرفين و مبادرين كِبرهم، بأن تفرِّطوا في إنفاقها وتقولوا: ننفِقُها كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا. والاسرافُ: التبذير؛ ضد القصد. والبدارُ: المبادرة والمسارعة إلى الشئ، و ««يَكْبر»» مضارع كَبِر، من باب تعب، يستعمل في السِّن. «وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا» أي مبادرين كبرهم و رشدهم. «فَلْيَسْتَعْفِفْ» أي فليكف عن أ كل أموالهم. «وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا» شهيدا عليكم في كل ما تعملونه. او محاسبا لكم؛ فلا تخالفوا

ما أمرتم به. يقال: حسَبه يحسُبُه حسبا، إذا عَدّه؛ وهو حال او تمييز. و فاعل ««كفى»» الاسم الجليل، والباء زائدة.

.7

*لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا «7» *

«لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ» اوجب الله تعالي للذكور من الأولاد، وللإناث منهم: نصيبًا ممَّا تركه الوالدان والاقربون من المال، قليلاً أو كثيرًا، وقد بينه الله فما يأتي من الآيات. وكانوا لا يُوَرِّثون النساء والصغار. «نَصِيبًا مَفْرُوضًا» أي واجاباً أو مقتَطَعاً محدوداً.

.8

*وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا «8» *

«فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ» اي أرضخوا «الرضخ: إعطاء ألشئ ليس بالكثير» من مال المتوفي للقرابة غير الوارثين، ولليتامى والمساكين الاجانب منه قبل

قسمته وهو أمر نَدْب واستحباب؛ تطييباً لقلوبهم وتصدقاً عليهم.

.9

*وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا «9» *

«وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا» أَمَرَ الله الذين يخافون على ذرِّيتهم الضعفاء العَيْلَة والضَيْعة من بعدهم، وألا يُحسن إليهم من يليهم – أن يخشَوْه ويتقُوه فيمن يتولوْن امرهم من اليتامى، ويقولوا لهم قولاً جميلاً , هادياً لهم إلى محاسن الاداب والأفعال، وإلى ما ينفعهم في

دينهم ودنياهم؛ كما يقولون ذلك لأولادهم. يقال: سدّ يَسِدّ سَداداً وسُدوداً, أصاب في قوله و فعله فهو سديد. وأمرٌ سديدٌ وأسدُّ: قاصدٌ

اي جميلاً. «قَوْلًا سَدِيدًا» أي جميلاً أو صوابا وعدلاً.

.10

*إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا «10» *
«وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا» سيدخلون نارًا هائلة جزاء أكلهم أموال اليتامى ظلمًا. يقال: صَلَيْت الرجُل نارا، إذا أدخلته فيها وجعلته يَصلاها. وصَلَيْت اللحم وغيره – من باب رمى – إذا شَوَيته. والسَّعيرُ: الجمر المشتعِل، من سَعَرت النار –كمنع–وأسعرتها وسعَّرتها، إذا أوقدتها وألهبتها.

.11

*يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا «11» *
«يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» في هذه الآية والتي بعدها واية 176 من هذه السورة بيان الفرائض. أي يفرض الله عليكم في شأن أولادكم ما بيّنه لكم. «فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ» وكذلك ميراثُ الاثنتين؛ كما قضى بذلك رسول – صلى الله عليه وسلم – لابْنَتَيْ سعد بن الربيع. «فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ» أي والباقي لأب تعصيباً. فإذا كان معهما أحد الزوجين كان للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة. وثلثاه للاب. «فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ» والباقي للاب. ولاميراث للاخوة للإخوة لحجبهم بالأب. «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ» أي أن هذه الفرائض إنما تُقسم بعد قضاء الدَّين وإخراج وصية الميّت من الثلث. وقُدمت الوصيةُ على الدّين في التلاوة مع تأخُّرِها في الحكم لإظهار كمال العناية بتنفيذها؛ لكونها مظِنة التفريط في الأداء. «فريضةً» أي فُرض ذلك فرضا من الله العليم الحكيم

فيما فَرض وقدّر.

.12

*وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ «12» *
«وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً» تُطلق الكلالة على الميت الذي لم يُخلف ولداً ولا والداً، وعلى الوارث الذي ليس بولد ولا والد للميت. والأولُ قول علي وابن مسعود؛ لأنه مات عن ذهاب طرفيه فكَلَّ عمود نسبه؛ مِن الكَلال وهو ذهاب القوة من الإعياء والضعف. والثاني قول سعيد بن جبير؛ لأن هؤلاء الوارثين يتكللون الميتَ من جوانبه، وليسوا في عمود نسبه؛ كالإكليل يحيط بالرأس ووسطُ الرأس منه خالٍ؛ من تكلّله الشَيءُ إذا أحاط به. و «رَجلٌ» اسم كان، وجملة «يورث» خبرها، و «كلالةً» حال من الضمير في «يُورَث». أي وإن كان رجل

موروثا حالَ كونه كلالةٍ؛ على المعنى الأوّل. او حال كونه ذا كلالة، اي ذا وارثٍ هو كلالة على المعنى الثاني. و «امرأةٌ» عطف على «رجل» أي لأم، باتفاق. ويؤيده قراءة سعد بن أبي وَقّاص: «وله أخ أو أخت من أم»

.13

*تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ «13» *

«تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» اشارةٌ إلى الأحكام التى تقدّمت في شأن اليتامى و الوصايا والمواريث. وسُمِّيت حدواً لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوْها إلى غيرها.

.14

*وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ «14» *

«مُهِينٌ» أي مُذِلٌّ من الهوان وهو الذُّل.

.15

*وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا «15» *

«وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ» والنساء اللاتي يفعلن الفاحشة و هي الزنا. وأصلُ الفاحشةِ: ما عَظُم قُبْحُه حتى بلغ الغاية في جنسه من الأقوال والأفعال. والمرادُ بالنّساء. الزوجاتُ؛ عند الجمهور. «أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» أي مخرجاً من هذه العقوبة، وقد جعله الله تعالى بما شَرَعه من الحد، فالزاني البِكْرُ: يُجْلَد. . والزاني الثَيِّبُ: يُرجَم. وقد رجم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ماعزَ بنَ مالك الأسْلَمِي والغامديَّة وكانا محصَنبن.

.16

*وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا «16» *

«وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ» أي والزاني والزّانيةُ من رجالكم ونسائكم، اللذان يأتيان هذه الفاحشة؛ فاذوهما بالتعيير والتوبيخ أو بهما، وبالضرب بالنعال المراد بهما: البكران اللَّذان لم يُحْصَنا. وقيل المراد بالنساء في الآية الأولى جنسُ النساء، وبقوله: «واللذان» في الآية الثانية الرجلان يفعلان اللِّواط؛ وهو رواية عن مجاهد. والحكْمُ منسوخٌ بالحد المفروض. وذهب أبو مسلم الاصفهاني: إلى أن الآية الأولى في السحّاقاتالاتي يستمتع بعضُهن ببعض، وحدهنَّ الحبس. والثانية في اللائطين؛ وحدهما الايذاء. وأما حُكم الزّنا ففي سورة النور وزَيَّفه الالوسيُّ، واختاره بعض المفسرين.

.17

* إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا «17» *

«إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ» اي إنما التوبة المقبولة عند الله: هي توبةُ الذين يعملون السيئاتِ جهالةً وسفَها.

«بِجَهَالَةٍ» بسفه وكل من عصى جاهل. «ثُمَّ يَتُوبُونَ» إلى الله تعالى من٥ها وهم في فُسحة من العمر قبل وقت الاحتضار والغَرْغرة، ولا توبة تقبل منهم إذا تابوا في هذا الوقت؛ لانها حالةُ اضطرارٍ لاحالة اختيار. وكذلك لاتُقبل توبةُ الذين يموتون على الكفر فلا ينفعهم الندمُ ولا يُقبل منهم الفداء ولو بملء الارض.

.18

*وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا «18» *

.19

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا «19» *

«لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا

النِّسَاءَ» أى تأخذوهن على سبيل الإرث، كما يؤخذ المالُ الموروث بعد موت أزواجهن مُكْرِهين لهنّ على ذلك، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية. و «كَرْهًا» –بالفتح والضم – بعنى واحد. والخطاب لأقارب المّيت. «وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ» نهي للازواج عن إمسالك النساء من غير حاجة لهم إليهن، مضارّةً ومضايقةً لحملهن على الاختلاع بمهورهن؛ من العَضْل، وهو التضييق والمنع: يقال: عضَّلت الدجاجة ببيضها والمرأة بولدها اذا تعسَّ خروجهما. «إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» استثناءٌ متصلٌ من أعم العِلل، أى لا تعضلوهن لعلّة من العلل، إلا أن يأتين بفاحشة مبينةٍ أخلاقهن، وكاشفةٍ عن احوالهن، و هي النشوزُ وسوءُ الخلق، وإيذاءُ الزوج وأهله بالبَذاء وفحش القول ونحوه؛ فلكم العذرُ في طلب الخُلع منهن، وأخذِ ما آتيتموهن من المهر لوجود السبب من جهتهن. والاصل في الباب قوله تعالى: «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ» [229 – البقره] " و قوله: «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا» [4 – النساء].

.20

*وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا «20» *

«أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا» ظلماً أو باطلاً. وأصله الكذبُ الذي يبهَت المكذوب عليه. أو الباطلُ الذي يتحيّر من بطلانه وكان

الرجلُ في الجاهلية إذا أراد التزوّج بأخرى بَهَت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها من المهر، ليصرفه في زواج الاخرى، فحرم ذلك علي٥هم.

.21

*وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا «21» *

«أَفْضَى بَعْضُكُمْ .... » وصَلَ، بالوقاع أو الخلوة الصحيحة. «مِيثَاقًا غَلِيظًا» عهداً وثيقاً.

.22

*وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا «22» *

ﻫ «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ» كانوا في الجاهلية

يتزوجون بزوجات ابائهم، فنهاهم الله عنه بهذه الاية، وعفا عمّا قد سلف قبل نزولها. وقد وصفه الله تعالى بأنه فاحشةٌ، أي أمر مستقبحٌ غاية القُبح.، وبأنه مقتٌ. وأصله بُغضٌ مقرونٌ

باستحقار حصل بسبب أمر قبيح

ارتكبه صاحبُه وكانوا في الجاهلية يُسمُّون الولدَ الذي ياتي به الرجلُ من زوجة أبيه: المَقْتِي. ثم قال «وَسَاءَ سَبِيلًا» أي طريقاً يسلكه الأبناء.

.23

*حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا «23» *

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» جملة المحرَّمات من النساء بنص الكتاب أربعة عشرَ صنفاً: سبع بالنسب من قوله «أُمَّهَاتُكُمْ» الى قوله «وَبَنَاتُ الْأُخْتِ»،وسبع بالسّبَب من قوله «وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ» الى قوله «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ» [الايه 24 من نفس السوره].وقد ثبت بالسُّنة تحرمُ أصناف أُخَر، كالجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، ونكاح المعتدة، ونكاح الخامسة لمن كان عنده أربع. والأُمهاتُ تعمُّ الجَدّات: حيث كنّ؛ لان الأُمَّ هي الأصل كأم الكتاب. «وَبَنَاتُكُمْ» المراد بهن الفروع. «وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ» زوجاتكم. وحرمتُّهن بمجرد العَقْد عند الجمهور. «وَرَبَائِبُكُمُ» جمع ربيبة، بمعنى مَرْبوبه، و لحقتها الياء لصيرورتها اسماً، وهي بنت امرأة الرجل من زوج آخر. و سُمِّيت ربيبةً لأن الزوج يَربُّها ويَسُوسها. | كما يَرُبُّ وليدَه غالباً. و قوله: «اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ» اي في تربيَتكم؛ وصفٌ لبيان الشأن الغالب في الرَّبيبة فلا مفهوم له. وإنما تحرُم الربيبة بالدخول بالأم، لا بمجرّد العقد عليها. «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» فلا إثم عليكم. «وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ» أي وزوجات أبنائكم. جمعُ حليلة: وهي الزوجة. ويقال للزوج حليل.

.24

*وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا «24» *

«وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ» أي و حُرمت عليكم ذواتُ الأزواج من النساء قبل مفارقة أزواجهم لهن. سُمِّين محصناتٍ لان الازواج احصنوهن عن الفاحشة. أو هن أحصَنَّ أنفسهن عنها؛ من الإحصان، وهو المنع

الشديد. وأصله من الحِصن وهو المكان المنيع الحمى. يقال: أحصنت المرأة وحُصنت ,أعفت، فهي حاصنٌ وحاصنة وحَصَان. وأحصنها زوجُها فهى محصَنة. ويقال: رجلٌ مُحْصَن إذا تزوّج. «إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» استثناءٌ من تحريم نكاح ذوات الأزواج. والمراد به المَنسبيَّات اللاتي سُبين ولهنَّ أزواج في دار الحرب، فيحِلُّ لمالكهن وطؤُهنَّ بعد الاستبراء، لارتفاع النكاح بينهنَّ وبين أزواجهن بمجرد السَّبي، أو بسببهنَّ وحدَهنَّ دون أزواجهن. «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» أي كتب الله عليكم تحريمَ هذه المحرَّمات المذكورات كتاباً، و فرضه فريضة. «مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ» مُحصِنين أنفسَكم بمن تطلبونهن بأموالكم من الاستمتاع المحرّم، غير زانين. فالمراد بالإحصان هنا: العِفة، وتحصينُ النفس من الوقوع في

الفاحشه. وبالسِّفاح: الزِّنى؛ من السَّفح وهو صبُّ الماء وسيَلانُه؛ وسُمِّيَ به الزنا لأن الزاني لاغرض له إلا صب النطفة فقط دون النسل. «مُحْصِنِينَ» و «غَيْرَ مُسَافِحِينَ» حالان من فاعل «تَبْتَغُوا». «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً» فرض الله تعالى على الازواج الذين ابتغوُا الزوجات محصنين غيرَ مسافحين أن يعطوهنَّ مهورَهنَّ عوضاً عن انتفاعهم بهنَّ. ومعلومٌ أن النكاح الذي يُحَقِّق الإحصان ولايكون الزَّوج به مسافحاً، هو النكاح الصحيح الدائمُ المستوفي شرائطه. فبطل نكاح المُتعَة بهذا القَيْد؛ لانه لا يحقق الإحصان، ولا يُقصَد به إلا سفحُ الماء وقضاءُ الشهوة. وجملة القول في المُتعة: أنها أحلت في السَّفر للضرورة، ثم حُرّمت يومَ خَيْبر، ثم أبيحت يوم فتح مكة، وهو يوم أوْطاس [واد في ديار هوازن، جنوبي مكه بنحو ثلاث مراحل. وكانت وقعتها بعد فتح مكه بشهر] لإتصالهما، ثم حُرّمت بعد ثلاثٍ تحريماً مؤبَّدا إلى يوم القيامة؛ كما في حديث سَبْرَة بن معبَد الجُهنيِّ، وعله انعقد اجماع الامه. وما نُسب الى ابن عباس من حِلّها مطلقاً غيرُ صحيح؛ فإنه ما كان يحلها إلا للمضطر، وكان يقول: ما هي بالا كالمَيْتَة والدّم ولحم الخنزير. على أنه قد صحَّ رجوعُه عن القول بحلها بقوله – فيا رواه عنه التِّرمذيّ و البيهقي و الطبراني –: ان المُتْعَة كانت في أول الإسلام حتى نزلت الاية: «إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ «6»» [المؤمنون] [والآيه 30 من سورة المعارج] فكل فَرْجٍ سواهما فهو حرام.

.25

* وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ «25» *

«طَوْلًا» غنيً وسَعَة. وهو كناية عما يُصرف إلى المهر والنفقات. «أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ» أي الحرائر، بدليل مقابلتهن بالملوكات. و عبر عنهن بذلك لأن حرمتهن أحصنتهن عن نَقْص الإماء. «وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» أي أدُّوا إلى مواليهن مهورَهن عن طيبِ نَفْس منكم، دون مَطْلٍ أو مُضارَّة، ولا تبخسوا منه شيئا استهانة بهن لكونهن مملوكات. «مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ»

عفائف غير معلِنات بالزنا، ولا متخذات أصدقاء يزنون بهن سِراً، جمعُ خِدْن، وهو الصاحب والخليل. وكانوا في الجاهلية يحرّمون ما ظهر من الزنا ويستحلُّون ما خفي منه؛ فحرّمها الله بقوله: «وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» [آيه 151 الأنعام]. و «مُحْصَنَاتٍ» منصوبٌ على الحال من المفعول في قوله: «فانكحوهن». «ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ» اي نكاح الإماء لمن خاف الإثم بسبب غلبة الشهوة، وشق عليه الصبر عن الجماع، وأصلُ العَنَت: انكسار العظم بعد جَبْر، فاستُعير لكل مشقة وضَرر؛ ولا ضررَ أعظمُ من

مواقعة المآثم. «مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ» مصاحبات أصدقاء للزنى سراً.

.26

*يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ «26» *

«سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» طرائق مَن تقدمكم من أهل الرُّشد لتسلكوها. جمع سُنَّة. وهي الطريقة.

.27

*وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا «27» *

.28

*يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا «28» *

«وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا» لايصبر عن الشهوات , ولا على مشاق الطاعات؛ فكان من رحمة الله تعالى به التخفيفُ عنه في التكاليف.

.29

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا «29» *

«بِالْبَاطِلِ» اي بالحرام؛ كالربا المَيْسر، والغصب والسرقة، وشهادة الزور، والخيانةِ والظلم، ونحو ذلك. «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً» أي لكن يَحِلُّ أكلُها بالتجارة عن عن طيبة نفس كلِّ واحد منكم. وخُصَّت التجارةُ بالذكر من بين أسباب التَّمَلّك لكونها أغلبَ وقوعاً وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أطيبُ الكسبِ كسبُ التجار الذين إذا حدّثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يُخلفوا، وإذا ائتُمنوا لم يخونوا، وإذا اشتروْا لم يذمُّوا، وإذا باعوا لم يمدحوا وإذا كان عليهم لم يَمْطُلوا، وإذا كان لهم لم يُعَسِّروا» [رواه البيهقي]. «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» لا تهلكوها بارتكاب الآثام؛ ومنها: أكل الأموال بالباطل، وقتلُ النفس بغير حق وقتل الإنسان نفسه.

.30

*وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا «30» *

«نُصْلِيهِ نَارًا» ندخله إياها ونحرقه بها.

.31

* إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا «31» *

«إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ» اجتناب الشيء: المباعدة عنه وتركه جانباً. وكبائرُ الذنوب: ما عَظُمَ منها وعظُمت عقوبته؛ كالشِّرك، وقتل النفس بغير حق، ونحوه. «نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» أي صغائر ذنوبكم، بدليل مقابلتها بالكبائر. جمع سَيئة، و هي الفَعْلة القبيحة التي تسوء صاحبَها او غيره، عاجلا أو آجلاً. ضدُّ الحسنة. «وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا» مكاناً حسناً، وهو الجنة. وقرئ «مَدخلاً» بفتح الميم؛ أي وندخلكم فتدخلون مَدخلاً كريماً.

.32

* وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا «32» *

.33

* وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا «33» *

«وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ» ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا ورثةً عَصبةً يرثون مما تركه الوالدان والاقربون من المال. والعرب تسمِّي ابن العم

موْلى. أو ولكلِّ مالٍ مما تركه الوالدان والاقربون جعلنا مواليَ أي ورثةً يَلُونه ويحوزونه. «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ» عاقَدتْهم أيمانُكم. «فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ» أى حظهم من الميراث. ويسمى عقدَ الموالاة، و كانوا يتماسكون بالايدي عند المعاقدة والمحالفة. وكان الرجل في الجاهِليَّة يُعاقد الرجلَ الأجنبيَّ منه على التوارث، فجُعل له في بدء الإسلام السُّدُس من جميع المال، والباقي للورثة. ثم نُسخ ذلك بقوله تعالى: «وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» [الايه 75 الانفال]. وذهب الحنفيّة إلى أنه إذا أسلم الرجلُ على يد رجل اخر، وتعاقدا على ان يَرِثه صحَّ، وله إرثُه إن لم يكن له وارث أصلا. والآية غيرُ منسوخة.

.34

*الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا «34» *

«قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ» قيام الولاة المصلحين على الرعية. «قَانِتَاتٌ» مطيعات الله ولأزواجهن. «حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ» يحفظنَ في غَيبة أزواجهنّ ما يجب حفظُه في النفس والمالِ. فاللامُ بمعنى في، والغيبُ بمعنى الغَيبة. أو حافظاتٌ لأسرار أزواجهنّ، وهي ما مايقع بينهم وبينهن في الخَلْوة. «بِمَا حَفِظَ اللَّهُ» لهن من وحقوقهن على ازواجهن. «نُشُوزَهُنَّ» عصيانهنَّ لكم وترفعهنَّ عن مطاوعتكم. يقال: نشزت المرأةُ تَنشُز وتنشِز، عصَت زوجهها وامتنعت عليه. وأصل النشوز: الارتفاع.

.35

*وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا «35» *

«وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ... » أي ان علمتم أو ظننتم شقاقا وخلافاً بينهما «فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا» لينظرا فى أمرهما ويحكما بما يريانه مصلحةً من الجْمع أو التفريق. وقيل لايحكمان إلا بالجْمع. واتفقوا على أنهما إذا كانا موكلين من جهة الزوجين يَنْفذُ حكمهما في الجمع والتَّفريق. ونقل الحافظ ابنُ كثير عن ابن عبد البر: أن الإجماع

منعقد على نفاذ قولها في الجمع وإن لم يُوَكلها الزوجان.، واختلفوا في نفاذه في التفرقة. والجمهورُ على نفاذه فيها أيضاً من غير توكيل.

.36

*وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا «36» *

«وَالْجَارِ الْجُنُبِ ... » ه أاي البعيد مكاناً؛ من الجنابة ضدُّ القرابة. يقال: اجتنب فلانٌ فلاناً إذا بعد عنه. وقيل: هو الذي لا قرابة في النسب بينه وبين جاره. ويقابله الجارُ ذو القربى، بمعنى القريب مكاناً أو نسباً. والجُنُب يستوي فيه المفرد والجمع، و المذكَّر والمؤنث. «وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ» الرَّفيق في أمْر حَسَن، كتعلمٍ وتجارةٍ وصناعة و سفر. و هو الذي يصحبك في ذلك، ويكون في جنبك وجوارك. «وَابْنِ السَّبِيلِ» هو المسافر المجتاز بك، الذي انقطع به الطريق. أو هو الضيف يمرُّ بك فتكرمه. «مُخْتَالًا فَخُورًا» معجَباً بنفسه، يَعُدُّ مناقِبه؛ تكبُّراً وتطاولاً على الناس.

.37

* الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا «37» *

.38

*وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا «38» *

«رِئَاءَ النَّاسِ» أي قاصدين بانفاقههم الرِّيَّاء والسُّمعة، لا وَجْه الله تعالى؛ وهم المنافقون أو المشركون.
«فَسَاءَ قَرِينًا» مصاحِباً ملازماً له في الدنيا أو الآخرة. فعيل بمعنى مُفاعل؛ كخليط بمعنى مُخالط.

.39

*وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا «39» *

.40

*إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا «40» *

«لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» اي لا يظلم احداً شيئاً ولو مقدار ذرة، وهي النَّملة الصغيرة الحمراء التي لاتكاد تُرى. أو

هي جزءا من أجزاء الهَبَاء في الكُوَّة ونحوها. ومثقالُ الشيء: ميزانُه من مِثله، و جَمْعُه مثاقيل. وهو مثلٌ ضربه الله لأقل الأشياء.

.41

*فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا «41» *

.42

* يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا «42» *

«لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ»

ان يُدْفَنوا فتُسوَّى عليهم الارض كما تسوَّى على الموتى.

.43

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا «43» *

«لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ

سُكَارَى» المراد بالصلاة هنا: إمّا الهيئة المخصوصة، وإمَّا مواضعُها وهي المساجد. و «سُكَارَى»: جمع سكران. والجُنُب:. مَن أصابته الجنابة، ويستوي فيه الواحد والاكثر والذكر والمؤَّنث. وعابرُ السبيلِ: مجتازُ الطريق وهو المسافر. أو من يعبر الطريق من جانبها اِلى جانب. والمعنى: لا تصلوا في حالة السُكر، حتى تكونوا بحيث تعلمون ما تقولون، ولا في حالة الجنابة حتى تغتسلوا، إلا أن تكونوا مسافرين ولم تجدوا ماء فتيمّمُوا للصلاة. او لا تقربوا المساجد وانتم سكارى، ولا تقربوها جُنُبا إلا أن تكونوا مجتازي المسجد من باب إلى آخر من غير مُكث. «وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى» بيانٌ للاعذار المبيحة للتيمّم ولكيفيته.

والمَرَض المُبيحُ له: هو الذي يمنع من استعمال الماء؛ مثل الجُدَرِي والجراحةِ الي يُخشى من استعمال الماء فيها التلفُ أو زيادةُ المرض. «أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ» أي المطمئن من الارض، وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة، وَكُنى به عن الحَدَث. «أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ» اي واقعتموهن او ماسستم بَشَرَتهن ببشرتكم. «فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا» الصَّعِيدُ: وجهُ الأرض البارز، تراباً كان أو غيرَه. وقيل الترابُ. والطَّيِّبُ: الطاهر.

.44

* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ «44» *

«الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا» هم يهودُ المدينةِ.

.45

*وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا «45» *

.46

*مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا «46» *

«يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ» يُميلونه عن مواضعه، ويجعلون مكانه غيرَه. أو يتأوَّلونه على ما يشتهون؛ من التحريف وهو التغيير. ومنه قولهم: طاعونٌ يُحَرِّف القلوب؛ أي يميلها ويجعلها على حرف، أي جانب و طَرَف وأصله من الحرف؛ يقال: حرَّف الشيء عن وجهه، صرفه عنه. «وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ» هي كلمةٌ ذات وجهين، تحتملُ معنى: اسْمع! مدعُوَّاً عليك بلا سمعتَ، أو غير مُسْمَعٍ كلاماً ترضاه. ومعنَى: اسمع منّا غيرَ مسمَع مكروهاً. كانوا يخاطبون بها النبى صلى الله عليه وسلم استهزاءً به؛ مضمرين إرادة المعنى الأول، وهم مظهرون له إرادة المعنى الثاني. «وَرَاعِنَا» وكذلك كانوا يخاطبونه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة، وهى محتملة معنى: راقبنا وانتظرنا نكلِّمك. ومعنى السَّبِّ بالرُّعونة والحُمق. أو تنقيصه بإرادة: راعي غَنَمنا، مظهرين إرادة المعنى الأول، وهم يضمرون الثاني [آيه 104 البقرة]. «لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ» فتلاً بهها وانحرافا؛ بصرف الكلام عن جانب الخير إلى جانب الشر، كما كانوا يحيُّونه بقولهم: السَّام عليكم، يَعنونَ به الموت. وأصلُهُ: لَوْياً؛ من لَوَى الشيء –كرمى – اذا قَتَلهُ. مفعول به او حال، اي لاوين. «وَأَقْوَمَ» اعدل وأصوبُ واسدّ.

.47

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا «47» *

«مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا» أصلُ الطَّمس:. الصرفُ والإفسادُ والتحويلُ. وهو مثلٌ ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق، وردّهم إلى الباطل، ورجوعهم على اعقابهم عن المحَجَّة البيضاء. وهو نظير قوله تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ «8» وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ «9» [يس]. و قال مجاهد: المرادُ طمسُ وجه القلب؛ أي من قبل أن نطمس قلوبًا عن صراط الحق فنردَّها على أدبارها في الضلال.

.48

*إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا «48» *

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» المراد بالشرك هنا: مطلقُ الكفر؛ فيدخل فيه كفرُ اليهود دخولاً أوّليًّا. أي إن الله لا يغفر لكافر مات على كفره، ويغفر ما دون الكفر من الذنوب والمعاصي لمن يشاء أن يغفر له ممن اقترفها إذا مات من غير توبة. فن مات منهم بدونها فهو في خَطَر المشيئة، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وان شاء عذَّبه ثم أدخله الجنة. واما قوله تعالى: « ... إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ «53» [الزمر] فمقَّيدٌ بالمشيئة، وبما عدا الشرك لمن مات مُصِرّا عليه.

.49

*أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا «49» *

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ» تعجبٌ للنبي صلي الله عليه وسلم أو لكل سامع، من ادعاء اليهود انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم، العظيم. «وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا» اي مقدارَ فتيل؛ و هو الخيط الذي في شق النواة. يُضرب مثلا في القِلة والحقارة، كالنقير للنُّقرة في ظهر النواة، والقطمير لقشرتها الرقيقة. وفي الكلام جملة مطويّة، أي يعاقبون على تلك التزكية الكاذبة، عقابًا عادلاً، ولايُظلمون فيه أدنى ظلم وأصغره.

.50

*انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا «50» *

.51

* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا «51» *

«يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ» الجِبْتُ في الاصل: اسمُ صنم، واستعمل في كل معبودٍ غير الله تعالى.

والطاغوتُ: يُطلق على كل باطلٍ، وعلى كلِّ ما عُبد من دون الله، او كلِّ من دعا إلى ضلالة. أي يصدِّقون بانهما آلهةٌ ويشركونهما في العبادة مع الله تعالى، أو يطيعونهما في الباطل.

.52

*أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا «52» *

.53

* أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا «53» *

«أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ» أي بل ألهم. والمعنى ليس لهم نصيب من المُلْك

البتةَ. وإذا كان لهم منه نصيب فهم من شدة الحرص والبخل بحيث لو أوتُوا شيئا منه لما أعطوا الناس منه أقلَّ قليل، وقد كُنّيَ عنه بالنَّقير. «نَقِيرًا» قدر النقرة في ظهر النواة.

.54

*أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا «54» *

«أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ .... » ثم وصفهم الله تعالى بالحسد بعد وصفهم بالبُخل؛ والحسودُ يتمنى زوال النعَم عن العباد. والمرادُ من الناس: النبي – صلى الله عليه وسلم –،أو هو والمؤمنون، أو العرب عامةً. «الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» الكتابُ: التوراة والإنجيل أو هما والزَّبُور. والحكمةُ: النبوّةُ، أو إتقان العلم والعمل، أو فهمُ الأسرار المودَعةِ في الكتاب.

.55

*فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا «55» *

«سَعِيرًا» ناراً مسعَّرة؛ أُي موقدة إيقاداً شديداً للصادِّين عنه. يقال: سَعَر النارَ –كمنع – وسعَّرها وأسعرها، أوْقدها.

.56

* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا «56» *

«نُصْلِيهِمْ نَارًا» أي ندخلهم ناراً هائلة نشويهم فيها. «كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ» كلما احترقت جُلودُهم، وتهرّت وتلاشت «بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا» غير محترقة. يقال: نضِج الثَّمر واللحمُ يَنْضَج نُضْجاً ونَضْجا، إذا أدرك؛ فهو نضيج وناضج. والنَّضجُ والتبديلُ في جهنم حقيقي. و قيل: هو كناية عن دوام العذاب لهم.

.57

*وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا «57» *

«أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ... » بريئات من ميع الادناس الحسِّية والمعنويَّة. والتنوين للتكثير. «ظِلًّا ظَلِيلًا» ألظلُّ معروفٌ. والظَّليلُ: صفةٌ مشتقة من الظِّل للتأكيد، على حدِّ: يومٌ أيْوَمُ، وليلٌ الْيلُ. أي ظلاً وارفاً لايصيب صاحِبَه حرٌّ ولاسَموم، دائماً لاينسخُ.

.58

* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا «58» *

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ» أي ما ائُتُمنتم عليه من الحقوق، سواءٌ أكانت لله تعالى أم للعباد، فعلِيَّة أم قولية أم اعتقادية. جمع أمانة، مصدرٌ سُمّيَ به المفعول. «وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ» أي ويأمركم اذا قضيتم بين الناس في حقوقهم أن تقضوا بالعدل والإنصاف.

واصل العدل: التسويَةُ. «نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ» اصْلُه: نِعْمَ ما يعظكم به؛ فأدغمت «ما» في ميم «نعم» " وكُسرت العَين

للتوصل إلى النطق بالساكن. «ما» موصولةٌ أو نكرةٌ موصوفة؛ اي نعم الذي يعظكم به. أو نعم هو، أي نِعْم الشيءُ شيئاً يعظكم به تأدية الأمانة والحُكم بالعدل.

.59

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا «59» *

«وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» أمراء الحق وولاة العدل من المسلمين، أو العلماء المجتهدين. أُمرَ المؤمنون بطاعتهم إذا أمروا بما فيه طاعةٌ لله ولرسوله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق،

وإنما الطاعة في المعروف. «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ» أُمروا برد ما يختلفون فيه من أُمور الدِّين إلى كتاب الله تعالى، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته وسُنته من بعده؛ لينزلوا على حُكمها. «وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» أحمدُ مَغَبَّة، وأجمل عاقبة. وأصلُه من آل هذا الأمر إلى كذا، أي رجع اليه. أو أحسنُ تأويلاً من تأويلكم أنتم إياه، من غير ردّ إلى أصل من الكتاب والسنة. والتأويلُ على الأول بمعنى الرجوعِ إلى المآل والعاقبة. و على الثاني، بمعنى التفسير والتبيين، وهو فيهما حقيقة.

.60

*أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا «60» *

«إِلَى الطَّاغُوتِ» [راجع آية 256 البقره وآيه 51 من هذه السوره].وقيل: المراد به هنا كعبُ بن الأشرف اليهودي، وكان مفرِطاً في الطغيان وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورأساً في الضلال والفتنة.

.61

*وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا «61» *

«يَصُدُّونَ عَنْكَ» أي يعرضون عنك.

.62

*فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا «62» *

.63

* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا «63» *

.64

* وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا «64» *

.65

*فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا «65» *

«فَلَا وَرَبِّكَ لَا

يُؤْمِنُونَ ..... » «لا» الاولى نافيةٌ لكلام سبق؛ تقديرُه: ليس الامر كما يزعمون من أنهم آمنوا بما انزل إليك، ثم استأنف القَسَم فقال: وربِّك لا يؤمنون «حَتَّى يُحَكِّمُوكَ» فيما اختلفوا فيه من الامور، والتَبس عليهم منها. وقيل: انها زائدةٌ لتأكيد معنى القسم؛ كما زيدت في قوله: «لئلا يعلم أهل الكتاب» [آيه 29

الحديد] لتاكيد وجوب العلم. ويقال: شَجَر بينهم الأمرُ يَشْجُر شَجْراً وشُجُوراً , إذا تنازعوا فيه. وأصلُه التداخلُ والاختلاط، ومنه شَجَر الكلامُ، إذا دخل بعضه في بعض واختلط. «حَرَجًا» ضِيقا. وأصلُ الحَرَج: مجتَمَع الشيء، وتُصور منه ضِيق ما بينهما، فقيل للضِّيق: حَرَجٌ. وللإثم أيضا: حرج؛ و منه: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ» [الآيه 61 سورة النور]،أي ضيقٌ بالإثم لترك الجهاد. «وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» ينقادوا لقضائك انقياداً لا شائبة فيه بظاهرهم وباطنهم. وهذا الحُكْمُ باقٍ إلى يوم القيامة، وليس مخصوصاً بمن كان في عهده صلى الله عليه وسلم.

.66

*وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا «66» *

«وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا» اي أقرب إلى ثبات إيمانهم.

.67

* وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا «67» *

.68

* وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا «68» *

.69

*وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا «69» *

.70

*ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا «70» *

.71

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا «71» *

«خُذُوا حِذْرَكُمْ ... » الحِذْر و الحَذَر بمعنًى، وهو الاحتراز مما يخاف. يقال: أخذ حذره، إذا تيَقظ واحترز مما مما يخاف منه. وقيل: الحِذر ما به الحَذر من السلاح ونحوه؛ أي احترزوا من عدوكم وتيقظوا له. أو خذوا عُدتكم من السلاح واستعدوا لعدوّكم. وفيه دلالة على وجوب الأخذ بالاسباب. «فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ» اخرُجوا الى قتال عدوّكم مجدِّينَ جماعةٌ في اثْر جماعة، فصائلَ وسرايا، «أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا» مجتمعين جماعةٌ واحدةٌ. والنَّفْرُ: الفَزَع. يقال: نفر إلى الحرب ينفِرُ ويَنْفر نَفْرا ونُفورا، إذا فزع إليه. والثُبات: جمع ثُبَةٍ، و هي الجماعة والعُصْبة من الفرسان؛ مشتقة من ثبا يثبو، أى اجتمع.

.72

* وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا «72» *

«لَيُبَطِّئَنَّ» ليتأخرنّ ويتثاقلن عن الجهاد؛ من بَطّأ اللازم – بالتشديد – بمعنى أبطأ؛ كعتَّم بمعنى أعتم إذا أبطأ. أو ليُبَطِّئن غيرَه، اي يُجَبِّنّه ويثبطَنَّهُ عن الجهاد؛ من بطأ المتعدي، بالتشديد نزلت في المنافقين.

.73

* وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا «73» *

«كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ» ه يتمنى المنافق إذا

انتصر المؤمنون لو كان معهم في القتال، ويأسف لتخلفه عنه، لا لمودّة في قلبه تحمله على مشاركتهم في الجهاد والبلاء في كل حال، بل لمجرّد حرمانه من حظه من الغنيمة. والجملة معترضة بين القول والمقول؛ لدفع توهم ان تمنيهِ المَعيةَ للنصرة والمظاهرة.

.74

* فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا «74» *

«فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا، ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية. «يَشْرُونَ» يبيعون وهم المؤمنون.ں

.75

*وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا «75» *

.76

* الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا «76» *

«الطَّاغُوتِ» الشيطان وسبيله الكفر.

.77

*أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا «77» *

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ» كان بعض الصحابة بمكة يلقْون من المشركين أذى كثيرًا، ويتمنَّون أن يقاتلوهم؛ فكان النبي صلى الله عليه وسلم يكفهم عن القتال، لأنه لم يؤمرَ به. فلما فُرض القتال بالمدينة وقد هاجرو إليها، جبُنُوا عن القتال وخافوا المشركين خوفاً شديداً؛ جَزَعاً من الموت بمقتضى الجبلّة: البشرية، فنزلت الآية. «وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا» ولاتُنقصون ادنى شيء من أجوركم على الجهاد، فلا ترغبوا عنه. [اية 49 من هذه السورة].

.78

* أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا «78» *

«فِي بُرُوجٍ ... » أي في حصون وقلاع، جمعُ بُرْج وهو الحصن. وأصلهُ من التبرج وهو الإظهار. «مُشَيَّدَةٍ» أي مطوّلة بارتفاع؛ مِن شيّد البناء رَفعه. أو مطليّة بالشِّيد، وهو الجِصُّ لتقويتها. أي فأنتم صائرون الى الموت لا محالة، ولا يُنْجي حذَرٌ من قَدَر فما لكم تَجبُنون عن القتال!! «وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ» نزلت في اليه٥ود والمنافقين حين أبدُوا التشاؤم من الرسول صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وقُحِطوا. والمرادُ من الحسنة والسيئة: النّعمة والبليّة، وقد

شاع استعمالها في ذلك؛ كما شاع في الطاعة والمعصية. فكذَّبهم الله تعالى بقوله: «كل من عند الله» خلقاً وإيجادًا، وتقديرًا نافذا في البَّر والفاجر، والمؤمن والكافر، جارياً على مقتضى الحكمة والمشيئة.

.79

* مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا «79» *

«مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» اي ما اصابك أيها الإنسان من نعمة فمن الله تفضُّلاً وإحساناً. «وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ» بليّة «فَمِنْ نَفْسِكَ» أي فبسبب اقترافك الذنوب عقوبةً لك من الله، وإن كان كلاهما من عند الله خلقاً وتقديرا. وهو كقوله تعالى: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» [30 الشورى]. وعن ابن عباس: ما كان من نكبة فبذنبك، وأنا قدّرت ذلك عليك. وعن عائشة نحوه.

.80

*مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا «80» *

«فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» حافظاً ورقيبا، تحفظ أعمالهم و تجازيهم عليها، إنما أنت نذير.

.81

* وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا «81» *

«بَرَزُوا» خرجوا. «بَيَّتَ طَائِفَةٌ» دبرت بليل.

.82

* أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا «82» *

.83

*وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا «83» *

«وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ» نزلت في ضعفاء المؤمنين، فقد كانوا يسمعون من المنافقين أخبارًا عن السرايا

مظنونةً غير معلوم صحتها، وقد تكون مختَلَقة، فيُذيعونها قبل التثبت منها و تشيع بين الناس، فلا تخلو من وَبَالٍ يعود على المسلمين. فنعى الله ذلك عليهم، وقال إنهم لو ردّوا الأمر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى كبار أصحابه، وقالوا: نسكت حتى نسمعه منهم، ونتلقى علمَه من جهتهم، وهل هو مما يصح أن يُذاع أو لا يذاع، لعلموا الحقيقة وما مجب عليهم ازاءها من كتمانٍ

أو إذاعة. وقوله: «الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» أي يتلقَّوْنه منهم ويستخرجون علمَه من جهتهم؛ وفي الكلام إظهارٌ في مقام الإضمار، والأصل: لعلموه. ولولا فضل الله على هؤلاء المذيعين بإرشادهم إلى ما يجب عليهم من الردّ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى كبار أصحابه فيما يسمعونه من هذه الأخبار لضلُّوا باتباع آراء المنافقين فيما يأتون ويذرون. وقوله: «إِلَّا قَلِيلًا» استثناء من قوله «أذاعُوا به» أى إلا قليلاً منهم لم يُذيعوه، اي لم يُفشوه. يقال: اذاع الخبرَ واذاع به، إذا أشاعه وأفشاه. وقيل: عُدِّيَ بالباء لتضمنه معنى التحديث.

.84

*فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا «84» *

«وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا» تعذيبًا. وأصلُه التعذيب بالنكْل وهو القَيْد، ثم استُعمل في كل تعذيب. يقال: نَكَلَ به يَنْكُل، أصابه بنازلة. ونكَّل به مبالغة.

.85

*مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا «85» *

«مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً» الشفاعة: التوسُّطُ بالقول في وصول إنسان إلى منفعة دنيوية أو أخروية، أو إلى خلاصه من مضرة كذلك. من الشَّفع ضدُّ الوِتر؛ كأن المشفوع له كان و ترا فجعله الشفيع شَفعا. فمن يسعى في الخير أو في الشر يكون له نصيبٌ من الجزاء، خيرًا أو شرّا. وإطلاق الشفاعة
على السعي في الشر مشاكلةٌ.

والكِفلُ: النصيب والحظ، واستعمالُه في الشر اكثرُ من استعمال النصيب فيه. مأخوذ من قولهم: اكتفلتُ البعير، إذا أدرتَ على سنامه أو على
موضع من ظهره كساء ركبت عليه؛ فكان لك نصيب من الانتفاع به. {كفل منها} نصيب و حظ من وزرها.

{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا} مقتدرًا أو حفيظاً؛ من اقات على الشيء: اقتدر عليه. أو من القُوت، وهو ما يُمسك الرمق من الرزق، وتحفظ به الحياة.

.86

* وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا «86» *

{حَسِيبًا} محاسباًو مجازيا، أو شهيدا.

.87

*اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا «87» *

.88

*فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا «88» *

{فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ} نزلت في قوم خرجوا الى المدينة يزعمون انهم مهاجرون، ثم ارتدُّوا في أنفسهم واستأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى مكة، ليأتوا ببضائع لهم يتَّجرون فيها. فخرجوا وأقاموا بمكة، فاختلف المسلمون فيهم، فقائل: هم منافقون، وقائل: هم مؤمنون؛ فبين الله نفاقهم وأمر بقتلهم لردّتهم. وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الرسول

صلى الله عليه وسلم، وأقاموا بمكة وأعلنوا الإيمان ولم يه٥اجروا؛ فاختلف في٥م المسلمون، فتولاهم أناسٌ وتبرأ من ولايتهم آخرون؛ فسمّاهم الله منافقين، وبرّا المؤمنين من ولايتهم، وأمرهم ألا يتولوهم حتى يهاجروا. أي فمالكم تفرقتم في شأن المنافقين فرقتين {والله اركسهم بما كسبوا} ردّهم الى الكفر بعد الايمان بسبب ما كسبوه من الردة؛ من الرَّكس، وهو ردُّ اول الشيء على آخره. يقال: رَكَسَ الشيء يَرْكُسه ركساً، اذا قلبه على رأسه. والرَّكس والنَّكس بمعنّى.

.89

* وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا «89» *

{حَتَّى يُهَاجِرُوا} حتى يؤمنوا، وتتحققوا إيمانهم بهجرتهم في سبيل الله؛ أي بخروجهم للقتال مع الرسول صلى الله عليه وسلم لوجه الله، لا لغرض دنيويّ.

.90

*إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا «90» *

{إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ} استثنى من المأمور بقتلهم فريقان: من ترك المحاربين من الاعداء ولَحِق بالمعاهدين؛ فكان معهم على عهدهم. ومضن اتى المؤمنين وكَفَّ عن قتال الفريقين. وقولهُ {حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ} أي ضاقت عن أن يقاتلوكم مع قومهم، أو يقاتلوا قومهم معكم. يقال حَصِر صدرُه يَحْصر، ضاق. وهذه الآيه منسوخه بآية: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ... } [التوبه 5].

.91

* سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا

إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا «91» *

{سَتَجِدُونَ آخَرِينَ} نزلت في انا كانوا يأتون الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيُسْلِمون رياءاً ونفاقاً، ثم يرجعون الى قريش فيَرْتَكسون في الشرك، يبتغون بذلك ان يأمنوا نبيَّ الله ويأمنوا قومهم؛ فابى الله ذلك عليهم. {رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ} دعوا إلى الشرك {أُرْكِسُوا فِيهَا} أي قُلبوا فيها أقبح قلب وأشنَعه. يقال: أركسته فركس، أي قلبته على رأسه فقلب. {حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} أي وجدتموهم، أو تمكنتم منهم. يقال: ثَقِفت الرجلَ في الحرب أثقَفُه، أدركته أو ظفرت به. {السَّلَمَ} الاستسلام والانقياد للصلح.

.92

*وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا «92» *

{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} اي فعليه اعتاق نَسَمة مؤمنة. {وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ} أي مؤداة إلى ورثته يقتسمونها بينهم

قسمة الميراث والدِّية: من الودْى، كالعدة من الوَعد. يقال: و دَى القاتلُ القتيل يديه دية، إذا أعطى وليَّه المال الذى هو بدل النَّفس. وسُميَّ المالُ دية تسمية بالمصدر. وأحكامُ الدية مبسوطة في الفقه. {فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ} أي فان كان المقتول خطأ من قوم محاربين لكم {وهو مؤمن} وقد قتله مسلم لكونه بين اظهر قومه. فعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة، ولا دية

له، إذ لا وراثة بينه وبين أهله. {وان كان} المقتول المؤمن {مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} أي معاهدة، فعلى القاتل ديةٌ مؤدّاة إلى اهله المسلمين ان وجدوا، ولا تدفع إلى أهله الكفار، إذ لا يرث الكافر المسلمَ، وعليه عتق نسَمَة مؤمنة.

.93

*وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا «93» *

{فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا} المراد من الخلود هنا: المكث الطويل لا الدوام؛ لتظاهر النصوص على أنَّ عصاة المؤمنين لا يخلَّدون في النار. والجمهور على أن القاتل إذا تاب واناب، وعمل عملا صالحا، بدل الله سيئاتِه حسناتٍ، وعوّض المقتول من ظُلامته، وأرضاه عن ظِلابته. وما قيل من أنه: لاتوبة لقاتل المؤمن عمدا، محمول على التغليظ في الزجر.

.94

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ

عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا «94» *

{إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} اي سافرتم للجهاد {فتبينوا} فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تفعلون وتتركون. {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ}

أى حياكم بتحية الإسلام، أو

استسلم و انقاد {لَسْتَ مُؤْمِنًا} وإنما فعلت ذلك تقِيّةً؛ بل اقبلوا

منه ما أظهر، وعاملوه بموجبه؛ وأمرُ القلوب بيد الله، وسِرُّها لا يعلمه سواه. {عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} الغنيمة وهي مال زائل.

.96 – 95

*لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا «95» دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا «96» *

{لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} وهم مَنْ لم يخرجوا يوم بَدر لعذر. أو من اذِن لهم في التخلف عن الجهاد.

{غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} أي غيرُ اصحاب الامراض والعلل التى لا سبيل معها إلى الجهاد، من نحو عمىً أو زمانةٍ أو ضَعْف بدن أو عجز عن الاهبة. {فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ} اي بعذر، وهم أولو الضرر {درجة} ومنزلة {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ} اي بغير عذر بامره صلى الله عليه وسلم اكتفاء بغيرهم {أَجْرًا عَظِيمًا «95» دَرَجَاتٍ مِنْهُ} كثيرة.

.97

* إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا «97» *

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ} نزلت في أناس بمكة أسلموا بألسنتهم ولم يهاجروا معه صلى الله عليه وسلم؛ حتى إذا خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم وقاتلوا المسلمين، فَقُتلوا بها كفّارا.

.98

* إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا «98» *

{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ} استثناء منقطع.

.99

*فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا «99» *

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ} يتجاوز عنهم بفضله. و {عَسَى} من الله تعالى واجب؛ لأنه إطماعٌ وترجٍ، والله

تعالى إذا اطمع عبده وصله.

.100

*وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا «100» *

{يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا} متحوَّلا ومهاجَرا. اسم مكان، وعبر عنه بالمراغَ للإشعار بان المهاجر في سبيل الله يصل في الموضع الذي يهاجر إليه، الى ما يكون سببا لرغم انوف قومه الذين فارقهم؛ من الرّغْم – بتثليث الراء – وهو الذُّلُّ والهوان. وأصله لصوقُ الأنف بالرَّغام و هو التراب. وفعله من باب قَتَل وفي لغة من باب تَعِبَ.

{فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} أي وجب له الأجر تفضلاً منه تعالى. وفي الآية ترغيبٌ عظيم في الهجرة في سبيل الله، وكذلك كل من قصد بهجرته فعل طاعة من الطاعات ثم مات قبل إتمامها؛ فإنه يكتب له ثوابها كاملا.

.101

* وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا «101» *

{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ} أي اذا سافرتم ايَّ

سفر، فلا حرج ولا اثم عليكم في قصر الصلاة إن خفتم ان يتعرّض لكم الأعداء في الصلاة بقتل أو جَرْح أو أسر؛ فتصلى الرباعية ركعتين. وجمهور الأئمة على انَّ قَصرَ الصلاة مشروعٌ في السفر في حالتي الخوف و الامن، وقد ثبت عنه – صلى الله عليه وسلم – قصرها في الأمن، كما في الصحيحين وغيرهما. والتقييد بالشرط في الآية إنما يدل على ثبوت القَصر في حالة الخوف، ولا يدل على عَدَمه في حالة عَدَم الخوف، بل هو مسكوتٌ عنه، ويستفاد حكمه من دليل آخر، وقد ثبت بالشنة قصرها في الامن. ولا مفهوم له عند القائلين بالمفهوم من الأصوليين؛ لخروجه مخرج الغالب، حيث لم تخلُ آسفارُه صلى الله عليه وسلم في الغالب من خوف الاعداء؛ لكثرتهم إذ ذاك. وأحكام القَصْر مبَيَّنةٌ في الفقه. {يَفْتِنَكُمُ} ينالكم بمكروه.

.102

*وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا «102» *

{وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ} بيان لكيفية القصر عند الضرورة التامة، بعد النص المجمل في مشروعيته. والخطابُ له صلى الله عليه وسلم يتناول الأئمة بعده، فإنهم نوابه والقائمون بما كان يقوم به؛ فهو كقوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} [103 التوبه]. وقد أُمِرَ أن يجعل المجاهدين طائفتين: طائفة تُصلي معه ومعهم أسلحتهم التي لا تشغلهم عن الصلاة. وطائفة أخرى تقف تجاه العدوِّ للحراسة؛ فإذا أتمّت الطائفة الأولى ركعة، أتت الطائفة

الاخرى فصلت معه – صلى الله عليه وسلم – الركعة الباقية من صلاته. و كيفيّات صلاة الخوف مبينة في الفقه. وظاهرٌ أن الآية في صلاة الخوف في غير حالة الالتحام. وأما في حالته فقيل:يؤخرون الصلاة الى أي يأمَنوا، ثمَّ يقضون ما فاتهم منها. وقيل: يصلون بالإيماء بالركوع والسجود إلى أى جهة، رجالاً وركبانا. وقد تقدم طرفٌ من ذلك في آية 239 البقرة. {وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ} [راجع آية

71 من هذه السورة]. {حِذْرَهُمْ} احترازهم من عدوهم. {تَغْفُلُونَ} تسهون.

.103

*فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا «103» *

{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ} أي اذا فرغتم من صلاة الخوف فداوموا على ذكر الله تعالى في جميع الاحوال، حتى في حال المقارعة والالتحام. {فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ} سكنت قلوبكم بالعودة الى اوطانكم {فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} ادُّوها في أوقاتها باركانها وشروطها وحدودها تامة كاملة. {كتاباً موقوتاً} مكتوبا محدود الأوقات مقدرا.

.104

*وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا «104» *

{وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ} لا تضعفُوا ولا تتوانَوْ في طلب الكفار بالقتال؛ مِن الوَهْن وهو الضَّعْف.

.105

*إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا «105» *

{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} نزلت في طُعمة بن أبَيْرِق من بني ظَفَر – وكان هو وقومُه منافقين– سرق درعاً من جار له كانت في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب، ثم خبّاها عند يهەودي؛ فالتُمست عند طعمة بدلالة أثر الدقيق في الطريق. فحلف ما أخذها، وما له علمٌ بها؛ فتركوه واتبعوا الأثر حتى انتهوا إلى دار اليهودي فوجدوها عنده فقال: دفعها إلى طُعْمةُ، وشهد له بذلك ناسٌ من اليهەود. فانطلق قوم طعمة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وشهدوا زورًا أن اليهودي هو السارق، وسألوا الرسولَ صلى الله عليه وسلم أن يجادل عن صاحبهم؛ فهمَّ ان يفعل ويعاقب اليهەودي، فنزلت الآية فلم يفعل. وهمَّ أن يقضى على طُعمة فهرب إلى مكة وارتد، ونَقَب حائطاً ليسرق متاع أهله فسقط عليه ومات مرتداً. {وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} اي ولا تكن لأجل الخائِنين– وهم طُعمةُ وقومُه – مخاصماً للبريء من السرقة. وأصلُه من الخُصم – بضم فسكون – وهو ناحية الشيء وطَرَفُه، كأن كل واحد من الخصْمين في ناحية من الدعوى والحجّة: واللام للتعليل.

.106

*وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا «106» *

{واستغفر الله} أي مما هممْت به في امر طُعمة واليهودي لظن صدق طعمةَ وقومِه. أُمِر – صلى الله عليه وسلم – بالاستغفار، وان كان معذوراً ,لزيادة الثواب وارشاده الى التثبت، والى ان ما ليس بذنب مما يكاد يُعد حسنةً من غيره، اذا صدر منه – صلى الله عليه وسلم – بالنسبة لمقامه المحمود – يوشك ان يكون كالذنب.

107.

* وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا «107» *

{وَلَا تُجَادِلْ} لا تخاصم عن الذين يخونون أنفسهم بارتكاب المعاصي؛ من المجادلة وهي شدة المخاصمة. واصلها من الجَدْل، وهو شدة الفَتْل. {يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ} يخونونها بارتكاب المعاصي.

108.

*يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا «108» *

{إِذْ يُبَيِّتُونَ} يدبرون فيما بينهم قولاً باطلاً لايرضاه الله، من شهادة الزور، ورَمي البريء بالسرقة، وأصل التَّبْييت: تدبيرُ الفِعل ليلاً، ثم اطلقَ على كل

تدبير وإن لم يكن بالليل.

109

* هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا «109» *

{وَكِيلًا} محافظاً ومحاميا عنهم من عقاب الله تعالى. وأصلُ معنى الوكيل: مَن يُوكل له الأمر ويُسند إليه، ثم أطلق على ما ذكر مجازاً من استعمال الشيء في لازم معناه.

110.

* وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا «110» *

{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا} اي ومن يعمل عملاً يُسيء به غيره {أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ} بارتكاب المعاصي، ثمَّ يتب توبة صادقة {يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} وهو كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ «135» أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ «136»} [ال عمران].

111.

*وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا «111» *

112.

*وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا «112» *

{وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً} الخطيئة: الصغيرة من الذنوب. والإثم: الكبيرة منها. أو الأولى الذنب المختصُّ بفاعله،

والثاني الذنب المتعدّي إلى الغير. {بُهْتَانًا} والبُهتانُ: الكذب على الناس بما يُبهتون به، ويتحيّرون عند سماعه لفضاعته.

.113

* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا «113» *

.114

*لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا «114» *

{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ} أي مما يَتناجى به الناس ويخوضون فيه. والنَّجوى اسم مصدر بمعنى المُسارَّة. يقال نَجوته نجواً ونجوَى، وناجيته مناجاة، اي ساررته. وأصله: أن تخلوَ بمن تسارّه في نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله. ويطلق على القوم المتناجين، كما في قوله تعالى: {وَإِذْ هُمْ نَجْوَى} [الاسراء 47] مبالغة، على حد: قومٌ عدلٌ. أو بتقدير مضاف؛ أي ذَوُو

نجوى. {إِلَّا مَنْ أَمَرَ} إلا في نجوى الذين يأمرون بالصدقة، أو بالبر والخير الذى يصل نفعُه إلى الناس؛ فيسد حاجتهم، أو يرشدهم إلى ما فيه خيرهم ودفع الشر عنهم، أو باصلاح ذات البين عند المشاحنة والمعاداة.

.115

* وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا «115» *

{نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى} نُخْلِ بينه وبين ما اختاره لنفسه من الضلال في الدنيا هو {وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ} نُدخله فيها في الآخرة.

.116

* إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا «116» *

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} [آيه 48 من هذه السورة].وذُكرت هنا تكميلاً لقصة من سبق بذكر الوعد بعد ذكر الوعيد في ضمن الآيات السابقه.

.117

* إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا «117» *

{إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا} أي ما يعبدون من دون الله إلا أصناما سمَّوْها بأسماء الإناث؛ كاللاتِ والعُزّى ومناةَ، وكان لكلِ حَيٍ من احياء العرب صنم يعبدونه، ويسمُّونه انثى بني فلان، ويزينونه بالحلي كالنساء. {وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا} اي وما يعبدون بعبادة هذه الاصنام إلا شيطانا عاتيا. اغراهم بعبادتها فأطاعوه فكانوا له عابدين. والمَريدُ والمُتَّمَرد: البالغ الغاية في الشر و الفساد. يقال: مَرَد – كنَصَر وظرف – إذا عَتا وتجبَّر،

فهو ماردٌ ومريدٌ ومتمردٌ. وأصل المادة للملامسة والتجرُّد؛ ومنه صرحٌ ممرّدٌ، أى أملس. وشجرةٌ مرداءُ للتي تناثر ورقها. و غلامٌ امردُ: لم ينبت في وجهه شعر. ووصف الشيطان بالتمرُّد لتجرده للشر، او لظهور شره ظهورَ عيدان الشجرة المرداء.

.118

*لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا «118» *

{نَصِيبًا مَفْرُوضًا} حظا مقدراً معلوماً؛ مِن الفَرْض واصله القطع. واطلق هنا على المقدار المعلوم؛ لاقتطاعه عمّن سواه من صالحي المؤمنين. فكلُّ من اطاع الشيطان فهو نصيبه المفروض.

.119

* وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا «119» *

{وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ} اي لأزيغنهم عن طاعتك و توحيدك. ولألقِيَنَّ في صدورهم الأماني الباطلة الميسَّرة للعصيان {فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ} اي فليُقَطِّعُنها من أصلها، أوليشقُّنها؛ من البَتْك و هو القطع. ومنه: سيف باتك، أي صارمٌ. وكانوا في الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن وجاء الخامسُ ذكرا قطعوا أذنَها أو شقُّوها شقا واسعاً؛ علامةً على أنهم حرَّموا على انفسهم الانتفاع بها وجعلوها للطواغيت، وسمَّوها البَحِيرة، أي المشقوقة الأُذُن. والمرادُ: أنه يُغريهم بعبادة الطواغيت – ويدعوهم إلى التقرّب إليها بالبحائر ونحوها؛ فيسارعون إلى اجابته. {وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} أي فليغيَّرُن ما خلقه الله عن نهجه صورةً وصفةً؛ كفقء عين فحل الإبل فى بعض الأحوال، وخِصاء الإنسان والوَشم، واللواطة والسِّحاقِ

والتخنُّث، وعبادة الكواكب والنار والأحجار، و تغيير دين الله وأحكامه.

.120

*يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا «120» *

{غُرُورًا} خداعا و باطلا.

.121

*أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا «121» *

{وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا} معدَلاً و مهربا. يفرُّون إليه للنجاة من عذابها. يقال: حاص عنه يَحيص حَيصاً وحيوصاً ومحيصاً، حاد وعدل.

.122

*وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا «122» *

{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} أي قَولاً. وهو مصدر قال، أو اسمُ مصدر.

.123

*لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا «123» *

{لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ} أي ليس ما وعد الله به من الثواب أو ادخال الجنه. أو ليس ما تحاورتم فيه حاصلاً بمجرد أمانيّكم ايها المسلمون، أو أمانيّ أهل الكتاب؛ وانما يحصل بالسعي والجد في طاعة الله والعمل الصالح.

والأمانيُّ: جمع أمنية، وهى ما يودّه الانسان ويشتهيه. {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} من يرتكب معصِيَةً، مؤمنا كان او كافرا، يُجازه الله بها، عاجلاً أو آجلاً، أي إلا إذا تاب أو تفضل الله تعالى عليه بالمغفرة إذا كان مؤمناً. وأجمع العلماء على أن الامراض والاسقام ومصائب الدنيا وهمومها يكفر الله بها الخطيئات. والاكثرون على أنها أيضاً تُرفع بها الدرجات، وتُكتب الحسنات.

.124

* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا «124» *

{وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} لايُبخسون من ثواب أعمالهم شيئاً ما، ولو تافهاً حقيراً كالنقير [آية 53،49 من هذه السورة ص 119،118].

.125

* وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا «125» *

{أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} أخلص نفسه أو توجهه وعبادته لله. {وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} مائلاً عن سائر الأديان الزائغة إلى الدِّين الحق؛ حالٌ من «ابراهيم». ومِلتُه: شريعتُه الموافقة للإسلام. {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} صفيًّا. مشتقٌّ من الخُلَّة، وهي صفاء المودّة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار.

.126

*وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا «126» *

.127

*وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا «127» *

{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ} ويطلبون منك الفَتْوى أي تبيين المُشكل من الاحكام في حق النساء من الميراث وغيره؛ فقل لهم: الله يُفتيكم في شأنهن، ويفتيكم ما يتلى عليكم في القرآن في شأن اليتامى اللائى تمنعونهن ما فُرض لهن من الميراث وغيره، وترغبون في

نكاحهن لما لهن وجمالهن بأقلّ من صداقهن. أو ترغبون عن نكاحهن و تعضُلونهن طمعا في أموالهن؛ أي يبين لكم ألا تفعلوا شيئاً من ذلك. ويُفتيكم ايضا في شأن الصغار من الولدان أن تُورِّثوهم؛ وكانوا لا يورثونهم كما لا يورثون النساء. ويُفتيكم أيضا في شأن اليتامى – ذكورًا كانوا أو إناثا– ان تقوموا بالعدل في ميراثهم وسائر أموالهم وأحوالهم. {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ} أو شر في ذلك وغيره يعلمه الله ويحاسبكم عليه. فقوله: {وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} معطوفاً على اسم الجلالة، أو على الضمير في «ويفتيكم» و {فِي يَتَامَى النِّسَاءِ} متعلق بـ {يُتْلَى}. و {وَتَرْغَبُونَ} أي في نكاحهن أو عنه، وكل من الحرفين مرادٌ على سبيل البدل. {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ} معطوف على «يتامى النساء». {وَأَنْ تَقُومُوا} عطف على ما قبله. {بِالْقِسْطِ} بالعدل في الميراث والاموال.

.128

*وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا «128» *

{بَعْلِهَا} زوجها. {نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا} النُّشوز: أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقَتَه ومودّته، ويؤذيها بسبٍ أو ضرب. والإعراض: أن يقلل محادثَتها ومؤانستها، وهو أخف من النشوز. {وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} أي جُبلت علي الإفراط في الحرص والبخل؛ فكأنه حاضِرُها لاينفكُّ عنها ابداً.

.129

*وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا «129» *

{وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا} أي العدل المطلق الكامل بين زوجاتكم في القسم النفقة، و التَّعهُّد والنظر، والإقبال والمحالمة والمفاكهة، والمحبة والانعطافِ وغير ذلك. {وَلَوْ حَرَصْتُم} عليه اتمَّ الحرص، ولذلك لم يكلفكم الله به؛ اذ التكليف الشرعي انما يكون بما في الوسع والطاقة، فقاربوا واجتهدوا ألا تميلوا المَيْلَ المحظور إلى واحدة منهن في حقوق الزوجية، بحيثُ تكون الاخرى كانها معلَّقة لا هي مطلقة ولا هي ذات بَعْل، وجاهدوا أنفسكم حتى تصلوا إلى الحد المستطاع من العدل الذي يباح لكم معه تعدُّد. [راجع آيه 3 من هذه السورة].

.130

* وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا «130» *

{سَعَتِهِ} فضله و غناه ورزقه.

.131

*وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا «131» *

.132

*وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا «132» *

{وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} كفيلاً بالامر معتَمدا عليه. يقال: وكل فلان فلاناً، إذا استكفاه أمره ثقةً بكفايته، أو عجزا عن القيام بأمر نفسه.

.133

***إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا «133» ***

.134

*** مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا «134» ***

.135

***يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا «135» ***

{قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} مواظبين على إقامة العدل في جميع الامور، لاتميلون عنه، ولايصرفكم عنه صارف؛ متعاونين متناصرين فيه. {فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا} أي أنهاكم عن اتباع أهواء نفوسكم، لتتصفوا اذا انتهيم عنه بصفة العدل. كما يقال: لاتتبع هواك لتُرضيَ ربَّك؛ أي أنهاك عنه كيما ترضي ربك بتركه. فقوله {أَنْ تَعْدِلُوا} من العدل ضد الجَوْر، وهو علةٌ للنهي بتقدير اللام. {وَإِنْ تَلْوُوا} اي وان تلووا ألسنتكم عن الشهادة بالحق، بان تحرفوها و تقيموها علي غير وجهها الذي تستحقه؛ من اللي وهو الفَتْل؛كما في قوله تعالى: {لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ} [ايه 46 النساء]. {أَوْ تُعْرِضُوا}

عنها بترك إقامتها رأساً {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} فيجازيكم بما عملتم. وقُرِيءَ «تَلُوا» بضم اللام وبواو واحدة؛ من الولاية بمعنى مباشرة الشهادة.

.136

***يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا «136» ***

.137

***إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا «137» ***

{ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا} بتكرر الارتداد منهم وإصرارهم على الكفر، وتمايهم في الغَي حتى ماتوا عل كفرهم. {لَمْ

يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ} لانه تعالى لا يغفر أن يشرك به. {وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا} أي طريقاً إلى الجنة؛ لانهم ليسوا من اهلها لسوء اختيارهم وفساد استعدادهم. وهو نظير قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا «168» إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا «169»} [النساء].

.138

* بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا «138» *

.139

*الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا «139» *

{أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ} أي أيطلب المنافقون عند اليهود المنَعة والقوة والغلبة، فيتخذونهم أولياء وأنصارًا لهم من دون المؤمنين؟! وقد كانوا يقولون فيما بينهم: إنَّ أمرَ محمد لايتم فتوَلّوا اليهود. واصل العزة: الشدة. يقال: عزَّ عليّ أن يكون كذا، اي اشتدَّ علي ذلك. ومنه استعزَّ عليه المرض، أي اشتدَّ عليه وغلبه. والعَزازُ للارض الصلبة الشديدة. والاستفهام للانكار. وقيل للتعجب.

.140

*وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا «140» *

{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ}

الخطاب للمنافقين اللذين تعولوا اليهود، وخاضوا معهم في الاستهزاء بالقران؛ كما خاض مشركو مكةَ من قبل في ذلك. وفيه توبيخٌ شديدٌ لهم، حيثُ فعلوا ذلك مع تحقُّق ما يمنعهم منه، وهو نزول القران بالنهي عن مجالسة المشركين الذين يخوضون في آيات الله بالباطل في قوله تعالى في سورة الأنعام وهى مكية: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ... } [الانعام 168] وهوَ يستلزم النهيَّ عن موالاتهم على أبلغ وَجْهٍ وآكده. {إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ} أي انكم إن قعدتم معهم كنتم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب. ثم اخبر اللهُ انه جامع المنافقين والكافرين من المشركين واليهود في جهنم جميعا؛ لاشتراكهم في موجب هذا العذاب الخالد. والخوضُ في الاصل: الدخولُ في مائع كالماء والطين. يقال: خاض يخوض خوضاً، دخلَ، واسمُ المكان مخاض جَمع مخاضة، ثمَّ صار اسماً لكل دخول فيه تلويث؛ وتُجُوِّز به إلى القول الباطل، واستعماله في ضده للمشاكلة. ويؤخذ من الآية النهيُ عن مجالسة أهل الباطل عامة عند خوضهم في باطلهم؛ كالمُبْتَدعة والفُساق والملاحدة.

.141

*الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا «141» *

{الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ} وصف الله المنافقين بأنهم ينتظرون ما يحدث للمؤمنين من خير او شر، او من نصر او هزيمة. {فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ} أي نصرٌ منه وخيرٌ لكم {قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} في

الجهاد فأعطونا نصيباً من الغنائم. والفتح: النَّصرُ، كالفتاحة. {وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ} أي دُولَة وظهور على المؤمنين {قالوا} للكافرين

{أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} أي ألم نغلبكم ونتمكَّن من قتلكم وأسركم فأبْقينا عليكم {وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} أي ألم ندفع المؤمنين عنكم بتخذيلهم، ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأسرارهم؛ فأعطونا نصيباً مما أصبتم منهم.والاستحواذ: الاستيلاء والغَلَبةُ. يقال: استحوذ عليه، أي غلب عليه. {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} أي حجة يوم القيامة. وقيل في الدنيا، فلا حُجَة لهم يغلبون بها المؤمنين؛ لأنهم على الباطل والمؤمنون على الحق.والسبيلُ: الطريق، وما يتوصل به إلى الشيء، وأطلق على الحُجة مجازًا.

.142

*إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا «142» *

{يُخَادِعُونَ اللَّهَ} يفعلون ما يفعل المخادع، حيث

أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وهو تعالى فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع؛ حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والأموال، تجرى عليهم أحكام الإسلام بحسب الظاهر، وأعدَّ لهم في الآخرة الدَّرك الأسفل من النار. وخادِع: اسم فاعل من خادعته فخدعته، إذا غلبته وكنت أخدع منه.

.143

* مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا «143» *

{مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ} مُرَدَّدين متحيِّرين بين الكفر والإيمان، قد ذبذبهم الشيطان بينهما أو بين المؤمنين والكافرين المعلِنين. وأصلُ الذّبذَبة: حكايةُ صوت الحركة للشيء المُعلَّق، ثم استعير لكل حركة واضطراب، أو تردد بين شيئين. يقال: ذبذبه ذبذبةً، أي تركه حيران متردِّدا؛ كالشاة العائرة – وهي المتردِّدة – بين قطيعين لا تدري أيهما تتبع.

.144

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا «144» *

{سُلْطَانًا مُبِينًا} حجة ظاهرة في العذاب.

.145

*إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا «145» *

{فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ} أي في الطبق الأسفل من أطباقها السَّبعة. وسُمِّيت دركات لكونها متداركة، أي متتابعة بعضها تحت بعض، والدَّرك لغة في الدَّرَك وهو كالدَّرج؛ إلا أن الدرج يقال باعتبار الصعود، والدّرك باعتبار النزول والحدور. ولذا قيل: درجاتُ الجنة، ودركات النار.

.146

*إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا «146» *

.147

*مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا «147» *

.148

*لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا «148» *

{لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ} أي إعلانه وإظهاره. وكذا الإسرارُ به. {مِنَ الْقَوْلِ} ومثلُه الفعل، لكن يباح للمظلوم أن يَجْهر بما في ظالمه من السُّوء ليدفع عن نفسه شره.

.149

* إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا «149» *

.150

*إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا «150» *

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} نزلت في اليهود الذين آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد. وفي النصارى الذين آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد – عليهم الصلاة والسلام – تفريقا بين الله ورسله، والله سبحانه قد أمرهم بالإيمان بجميع رسله.

.151

* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا «151» *

.152

* وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا «152» *

.153

* يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا «153» *

{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ} نزلت في أحبار اليهود حين سألوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم تعنتاً: أن يأتيَهم من السماء بكتاب جملةً واحدةً، كما أتى موسى عليه السلام بالتوراة؛ وجَهلوا الحكمة في تفصيل آيات القرأن وجَعْلِه نجوما. {جَهْرَةً} عياناً بالبصر. {الصَّاعِقَةُ} نار من السماء أو صيحة منها.

.154

*وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا «154» *

{وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ} حين امتنعوا من قبول التوراة؛ ليخافوا فيقبلوها ولا ينقضوا العهد والميثاق؛ وهو كقوله تعالى: {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ «171»} [الاعراف]. {لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ} لا تجاوزوا في يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما حُرِّم عليكم، وهو الاصطياد فيه. {مِيثَاقًا غَلِيظًا} أي عهدا وثيقا مؤكدا بأن يطيعوا الله؛ فعصَوْا ونقضوا العهد.

.155

*فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا «155» *

{قُلُوبُنَا غُلْفٌ} [راجع آية 88 البقرة]. {طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا} أي ختم عليها فحجبها عن العلم.

.156

* وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا «156» *

{بُهْتَانًا عَظِيمًا} أي كذباً وباطلا فاحشا.

.157

* وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا «157» *

{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ}

زعم أكثر اليهود أنهم قتلوا المسيح وصلبوه، فأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال: {وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} أي شُبّه لهم المقتولُ بأن ألقى عليه شَبَهُ المسيح، فلما دخلوا ليقتلوا المسيح وجدوا الشبيه فقتلوه

وصلبوه، يظنُّونه المسيح وما هو به في الواقع، إذ قد رفع الله عيسى إلى السماء، ونجاه من شر الأعداء. وقيل: المعنى ولكن التبس عليهم الأمر حيث ظنوا المقتول عيسى كما أوهمهم ذلك أحبارهم. {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ} وهم اليهود: حيث قال بعضهم: قتلناه حقًّا، وتردد فيه آخرون. والنصارى حيث قال بعضهم: صُلب الناسوتُ ورفع اللاهوتُ. وقال بعضهم: قُتلا معاً. وقال فريق: رأيناه قُتل. وفريق: رأيناه رفع. وكلهم ضلّال كذبة، وما لهم بذلك من علم! ولكنهم يظُنون ظناً ويتبعون وهماً، وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل رفعه الله إلى السماء التي لاحُكم فيها إلا الله تعالى، وطهره من الذين كفروا.

.158

*بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا «158» *

.159

* وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا «159» *

{وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} أي ما أحد من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان إلا ليؤمنن بأنه عبدُ الله ورسوله وكلمته، قبل أن يموت عيسى وتكون الأديان كلُّها ديناً واحِداً وهو دين الإسلام الحنيف، دينُ إبراهيم عليه السلام. ونزول عيسى عليه السلام ثابتٌ في الصحيحين، وهو من أشراط الساعة.

.160

*فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا «160» *

.161

*وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا «161» *

.162

* لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا «162» *

{وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ} أي وأخص المقيمين الصلاةَ

بالذكر أو بالمدح. وقُرئ " والمقيمون ".

.163

*إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا «163» *

{وَالْأَسْبَاطِ} أولاد يعقوب عليه السلام لصُلبه، وقيل: أولادُهم. وفي نبوة مَنْ عدا يوسف منهم خلاف، وصحح السيوطي والآلوسي عدمَها. فالمرادُ من الإيحاء إليهم: الإيحاءُ إلى الأنبياء منهم، كما تقول: أرسلت إلى بني تميم؛ تريد أرسلت إلى رؤسائهم ووجوههم. {زَبُورًا} أي مزبورا بمعنى مكتوب، ولم يكن فيه أحكام؛ بل فيه تقديسٌ وتحميدٌ وثناء على الله عز وجل، ومواعظ وحكم.

.164

*وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا «164» *

.165

*رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا «165» *

.166

*لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا «166» *

{أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} أي بعلم تام وحِكمة بالغة منه تعالى. أو بما علمه من مصالح عباده في إنزاله عليك.

.167

*إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا «167» *

.168

* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا «168» *

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا} أي وظلموا أنفسهم بالضلال البعيد والصد عن سبيل الله، فازدادوا بذلك كفرا وأصروا عليه إلى الممات {لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ} كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا «48»} [النساء]. {وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا «168» إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ .... } لفساد استعدادهم [راجع آية 137 من هذه السورة]. والتعبير بالهداية في جانب طريق النار ضربٌ من التهكم بهم.

.169

* إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا «169» *

.170

*يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا «170» *

.171

*يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا «171» *

ييي – يا أهل الكتاب به «ي» النساء آية 48.

خطاب للنصارى، زجرا لهم عمّا هم عليه من الضلال البعيد. {لَا تَغْلُوا} لا تجاوزوا الحد ولا تفرطوا. والغُلوُّ: مجاوزةُ الحد. وقد غَلَوْا في الدين فقالوا على الله غير الحق، ونسبوا له ابنا وشريكا، تعالى الله عما يقولون عُلوًّا كبيرا! {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} [راجع آية 39 آل عمران]. {وَرُوحٌ مِنْهُ} أي وذو روحٍ من أمر الله تعالى، خلقه كسائر الأرواح.

.172

*لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا «172» *

{لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ} لن يأنف ولن يترفع عن عبوديته وطاعته لخالقه تعالى. والاستنكافُ: الأنفةُ والترفع؛ يقال: استنكف أي استكبر. وأصله من النكف، وهو تنحية الدَّمع عن الخد بالإصبع ورفعه عنه.

.173

* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا

فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا «173» *

.174

*يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا «174» *

{بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ} هو رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من البينات من ربه. وعبر عنه صلى الله عليه وسلم بذلك لما معه من المعجزات الباهرة الشاهدة بصدقه، كما عبّر عنه بالبينة في قوله تعالى: { .... حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ «1»} [البينة]. {نُورًا مُبِينًا}: هو القرآن الكريم.

.175

* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا «175» *

.176

*يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ «176» *

{يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} [راجع آية 12 من هذه السورة]. {لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ} أي ولا والد: ولم يذكر في الآية لعلمه من لفظ الكلالة. {وَلَهُ أُخْتٌ} أي لأبوين أو لأب. وأمّا الأخت لأم ففرضها السُّدُس:: كما في آية 12 من هذه السورة. والله أعلم.

سورة المائده

.1

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ «1» *

{أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} بالعهود المؤكدة، وهي ما ألزمه الله عباده وعقدَه عليهم من التكاليف، وما يعقدونه فيما بينهم من عقود المعاملات والأمانات ونحوها، مما يُطلب شرعا الوفاء به. والإيفاء والوفاء: الإتيان بالشيء وافيا. يقال: وفى ووفي وأوفى بمعنى. والعقود: جمع عقد، وأصله الربطُ محكَماً، تُجوِّزَ به عن العهد الموثَّق، وهو المراد هنا. {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ} البهيمة: اسم لذوات الأربع من دواب البَر والبحر، والأنعامُ: الإبل والبقر والغنم، ولا يدخل فيها الحافرُ لغة. والإضافة للبيان، وهي بمعنى " مِن "؛ كخاتم فضة. وألحق بها في حل الأكل ما يماثلها في الاجترار وعدمِ الأنياب، كالظِّباء وبَقَر الوحش. {إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} أي إلا ما يتلى عليكم تحريمه في الآية الثالثة. {غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} أي أحلت لكم بهيمة الأنعام كلها، غيرَ مُجَوَّزين للاصطياد أو الانتفاع بالمَصيد وأنتم محرمون بحج أو عُمرة، سواء أكنتم في الحل أم في الحَرَم. يقال: أحْرَم فهو محرم وحَرَام وهم حُرُم. فإذا تحللتم من الإحرام حلٌ لكم ذلك، لقوله تعالى: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا} [المائده 2]. وفي حُكم المُحرم من كان في الحَرم وليس مُحْرِما. و {غَيْرَ} حالٌ من الضمير في {لَكُمْ}. و

{مُحِلِّي}: جمع مُحِل بمعنى مستحِل. و {الصَّيْدِ}: مصدر بمعنى الاصطياد، أو اسمٌ للحيوان المَصيد. وجملة {وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} حال من الضمير في {مُحِلِّي}.

.2

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ «2» *

{لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ} لا تنتهكوا حُرمة أعلام دين الله

ومتعبداته في الحج وهي مناسكه. أو الأعمال الحجية التي جعلها الله علامة على طاعته والتسليم إليه. جمع شعيرة بمعنى العلامة. [آية 153 البقرة]. {وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ} ولا تُحِلُّوا الأشهر الحُرُم الأربعة بالقتال فيها، وهو عند الجمهور منسوخ بآية: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبه 5]. {وَلَا الْهَدْيَ} ولا تُحِلُّوا حُرمةَ

ما يُهدى إلى البيت الحرام من الأنعام تقربا إلى الله تعالى بالتعرض له؛ بنحو غصب أو سَرقة أو حَبْس عن بلوغه مَحِله [أي موضعه الذي يحل فيه اراقة دمه]. {وَلَا الْقَلَائِدَ} جمعُ قِلادة وهي ما يُقَلد به الهديُ ليُعلم أنه مهدي إلى البيت الحرام فلا يتعرض له أحد بسوء. والمراد: لا تُحِلوا ذوات القلائد وهي البُدْن بالتعرض لها. وخُصَّت بالذكر مع أنها من الهَدي اعتناء بها؛ لأن الثواب فيها أكثر، و بهاء الحج بها أظهرُ. {وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ} أي ولا تُحِلوا أذى قوم قاصدين البيت الحرام. جمع آمٍ، من الأَمَّ وهو القصد المستقيم. والمراد بهم المشركون، وهو منسوخ بآية: {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} [التوبة 28] أو بأية السيف أو بهما. {يَبْتَغُونَ فَضْلًا} المراد منه: التجارة والمكاسب. {وَرِضْوَانًا} هو ما يطلبونه من الرضاء بزعمهم. {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ} لا يحملكم بغضُكم للمشركين من أجل صدِّهم إيّاكم عن المسجد الحرام يوم الحُدَيْبية على اعتدائكم عليهم انتقاماً منهم؛ من جَرَمه على كذا حمله عليه. أو لا يَكسِبَنَّكم بغضُكم لهم الاعتداء عليهم؛ من جَرَم بمعنى كَسَب، غير أنه يستعمل غالبا في كَسْب مالا خَير فيه؛ ومنه الجريمة. وأصل الجَرْم قطع الثمرة من الشجرة، وأطلق على الكسب لأن الكاسب ينقطع لكسبه. والشنآن: البُغض أو البغض المصحوبُ بتقزز. مصدر شنأه –كمَنعه وسَمِعه – أي أبغضه. {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} أي على فعل الطاعات واجتناب المنكرات والمنهيات. {وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ} وهو ترك ما أمر الله بفعله، وفعل ما أمر بتركه. {وَالْعُدْوَانِ} وهو مجاوزة حدود الله.

.3

*حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ

اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «3» *
{وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ} يعني الخنزير بجميع أجزائه. {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} ما ذُكر على ذبحه غيرُ اسمه تعالى، من صنم أو وَثَن أو طاغوت أو نحو ذلك [آية 173 البقرة]. {وَالْمُنْخَنِقَةُ} البهيمة التي تموت بالخَنق، سواء أكان بفعلها كأن تدخل رأسها في موضع لا تستطيع التخلص منه فتموت، أم بفعل غيرها. {وَالْمَوْقُوذَةُ} البهيمة التي تُضرب بمثقل غير محدد، كخشب أو حجر حتى تموت؛ وكانوا في الجاهلية يضربونها بالعصي حتى إذا ماتت أكلوها. {وَالْمُتَرَدِّيَةُ} البهيمة التي تسقط من عُلُّو فتموت من التردي؛ مأخوذ من الرَّدى بمعنى الهلاك.
{وَالنَّطِيحَةُ} التي تنطحها أخرى فتموت من النطاح. يقال: نطحه يَنْطَحُه وينطِحُه، أصابه بقرنه. {وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ} أي ما بقي من الحيوان بعد أكل السبُع منه {إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ} استثناء من التحريم؛

أي إلا ما أدركتم ذكاته من المُخنِقة وما عُطف عليها وفيه بقيةُ حياة، يضطرب اضطراب المذبوح وذكيتموه فإنه يحل؛ من التذكية وهي الإتمام. يقالُ: ذكَّيت النار إذا أتممتُ اشتعالها. والمراد هنا: إتمام قَرْي الأوداج وإنهار الدم. والتفصيل في الفقه. {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} جمعُ نِصاب، ككتب وكتاب. أو نَصْب، كسُقُف وسَقْف. أو واحد الأنصاب، وهي والنُّصب أحجار نصبوها حولَ الكعبة، كانوا يذبحون عليها ويعظمونها ويلطخونها بالدماء، وهي غير الأصنام، إنما الأصنام المصورة المنقوشة. {وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ} وأن تطلبوا عِلمَ ما قسم لكم في سفر أو غَزْو ونحو ذلك بواسطة الأزلام، وتُسمى القِداح، وهي سهام كانت لديهم في الجاهلية مكتوبٌ على أحدها: أمَرني ربي، وعلى الآخر: نهاني رَبي، والثالث غُفْلٌ من الكتابة، فإذا أرادوا شيئا من ذلك أتوا إلى بيت الأصنام واستقسموها؛ فإن خرج الآمرُ أقدموا على الأمر، وإن خرج الناهي أمسكوا عنه، وإن خرج الغفل أجالوها ثانيا حتى يخرج الآمرُ أو الناهي. وواحد الأزلام: زُلَم؛ كجَمَل وصُرَد. {ذَلِكُمْ فِسْقٌ} أي الاستقسام بالأزلام. أو تناول جميع ما ذكر من المحرمات خروجٌ عن طاعة الله تعالى. {الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا} المرادُ به: يومُ عرفة، وهو يومُ الجُمُعة عام حَجَة الوداع. واليأسُ: انقطاع الرجاء، وهو ضد الطمع. {مِنْ دِينِكُمْ} أي من إبطال أمر دينكم. {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ} أي فمن ألجأته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات في مجاعة شديدة {غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ} أي غير مائلٍ إليه بأن يكون غير باغٍ ولا عاد فأكل فلا إثم عليه.
والاضطرارُ: الوقوع في الضرورة. والمخْمَصة: خلُوُّ البطن من الغذاء عند شدة الجوع. و {مُتَجَانِفٍ} من الجَنَف وهو الميل. يقال: جَنِف عن الحق كفرح – إذا مال عنه. وجَنِف عن طريقه – كفرح وضرب – جنفاً وجُنُوفا، مال عنه.
.4
*يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ «4» *
{الطَّيِّبَاتُ} ما أذن الشارع في أكله. {وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ} وأحل لكم صيدُ ما درَّبتم على الصيد من سباع البهائم؛ كالفهود والكلاب. وسباع الطير؛ كالصُّقور ونحوها

مما يقبل التعليم والتدريب. وسُميت جوارح لكسبها القوت لأصحابها من الصيد. يقال: جَرَح فلان أهله يجرح ويجترح، أي تكسَّب لعياله. {مُكَلِّبِينَ} أي مُؤدِّبين ومعوِّدين لها على الصيد؛ من الكَلَب بمعنى الضراوة. يقال: كَلَب الكلب يكلبُ واستكلب، ضَرِى وتعودَ أكل الناس. {وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ} أي على ما علمتم من الجوارح عند إرساله.

.5

*الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ «5» *

{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} أي وذبائِحُهم حلال لكم إذا ذكروا عليها اسم الله تعالى عند الذبح، فإن ذكروا عليها اسم غيره قيل لا تحلّ. وذهب أكثر أهل العلم إلى أنها: تحل، وهو قول الشَّعبي وعَطاء قالا: فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون. {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ} وأحِلَّ لكم العفائفُ من المؤمنات ومن الكتابيات. وخص المحصنات بهذا المعنى بالذكر للترغيب في نكاحهن، والحث على اختيارهن. {أُجُورَهُنَّ} أي مهورهن. {مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} أعفّاءَ بالنكاح، غير مجاهرين بالزنا. يقال: سفح الماء يسفَحُه إذا صبه. {وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ} أي صديقات للزّنا بهن سرا جمعُ خِدْن وهو الصديق؛ يطلق على الذكر والأنثى [آيه 24 النساء].

.6

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «6» *

{قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ} أردتم القيام إليها وأنتم محدثون حَدَثاً أصغر. {وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} أي واغسلوا أيديكم مع المرافق، وأرجلكم مع الكعبين. فـ {إلى} بمعنى مع؛ كما في قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} [النساء 2] أي مع أموالكم. {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى} [آية 43 النساء]. {الْغَائِطِ} موضع قضاء الحاجة «كناية عن الحدث». {لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} واقعتموهن أو مسستم بشرتهن. {صَعِيدًا طَيِّبًا} ترابا. أو وجه الأرض – طاهرا. {حَرَجٍ} ضيق في دينه وتشريعه.

.7

*وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ «7» *

{وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ} واذكروا عهد الله الذي عاهدكم عليه، وهو الميثاق الذي أخذه عليكم حين بايعتم الرسول صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيها أحببت وكرهتم في ليلة العقبة أو تحت الشجرة.

.8

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ «8» *

{كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ} ليكن من دأبكم أن تقوموا الله بالحق في كل ما يلزمكم القيام به، من العمل بطاعته واجتناب منهياته. {شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ} شاهدين بالعدل. {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ}. [آية 2 من هذه السورة]

.[

.9

*وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ «9» *

.10

*وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ «10» *

.11

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ «11» *

{اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} تذكير بنعمة خاصة بعد التذكير بنعمة عامة؛ وهي إنجاؤهم من كيد أعدائهم. {أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ} أي يبطشوا بكم بالقتل والإهلاك. يقال: بَسَط يده إليه، إذا بطش به. وبسط إليه لسانه، إذا شتمه. والبَسْط في الأصل: مطلق المدّ، وإذا استعمل في اليد واللسان كان كناية عما ذكر.

.12

*وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ «12» *

{وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} بيانٌ لما كانوا عليه من نقض العهود والمواثيق، وتحريفِ التوراة والإعراض عنها، والخيانة للرسل. {نَقِيبًا} كفيلاً، كفلوا عليهم بالوفاء لله بما واثقوه عليه من العهود؛ من التنقيب وهو البحث والتَّفتيش. والنَّقيب: من يَنْقُب عن أحوال القوم وأسرارهم فيكون شاهدَهم وضمينَهم وعريفهم. وأصلُه من النَّقب وهو الثقب الواسع والطريق في الجبل. {وَعَزَّرْتُمُوهُمْ} نصرتموهم مع تعظيمهم وطاعتهم؛ من التعزير وهو النصر والإعانة مع التعظيم والتفخيم، وذلك بالذب عنهم والاعانة لهم والانقياد إليهم. {وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} هو ما كان عن طيب نفس. أو ما لا يتبعه منٌّ ولا أذى أو ما كان من حلال.

.13

* فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا

تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ «13» *
{لَعَنَّاهُمْ} طردناهم من

رحمتنا بسبب نقضهم ميثاقهم عقوبة لهم. {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ} يغيرونه. أو يؤولونه بالباطل. {عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ} على خيانة وغدر منهم. اسم وضع موضع المصدر، كقائلة في موضع القيلولة. وتلك عادتهم مع رسلهم.

.14

*وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ «14» *

{وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى} بيان لقبائح النصارى وجناياتهم إثر بيان قبائح اليهود وشرورهم. و {نَصَارَى} جمع نصران به ک «ندامى» جمع نُدمان، ولم يستعمل نصران إلا بياء النسب. وقد صارت كلمة نصرانيّ لقباً لكل من اعتنق المسيحية. أي وأخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم. {فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ... } ألزمنا أو الصقنا بينهم العداوة والبغضاء. يقال: أغريتُ فلانا بكذا حتى غَرِيَ به، نحو ألزمتُه به وألصقته، وأصل ذلك من الغراء وهو ما يلصق به.

.15

*يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ «15» *

{نُورٌ} هو محمد صلى الله عليه وسلم.

.16

*يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «16» *

.17

*لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «17» *

.18

*وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ «18» *

.19

* يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «19» *

{يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ} أي يبين لكم شرائع الدين على انقطاع من الرُّسُل، وطمُوسٍ من السُّبُل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان؛ فكانت النَّعمة به أتمَّ النعم. وأصل الفترة: الانقطاعُ؛ يقال: فَتَر الماءُ إذا انقطع عما كان

عليه من البرودة إلى السخونة. وفَتَر عن عمله يفتُر ويفتِر فتورا، إذا انقطع عما كان عليه من الجد. وسميت المدةُ التي بين النبيين فترةً؛ لفتور الدواعي فيها إلى العمل بتلك الشرائع.

.20

*وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ «20» *

.21

*يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ «21» *

{ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ} هي بيت المَقْدس، وقيل: دمشق وفلسطين والأردن. وقيل: أرض الطور وما حوله.

.22

*قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ «22» *

{إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ} شديدي البطش متغلبين، لا تتأتى مقاومتهم، وكانوا من العمالقة بقايا قوم عاد، استحوذوا عليها وملكوها بعد أن كانت في حَوزة اليهود في زمن يعقوب عليه السلام. جمع جبار، صيغة مبالغة؛ من جَبَرَ – الثلاثي – وهو الذي يقهر الناس ويكرههم على ما يريده.

.23

*قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «23» *

.24

*قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ «24» *

.25

* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ «25» *

{فَافْرُقْ» فافصل بحكمك.

.26

* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ «26» *

{يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ} أي يسيرون متحيرين في الأرض، عقوبة لهم على تفريطهم في أمر الله تعالى؛ من التَّيه وهو الحَيْرة. يقال: تاه يتيه ويتوه إذا تحير. وتَوهه إذا حيّره. ووقع في التَّيه والتَّوه، أي في مواضع الحيرة. وأرضٌ تِية أي مضلة؛ ومنه سُميت هذه الأرض البرية التي بين مصر والشام بالتيه. {فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} فلا

تحزن عليهم؛ من الأسى وهو الحزن. يقال: أسيَ أسى –كتَعب –
أي حَزِن، فهو أسيّ مثل حزين. وأسا على مصيبته – من باب عدا – حَزِن.
.27
*وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ «27» *
{قَرَّبَا

قُرْبَانًا} اسم لما يتقرب به إلى الله تعالى من صدقة أو ذبيحة أو نحوهما. وهو في الأصل مصدر قَرُب منه –ك «كَرُم» – إذا دنا. وكانت أمارة قبول القرابين أن تنزل من السماء نارٌ بيضاء فتأكلها، فإن لم تنزل لم تكن مقبولة، فتأكلها السباع والطير لعدم جواز أكل القرابين إذ ذاك.
.28
*لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ «28» *
.29
*إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ «29» *
{أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ} ترجع وتُقِر، من البَوْء وهو الرجوع واللزوم، يقال. باء إليه رجع، وبُؤْت به إليه رجعت. وباء بحقه أقر ولَزِم، أي أني أريد أن تبوء باثم قتلك لى، وباثمك الذي قد صار إليك بذنوبك من قبل قتلى.
.30
*فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ «30» *
{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ} سهلته له وزينته بعد هذه الموعظة وهذا الزَجْر. يقال: طاعَ الشيء يطُوع ويطَاع أي سهل وانقاد. وطوَّعه فلان له سَهَّلَهُ.
.31
* فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ «31» *
{يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ} يحفر فيها ليدفن غرابا قتله. {سَوْءَةَ أَخِي} جيفته أو عورته. {يَاوَيْلَتَا} أصلُها: يا ويلتِي، وهي كلمة جَزَعٍ وتحسُّر، تستعمل عند وقوع الداهية العظيمة؛ كأن المتحسر ينادي ويْلته ويطلب حضورها، بعد تنزيلها منزلة من ينادَى؛ ولا يكون ذلك إلا في أشد حال. والوَيْلةُ كالْوَيْل:: الفضيحة والبليَّة والهلاك.
.32
*مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ «32» *

{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ} أصل معنى الأَجْل: الجنايةُ التي يخاف منها آجلا. يقال: أَجَل الرجل على أهله شَرا يأْجِلُه – بضم الجيم وكسرها– أجلاً، إذا جناه أو أثاره وهيجه، ثم استعمل في تعليل الجنايات، كما في قولهم: من أجلك فعلت كذا، أي من جَرَّاك وجنايتك، ثم اتُّبِع فيه فاستعمل في كل تعليل. والمعنى: من أجل هذه المفاسد الحاصلة بسبب هذه الجريمة الفظيعة، شرعنا القصاص، وكتبنا في التوراة تعظيم القتل العمد العدوان، وشدّدنا على بني إسرائيل فيه؛ لشيوعه فيهم، حتى إنهم تجرءُوا على قتل الأنبياء. وهم أوْل أمة نزل الوعيد عليهم في القتل العمد العدوان مكتوبا. {لَمُسْرِفُونَ} لمجاوزون الحد بارتكاب المعاصي والآثام، ومنها القتل بغير حق. والإسراف: مجاوزة حد الحق. أو هو التباعد عن حد الاعتدال

مع عدم المبالاة به.

.33

*إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ «33» *

{إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} نزلت في قُطاع الطريق ومحاربتهم الله والرسول، ومخالفتهم الأمر، وخروجهم عن الطاعة، فإذا قَتلوا فقط قُتلوا حدًّا، وإذا قتلوا وأخذوا المال قُتلوا وصُلبوا، وإذا أخذوا المال فقط قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف. الأول – لأخذ المال. والثاني – لإخافة الطريق. وإذا أخافوا السبيل ولم يَقتُلوا ولم يأخذوا مالاً نفوا من الأرض، أي أخرجوا إلى بلد آخر من بلاد الإسلام وسُجنوا فيه. وقيل: المراد بالنفي السجن دون إخراج من البلد. قال الآلوسي: والظاهر أن هذا التفصيل عُلم بالوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. وقيل: الإمام مُخَيّر بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق. {يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ} يبعدوا أو يسجنوا. {خِزْيٌ} ذل وفضيحة وعقوبة.

.34

*إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «34» *

.35

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «35» *

{اتَّقُوا اللَّهَ} اجتنبوا المعاصي، التي منها المحاربة والفساد، وافعلوا الطاعات، التي منها التوبةُ والاستغفار ودفع الفساد. {وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ} أي اطلبوا الزلفى إليه بالأعمال المرضية عنده وبهجر معاصيه، والابتغاء: الطلب. والوسيلة هنا: ما يتقرب به إلى الله تعالى من فعل الطاعات واجتناب المعاصي؛ من وسَلَ إلى كذا، أي تقرب إليه بشيء، وقيل: الوسيلة الحاجة؛ أي اطلبوا متوجّهين إليه تعالى حاجتكم، فإن بيده مقاليد السموات والأرض، ولا تطلبوها متوجهين إلى غيره.

.36

*إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ «36» *

.37

*يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ «37» *

.38

* وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «38» *

{فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} أي يديهما. والمراد. اليد اليمنى من كل منهما؛ وحَدُّها لغة: من رءوس الأصابع إلى الرسغ. {نَكَالًا} عقوبة منه تعالى على انتهاك حرمة المال. [راجع في معنى النكال آية 66 البقرة]. والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم. أو لولاة الأمور ومنَ أُذِن له في إقامة الحدود ..

.39

* فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «39» *

.40

*أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «40» *

.41

*يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ «41» *

{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ} نزلت في المتهافتين في الكفر من المنافقين واليهود؛ نعياً عليهم، ووعيداً لهم. {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ} أي هم جميعا مستجيبون للكذب قابلون له. مستجيبون لقوم آخرين منهم لم يحضروا مجلسك، ولم يسمعوا منك تكبُّرا وعتُّوا. ثم وصفهم الله بأن دأبهم تحريف جنس الكلم عن مواضعه؛ فيحرِّفون كلامك ويحرفون التوراة، ويحرفون القرآن حسب أهوائهم وأغراضهم. ومع ذلك يقولون لأتباعهم: إن أتاكم محمد بما نقوله فخذوه، وإن أتاكم بغيره فارفضوه. وما يقولون إلا كذباً وباطلا وقولاً محرفا. {لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ} فخزيُ المنافقين: بافتضاحهم، وازدياد غمهم بسرعة انتشار الإسلام وقوة شوكته. وخزي اليهود بالذلة وظهور كذبهم في كتمان ما في التوراة، وإجلاء بني النَّضير من ديارهم.

.42

*سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ «42» *

{أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} هم أكالون للمال الحرام كالربا والرشوة. سميَّ سحتاً من سحته إذا استأصله؛ لأنه مَسْحوت

البركة أي مقطوعها. أو لأنه يُذْهِب فضيلة الإنسان ويستأصلها. واليهود أرغب الناس في المال الحرام وأحرصهم عليه. {فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ} خُيِّر الرسول صلى الله عليه وسلم إذا ترافع إليه أهل الكتاب بين الحكم بينهم، والإعراض عنهم، ثم نسخ التخيير بقوله تعالى: {وأن احكم بينهم بما أنزل الله} [ايه 49 المائده]. وقيل: إن التخيير ثابت بهذه الآية؛ وقوله تعالى: «وأن احكم» بيان لكيفية الحكم عند اختياره، وأنه لا يحكم إلا بأحكام الإسلام. وأما إذا تحاكم مسلم وذميٌّ فإنه يجب الحكم بينهما بأحكام الإسلام اتفاقا. وتفصيل الأحكام في الفقه.

{بِالْقِسْطِ} أي بالعدل، وهو ما جاء به الإسلام من الأحكام.

.43

* وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ «43» *

{يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} يعرضون عن حكمك الموافق.

.44

*إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ «44» *

{يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ} أي يحكم بالتوراة لليهود أنبياؤهم الذين بُعثوا فيهم بين موسى و عيسى عليهما السلام، وانقادوا لله تعالى وأطاعوه بإقامتها وتنفيذ أحكامها. {وَ} يحكم بها لهم {الرَّبَّانِيُّونَ} وهم العُبّاد من اليهود {وَالْأَحْبَارُ} وهم العلماء منهم جمع حَبْر؛ مأخوذ من التحبير والتَّحسين. وقيل: الربانيون علماء النصارى. والأحبارُ: علماءُ اليهود. {بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ} أي بالذي سألهم النبيُّون أن يحفظوه من كتاب الله من التغيير والتبديل. والضميرُ عائدٌ إلى الربانيين والأحبار. {فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ} خطاب لرؤساء اليهود المعاصِرين له صلى الله عليه وسلم، وحَثٌّ لهم على الاقتداء بمن سلفهم من النبيين والربانيين والأحبار؛ في إقامة التوراة وحفظها من التحريف، وعلى إظهار ما كتموه من نَعته صلى الله عليه وسلم، وحكم الرَّجم المذكورَيْن بها. ويتناول غيرهم بطريق الدلالة. {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} اختلف المفسرون فيمن نزلت فيهم هذه الآية والآيتان بعدها، فقيل: في اليهود خاصة، قريظة والنضير. وقيل: في الكفار عامة. وقيل: الأولى في هذه الأمة. والثانية في اليهود. والثالثة في النصارى. والكُفرُ إذا نسب إلى المؤمنين حُمل على التشديد والتغليظ، لا على الكفر الذي ينقل عن المِلْة. والكافر إذا وصف بالفسق والظلم أريد منهما العُتُو والعمود في الكفر. وعن ابن عباس: من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فهو كافر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهو اختيار الزجاج.

.45

*وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ

قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ «**45**» *

{فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} فمن عفا من أصحاب الحق عن القصاص وتصدق به على الجاني فذلك كفارة لذنوبه. والضمير في «له» يعود إلى المتصدِّق.

.46

*وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ «**46**» *

{وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ

بِعِيسَى} اتبَعْناهم على آثارهم بعيسى؛ أي جعلناه يقفو آثارهم ويتبعهم .. [راجع آية 87 البقرة].

.47

*وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ «**47**» *

.48

* وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ «**48**» *

{وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} رقيبا على ما سبقه من الكتب السماوية المحفوظة من التغيير؛ حيث يشهد لها بالصحة، ويقرر أصول شرائعها، وما شُرع مؤبداً من فروعها، وما نُسخ منها؛ من الهيمنة وهي الحفظ والارتقاب. يقال إذا رَقَبَ الرجل الشيء وحفظه: قد هَيْمن عليه؛ وهو مُهَيْمِن. {عَمَّا جَاءَكَ} عادلاً عما جاءك. {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} الخطابُ للأمم الثلاث. والشرعةُ: الشريعة وهي الطريق الظاهر الموصل للماء. والمرادُ بها الدين، وسُميَّ الدين شريعة تشبيها بشريعة الماء، من حيث إن كلا سبب الحياة. والمنهاجُ: الطريق الواضح في الدين، من نَهَج الأمر يَنْهج إذا وضَحَ. والعطف باعتبار جمع الأوصاف. وقيل: هما بمعنى واحدٍ وهو الطريق، والتكرير للتأكيد: أي ولكل أمة من الأمم الحاضرة والغابرة وضعنا شرعة ومنهاجا خاصَّين بها. فالأمةُ التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام شِرعتُها ما في التوراة، والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث محمد عليه الصلاة والسلام شِرعتُها ما في الإنجيل. وأما هذه الأمة فشرعتُها ما في القرآن فقط، فآمنوا به واعملوا به. وليس لأحد بعد بعثته صلى الله عليه وسلم إيمان مقبولٌ إلا الإيمان به. {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} أي ولو شاء الله أن يجعل الأمم جميعا تدين بدين واحدٍ وملةٍ واحدة في جميع الأعصار لفعل، ولكنه تعالى حكيم خبير يعلم ما للأمم والعصور من خصائص وطبائع، وما يناسب كل أمة من أحكام وشرائع يستقيم بها أمرُها وتَقْتَضيه مصلحتها، فأنزل شرائع شتى، تتفق جميعها في الأصول، ويختلف بعض أحكامها في الفروع باختلاف الأمم والعصور، ومن الطبيعي أن يَنْسخ بعضها بعضا في بعض الأحكام. واقتضت حكمته تعالى أن يختم شرائعه بشريعة عامة كاملة كفيلة بمصالح الناس إلى يوم الدين؛ فأنزل بها القرآن وميزه على سائر كتبه

السابقة بما يعلمه الراسخون في العلم، وبعث به خاتم رسله وأفضل خلقه، وأمره ببيانه للناس فمنهم من أدرك هذه الحكمة فعرف ربه حق المعرفة، وآمن به وبكتبه ورسله وعمل بأحكامه. ومنهم من جهلها فجَمَدت قريحتُه وفسدت سريرته، وآمن ببعض وكفر ببعض، فكان لله عاصيا، ولحكمته جاحدا، ولرسله مكذبا، وعن كتبه: معرضا، و بغضب الله حقيقا، ولنقمته أهلا. {لِيَبْلُوَكُمْ} ليختبركم

وهو أعلم بأمركم.

.49

* وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ «49» *

{وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ} أي واحذر فتنتهم لك، وأن يصرفوك عن بعض ما أنزل إليك ولو كان أقل قليل؛ بتصوير الباطل بصورة الحق، أو بالكذب على التوراة بإنكار بعض أحكامها.

.50

*أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ «50» *

{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} أي أينصرفون عن قبول

حُكمك بما أنزل الله ويُعرضون عنه، فيبغون حكم الجاهلية؟

.51

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ «51» *

{لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ} نهى لله المؤمنين أن يتخذ أحد منهم أحدا من اليهود والنصارى ولياً ونصيراً، أي لا تصافُوهم مصافاة الأحباب، ولا تستنصِروا بهم، فإنهم جميعا يدٌ واحدة عليكم، يبغُونكم الغوائل، ويتربصون بكم الدوائر؛ فكيف يُتَوَهم بينكم وبينهم موالاة؟. {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} أي من جملتهم؛ وحكمه حكمهم [راجع الآيات 118 – 120 آل عمران].

.52

*فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ «52» *

{يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} كان المنافقون يعتذرون عن موالاة اليهود بقولهم: إننا تخشى أن تدور علينا دائِرَةٌ من دوائر الدهر، ودُولة من دُوَله، بأن ينقلب الأمر للكفار، وتكون الدُّولة لهم على المسلمين فنحتاج إليهم. أو نخشى أن يدور علينا الزمن بمكروه، كالجذب والقحط، فلا يميروننا ولا يقرضوننا. والدائرةُ: النائبةُ من حوادث الدهر، التي تحيط بالناس إحاطة الدائرة بما فيها. وأصلها ما أحاط بالشيء، ثم استعير لما ذكر، وتطلق على الهزيمة. {بِالْفَتْحِ} بالنصر لرسوله – صلى الله عليه وسلم.

.53

* وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ «53» *

الجَهْد: الوسع والطاقة، من جهد نفسه يَجْهَدها في الأمر، إذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها فيه؛ أي أقسموا مجتهدين في أيمانهم. والمرادُ أنهم أكَّدُوا الأيمان وشددوها بأقصى وُسعِهم. {حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}

بطلت وضاعت.

.54

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ «54» *

{أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} عاطفين عليهم متذللين لهم، ليِّني الجانب معهم. جمعُ ذليل؛ من تذلل إذا تواضع. ولتضمينه معنى الحُنو عُدِّي بعلى. {أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} أشداء غلظاء عليهم؛ من أعَزَّني فلان، إذا أظهر العزَةَ من نفسه، وأبدى الجَفوَةَ والغِلظة. والعزة: حالة تمنع الإنسان من أن يُغْلب ويُقهر. {لَوْمَةَ لَائِمٍ} اعتراض معترض في نصرهم الدين. {وَاللَّهُ وَاسِعٌ} كثير الفضل والجود.

.55

* إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ «55» *

.56

*وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ «56» *

.57

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «57» *

{هُزُوًا} سُخرية. وأصله هُزُءا، فأبدلت الهمزة واوا لضم ما قبلها. يقال: هزأ منه وبه –كمنع وسمع – هُزُءا و هُزوا، سخر كاستهزأ. {وَلَعِبًا} أخذا على غير طريق الجد. مصدرُ لعِب يلعب؛كسمع.

.58

*وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ «58» *

.59

*قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ «59» *

{هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا} هل تكرهون منّا وتعيبون علينا. يقال: نَقَم عليه أمره ونَقَمت منه نَقْما – من باب ضرب –

عبته وكرهته أشد الكراهة، والواو في {وَأَنَّ} بمعنى مع.

.60

*قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ «60» *

{قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً ..... } خطاب لليهود وقد قالوا للمسلمين: لا نعلم ديناً شرا من دينكم. ومرادهم لا نعلم أهل دين شرا من أهل دينكم، فأنزل الله الآية. أي قل لهم: هل أخبركم بشر من أهل ذلك الدين عقوبة عند الله يوم القيامة هو من أبعده الله عن رحمته وغضب عليه، وجعل منهم قردة وخنازير في طباعهم وقلوبهم،

وأطاع الشيطان وكل: داع إلى ضلالة. {وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} أطاع الشيطان في معصية الله. {أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا} من غيرهم. {وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} أكثر ضلالا عن السبيل السواء، وهو الملةُ الحنيفية الحقة. والسّواء: الوسط المعتدل.

.61

* وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ «61» *

{وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا} نزلت في منافقي اليهود الذين كانوا بدخلون على الرسول صلى الله عليه وسلم يظهرون له الإيمان به وبما جاء به نفاقا. {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ} في قلوبهم من الكفر؛ وهو وعيد لهم.

.62

*وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ «62» *

{يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} يبادرون إلى ارتكاب الحرام؛ من الكفر والكذب، وأكل السُّحت والربا، وإلى الظلم أو مجاوزة الحد في العصيان.

.63

* لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ «63» *

{لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ} أي هلا ينهاهم عن ذلك علماء أهل الإنجيل، وعلماء أهل التوراة من اليهود!! وهو توبيخ شديد وذم بليغ، لأولئك القادة الذين تركوا النهي عن هذه المنكرات، ولذا قال تعالى فيهم: {لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}.

.64

*وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ «64» *

{يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} قال اليهود ذلك حين كف الله عنهم ما بسط لهم من الرزق، عقوبة على عصيانهم أمر الرسول

صلى الله عليه وسلم، وكنَّوا بذلك عن بخله تعالى بالعطاء، كما يُكَنى ببسط اليد عن الجُود والسخاء. ومثله في الكناية عن البخل: فلانٌ جعدُ الأنامل، ومقبوض الكف. {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} دعاء عليهم بالبخل، ومن ثم كان اليهود أبخلَ خلق الله. أو دعاءٌ عليهم بأن يعذبوا في جهنم بالأغلال، فتشدُّ أيديهم إلى أعناقهم بها جزاء هذه الكلمة الشنيعة. {وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا} أي أبعدوا عن رحمة الله بسببه. وهو دعاء ثانٍ عليهم. {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} أي بالجود والعطاء الذي لا نهاية له. {يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ

لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الاسراء 30]. وتقدم القول في آيات الصفات ومنها صفة اليد في المقدمة [المسأله الرابعه]. {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ} أي بين

طوائف اليهود، فهم طوائف متعادية متباغضة في الدين ولا يزالون كذلك. ولا يخلو أحد منهم من الحسد والأَثَرة، وهما غرس نَكِدٌ خبيث، لا ينبت إلا شا وعداوة وبغضاً. والعداوة: أخص من البغضاء فإن كل عدو مبغض، وقد يبغض من ليس بعدو. {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ} أي كلما أرادوا كيداً وشراً للمؤمنين صرفه الله عنهم، وكلما أرادوا حربا غلبوا. وقيل: المرادُ كلما أرادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ردهم الله وقهرهم؛ بحلِّ عزائمهم وإلقاء الرعب في قلوبهم.

.65

*وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ «65» *

.66

* وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ «66» *

{مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ} من أهل الكتاب طائفة معتدلة لم تغل ولم تُقَصِّر، وهم من أسلم منهم؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه، والنجاشي وأصحابه، ومن نهجَ نهجهم.

.67

* يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ «67» *

{بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} أُمرَ صلى الله عليه وسلم بالبلاغ للثقلين كافة، فبلّغ الرسالة وأدى الأمانة. رُوي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من حدثك أن محمداً كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب–وقرأت – «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» وفي رواية [رواه البخاري]: «لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئا من القرآن لكتم هذه الآية:

{وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} [الاحزاب 37]. نزلت – حين ضاقَ ذَرعاً بقَوْمِه، وعرف أن من الناس من يكذبه – لتثبيته وبشارته بحفظ الله تعالى له وكفالته إياه. {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} يحفظك من الكفار أن يعتدوا عليك بالقتل.

.68

* قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ «68» *

{فَلَا تَأْسَ} فلا تحزن ولا تتأسف على القوم الكافرين لزيادة طغيانهم؛ فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم، وضررُه عائد إليهم. وفي المؤمنين غنى لك عنهم.

.69

* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «69» *

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا} نظمُ الآية: إن الذين آمنوا – أي بألسنتهم – ولم تؤمن قلوبهم. والذين هادوا – والنصارى، من آمن منهم بالله واليوم الآخر إيمانا حقا، ويندرج

في ذلك: الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به. وعمل صالحا فلا خوف عليهم، حين يخاف الكفار العذاب، ولا هم يحزنون، حين يحزَن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب. والصابئون كذلك؛ فحذف خبره. وإنما عطفت جملة «الصابئون» على ما قبله للإشارة إلى أنهم من أشد الفرق المذكورة ضلالا. فكأنه قيل: كل هذه الفرق إذا آمنت وعملت صالحا قَبِل الله توبتها، حتى الصابئة فإنه تعالى يقبل توبتها. و {مَنْ آمَنَ} مبتدأ خبره جملة {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ}، والجملة من المبتدأ والخبر، خبر {إِنَّ}.

.70

*لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ «70» *

.71

*وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ «71» *

{وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ} أي ظن اليهود أنه لا يصيبهم من الله بلاء ولا عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل؛ لزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، أو لإمهال الله إياهم، أو لنحو ذلك. فتمادوا في فنون الغي والفساد، وعَمُوا عن الدين الذي جاء به الرسل، وصَمُّوا عن استماع الحق الذي القَوْه إليهم. وهذه هي المرة الأولى من مَرَّتَيْ إفساد بني إسرائيل، حين خالفوا التوراة وارتكبوا المحرمات. ثم عموا وصموا بعد أن تابوا مما كانوا عليه من الفساد، وأنعم الله عليهم بفكاكهم من أسر الذل والمهانة التي لبثوا فيها دهرا طويلا تحت قهر بختنصر، ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد التفرق في الأكناف والتشتت في الأرض. فاجترأوا – إلا قليلا منهم – على قتل زكريا ويحيى، وهموا بقتل عيسى عليهم السلام. فكان ذلك هو المرة الأخرى من مَرَّتَي الإفساد. وقيل: إن العمى والصمم الأول إشارة إلى ما كان منهم في عهد زكريا ويحيى، والثاني إشارة إلى ما كان منهم في زمن محمد

صلي الله عليه وسلم. {كَثِيرٌ مِنْهُمْ} بدل من الواو في {عَمُوا وَصَمُّوا}.

.72,73

*لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ «72» لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ «73» *

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا} للنصارى عقائد مختلفة متضاربة في عيسى عليه السلام، تُنكرها العقول، وتأباها الفِطَر؛ وهم فرق شتى وشيع متكاذبة، كل شيعة تكفر الأخرى. فمنهم من يزعم أن الله هو المسيح، ومنهم من يزعم أن الله ثالث آلهة ثلاثة، ومنهم من يزعم أن المسيح ابن الله تعالى. وقد كذّبهم الله جميعا، وسجل عليهم الكفر في غير آية، وندد بعقولهم وهددهم أشد التهديد بما ذكره من الآيات البينات، التي منها هذه الآيات.

.74

*أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ «74» *

.75

*مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ «75» *

{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ} فهو بشرٌ مخلوقٌ لله تعالى، وعبد من أصفياء عباده، اختاره للرسالة، كسائر الرسل الذين مَضَوا قبله، وسيمضي كما مَضَوْا، فكيف يكون إلها أو جزء إله؟! ان ذلك باطل من القول. {وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} أي وما أمُّه إلا أَمَةٌ من إماء الله كسائر النساء ديدنها الصدق مع الله، أو التصديق له في سائر أمورها؛ فمن أين لكم وصفها بما وصفتموها به؟ {كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} أي كانا محتاجين إلى القوت، وإلى القوى التي لابد منها في هضمه، وإحالته إلى ما به قوام الجسم والحياة، وفي نفض ما لابد من نفضة من المواد؛ وليس شيء من ذلك في قدرتهما، وإنما هو بقدرة الله تعالى وتدبيره؛ فهما في ذلك كسائر البشر، فكيف تنسبُون إليهما ما نسبتم من الباطل المحال!؟ وقيل – كما نقله الآلوسي –: إنه كناية عن قضاء الحاجة؛ لأن من أكل الطعام احتاج إلى النَّفض. وهذا أَمَرُّ مذاقا في أفواه مدعي ألوهيتهما؛ لما في ذلك – مع الدلالة على الاحتياج المنافي للألوهية – من البشاعة ما لا يخفى. {أَنَّى يُؤْفَكُونَ} كيف يُصرفون عن استماع الحق ونُبينه مع ما بينا من دلائله. إن ذلك لشيء يُتعجب منه غاية التعجب. يقال: أفكه عن الشيء يأفِكه أفْكا، صرفه عنه وقلبه؛ فأنا آفكه وهو مأفوك. وقد أفَكت الأرض أفْكاً: صرف عنها المطر.

.76

* قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «76» *

.77

* قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا

عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ «77» *

{لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} لا تجاوزوا الحد في دينكم، فترفعوا عيسى عن رتبة الرسالة، وأمه، عن رتبة الصديقية إلى ما انتحلتموه في حقهما. {غَيْرَ الْحَقِّ} غُلُّوا باطلا. {قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ} وهم أسلافكم الذين كانوا قبل البعثة. {وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} أي عن قصد طريق الحق الذي هو الإسلام بعد البعثة، بسبب حسدهم وبَغيهم، وتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم. والسواء في الأصل: الوسط المعتدل،

والمراد به الدين الحق.

.78

*لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ «78» *

.79

*كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ «79» *

.80

* تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ «80» *

{تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} أي ترى كثيرا من اليهود، وهم كعب بن الأشرف وأصحابه، يوالون المشركين ويصافُونهم؛ لعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و يتواطئون معهم على محاربته. {سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} غضب عليهم بما فعلوا.

.81

* وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ «81» *

.82

* لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ «82» *

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ} أي لتجِدَنَّ أشد الكفار عداوةً للمؤمنينَ اليهود، لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم، وانهماكهم في اتباع أهوائهم وتمرُّنهم على التمرُّد، والاستعصاء على الأنبياء، وتمكن الحسد والبغي في قلوبهم؛ إلى حد استيجاب إيصال الأذى والشر إلى من خالفهم في الدين، وقد جعلهم الله قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين؛ بل هم أعرق فيها ولذا قدموا في الذكر عليهم. {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى} فهم ألينُ عريكةً وأسلس انقيادا إلى الحق، وفيهم من هو مُعرضٌ عن الدنيا ولذاتها والتنافس فيها، ومن كان شأنه ذلك لا يحسد الناس ولا يعاديهم. والآية نزلت في النجاشي وأصحابه. وقيل: في الوفد الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب مسلمين. وقيل: في جماعة من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام، فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه، فأثنى الله تعالى

عليهم في هذه الآية. {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} عن اتباع الحق والانقياد له إذا فهموه. أو أنهم بتواضعون ولا يتكبرون كاليهود.

و {قِسِّيسِينَ} أي علماء، جمع قِيّس صيغة مبالغة؛ من تَقَسس الشيء إذا تتبَّعه بالليل. سُمُّوا بذلك في الأصل لتتبعهم العلم بكثرة {وَرُهْبَانًا} أي عُبَّادا، جمع راهب؛ من الرهبة وهي المخافة. ومنه الترهُّب وهو التعبُّد. والرَّهبانيةُ وهي الغلوُّ

في تحمل التعبد من فَرط الرهبة.

.83

*وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ «83» *

{تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ} تمتلئ أعينهم بالدمع فتصبه.

.84

*وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ «84» *

.85

* فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ «85» *

.86

* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ «86» *

.87

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ «87» *

{لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ} نزلت في جماعة من الصحابة اعتزموا المبالغة في الزّهد والتَّقشُّف والعزوف عن متاع الدنيا؛ مبالغة منهم في التعبد، فنُهوا عن ذلك؛ أي لا تحرموا على أنفسكم ما لذَّ وطاب من الحلال، ولا تتجاوزوا الحلال إلى الحرام، وتمتعوا بأنواع الرزق الحلال الطيب.

.88

*وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ «88» *

.89

* لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «89» *

{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} [آيه 225 البقرة ص]. و {فِي} بمعنى من أو متعلق باللغو. {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} أي بتعقيدكم الأيمانَ وتوثيقها

بالقصد والنية، أي إذا حنثتم فيها، وحُذف للعلم به. والمرادُ بالمؤاخذة: المؤاخذة الدنيوية بوجوب الكفارة. {فَكَفَّارَتُهُ} أي فكفارة الحنث فيه. والكفارة: اسم للفَعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة. أي تسترها وتمحوها؛ إذ الممحو لا يُرى كالمستور. {أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} أي عتق نَسَمة من الرق. {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ... } فمن لم يجد شيئا من الأمور الثلاثة المخير بينها، فعليه صوم ثلاثة أيام. وأحكام الكفارة مفصلة في الفقه {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} أي عن الحِنث فبرُّوا بها؛ إذا لم يكن الحنث خيرا وأفضل.

.91 – 90

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «90» *إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ «91» *

{إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ} [راجع في تفسير الخمر والميسر آية 219 من البقرة] وفي تفسير الأنصاب والأزلام [آية 3 من هذه السورة]. {رِجْسٌ} أي

خبث مستقذر، أو إثمٌ أو شرٌّ. وعن الزجاج: الرجس اسم لكل ما استُقذِر من عمل قبيح. يقال: رَجس – كفرح وكرم – عمِل عَملا قبيحاً. وأصله من الرجس، وهو شدة صوتِ الرعد وهَدير البعير؛ فسميَّ العمل الشديد في القبح رجساً.

{فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} فكونوا جانبا من هذا الرجس بعيدين عنه؛ لكي تفلحوا: بالاجتناب عنه، والأمرُ

للوجوب. {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} استفهام إنكاري بمعنى انتهوا! وهو من أبلغ ما يُنهى به؛ ولذا قالوا: قد انتهينا يارب! إذ فهموا التحريم المؤكد القاطع.

.92

*وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ «92» *

.93

* لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ «93» *

{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ... } مات ناس من الصحابة قبل تحريم الخمر والميسر وقد طعموهما فقال بعض الصحابة: كيف بأصحابنا الذين ماتوا قبل تحريمهما؟ فنزلت الآية مبينة حال من مات قبل التحريم وحال من مات بعده. أي لا إثم على الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما تناولوه منها قبل التحريم إذا ما اتقوا الشرك – أو ما حُرِّم عليهم قبل ذلك – وثبتُوا على الإيمان والأعمال الصالحة، ثم اتقُوا الخمر والميسر بعد التحريم وآمنوا بتحريمها، ثم ثبتُوا على اتقاء جميع ما شُرع تحريمه وأحسنوا العمل؛ فتكرير الاتقاء باعتبار الأوقات الثلاثة. والمراد أنه لا جناح عليهم إذا كان من شأنهم أنهم كلما أمروا بشيء أو نهوا عن شيء سارعوا إلى الطاعة والامتثال، فكلما حرَّم الله عليهم مباحاً اتقوه. وظاهرٌ أن انتفاء الجناح إنما يَعْتمد اتقاء المحرمات، ولا

دخل فيه لباقي الصفات الحميدة المذكورة، وإنما ذُكرت شهاده باتصاف هؤلاء الصحابة بها.

.94

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ «94»}

{لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ} ليختبرنّكم بنوع من البلايا – وهو تحريم مصيد البر صغارا وكبارا – وأنتم محرمون أو في الحرم؛ ليتميز من يخاف الله وهو لم يره ممن لا يخافه. فمن اصطاده منكم بعد ما أعلمكم الله بذلك فله عذاب أليم؛ لاعتدائه وعدم مبالاته بطاعة ربه، ومن لم يتعود كَبْحَ نفسه وطاعة ربه في الهَيّن من هذه البلايا لا يكاد يكبحها عن العظائم والمزالق. وهذا سر من أسرار الابتلاء.

.95

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ «95» *

{لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} أي لا تقتلوا صيدَ البر – وهو ما توالُدُه ومثواه في البر مما هو ممتنع لتوحشه خلقةً وطبعاً – وأنتم محرمون ولو كنتم خارج الحَرَم، ومثله لو كنتم في الحَرَمِ وأنتم حلال. وقيل: «حُرُم» جمع حرام، وهو يقع على المُحْرِمِ وإن كان في الحِل

وعلى من في الحرم وإن كان حلالاً، وهما سيَّان في النهي عن قتل الصيد. واستُثنيَ من ذلك الحدأةُ والغراب والفأرة والعقرب والكلب العقور؛ وسُميت في الحديث فواسق. ولا شيء على المُحْرِم إذا قتل نحو السبعُ والنَمر والفهد إذا ابتدأت بالأذى والتعدي. وقيل مطلقا وتفصيل الأحكام في الفقه. {فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ} أي فعليه جزاء من النَعَم مماثل للمقتول في الخلقة والمنظر؛ ففي النعامة بَدَنَة، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الظبي شاة، وفي الأرنب سخل، أو ما يساوي قيمة هذا الجزاء طعاما، فيعطي لكل مسكين مُد. أو ما يعادل هذا الطعام صياماً؛ فيصوم عن كل مُدٍّ يوما. وإن لم يوجد للمقتول مماثل كالعصفور والجراد فعليه قيمته يشتري بها طعام لكل مسكين مُدٍّ، أو يصوم عن كل مدٍّ يوما. وقوله: «مِنَ النَّعَمِ» حال من «مثل» أو صفة له. وذهب آخرون إلى أن المُماثلة إنما تعتبر ابتداء بحسب القيمة؛ فيقوَّمُ المقتول من حيث هو، فإن بلغت قيمته قيمة هدي خير الجاني بين أن يشتري بها هديا يهدى إلى الكعبة ويذبح في الحرم ويتصدق بلحمه على من يشاء، وبين أن يشتري بها طعاما للمساكين، لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره، وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوما. وإن لم تبلغ قيمته قيمة هدي يُخيّر بين إعطائها لمسكين وصوم يوم كامل. وقوله «من النعم» تفسير للهَدي المشترى بالقيمة على أحد وجوه التخيير. {هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ} أي الحَرَم. وخُصت الكعبة بالذكر للتعظيم إذ هي الأصل. ولا يجزئ الذبح في غيره. {أَوْ كَفَّارَةٌ} معطوف على {جَزَاءٌ} و {أو} للتخيير، وكذلك في قوله: {أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا} أي ما يعادل ذلك الطعام صياما، فيصوم عن طعام كل

مسكين يوما. والعَدْل بالفتح:-: ما عادل الشيء من غير جنسه؛ وأما بالكسر: فما عادله من جنسه. وقيل هما سِيّان ومعناهما المِثل مطلقاً. وقرى بالكسر. والتفصيل في الفقه. {لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ} أي جزاء ذنبه وسوء عاقبته. والوَبال في الأصل: الثقلُ والشدة والوخامة. يقال: وبُل المطر إذا اشتد فهو وبيل. ووبُل المَرْتع وبالا ووبالة بمعنى وَخُم. ثم قيل في سوء العاقبة: وبَالٌ. وفي العمل السيء: هو وبال على صاحبه.

.96

*أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ «96» *

{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ} هو ما توالده ومثواه في الماء. والمراد بالبحر: جميعُ المياه، بحرا أو نهرا أو غديرا أو بركة. وبالصيد: الاصطياد أو ما يُصاد منه. وبطعام البحر: ما يؤكل من صيده. أي أحل لكم الصيد وأكل ما يُؤكل منه، أو الانتفاع بما يصاد منه، وأكل ما يؤكل من حيوان البحر. وقيل: طعام البحر ما يقذفه ميتا. {مَتَاعًا لَكُمْ} تمتيعا لكم {وَلِلسَّيَّارَةِ} المسافرين منكم يتزوَّدونه قديدا.

.97

* جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ «97» *

{جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ} الجَعْلُ:

التصييرُ و «الكعبة» و «قياما» مفعولا جعَلَ. و {الْبَيْتَ الْحَرَامَ} بدل من الكعبة. والمراد به الحرم كله. والقيامُ والقِوَام: ما به صلاح الشيء؛ كما يقال: الملكُ العادلُ قِوام رعيته؛ لأنه يدبر أمرهم، ويردع ظالمهم، ويدفع أعداءهم. وقد صيّر الله تعالى البيت للناس سببا لإصلاح أمورهم؛ حيث جعله مثابة وأمناً وملجأً، ومجمعاً للتجارات والتعارف والتشاور، وحَرَّمه إلى يوم القيامة، لا يُعضدُ [يقطع] شجره ولا يُنَفَّر صيدُه [لايشرد ولايزعج]، ولا يلتقط لُقَطَته إلا من عرَّفها [لا يحل الانتفاع باللقطه الا بعد الاعلان عنها]، ولا يُخْتَلى خلاه [الخلا-بالقصر-:النبات الرطب الرقيق مادام رطبا واختلاؤه: قطعه.] .كما جعله محجًّا للناس ومنسكا وسببا لتكفير الخطيئات وزيادة المثوبات. وجعل الأشهر الحُرُم قواما للناس يأمنون فيها القتل والقتال [راجع آيه 2 من هذه السوره]، ويسافرون فيها في أمن؛ لتحصيل قدر ما يكفيهم من الأقوات طول العام. و {الْهَدْيَ} ما يهدي من الأنعام إلى الكعبة. {الْقَلَائِدَ} ما يقلد به الهديَ علامة له. وجُعِل الهديَ وذوات القلائد منه قواما لمعايش الفقراء. وكل ذلك لحكم سامية، ومصالح ظاهرة، اقتضتها حكمة العليم الخبير، ورأفتُه بعباده.

.98

*اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «98» *

.99

*مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ «99» *

.100

* قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «100» *

.101

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ «101» *

{لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ} نزلت حين أكثروا من السؤال عن أمور يسوءهم إبداؤها؛ لكون التكليف بها شاقا عليهم، أو لكونها مستورة وفي إظهارها فضيحة للسائل. فالأولُ: كسؤالهم عن الحج، هل يجب في كل عام؟ والثاني: كسؤال بعضهم عن أبيه بقوله: أين أبي؟ فقال له النبي: أبوك في النار؛ فنُهوا عن السؤال عن أمثال هذه الأمور لاستتباعه إبداءها وقت التنزيل وقد يكون فيه فضيحة، وقد يكون فيه مشقة. وقد سأل السابقون أنبياءهم عن أمثالها فأجابوهم بيان أحكامها فلم يقوموا بها لمشقتها، فضلوا بترك العمل بها.

.102

*قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ «102» *

.103

*مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ «103» *

{مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ} ما شَرَع الله هذه المحرمات التي حرّمتموها على أنفسكم، وزعمتم أنه حرَّمها كذباً على الله تعالى. وكانوا في الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر شقُّوا أذنها ومنعوا ركوبها، وتركوها لآلهتهم، لا تُنحر ولا يحمل عليها، ولا تُطرد عن ماء أو مرعى، وسمّوها ««البحيرة»» أي مشقوقة الأذن؛ من البَحر وهو

الشقَّ. وكان الرجل إذا قدم من سفر، أو نجت ناقته من حرب أو برأ من مرض سيب ناقته وخلاها وجعلها كالبحيرة وتسمَّى «السائبة». وقيل: هي الناقة التي تُعتق للأصنام. وكانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم، وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، وتسمى ««الوصيلة»». وقيل: هي الناقة تبكر بأنثى ثم تثني بأنثى، فكانوا: يتركونها للطواغيت ويقولون: قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينهما

ذكر. وكان الفحلُ إذا لقِحَ ولدُ ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يرُكب ولا يحمل عليه، ولا يمنع ماءً ولا مرعى حتى يموت. يقال: حماه يحميه إذا حفظه، ويسمى ««الحامي»». وفي تفسير الأربعة خلاف كثير. وأول من ابتدع هذه المنكرات عمرو بن لحي، وكان قد ملك مكة فاتَّخذ الأصنام ونصب الأوثان، وغير دين إسماعيل عليه السلام.

.104

*وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ «104» *

{حَسْبُنَا} كافينا.

.105

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ «105» *

{عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} الزموا العمل بطاعة الله، فأتوا بما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم عنه. {لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} أي لا يضركم ضلالُ من ضل إذا أنتم رمتم العمل بطاعة الله، وأدَّيتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به؛ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على يدي الظالم إذا أراد ظلم المسلم أو معاهد ومنعه منه. فإذا أبى النزوع عن ذلك فلا ضير عليكم في تماديه في غيّه وضلاله، إذا أنتم اهتديتم وأدّيتم حق الله تعالى.

.106

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ «106» *

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ} أي أن المحتضر إذا أراد الوصية وكان في سفر فليُحضر من يوصى له بإيصال ماله لورثته مسلما، فإن لم يجد فكافرا، والاثنان أحوط، فإذا جاءا بما عندهما، ووقعت ريبة في كتم بعضه أو في الخيانة فيه فليحَلَّفا، لأنها مودَعَان مصدقان بيمينهما. فإذا وُجد ما خانا فيه وأدّعيا أنهما تملّكاه بشراء ونحوه ولا بيِّنة لهما على ذلك،؛ يحلف المدَّعى عليه على عدم العلم بما ادعياه من التملك، وأنه مِلْك لمورِّثهما لا نعلم انتقاله عن ملكه. والشهادة الأولى بمعنى الحضور أو الإحضار؛ تقول: شهدت وصية فلان بمعني حضرتُ.

والشهادةُ الثانية في قوله تعالى: {لَشَهَادَتُنَا} [آيه 107 نفس السوره] بمعنى العلم المشاهد أو ما هو بمنزلته.

والثالثة في؛ قوله: {أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا} [آيه 107 نفس السوره] بهذا المعنى أو بمعنى اليمين.

والاثنان الكافران وصيّان لا شاهدان بالمعنى المتبادر. وفي تفسير الآية أقوال أخرى. وقوله: {شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ} مبتدأ حذف خبره؛ أي فيما فُرض عليكم شهادةُ ما بينكم. {اثْنَانِ} فاعل بـ ««شهادة»» أي أن يشهد اثنان.

{مِنْكُمْ} أي من المسلمين. {ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ} سافرتم.

{تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ} توقفانهما للحلف بعد صلاتهما، أو بعد صلاة العصر، وهو الوقت الذي يجتمع فيه الناس، ويتحاشى فيه أهل الأديان الكذب في الحلف. {لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا} لا نحلف بالله كذبا لأجل عرض

الدنيا {وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} أى ولو كان المُقْسَم له قريبا منّا.

.107

* فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ «107» *

{فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا} أي اطلع على خيانتها بوجود ما خانا فيه عندهما. فاخران و مبتدأ خبره جملة يقومان مقامهما و أي يقفان موقفها في الحبس من بعد الصلاة والحلف. ومن الذين استحق صفة للمبتدأ. وه استحقه بالبناء للفاعل.

{الْأَوْلَيَانِ} تثنية أوْلى بمعنى أقرب فاعلُه. والمرادُ بالموصول: أهل الميت. وبالأوليان: الأقربان إليه الوارثان له، الأحقان بالشهادة، لعلمها واطلاعها. ومفعول " استحق " محذوف، تقديره: أن يجردوهما للقيام بالشهادة ليُظهروا كِذب الكاذبين.

.108

*ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ «108» *

{أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا} أي يصدقوا في حلفهما ولا يكذبا فيه. والله أعلم.

.109

*يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ «109» *

{فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ} أيْ أيّ إجابة أجابتكم بها

أممكم، حين دعوتموهم إلى توحيدي وطاعتي، أهي إجابة قبول، أم إجابة رد وإباء؟!. {قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا} أي بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء، سره وعلانيته، ظاهره وخفيه {إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}.

.110

* إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ «110» *

{بِرُوحِ الْقُدُسِ} جبريل عليه السلام. {تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ} في زمن الرضاعة قبل أوان الكلام [راجع آية 46 آل عمران]. {وَكَهْلًا} في حال اكتمال القوة «بعد نزوله». {عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} أي الكتابة والفهم لأسرار العلوم. {تَخْلُقُ} تُصوِّر وتقدر. {الْأَكْمَهَ} الأعمى المطموس البصر خلقة. {وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ} واذكر نعمتي عليك إذ صرَفت عنك بني إسرائيل حين دبَّروا قتلك، فأحبطتُ كيدَهم ونجَّيتك منهم.

.111

*وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ «111» *

{أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ} ألهمتهم وقذفت في قلوبهم. أو أمرتهم على لسانك. والحوارِيُّون: خاصتُه وأنصارُه.

.112

*إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «112» *

{هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ} هل ينزّل علينا ربُّك مائدة من السماء إن سألته أن ينزلها! وهو كما يقول الرجل لصاحبه: هل تستطيع أن تقوم؟ وهو يعلم أنه يستطيع. وقد طلبوا إنزالها لاعتقادهم قدرته تعالى على ذلك؛ فإنهم مؤمنون. وقيل: إن سؤالهم ذلك من قبيل قول إبراهيم عليه السلام: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى .. } [ايه 260 البقره]. فقال لهم عيسى: {اتَّقُوا اللَّهَ} أن تسألوا مثل هذا {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} بكمال قدرته! والمائدةُ: الخِوَانُ إذا كان عليه الطعام؛ من ماده يميدُه، إذا أعطاه وأطعمه: ويطلق على نفس الطعام مائدة لعلاقة المجاورة.

.113

* قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ «113» *

{وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا} تسكن قلوبنا وتزداد يقينا

{وَنَعْلَمَ} علمَ مشاهدةٍ {أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا} فيما جئت به {وَنَكُونَ} لك {عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ} عند الذين لم يَرَوها من قومنا؛ ليؤمن كافرهم، ويزدادَ الذين آمنوا إيماناً.

.114

*قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ «114» *

{تَكُونُ لَنَا عِيدًا} يكون يوم نزولها عيداً لنا ولمن يأتي بعدنا. والعيدُ: بمعنى العائد، مشتقٌ من العَوْد، لعَوده بالفرح والسرور. {وَآيَةً مِنْكَ} وتكون دلالة منك على كمال قدرتك ووحدانِيَّتكَ، وحجَّة يصدقون بها رسولك.

.115

* قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ «115» *

{قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ} وعدٌ بالإنزال مرة بعد

أخرى، مع تهديد بأشد العذاب وأفظعه، إذا كفروا بعد إنزالها. وجمهور المفسرين على أنها أنزلت عدة مرات. وعن الحسن ومجاهد: أنها لم تنزل؛ لأنهم خافوا بعد هذا الوعيد أن يكفر بعضهم، فاستعفوا وقالوا لا نريدها. والله أعلم.

.116

* وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي

أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ «116» *

{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى} أي يقول له ذلك يوم القيامة توبيخا لقومه على رءوس الأشهاد. {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي} وقد اتخذ النصارى عيسى إلها، كفراً منهم وضلالا. واتخذ قومٌ منهم فيما مضى أمَّه إلها ويسمون المَرْيَميين. كما اتخذ قوم من اليهود عزيراً ابن الله تعالى؛ فتجاوزوا بذلك ربهم وإلههم الحق. {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي} تعلم ما في ذاتي ولا أعلم ما في ذاتك. والمرادُ: تعلمُ ما أعلم ولا أعلمُ ما تعلم، وتعلم ما في غيبي ولا أعلمُ ما في غيبك، وتعلمُ ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل. وإطلاق النَّفس على الذات بالنسبة إليه تعالى جائزٌ.

.117

*مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ «117» *

{فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي} فلما أخذتني وافياً بالرفع إلى السماء حيًّا. إنجاءً لي مما دبروه من قتلي؛ من التَّوَفي وهو أخذ الشيء وافياً أي كاملا. وقد جاء التَّوفي بهذا المعنى في قوله تعالى: {يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا .... } [آيه 55 آل عمران]. ولا يصح أن يُحمل على الإماتة، لأن إماتة عيسى في وقت حصار أعدائه له ليس فيها ما يسوِّغ الامتنان بها. ورفعه إلى السماء بعد الموت جُثَّة هامدة سُخْف من القول. وقد نزه الله السماء أن تكون قبورا لجُثث الموتى. وإن كان الرفع بالروح فقط، فأي مزية لعيسى في ذلك على سائر الأنبياء، والسماء مستقر أرواحهم الطاهرة. فالحقُّ أنه عليه السلام رُفع إلى السماء حيا بجسده؛ وقد جعله الله وأمه آية، والله على كل شيء قدير. {الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ} الحفيظ عليهم: المُراقِبَ لأعمالهم، الذي لا يغيب عنه شيء من أحوالهم.

والله أعلم.

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

*الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ «1» *

{الْحَمْدُ لِلَّهِ} إعلام بأنه تعالى حقيقٌ بالحَمْدِ والثناء، مستوْجب لهما، لخلقه السماوات والأرضَ، على ما هما عليه من بديع الصُّنع والإحكام. وخلقِه الظلمات والنُّور، أو ظلماتِ الليل ونور النهار؛ منفعة للعباد، وآيات للمتفكرين، ودلائل على وحدانيته وقدرته وتدبيره. {وَجَعَلَ} أي أحدث وخلق. {ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} أي ثم الذين كفروا مع قيام هذه الدلائل الظاهرة يسوُّون بربهم غيرَه مما لا يقدر على شيء من ذلك؛ فيكفرون به، أو يجحدون نِعمته، فأي شيء أعجب من ذلك وأبعد عن الحق!، من العدل بمعنى التسوية. وقوله {بِرَبِّهِمْ}

متعلق بقوله {يَعْدِلُونَ}. أو ثم الذين كفروا – بربهم يميلون عنه، وينصرفون إلى غيره من خلقه، فيعبدون ما لا يستحق العبادة، من العدول. وقوله {بِرَبِّهِمْ} متعلق بقوله
{كَفَرُوا}. و {ثُمَّ} على المعنيين الاستبعاد وقوع ذلك منهم.
.2
*هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ «2» *
{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ} ابتدأ خلقكم من المادة الطينية بخلق أصلكم منها، ثم قدَّر حداً معينا من الزمان للموت، وأجل آخر مستأثر بعلمه تعالى؛ لا يعلم وقت حلوله سواه تعالى؛ وهو وقت البعث للحساب والجزاء. وقيل: الأجل: الأول ما بين الخلق والموت، والثاني ما بين الموت والبعث؛ وهو: البَرْزخ. {قَضَى أَجَلًا} كتب وقدر زمانا معينا للموت. {أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ} زمن معين للبعث مستأثر بعلمه. {ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ} أي ثم أنتم تشكُّون في البعث. أو تجادلون فية. أو تجحدونه مع قيام الدلائل المشاهدة على القدرة عليه؛ فإن من قَدَر على إحياء ما لم يشم رائحة الحياة قط، قادر على إحياء ما قارنها مدَّة؛ من المِرْيَة، وهي الشك والتَّردد في الأمر. وأصلُها من مَرَى الناقة يَمْريها، إذا مسحَ ضَرعَها للدَّر؛ واستُعملت في الشك لأنه سببٌ لاستخراج العلم الذي هو كاللبن الخالص من بين فَرْث ودم. أو من المراء بمعنى المجادلة. أو من مَرَى حقه، إذا جحده. {ثُمَّ} للاستبعاد.
.3
*وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ «3» *
{وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} أي وهو الإله، أو المعبود، أو المدبر فيها فقوله: ««في السماوات»» متعلق بلفظ الجلالة؛ باعتبار المعنى الوصفي الذي تضمنه. {يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ} أي أعمالَ قلوبكم وأعمال جوارحكم. {وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} أي ما تستحقونه عليها من ثواب أو عقاب. أو يعلم ما تُسرُّونه وما تجهرون به من أقوالكم وأعمالكم، وما تفعلونه لجلب

نفع أو دفع ضمن أعمالكم التي تكتسبُونها بقلوبكم وجوارحكم، سراً وعلناً.
.5،4
* وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ «4» فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ «5» *
4 {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ} أي وما ننزل إليهم آية من آيات القرآن، ناطقةً ببدائع صُنْعه، منبئةً بجريان أحكام ألوهيته على سائر خلقه، وإحاطة علمه بجميع أحوالهم، و بأنباء اليوم الآخر؛ إلا أعرضوا عنها، ولم يعتَنوا بها، أو كذَّبوا بها، كما ينبئ عنه قوله تعالى: {فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ} أي بالقرآن. والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها؛ إذ التكذيب مرتب على الإعراض، بمعنى عدم القبول والاعتناء به. وقد توعّدهم الله على سوء صنيعهم بقوله: {فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} كما أتى من قبلهم من المكذّبين لرسلهم.

.6

* أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ «6» *

{أَلَمْ يَرَوْا} أي أل يبصروا، أو ألم يعرفوا! كم أهلكنا من قبلهم من قرن من أمة فعلت مثل ما فعلوا!. والقرنُ: مدةٌ معينةٌ من الزمان. وهو حقيقة في ذلك وفي أهله؛ على ما اختاره بعض المحققين. والمراد هنا: أهله، ولا حاجة إلى تقدير مضاف. وقيل: هو

حقيقة في الأول، واستعماله في الأهل مجازٌ بالحذف. وأصله من الاقتران بمعنى الاجتماع. {مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ} أعطيناهم في أرضهم من القوة والبَسْطَة في الأجسام والأموال ما لم نعط أهل مكة. يقال: مكنته ومكنت له، مثل نصحته ونصحت له؛ من التمكين وهو إعطاء المَكِنَة – بفتح الميم وكسر الكاف – أي القوة والشدة. {السَّمَاءَ} المطر. {مِدْرَارًا} غزيرا متتابعة في أوقات الحاجة، رحمةً منا وانعاماً، فعاشوا في خِصْب وسَعة. يقال: دَرَّت السماء بالمطر تدِرُ وتدُر درًّا و درورا فهي مِدْرار، صبته صبًّا. وأصلُه من الدَّر، أي سيلان اللبن وكثرته، ثم استعير للمطر الغزير. {فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ} أي ومع ذلك التمكين وهذه القوة أهلكناهم بسبب كفرهم، أفلا يعتبر أهل مكة بذلك فلا يستمروا في كفرهم وعنادهم!

.7

*وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ «7» *

{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ} القرطاسُ – بتثليث القاف، والكسر أشهر –: ما يُكتب فيه. أي ولو نزلنا عليك مكتوباً من عندنا في قرطاس كما اقترحوا فرأوه ولمسُوه بأيديهم لقالوا: ما هذا إلا سِحْرٌ بيِّن ظاهر؛ إمعانا منهم في الجحود والعناد.

.8

*وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ «8» *

{وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} أي هلاّ نزل على محمد ملك نشاهده معه، ويخبرنا أنه رسول من عند ربه، فيكون معه نذيرا. {وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ} جواب عن اقتراحهم. أي لو أنزلنا عليه مَلَكا في صورته الحقيقية، وشاهدوهُ بأعينهم لزَهقت أرواحُهم من هول ما يشاهدون. {ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ} أي لا يُمهلون طرفة عين بعد إنزاله ومشاهدتهم له، من النَّظر. يقال: نظرته وأنظرته؛ أي أخرته.

.9

*وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ «9» *

{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا} أي ولو جعلنا النَّذير– الذي اقترحوا إنزاله معه– مَلَكا لمَثّلناه رجلاً؛ لعدم استطاعتهم معاينة المَلَك على صورته الأصلية. وهذا على فرض عدم الهلاك برؤيته. {وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ} أي ولخَلَطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يخلطون على أنفسهم بأن يقولوا له: إنما أنت بشر مثلنا ولست

بملك؛ من اللَّبس وهو الخَلْط، وأصله السُتر بالثوب؛ ومنه اللباس. ويستعمل في المعاني فيقال: لَبَس الحق بالباطل يَلبِسه، ستره به. ولَبستُ عليه الأمر: خلطته عليه، وجعلته مشتبها حتى لا يعرف جهته.

.10

*وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ «10» *

{فَحَاقَ} أي أحاط بالذين سخِروا من الرُسل العذاب الذي كانوا يستهزئون به حين يخوِّفهم الرسل ايَّاه. يقال: حاق به الأمر يَحيق حيقاً وحُيُوقاً، أحاط به كأحاق. والحيقُ: ما يشتمل على الإنسان من مكروه فِعله. والسُّخريةُ: الاستهزاء والتهكم.

.11

* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ «11» *

{عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} آخرتُهم ونهايتهم. مصدر كالعافية، وهي منتهى الشيء وما يصير إليه.

.12

* قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «12» *

{كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} أوجب على نفسه رحمةَ عباده؛ تَفَضُّلا منه وإحسانا، فلا يعجل عليهم بالعقوبة حين يستوجبونها بما يعملون. {لَيَجْمَعَنَّكُمْ} أي والله ليجمعنكم إلى يوم القيامة للجزاء، فلا يَغُرَّنكم هذا. الإمهالُ؟. {خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} أهلكوها وغبنوها بالكفر.

.13

*وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «13» *

{وَلَهُ مَا سَكَنَ} أي ولله وحده جميع ما ثبت واستقر فيهما، من السُّكنى، فيتناول السَّاكن والمُتحرك. وقال ابن جرير: كل ما طلعت عليه الشمس وغَرَبت، فهو من ساكن الليل والنهار. والمرادُ أنه تعالى هو رب جميع ما وجد في الأرض برِّاً وبحراً.

.14

* قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «14» *

{أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا} ناصرا ومُعيناً، أستنصره وأستعينُ به على النوائب، فضلا عن أن أتخذه معبودا؟ من الوَلاية بمعنى النُّصرة. {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ} مبدعهما على غير مثال يُحتذى؛ مِنَ الفَطْرِ، وهو الإبداع والإيجاد من غير سَبْق مثال. وأصله: الشق وفصل شيء عن شيء؛ ومنه فَطَر نابُ البعير أي طلع. واستعمل فيما ذكر؛ لاقتضائه التركيب الذي سبيله الشق والتأليف. أو لما فيه من الإخراج من العدم إلى الوجود. {وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ} يَرزق ولا يُرزق. والمراد أن له

تعالى الغنى المطلق، وأنَّ الخلقَ جميعا محتاجون إليه وجودا و بقاء. {مَنْ أَسْلَمَ} خضع لله بالعبودية وانقاد له.
.15
*قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ «15» *
.16
*مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ «16» *
.17
* وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «17» *
.18
* وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ «18» *

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} أي الغالب لعباده، المقتدر عليهم، الذي لا يعجزه شيء أراده، ولا يستطيع أحد من خلقه ردَّ تدبيره، والخروج من تحت قهره وتقديره. قال الطبري: القاهِرُ: المتعبد خلقه، العالي عليهم. وانّما قال ««فوق عباده»» لأنه تعالى وصف نفسه بقهره إياهم، ومن صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعلياً عليه.

والمعنى: والله الغالبُ عباده، المذلِّل لهم، العالى عليهم بتذليله إياهم؛ فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه.

[راجع المسألة الرابعة من المقدمة في مذهب السلف والخلف في آيات الصفات].
.19
*قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ «19» *

{أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً} سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم شاهداً يشهد له بالنبوة؛ فنزلت الآية. أي أيُّ شيء أعظم شهادة؟ فإن أجابوا وإلا ف {قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} يشهد لي بالحق، وعليكم بباطلكم؛ بماأنزله من القرآن، وهو أكبر معجزة وأصدق دليل. {وَمَنْ بَلَغَ} أي وأنذر من بلغهُ القرآن ممن سيوجد إلى يوم القيامة من سائر الأمم. وفي هذا دلالة على عموم الرسالة، وأن أحكام القرآن تعمُّ

الثقلين إلى يوم الدين. وفي الحديث: «من بلغه القرآن فكأنما شافهتُه» [أخرجهُ أبو نعيم].
.20
* الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «20» *
.21
*وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ «21» *
.22
* وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ «22» *
.23

*ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ «23» *

{لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ} الفتنة من الفَتْن، وهو إدخال الذهب النار لتعلم جودته من رداءته، ثم استعمل في معان: كالمَعذِرة والاختبار، والكفر والإثم والضلال، والبليّة والمصيبة. أي لم تكن معذرتهم عن كفرهم، أو عاقبة كفرهم، إلا التبَرّي من الشرك والشركاء في ذلك اليوم، فقد كذبوا في الآخرة كما اعتادوا الكذب في الدنيا.

.24

*انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ «24» *

{ضَلَّ عَنْهُمْ} غاب وزال عنهم {مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} يكذبون – الأصنام وشفاعتهم.

.25

* وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ «25» *

{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً} أي أغطية تمنعهم أن يفقهوا ما يسمعونه من القرآن؛ جمع كِنَان. يقال: كَنَّ الشيء يكُنُّه ستره. وأكنته: أخفيته – واستكن: استَتَر. {وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} أي وجعلنا في آذانهم

صمماً وثقلا يمنعهم من استماع القرآن على وجه القبول. يُقالُ: وَقَرت أذنه – من باب تَعِب ووعد– صُمَّت وثَقُل سمعها. والكلامُ تمثيل لِعظم جهلهم بشئون النبي صلى الله عليه وسلم، وفرط نُبُوِّ قلوبهم وأسماعهم عن فهم القرآن والانتفاع به، وقد خلق الله فيهم داعية الكفر وعَلِم أنهم لا يؤمنون، فيستحيل إيمانهم مع ذلك مهما رأوا من الآيات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم، وهو قوله تعالى: {وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا}. {أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} أكاذيبهم، أو أقاصيصهم، أو تُرهاتهم المسطورة التي لا أصل لها. جمع أسطورة، كأحدوثة وأحاديث. وقيل: جمع لا واحد له، كأبابيل.

.26

*وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ «26» *

{وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ} يتباعدون بأنفسهم عن القرآن، أو عن الرسول فلا يؤمنون به إظهاراً لغاية نفورهم. منه يقال: نأى ينأى نَأْيا، أي بَعُد. ونأيْته ونأيْت عنه وأنأيته عنه.

.27

*وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ «27» *

{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ} حُبسوا عليها يوم القيامة. يقال: وقَفَه وقفاً، حبسه .. وجواب الشرط: لرأيتَ هولا عظيماً.

.28

*بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ «28» *

{بَلْ بَدَا لَهُمْ ... } أي بل

ظهر لهم في وقوفهم هذا ما كانوا ينكرونه ولا يؤمنون به، وهو نار الآخرة. فالمراد من "ما": النار، ومن الإخفاء: السَتْر بمعنى الإنكار والجحود. ومع ذلك لو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر والتكذيب؛ لسوء استعدادهم، وإنهم لكاذبون لا يوفون بما وَعدوا به.

.29

*وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ «29» *

.30

*وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ «30» *

{وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ} حبسوا على حكم ربهم للحساب والجزاء. وجواب الشرط: لرأيت أمرا عظيما. {قَالُوا بَلَى} أي إنه لحق. و ««بلى»» حرف جواب لاستفهام دخل على نفي فتفيد إبطاله، [راجع آية 81 البقرة].

.31

* قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ «31» *

{بَغْتَةً} فجأة. والمراد بالساعة: يوم القيامة. والبَغْتُ والبَغْتةُ: مفاجأة الشيء بسرعة من غير اعتداد به، ولا إلقاء بال إليه. {يَاحَسْرَتَنَا} الحَسْرَةُ: شدة الندم على ما فات. [راجع آية 167 سورة البقرة].

{فَرَّطْنَا فِيهَا} قصرنا وضيعنا في الحياة الدنيا. {يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ} آثامهم وخطاياهم. جمع وِزْر: وأصله الحِمل الثقيل، وأطلق على الذنب لثقله. والمراد: بيان شدة ما يلاقونه من العذاب بسبب ذنوبهم.

.32

* وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ «32» *

{لَعِبٌ وَلَهْوٌ} اللعِب واللهوُ: كلاهما الاشتغال بما لايَعني العاقل ولا يُهِمُّه؛ من هوى وطَرَب، حراماً كان أو حلالا. غير أن اللعب ما قُصد به تعجيل المسرة والاسترواح به. واللهو: ما شغل من هوى وطرب وإن لم يُقصد به ذلك. أي وما طُلّاب لذات الحياة الدنيا ومسراتها ونعمائها المتنافسون فيها إلا في لعب ولهو؛ لأنها عما قليل تزول وتضمحل، كما يزول لعب اللاعب ولهو اللاهي، ولا يبقى له أثر؛ فلا يغتر بها العاقل.

.33

*قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ «33» *

{فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ} أي في الحقيقة، وإنّما يكذبون آيات الله وأنك رسول الله؛ فلا تحزن مما يقوله هؤلاء الظالمون الجاحدون.

.34

*وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ «34» *

{لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} آيات وعده بنصر رسله.
.35
*وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ «35» *
{وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ} أي وإن كان قد عظم، وشق على نفسك تكذيبهم وكفرهم وعدمُ

إجابتهم إلى ما اقترحوا، وأخذ منك الحزن على ذلك مأخذه، وأحببت أن تجيبهم إلى ما اقترحوا، فإن كنت تقدر على أن تتخذ سَرَباً في أعماق الأرض، أو مصعدا تصعد به إلى السماء: لتأتيَهم بأية مما اقترحوا عليك فافعل؛ وإذا كنت لا تقدر على ذلك فاصبر على شدائدهم وعلى تكذيبهم ومعارضتهم الآيات التي نصبها الله تعالى للناظرين المتأملين؛ ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم، ولكن لم يرد ذلك لعلمه بسوء اختيارهم. {نَفَقًا فِي الْأَرْضِ} سَرَباً فيها ينفذ: إلى ما تحتها. {فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} بدقائق شئونه تعالى التي منها عدم تعلُّق مشيئته بايمانهم لفساد استعدادهم.
.36
*إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ «36» *
{وَالْمَوْتَى} أي الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون
{يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} يوم القيامة من قبورهم {ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} لا إلى غيره؛ فيجازيهم على جحودهم وإصرارهم على الكفر.
.37
* وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ «37» *
.38
* وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ «38» *
{إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ} طوائف مختلفة أمثالكم في الخلق والموت، والحاجةِ إلينا في الرزق والتدبير في جميع أمورها، والدلالة على كمال القدرة وبديع الصنعة في تسخيرها وتصريفها بقدرتنا؛ فكيف تظنون عدم قدرتنا على إنزال ما اقترحتم من الآيات! إن ذلك جهل منكم عظيم! ومانُنَزِل الآيات وما نترك إنزالها إلا على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحةُ والمشيئةُ المبنيَّة عليهما. {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} ما تركنا في القرآن شيئا مما يحتاج إليه الناس في أمر الدين والدنيا، إمّا مُفَصَّلا وإما مُجْمَلا، أو شيئا يحتاج إليه المكلفون من أصول الدين وأحكامه وحكمه، وضُروب الهدى التي جاء بها الرسل. وقيل: الكتابُ اللوح المحفوظ، وفرَّطنا من التفريط وهو التقصير. يقال: فرَّط في الأمر تفريطاً، قَصَّر فيه وضيَّعه وقدم العجز فيه. والجملة معترضة لتقرير مضمون ما قبلها.

.39

*وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «39» *

{فِي الظُّلُمَاتِ} ظلمات الجهل والعناد والفكر. {مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ} من يُرد سبحانه خَلقَ الضلال فيه يخلقه فيه حسب اختياره الناشيء عن استعداده بحيث لو خُلّي ونفسَه لاختاره.

.40

*قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «40» *

{أَرَأَيْتَكُمْ} أي أخبروني عن حالتكم العجيبة؟ والهمزة للاستفهام، ورأى بمعنى عَلِمَ، وتتعدى إلى مفعولين، والتاء ضمير الفاعل، وما بعده حرف خطاب يدل على اختلاف المخاطب، أتى به للتأكيد، والمفعول الأول محذوف تقديره: أغير الله تدعونه لكشفه؟ والمعنى: أرأيتكم عبادتكم الأصنام هل تنفعكم؟ أو هل تكشف عنكم ضركم؟ أي أخبروني عن ذلك إن كنتم صادقين في أن أصنامكم آلهة، وأن عبادتكم لها نافعة. وفي استعمال أرأيت بمعنى أخبرني تجوُّز: إطلاق الرؤية وإرادة الأخبار؛ لأن الرؤية سبب له. وجعلُ الاستفهام بمعنى الأمر بجامع الطلب في كل منها.

.41

*بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ «41» *

.42

*وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ «42» *

{فَأَخَذْنَاهُمْ} أي فكذبوا رسلهم فانتقمنا منهم {بِالْبَأْسَاءِ} وهي الفقرُ والضِّيقُ في المعيشة. {وَالضَّرَّاءِ} وهي الأسقام والعلل العارضةُ للأجسام {لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} يتذللون الله تعالى ويتوبون من كفرهم؛ من الضراعة، وهي الذلة والهيئة المنبئة عن الانقياد والطاعة. يقالُ: ضَرَع الرجل يَضْرع ضراعةً، خضع وَذَلَّ: فهو ضارعٌ وضَرِعٌ.

.43

* فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ «43» *

{جَاءَهُمْ بَأْسُنَا} أتاهم عذابنا.

.44

*فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ «44» *

{فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} أي من النعمِ الكثيرة بدل البأساء والضراء، الزاماً للحجة واستدراجا لهم، وفي الحديث: «إذا رأيت الله يعطي العبد في الدنيا وهو مقيم على معاصيه فإنما هو استدراج» [رواه احمد والطبراني]. {مُبْلِسُونَ} آيسون من النجاة والرحمة؛ من الإبلاس، وهو اليأس والقنوط. يقال: أبلس من رحمة الله أي يئس. أو مكتئبون متحسّرون.

.45

*فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ «45» *

{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ} آخرُهم الذي يدْبُرهم. والدّابِرُ: التابعُ من خلف. يقال: دَبَرَ القوم يدبرهم دُبورا، إذا كان آخرهم في المجيء. والمراد أنهم استُؤصلوا بالعذاب استئصالا.

.46

*قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ «46» *

{أَرَأَيْتُمْ} أخبروهم. {نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} نكررها على أنحاء مختلفة. {ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ} يُعرِضون عن الآيات مكذبين. يقال: صدف عن الشيء يَصدِف صَدْفا وصَدوفاً، إذا أعرض عنه. وأصدفه عن كذا: أماله عنه وصرفه. وأصله

صَدَفة الجبل؛ أي جانبه ومنقَطعه.

.47

*قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ «47» *

{بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً} مفاجأة. أو ظاهرا عياناً.

.48

*وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «48» *

.49

* وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ «49» *

.50

*قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ «50» *

{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ} اقترحوا على الرسول صلى الله عليه وسلم أشياء تعجيزا وتعنتاً!؟ فنزلت الآية. أي قل لهم لا أدَّعي أن عندي مقدورات الله فأتصَرَّف فيها كيف أشاء! ولا أني أعلى الغيب فأخبركم بما سيكون! ولا أني مَلَك حتى لا آكل ولا أشرب ولا أتزوج! وما أنا إلا عبد لله يتبع ما أوحاه الله إليه؛ فكيف تقترحون على ما لا شأن لي به!. والخزائنُ: جمع خِزانة، وهي ما يُخْزن فيه الشيء النفيس. وخَزْنُ الشيء: إحرازُه حيث لا تناله الأيدي. {خَزَائِنُ اللَّهِ} مرزوقاته أو مقدراته.

.51

*وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ «51» *

{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ} خَوِّف بالقرآن الذي أوحي إليك القوم الذين يخافون {أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ} غير

منصورين ولا مشفوعا لهم. والمراد بهم عصاةُ المؤمنين، وقيل: المقرُّون بالبعث، سواء كانوا جازمين بأصله، أو مترددين في شفاعة الأنبياء أو في شفاعة الأصنام. وهو أمر من الله لرسوله بتذكيرهم وإنذارهم. وتنديدٌ بالمشركين الذين لا ينفع فيهم الوعظ والتذكير.

.52

*وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ «52» *

{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} ولا تبعد عنك ضعفاء المؤمنين الذين سارعوا إلى الإيمان بك، واستداموا على عبادة ربهم يبتغون بها وجهه الكريم، مثل: سلمان، وبلال، وصهيب، وعمار، وخَبَّاب؛ أملا في إسلام رؤساء المشركين وسادتهم الذين استنكفوا منهم وقالوا: لو طردت هؤلاء السُّقاط لجالسناك. بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك فهم عند الله أفضل وأزكى؛ كما قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا «28»} [الكهف].: ولم يقع منه صلى الله عليه وسلم طردٌ لهم، وإنما همَّ بإبعادهم وقت حضور هؤلاء السادة؛ لمصلحة أخرى، وهي التلطف لهم أملا في إسلامهم. والغداه لغة: كالبُكرة، ما بين

صلاة الفجر وطلوع الشمس. والعشي: آخر النهار. أو من الزوال إلى الغروب. والمراد بهما هنا جميع الأوقات. {مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} لمّا قال المشركون في حق هؤلاء الضعفاء: إنهم ما قبلوا دينك ولازموك إلا لحاجتهم إلى المأكول والملبوس؛ قال تعالى إن كان الأمر كما زعموا فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر، وحسابُهم على الباطن لا يتعدى إليك، كما أن حسابك لا يتعدى إليهم. وهو كقوله تعالى:

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [آيه 164 الانعام]. وقوله {فَتَطْرُدَهُمْ} جواب لقوله {مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}. وقولُه {فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} جواب لقوله {وَلَا تَطْرُدِ} أي فتكون من الذين يضعون الشيء في غير موضعه.

.53

*وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ «53» *

{فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ} جعلنا بعضهم فتنة لبعض؛ أي ابتلاء تظهر به حقائق أنفسهم غير مشوبة بالشوائب التي تلتبس بها عادة. فابتلينا الفقراءَ بالأغنياء، والأغنياء بالفقراء، وكلَّ فريق بضده.

.54

* وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ «54» *

{مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ} أي وهو جاهل بمقدار ما يستحق عليه من العقاب وما يفوته من الثواب. أو لإيثاره اللذة العاجلة على الآجلة.

.55

*وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ «55» *

.56

*قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ «56» *

.57

*قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ «57» *

{مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ} ليس في مقدرتي إنزال العذاب الذي استعجلتموه بقولكم: {فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ} [آيه 32 الانفال]. وما الحُكم في ذلك إلا الله وحده، يتبع الحق والحكمة فيما يقدّره ويحكم به، وهو خير من يفصل بين الحق والباطل. والاستعجالُ: المطالبة بالشيء قبل وقته. {يَقُصُّ الْحَقَّ} من قص الأثر: تتبعه. {خَيْرُ الْفَاصِلِينَ} بين الحق والباطل بحكمه العدل.

.58

* قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ «58» *

.59

*وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ «59» *

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ} جمع مِفْتَح –كمنبر–: وهو آلة الفتح، وتسمَّى المفتاح. أو جمع مَفْتح –كمسجد –: وهو الخزانة التي تحفظ بها الأشياء. والغيب: ما استأثر الله بعلمه. أي وعنده المفاتيح التي يفتح بها الغيب، وهو مجاز عن علمه تعالى

جمعَ المعلومات، ما غاب عنَّا وما لم يَغِب؛ لأن المفاتيح هي التي يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالإغلاق؛ فمن علِمَ كيف يفتح بها ويتوصل إلى ما فيها فهو عالم. أو عنده خزائن الغيب، والمراد بها القدرة الكاملة على كل الممكنات، كما في قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ «21»} [الحجر]. {إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} إلاّ في علمه تعالى المحيط بجميع الأشياء إحاطة الكتاب بما فيه. أو الاّ في اللوح المحفوظ الذي خُطَ فيه بقلم القدرة أزلاً، ما كان وما سيكون. وهو بدل من {إِلَّا يَعْلَمُهَا} بدل كلّ على المعنى الأول، واشتمال على الثاني.

.60

*وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ «60» *

{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ} يَقْبِض أرواحكم إذا نمتم ليلا. وأصلُ التَّوفِّي: أخذ الشيء وافياً. ويقال: توفَّيت الشيء واستوفيته بمعنى: وهو كقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ «42»} [الزمر].
{وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ} ما كسبتم فيه بجوارحكم من الخير والشر. والاجتراحُ: الاكتسابُ. يقال: جَرَح – من باب نفع – واجترح. أي اكتسب بيده أو رجله أو فمه. وتخصيصُ التوفي بالليل، والجَرْح بالنهار، باعتبار الغالب وإلا فقد يعكس الأمر.

.61

* وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ «61» *

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} [راجع آية 18 من هذه السورة]. {وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً} ملائكة يكتبون أعمالكم ويحفظونها؛ لتعرض على رءُوس الأشهاد. يوم الحساب، وهم: الكرام الكاتبون. وذلك من جملة القهر لعباده.
{لَا يُفَرِّطُونَ} لا يتوانون. أو لا يقصرون.

.62

*ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ «62» *

.63

*قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ «63» *

{تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} معلنين الضراعة وَالذِّلة، ومسرِّين في

.64

قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ «64»

.65

*قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ «65» *
أنفسكم بها.

»

..

65 – أو تبسم شقا هـــ يخلطكم فرقا مختلفة الأهواء، كل فرقة تشبع إماما، تختصمون وتشتبكون في ملاحم القتال «1». و يا هم جمع شيعة، وهم الأتباع والأنصار. وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة.
ويذيق بعضكم بأس بغض كه يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل. والبأس: الشدة. وهذا ما ابتلى به

الناس في سائر العصور. وتصرف الآيات به نكررها بأساليب مختلفة.

.66

*وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ «66» *

يو كيليه بحفيظ وكل إلى أمركم فأجازيكم.

.67

لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ «67»

.68

*وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ «68» *

يي. وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا ه أي استهزاء وطعنا فيها. وأصل الحوض: العبور في الماء. ثم استعير للأخذ في الحديث فقيل: تخاوضوا في الحديث، أي أخذوا فيه. وأكثر ما يستعمل الخوض فما كان على وجه اللعب والعبث. والخطاب لكل من يتاي مخاطبته. أو للرسول والمراد أمنه.

.69

*وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ «69» *

.70

*وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ «70» *

يي– وغرتهم خدعتهم وأطمعتهم بالباطل. وذكر به أن بل نفسه أي وذكر الناس بالقرآن أو بالحساب مخافة أن تستلم نفس إلى الهلاك، أو حبس أو ثرئهن أو فضح، أو حرم الثواب بسبب كفرها وذنوبها؛ من البل بمعنى التمتع بالقهر، «1» راجع آية 4 من هذه السورة.أو التحريم، أو الحبس والرهن، أو الاستسلام. ومنه: أسد باسل؛ لمنعه فريسته من الإفلات. وشرابه بسيل، أي متروك. وهذا بسيل عليك، أي محرم. وإن كثيل كل عدل كه وإن تفند تلك الفس بكل فداء لا بقبل منها ما نفتي به.

والعدلُ: الفداء؛ وهو كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ «91»} [ال عمران]. {أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا} أسْلِموا إلى الهلاك، أو بأحد المعاني السابقة لِلإبسالِ؛ بسبب أعمالهم القبيحة. {حَمِيمٍ} ماءٍ بالغٍ نهاية الحرارة، يَتَجَرْجر في بطونهم، وتتقطع به أمعاؤهم.

.71

*قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي

الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ «71» *

{وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا} أي نرجع إلى الشرك الذي كنا فيه:: يقال لمن رُدَّ عن حاجته ولم يظفر بها: قد رُدَّ على عقبيه، مثل: رجَعَ القَهْقَري. {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ} أي أن رُدُّ إلى الشرك رداً مثل الذي ذهبت به المَرَدة فألقته في المهامه والقفار، تائها ضالاً عن الجادة لايدري ما يَصْنع، له رُفقة تدعوه إلى الطريق المستقيم قائلة له: إئتنا؛ فلا يجيبهم. والكلامُ من باب التمثيل. {أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ} أمرنا بأن نسلم ونخلص العبادة.

.72

*وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ «72» *

.73

*وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ «73» *

{وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ} أي وقضاؤُه المعروف بالحَقِّية كائن، حين يقول سبحانه لشيء من الأشياء «كن فيكون» ذلك الشيء ويَحدُث. و «يوم» خبر مقدم و «قَوْلُه» مبتدأ مؤخَّر و «الحقُّ» صفته. {فِي الصُّورِ} هو قَرْن ينفخ فيه الملك نفخَةَ الصَّعق والموت، ونفخة البعث والنشور، والله أعلم بحقيقته. أي واستقر الملكُ لله تعالى وحده في ذلك اليوم، فلا مُلك لسواه { ... وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ «19»} [الانفطار].

.74

*وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ «74» *

{آزَرَ} لقب لأبي إبراهيم عليه السلام المسمى تارخ، أو هو آسم آخر له. {أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً} جمع صنم، وهو والمثالُ والوَثَن بمعنى، وهو الذي يتخذ من حجر أو خشب أو معدن على صورة إنسان. أي تتخذُها آلهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك! وهي لاتنفع ولا تضر، ولا تستحق الألوهية؛ بل هي مما تصنعون بأيديكم.

.75

*وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ «75» *

{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ} أي كما أريناه الحقَّ في خلاف ما عليه قومُه من الشرك نريه ربوبيته تعالى، ومالكيَّته للسماوات والأرض؛ والملكوت: الملك العظيم؛ مصدرٌ زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة في الصفة؛ كالرحَمُوت من الرّحمة. وهو مختص بمُلكه تعالى: كما ذكره الراغب.

.76

*فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ «76» *

{جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ} ستره الليل وتغشاهُ بظلمته، وأصلُ الجَنّ: السَّتر عن الحاسة. يقال: جنَّه الليل وجن عليه يَجُن جنًّا وجنونا، وأجَنَّه وأجَنَّ غليه إجناناً؛ ومنه الجن والجنّة – بالكسر– والجُنة – بالضم – وهي

ما يَتَّقي به المحارب ضرب قِرنه، والجَنة – بالفتح – وهي البستان الذي يستر بأشجاره الأرض. {قَالَ هَذَا رَبِّي} قال هذا على سبيل الفَرْض وإرخاء العِنان، مجاراةً مع عُبّاد الأصنام والكواكب؛ ليَكُرّ عليه بالابطال، ويثبت أن الرب لا يجوز عليه التغيير والانتقال، وكذا يقال فيما بعده. {فَلَمَّا أَفَلَ} غاب وغرب. يقال: أفلَ الشيء يأفِلُ أفلا وأُفولا، غاب. {قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} أي لا أعبد الأرباب أو لا أحب عبادة المنتقلين من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان.

.77

*فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ «77» *

{رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا} مبتدئاً في الطلوع منتشر الضوء: من البزوغ وهو الطلوع والظهور. يقال: بَزَغ الناب بزوغا إذا طلع.

.78

*فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ «78» *

.79

*إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ «79» *

{لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} أي للذي أوجدهما وأنشأهُما على غير مثال سابق. {حَنِيفًا} مائلا عن الأديان الباطلة، والعقائد الزائغة كلها إلى الدين الحق.

.80

*وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ «80» *

{وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ} خاصموه في التوحيد. {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا} أي إلا وقت مشيئة ربي شيئا من المكروه يصيبني من جهتها. والاستثناء متصلٌ بتقدير الوقت.

.81

*وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ «81» *

{سُلْطَانًا} حُجَّة وبرهانا. {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ} أي فأي الفريقين حقيق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة: الذي عبد من بيده النَّفع والضر، أم الذي عبد مالا يضر ولا ينفع بلا دليل ولا برهان!؟

.82

*الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ «82» *

{وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} لم يخلطوا: إيمانهم بشرك كما يفعل المشركون حيث يزعمون أنهم مؤمنون بالله، وأن عبادتهم لغيره من تتمات إيمانهم وأحكامه، لكونها لأجل التقريب والشفاعة.

.83

* {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ «83»} *

.84

*وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ «84» *

.85

*وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ «85» *

{وَإِلْيَاسَ} هو من أسباط هارون أخي موسى بن عمران عليهم السلام.

.86

* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ «86» *

.87

*وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «87» *

{وَاجْتَبَيْنَاهُمْ} اصطفيناهم للنبوة.

.88

*ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ «88» *

{لَحَبِطَ عَنْهُمْ} أي لبطل وسقط عنهم. يقال: حَبِط العمل–كسمع وضرب – حَبْطا وحبوطاً، بطَل.

.89

*أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ «89» *

{وَالْحُكْمَ} أي القضاء بين الناس بالحق. أو الحكمة، وهي علمُ الكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام أو الإصابة في القول والعمل. {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا} أي بهذه الثلاثة {هَؤُلَاءِ} أي أهل مكة {فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا} أي أعددنا ووفقنا للإيمان بها والقيام بحقوقها {قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

.90

* أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ «90» *

{فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} أي بطريقهم من الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين اقْتَد؛ دون فروع الشرائع القابلة للنسخ فإنهم يختلفون فيها، فلا يمكن الاقتداء بهم فيها، والهاء للسكت.

.91

*وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ «91» *

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} ما عظّمُوا الله حق تعظيمه، أو ما عرفوه سبحانه حق معرفته، أي معرفته الحق في اللطف بعباده والرحمة بهم، ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك، بل أخلوا بها إخلالاً عظيماً، إذ أنكروا بعثة الرسل وإنزال الكتب. ومرادهم بذلك: الطعن في رسالته صلى الله عليه وسلم. يقال: قَدَرَه يَقْدُرُه – من باب نَصَر – عظّمه. وأصل القَدْر: معرفه المقدار بالسَّبر والحَزر: يقال: قَدَرَ الشيء يقْدُرُه، إذا سبَرهُ وحَزَره ليعرف مقداره؛ ثم استعمل في معرفة الشيء على أتم الوجوه، حتى صار حقيقة فيه. {تَجْعَلُونَهُ

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ «82»

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ «83»

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ «84»

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ «85»

وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ «86»

وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «87»

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ «88»

أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ «89»

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ «90»

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ «91»

قَرَاطِيسَ} أي أوراقا مكتوبة مفرقة لتتمكنوا من إبداء ما تريدون إبداءه منها، وإخفاء الكثير منها، ومنه نعوت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم. والقرطاس: ما يُكتب فيه. {قُلِ اللَّهُ} أي قل: الله تعالى أنزله. أو أنزله الله: إن لم يجيبوك بأنه تعالى هو الذي أنزل التوراة. {خَوْضِهِمْ} باطلهم.

.92

*وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ «92» *

{مُبَارَكٌ} القرآن {أُمَّ الْقُرَى} مكة والمراد أهلها؛ وسميت بذلك لأنها قبلة أهل القرى ومحَجَهم. {وَمَنْ حَوْلَهَا} من أهل المشارق والمغارب؛ لعموم بعثته صلى الله عليه وسلم للناس كافة.

.93

*وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ «93» *

{فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ} شدائده وسكراته. جمع غمرة، وهي الشدة. وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها. يقال: غمَرَهُ الماء –كنصر– إذا علاه وستره، ثم استعمل في الشدائد والمكاره. {أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ} أي قائلين لهم أخرجوا أرواحكم. وهو كناية عن العنف في السياق والإلحاح، والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال. وجواب «لو» مقدر؛ أي لرأيتَ أمرا فظيعاً هائلا. {عَذَابَ الْهُونِ} أي الهوان والذُل.

.94

*وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ «94» *

{وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ} أي ما أعطيناكم وملكناكم في الدنيا من الأولاد والأموال

والخدم، وجئتمونا فرادي. والخول: ما أعطاه الله من النَعم. يقال: خوله الشئ تخويلاً، ملكه اياه ومكنه منه ومنه التخَول بمعنى التعهد. {لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} لقد تقطع الاتصال الذي كان بينكم في الدنيا واضمحل، ففاعل «تقطّع» ضمير يعود على الاتصال المدلول عليه بلفظ «شركاء» و «بينكم» منصوب على الظرفية، وقرئ بالرفع، أي لقد تقطع وصلُكُم. و «بَيْن» مصدرٌ يستعمل في الوصل وفي الفراق بالاشتراك؛ كالجَون للأسود والأبيض، والمراد الأول.

.95

*إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ «95» *

{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} شروع في ذكر دلائل كمال القدرة والعلم والحكمة، بعد تقرير دلائل التوحيد

والنبوة. «فالق» أي شاق، يشُّق الحبة
اليابسة كالحنطة فيخرج منها النبات الأخضر النامي. ويشُّق النواة اليابسة فيخرج منها النخلة والشجرة النامية. {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} أي يُخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو كالنُّطفة والحبة {وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ} أي كالنطفة والبيضة
من الحيوان. وهو معطوف على «فالِقُ». {فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} فكيف تصرفون عن عبادته، وتُشركون به مالا يقدر على شئ من فعله [آية 75 المائدة].

.96

*فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ «96» *

{الِقُ الْإِصْبَاحِ} الإصباحُ: مصدرٌ سُميَّ به الصُّبح، أي شاق ظلمة الصبح – وهي الغَبش في آخر الليل الذي يلي الفجر المستطيل الكاذب – عن بياض النهار، فيضيء الوجود ويضمحل الظلام، ويذهب الليل بسواده ويجيء النهار بضيائه. {وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا} يَسكن إليه من يتعب بالنهار ويستأنس به لإسترواحه فيه.
{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} أي يجريان في الفلك بحساب مقدر معلوم، لا يتغير ولا يضطرب حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما، بحيثُ تُتِم الشمس دورتها في سنة، ويُتِم القمر دورته في شهر، وبذلك تنتظم المصالح المتعلقة بالفصول الأربعة وغيرها. والحُسبانُ: مصدرُ حَسِبت المال حَسْبا – من باب قتل– أحصيته عددا.

.97

*وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ «97» *

.98

*وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ «98» *

{أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} من آدم عليه السلام وهو تذكير بنعمة أخرى؛ فإن رجوع الناس جميعا إلى أصل واحد أدعى إلى التواد والتراحم. {فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ} فلكم موضع استقرار في الأرحام، وموضع استيداع في الأصلاب. وقريءَ «مستقِر» بكسر القاف أي فمنكم مستقِرٌ في الأرحام.

.99

* وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ «99» *

{فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا} أي أخرجنا من النبات الذي لا ساق له نباتاً غضا أخضرَ، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة. وخَضِر بمعنى أخضر، اسم فاعل. يقال: خَضِر الزرع – من باب فرح– واخضَرَّ، فهو خضِر وأخضر. {نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا} ه أي سنابل فيها الحب يركب بعضُه بعضاً؛ كما في الحنطة والشعير وسائر الحبوب. يقال: رَكِبه – كسمعه – ركوبا ومركباً،

علاه، كارتكبه. {وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ} ومن طلع النَّخل قنوانٌ دانية. والطَّلع أول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان. وقِشره يسمى الكُفُرِّي، وما في داخله يُسمى الإغريض لبياضه. والقِنوان: العراجين، جمع قِنو وهو العِذْق، وهو للتمر بمنزلة العُنقود للعنب. و «دَانيةٌ» أي متدلية، أو قريبة من يد المتناول.

{وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ} عطف على «نبات» أي وأخرجنا به جناتٍ كائنةً من أعناب. {مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} أي بعضه متشابه، وبعضه غير متشابه في الهيئة واللون والطعم وغير ذلك، مما يدل على كمال قدرة الصانع! كما قال تعالى: {يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ} [الرعد 4]. {وَيَنْعِهِ} أي وانظروا إلى حال نُضجه وإدراكه نظر استدلال واستبصار؛ كيف يعود شيئا قويا بعد الضَعف، جامعاً لمنافعَ شتَّى. مصدرُ يَنَعت الثمرة كأينعت، تَينَع وتَينِع يَنْعاً ويُنُوعاً. إذا نَضِجت.

.100

* وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ «100» *

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ} شروع في بيان جحودهم في معاملة خالقهم، بعد أن مَنَّ عليهم بالإيجاد وبما يحتاجون إليه في المعاش. أي وجعلوا الجن شركاء الله تعالى في الألوهية والعبادة، وقد خلقهم من العدم؛ فكيف والمراد بهم الملائكة حيث عبدوهم وقالوا: هن بنات الله، وأطلق عليهم جن لاستتارهم. أو المراد الشياطين؛ حيث أطاعوهم في عبادة غير الله تعالى من الأصنام والطواغيت. {وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ} واختلقُوا وافتَرَوْا له سبحانه بنين وبنات! يقال: خرق الكذب يَخرِقُه، صنَعَه. وأصلُ الخَرْق: قطعُ الشئ على سبيل الفساد من غير تدبُّر وتفكُّر؛ وذلك كما افترى بعض أهل الكتاب أن عُزيراً ابن الله، وأن المسيحَ ابنُ الله. فالمشركون واليهود والنصارى سواء في الافتراء على الله بغير علم؛ سبحانه وتعالى عما بصفون!

.101

*بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ «101» *

{بَدِيعُ .. } مبدع ومخترع. {أَنَّى يَكُونُ} كيف أو من أين يكون؟

.102

*ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ «102» *

{وَكِيلٌ} رقيب ومتولٍّ.

.103

*لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «103» *

{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} لا تحيط بعظمته وجلاله على ما هو عليه أبصارُ الخلائق في الدنيا والآخرة، أولا تدركه الأبصار إدراك إحاطة بكُنْهه وحقيقته؛ فإن ذلك محال. والإدراك بهذا المعنى أخص من الرؤية التي هي مجرد المعاينة، فنفيُه لا يقتضي نفي الرؤية؛ إذ نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم. فأنت ترى القمر ولا تدرك حقيقته، ولذلك أثبت أهل السنة رؤية المؤمنين له تعالى في الآخرة، كما قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ «22» إِلَى

رَبِّهَا نَاظِرَةٌ «23»} [القيامة] وذهب بعض السلف إلى أن الآية مخصوصة بالدنيا. {وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} أي وهو يدرك القوة

التي تدرك بها المبصرات ويحيط بها علماً، إذ هو خالق القُوى والحواس.

.104

*قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ «104» *

{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ} هي آيات القرآن وحُجَجُه التي يهتدون بها إلى الحق. جمعُ بصيرة، وهي للقلب بمنزلة البصر للعين، فهي النور الذي يَبْصُر به القلب، كما أن البصر هو النور الذي تبصر به العين. وإطلاق البصائر على هذه الآيات من إطلاق اسم المسبب على السبب. {وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} برقيب أحصي عليكم أعمالكم، وإنما الله هو الذي يحصيها عليكم ويجازيكم عليها.

.105

*وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ «105» *

{وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} أي وكما فصّلنا الآيات الدالة على التوحيد في هذه السورة تفصيلا بديعا مُحكماً، نفصل الآيات ونبيّنها في كل موطن تلزمهم الحجة {وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ} أي قرأت الكتب على أهل الكتاب، ثم جئتنا تزعم أنه من عند الله. يقال: درس الكتاب، إذا أكثر قراءته وذَلّله للحفظ. وأصله من دَرَس الحِنْطة يدرسها دَرْسا ودِراساً، إذا داسها، كأن التالي يدوس الكلام فَيَخِف على لسانه. وقرئ «دارسْت» أي قارأت أهل الكتاب؛ من المدارسة بين الاثنين، أي قرأت عليهم وقرأوا عليك.

.106

*اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ «106» *

{وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} لاتعتَدَّ بأقوالهم الباطلة، التي من جملتها ما حُكي عنهم آنفا، ولا تُبالِ بها.

.107

* وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ «107» *

.108

*وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ «108» *

{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ ... } السَّبُ: الشتم الوجيع، وذكرُ المساوي لمجرد التحقير والإهانة. {عَدْوًا} اعتداء وظلماً. والعَدْو: الاعتداء والتجاوز عن الحق إلى الباطل، نُهُوا عن سب الأوثان ولعنها قبل الأمر بالقتال –كما قاله الزجاج وابن الأنباري – ثم نُسخ بآية القتال حين قوى المسلمون.

.109

*وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا

يُؤْمِنُونَ «109» *

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} أبلغ ما في وسعهم في تغليظ الحلف [21، 53 المائدة]. {قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} أعلمهم بأن مرجع الآيات كلها إلى حُكمه تعالى خاصة، يقضي فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة، لا قدرةَ لأحد عليها، فكيف أتصدَّى لاستدعاء إنزالها؛ وأمرُها لله وحده. {وَمَا يُشْعِرُكُمْ} أي وما يدريكم ايها المؤمنون الراغبون

في إنزالها طمعا في إسلامهم {أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} أي أنا أعلم أنهم لا يؤمنون وأنتم لا تعلمون ذلك؛ ولذا توقعتم إيمانهم، ورَغبتم في نزولها. فالاستفهام في معنى النفي، وهو اخبار عنهم بعدم العلم لا إنكار عليهم. وقيل: «أنَّ» – بالفتح – بمعنى لعل، أي وما يدريكم حالهم عند مجيء الآيات، لعلها إذا جاءت لا يؤمنون، فما لكم تتمنَّونَ مجيئها!

.110

*وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ «110» *

{وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ} وندعُهم في تجاوزهم الحد في العصيان يترددون متحيّرين «آية 15 البقرة]. {يَعْمَهُونَ} يعمون عن الرشد أو يتحيرون.

.111

*وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ «111» *

{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا} ولو آننا آتيناهم ما اقترحوا فنزلنا إليهم الملائكة، وأحيينا لهم الموتي يشهدون عيانا بصدقك، وزدنا على ذلك فجمعنا لهم جميع الخلائق مقابلة ومعاينة حتى يواجهوهم، يشهدون لك بالرسالة، أو كفلاء بصدقك – ما استقام لهم الإيمان؛ لسوء استعدادهم وفساد فِطَرهم. والحشرُ: الجمعُ، وفعله من باب قتل. و {قُبُلًا} – بضمتين – بمعنى مواجهة ومعاينة. تقول: لقيته قُبُلًا ومقابلة وقبيلاً، أي مواجهة، وهو بمعنى قِبلاً في القراءة الأخرى. وقيل: جمع قبيل بمعني كفيل، أو بمعنى جماعةً جماعةً، أو صنفاً صنفاً.

.112

*وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ «112» *

{شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} مردةَ النَوعين. والشيطانُ: كلُ عاتٍ متمردٍ من الإنس والجن. أي جعلنا لكل نبيٍّ أعداء من شياطين الإنس والجن، يُسرُ بعضهم إلى بعض ما يَفتِنون به المؤمنين الصالحين، ويزينون لهم الباطل والمعاصي ليغروهم ويخدعوهم. وزُخرُفُ القول: باطله الذي زُيِّن ومُوِه بالكذب. وأصلُ الزخرف: الزينة المزوقة؛ ومنه قيل للذهب: زخرف، ولكل شيء حسن مُمَوْه زخرف. والغُرور: الخداع والأخذ على غرَة.

.113

*وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ «113» *

{وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ} ولتميل إلى هذا الزخرف الباطل قلوب الكافرين. معطوف على «غروراً» المنصوب على أنه مفعول له. وأصل الصَّغْو: الميل. يقال: صغا يصغو ويَصغى صَغواً، وصغيَ يصغى صُغِيا، مال. وأصغى إليه: مال بسمعه. وأصغى الإناء: أماله. {وَلِيَقْتَرِفُوا} وليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ماهم مكتسبون. وأصل القَرف والاقتراف: قَشْرُ اللحاء عن الشجر، والجلدة عن الجرح. واستعير الاقتراف للاكتساب مطلقا، ولكنه في الإساءة أكثر، فيقال: قرفته بكذا، إذا عِبته به واتَّهمْتَه. قال أبو حيان: ترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة، لأنه أولا يكون الخداع فيكون الميل فيكون

الرضا فيكون الاقتراف، فكلُّ واحد مسَّبب عما قبله.

.114

* أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ «114» *

{فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} أي من الشاكين في: أن أهل الكتاب يعلمون أن القرآن مُنزل من عند ربك بالحق. وقيل: الخطابُ لكل من يتاتى منه الامتراء. أو للرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود أمتُه.

.115

* وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «115» *

{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ} أي كمُل كلامه تعالى – وهو

القرآن – وبلغ الغاية؛ صادقا في أخباره، عادلاً في أحكامه. {لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} لا مُغير لها بِخُلْف في الأخبار، أو نقض في الأحكام، أو تحريف أو تبديل؛ وهذا ضان من الله تعالى لكتابه بالحفظ.

.116

* وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ «116» *

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ} الخطاب له صلى الله عليه وسلم ولأمته، وقيل له، والمرادُ أمَتُه. {وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} أي يكذبون، أي أن شانهم الكذب، فهم مستمرون عليه مع ماهم عليه من اتباع الظن في شأن خالقهم ومن ذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام. وأصل الخَرص: القول بالظن. يقال: خَرَصت النخل خرصاً – من باب قتل – حزَرْت ثمره وقدرته بالظن والتخمين. واستعمل في الكذب لما يداخله من الظنون الكاذبة، فيقال: خرص في قوله –كنصر – أي كذب.

.117

*إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ «117» *

.118

* فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ «118» *

{فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} لما قال المشركون: أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربُّكم! نزلت الآية. والخطاب للمسلمين، أي كلوا مما ذُكر على ذبحه اسم الله خاصَّة، دون ما ذكر عليه اسمُ غيره كالأوثان، أو ما ذُبح على النصُب، أو اسم مع اسمه تعالى، أو مات حَتف أنفه، كما قال تعالى «وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ «121» [الانعام]».

.119

*وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ «119» *

{وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ} وقد بيّن لكم ما حرّمه عليكم من المطعومات؛ إلا ما دعتكم إليه الضرورةُ بوحْي غير مَتْلُو. أو بقوله تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... } [الانعام 145]. والتأخر في التلاوة لا يوجب التأخر في النزول.

.120

*وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ «120» *

{وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ} اتركوا جميع المعاصي سِرها

وعلانيتها، أو ما كان منها بالجوارح وما كان بالقلوب. {يَقْتَرِفُونَ} يكتسبون من الإثم أياً كان.

.121

* وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ «121» *

{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} نُهُوا عن أكل الميتات بأنواعها، وما أهلَّ به لغير الله من ذبائح المشركين، وما ذبح على النُصب ونحوه، وما ذكر عليه اسم مع اسمه تعالى. أما ذبائح المسلمين وذبائح أهل الكتاب إذا ذكروا عليها اسم الله فحلال. وتقدم الخلاف في ذبائح أهل الكتاب إذا ذكروا عليها اسم عُزَير أو المسيح في تفسير آيتي البقرة والمائدة [آيه 173 البقره وآيه 3 المائده]. {وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} وإنّ أكل ذلك لخروج عن طاعة الله. وقد اختلف الأئمة في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها؛ فذهب قوم إلى تحريمها، سواء تركها عمدا أو سهوا. وذهب قوم إلى حلها. وآخرون إلى حلها إن تُركت التسميةُ سهوا، وإلى حُرمتها إن تركت عمدا. والمذاهب والأدلة مبسوطة في الفقه.

.122

*أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ «122» *

{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} أي أأنتم مثلهم، ومن كان ميتا فأعطيناه الحياة وجعلنا له نورا عظيما يمشي به فيما

بين الناس آمنا، كمن مَثلُه في الظلمات ليس بخارجٍ منها. وهو تمثيل للمؤمن والكافر لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين؛ فمثل المؤمن المهتدي كمن كان ميتاً هالكاً فأحياه الله، وأعطاه نورا يستضيء به في مصالحه، ويهتدي به إلى طرقه. ومثل الكافر الضالّ كمن هو منغمس في الظلمات لاخلاص له منها فهو على الدوام متحير لا يهتدي، فكيف يستويان!؟ والنُّور: هو القرآن أو الإسلام. والظلمات: ظلمة الكفر، وظلمة الجهل، وظلمة عَمَى البصيرة؛ وهو كقوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ «19» وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ «20» وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ «21» وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ «22»} [فاطر].

.123

*وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ «123» *

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ} أي وكما جعلنا في قريتك رؤساء دعاةً إلى الكفر والى عداوتك جعلنا في كل قرية من قرى الرسل من قبلك رؤساء من المجرمين مثلهم؛ يمكروا فيها ويتجبروا على الناس، ثم كانت

العاقبة للرسل. والأكابرُ: جمعُ أكبر، وهم الرؤساء والعظماء. والمجرمون: جمعُ مُجرم؛ من أجرم إذا اكتسب أمراً مكروهاً، ومنه الجرم والجريمة؛ للذنب والاثم.

.124

*وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ «124» *

{صَغَارٌ} ذِلٌ وهوان: بعد استكبارهم. يقال: صَغِر يَصْغر وصَغارا فهو صاغر، إذا ذل وهان.

.125

*فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ «125» *

{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ} أي فمن يُرد الله أن

يَهديه للإسلام ويوفقه له يوسع صدره لقبوله، ويستهله له بفضله وإحسانه. ومن يرد أن يُضله يُصيّر صدره ضيّقا متزايد الضيق، لا منفذ فيه للإسلام كانما إذا دُعيَ إليه قد كُلف الصعود إلى السماء وهو لا يستطيعه بحال. وشرح الصدر: توسعه، يقال: شرح الله صدره فانشرح، أي وسعه فاتسع. {حَرَجًا} شديد الضيق. والحَرَج: مصدر حَرج صدرُه حَرَجا فهو حرِج، أي ضاق ضيقا شديدا. وصِفَ به الضِّيق للمبالغة، كأنه نفس الضِّيق. وأصلُ الحَرَج: مجتمع الشيء، ويقال للغَيْضة الملتفة – الأشجار التي يصعب دخولها:. حَرَجة. {يَصَّعَّدُ} أي يَتَصعدّ، بمعنى يتكلف الصعود فلا يستطيعه. {كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ} أي مثل جعلَ صدره ضيقا حرجا يجعل الله العذاب على الكافرين، وأصلُ الرجس: النتْنُ والقذَر أو المأثم. أو العمل المؤدِّي إلى العذاب. [آية 90 المائدة].

.126

*وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ «126» *

.127

*لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ «127» *

{وَهُوَ وَلِيُّهُمْ ... } متولي إيصال الخير إليهم. أو مواليهم أو ناصرُهم؛ بسبب أعمالهم الصالحة.

.128

*وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ «128» *

{يَامَعْشَرَ الْجِنِّ} المَعْشر: الجماعة أمرهم واحد. والمراد بالجن هنا: الشياطين. {اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ} أكثرتم من دعوتهم للضلال والغواية. أي ويقال لهم في ذلك اليوم: قد أكثرتم من إغوائكم الإنس وإضلالكم اياهم. أو أكثرتم منهم بأن جعلتموهم أتباعكم. {رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ} أي انتفع الإنس بالجن؛ حيث دلُوهم على المفاسد وما يوصّل إليها. والجِنُ بالإنس؛ حيث أطاعوهم وانقادوا إليهم فصاروا كالأتباع لهم. والمراد بهم الكفارُ. {النَّارُ مَثْوَاكُمْ} مأواكم ومستقركم ومقامكم. {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} الأرجح أن المراد بهذا الاستثناء وبنظائره في آيات أخر المبالغة في الخلود. أي أنه لا ينتفي في وقت ما إلا وقت مشيئته تعالى، وهو تعالى لا يشاء

ذلك؛ فقد أخبر أن هؤلاء الكفار لا يخرجون من النار أبدا. وفي ايراد المعنى في هذه الصورة بيان أن مرد الأمور كلها إلى مشيئته تعالى، وأن خلودهم إنما كان بمحض المشيئة، ولو شاء الله عدمه لم يخلدوا. وفيه تنكيل آخر بهم، وهو إبقاؤهم في حيرة دائمة وتردد، بين الطمع في الخروج واليأس منه.

.129

* وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ «129» *

.130

*يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ «130» *

{وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ} خدعتهم بهرجها.

.131

*ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ «131» *

{ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ} أي إتيان الرسل و إنذارُهم ثابت؛ لأنه لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب أي ظلم فعلوه قبل أن ينبّهوا إلى بطلانه وينهوا عنه، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا

فِيهَا نَذِيرٌ «24»} [فاطر] وقال: { ... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا «15»} [الاسراء].

.132

*وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ «132» *

.133

* وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ «133» *

.134

* إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ «134» *

{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} أي بجاعِليه عاجزا عنكم، غير قادر على إدراككم؛ من أعجزه بمعنى جعله عاجزا. أو بفائِتين العذاب؛ من أعجزه الأمر، إذا فاته.

.135

*قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ «135» *

{اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ} أي على غاية تَمكنكم من أمركم، وأقصى استطاعتكم. مصدرُ مَكُن – ككرم – مكانة، إذا تمكن أبلغ التمكن. والأمر للتَّهديد والوعيد.

.136

* وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ «136» *

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ} شروع في ذكر أحكام لهم فاسدة درجوا عليها في الجاهلية، فقد كانوا يجعلون من زروعهم وأنعامهم وسائر أموالهم نصيباً لله، ونصيباً لأوثانهم؛ فيشركونها في أموالهم. فما كان لله صرفوه إلى الضِّيفان والمساكين، وما كان للأوثان أنفقوه عليها وعلى

سَدَنتها. فإذا رأوا ما جعلوه لله أزكى بدلوه بما للأوثان، وإذا – رأوا ما جعلوا للأوثان أزكى تركوه لها، فنزلت الآية. {ذَرَأَ} بمعنى خلق. يقال: ذرأ الله الخلق يَذرَؤُهم ذرءاً، أي خلقهم وأوجدهم. وقيل: الذَّرء الخلقُ على وجه الاختراع. {الْحَرْثِ} الزرع. {وَالْأَنْعَامِ} الإبل والبقر والضأن والمعز.

.137

*وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ «137» *

{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ} أي ومثل ذلك التزيين في قسمة – الأموال بَيْن الله والأوثان، زيَّن لهم شركاؤهم من الشياطين أو السَّدَنَة قتل بناتهم خشية العَيْلة أو العار، فأطاعوهم فيما أمروهم به من المعصية. وسمُّوا شركاء لأنهم أشركوهم

مع الله في أموالهم أو في الطاعة لهم. {قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ} وأد البنات الصغار أحياء. {لِيُرْدُوهُمْ} ليهلكوهم بالإغواء؛ مِن الرَّدى وهو الهلاك. يقال: رَدِيَ –كَرَضِيَ – هلك. {وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ} ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام حتى زلُّوا عنه إلى الشرك، من اللَّبس، وهو الخلط بين الأشياء التي يُشبه بعضُها بعضا [آية 9 من هذه السورة]. {يَفْتَرُونَ} يختلقونه من الكذب.

.138

*وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ «138» *

{هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ} أي ما جعلوه لآلهتهم أنعام وحرث محجورة، أي ممنوعة محرمة لا يَطعَمها إلا الرجال دون النساء، وأنعامٌ حُرِّمت ظهورها فلا تُركب ولا يُحمل عليها، وهي البحائر والسوائب والوصائل والحوامي، وأنعامٌ ذُبحت للأصنام فيذكرون عليها عند الذبح أسماء أصنامهم دون اسم الله تعالى.

.139

* وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ «139» *

{مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ ... } أرادوا أجنة البحائر والسوائب المحرمة، فزعموا أن ما ولد منها حياً فهو حلال للرجال و محرمٌ على النساء، وما ولد ميتاً اشترك في أكله الرجال والنساء. وهذا نوع آخر من جهالاتهم.

{وَصْفَهُمْ} كذبهم على الله بالتحليل والتحريم.

.140

*قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ «140» *

.141

*وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ «141» *

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ} أي الله عز شأنه هو الذي أبدع هذه الجنّات والثمار والزروع، المختلفة الأنواع والأشكال والروائح والطعوم والألوان، التي ينتفع بها الإنسان والحيوان؛ وليس لأحد من خلقه في ذلك شَرِكَة أو تأثير، فكيف يشركون معه غيره؟ أو يتصرفون فيما خلقه لهم بالتحليل والتحريم؟ والقِسْمة بين الله وآلهتهم الباطلة

افتراء على الله؟ {مَعْرُوشَاتٍ} وهي ما انبسط على وجه الأرض وانتشر، مما يحتاج إلى أن يتخذ له عريش يُحْمل عليه؛ كالكرم والبطيخ والقرع، جمعُ معروش. والعَرشُ: عيدان تُصنع كهيئة السقف فتُمسكه. {وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} وهو ما قام على ساق واستغني باستوائه وقوة ساقه عن التعريش؛ كالنخل والشجر. {مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ}

أي ثمره الذي يؤكل منه، في الهيئة والطعم. {مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} أي متشابها في المنظر، وغير متشابه في المَطْعم. أو متشابها بعض أفرادهما في اللون أو الطعم أو الهيئة. وغير متشابه في بعضها. {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} أدُّوا زكاته المفروضة يوم قطعه وجذاذه. وهذه الآية مدنية وإن كانت السورة مكية.

.142

* وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ «142» *

{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً} أي وأنشأ لكم من الأنعام حَمُولة. وهي الكبار الصالحة للحمل {وَفَرْشًا} وهي صغارها الدانية من الأرض؛ مثل الفرش المفروش عليها. {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} لا تسلكوا طُرُقه في التحريم والتحليل: كأهل الجاهلية افتراء على الله. جمع خُطوة، وأصلها ما بين قدمي الماشي. أريد بها ما ذكر مجازا.

.143

*ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «143» *

{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} بدل من «حمولة وفرشاً» أي ثمانية

أصناف: أربعة ذكور من الإبل والبقر والضأن والمعز. وأربعة إناث كذلك خلقها الله لتنتفعوا بها أكلا وركوبا وحملا وحلباً وغير ذلك، ولم يحرم شيئا منها ولا من أولادها؛ فمن الافتراء على الله تحريم ما لم يحرمه.

.144

*وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ «144» *

{وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا} أمركم الله بهذا التحريم.

.145

* قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «145» *

{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ ... } قل لهم: قد تتبعت ما أوحيَ إليَّ إلى الآن فلم أجد من المطاعم المحرمة إلا هذه الأربعة، وليس فيها ما زعمتم من المحرمات: كالبحائر والسوائب ونحوها. والحَصر حقيقي بالنسبة لما نزل تحريمه. وقد وردت السنة بعد نزول هذه الآية بتحريم لحوم

الحُمُر الأهلية. وكل ذي ناب: من السباع ومِخلَب من الطير. وقيل: الحصر إضافي بالنسبة لما زعموه من تحريم البحائر والسوائب؛ أي إنما حرم هذه الأربعة دون ما يزعمون من ذلك. فلا ينافي تحريم غيرها مما ذكر. {عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ} أي على أيّ آكل يأكله. {دَمًا مَسْفُوحًا} سائلا مهراقا. {فَإِنَّهُ رِجْسٌ} أي فإن لحم الخنزير نتنٌ قذر. أو نجسٌ أو خبيثٌ مخبث. {أَوْ فِسْقًا} عطف على «لحم». وسُمّيَ فسقا لتوغله في الخروج عن

الطاعة. {أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} أي ذبح على غير اسم الله تعالى. {فَمَنِ اضْطُرَّ} «آية 173 البقرة،3 المائدة].
{غَيْرَ بَاغٍ} غير طالب للمحرم للذة، أو استئثار. {وَلَا عَادٍ} ولا متجاوز ما يسد الرمق.
.146
* وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ «146» *
{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا} حرم الله على اليهود خاصةً أشياء أخرى غيرَ هذه الأربعة بسبب بغيهم، فحرم عليهم {كُلَّ ذِي ظُفُرٍ} لحماً وشحماً. وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من بهيمةٍ أو طير، ويدخل فيه الإبل والنَّعام والبط والإوز. وحرم عليهم من شحوم البقر والغنم شحمَ الكليتين، والشحم الذي على الكَرِش. وأحل لهم:
1 – الشحم العالق بظهورهما، وقيل: العالق بالظهر والجنب من داخل بطونهما.
2 – ما حملته الحوايا من الشحوم وهي المباعر، أو المصارين؛ جمع حاوية أو حَوية أو حاوياء. وهي ما تَحوَّى من الأمعاء أي تجمَّع واستدار.
3 – ما اختلط بعظم، وهو شحم الألية المتصل بالعُصعص في الضأن
.147
*فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ «147» *
{وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ} عذابه ونقمتُه؛ إذا جاء وقتُها المقدَّر في علمه سبحانه.
.148
* سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ «148» *
{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا} احتج المشركون لما ارتكبوا من الشرك وتحريم ما حرَّموه، بأنه واقع بمشيئة الله تعالى: وزعموا أنه مادام كذلك فهو مَرضِيٌّ عنده؛ فرد الله عليهم بأنه لو كان مرضيًّا عنده لما أذاق أسلافهم المكذبين الذين قالوا لرسلهم الداعين إلى التوحيد مثل قولهم – عذابه

ونقمتهُ، ولَمَا دمَّر عليهم وأدَال عليهم رسله. وبأنه لا حجة لهم على ما زعموا، وما يتبعون فيه إلا الاعتقاد الفاسد، والكذب الفاضح. كيف وقد بعث رسله
جميعا إلى الخلق؛ بالدعوة إلى التوحيد، والتنديد بالشرك، وإنذار المشركين، وتخويفهم عذاب الله وبأسه الشديد. وهو نظير قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ «35»} [النحل] وقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ «20»} [الزخرف]. وقوله تعالى: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ «7»} [الزمر].

{تَخْرُصُونَ} تكذبون على الله فيها ادعيتموه [آية 116 من هذه السورة].

149.

*قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ «149» *

{الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} بإرسال الرسل وإنزال الكتب. {فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} فهو تعالى يهدي من هُدِيَ، ويُضِل من ضَلَّ؛ وكل من الهدى والضلال واقع بمشيئته تعالى، ولكنه لا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء، ولذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب بأوامره ونواهيه: {مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا «165»} [النساء].

150.

* قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ «150» *

{هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ} أحضروهم للشهادة لكم. و {هَلُمَّ} كلمه دعوة إلى الشيء، وهي اسم فعل بمعنى أقبل، إذا كان لازما، وبمعنى احْضُر وائتِ، إذا كان متعديا كما هنا. يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث في لغة الحجازيين. {وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} يجعلون له عديلا من مخلوقاته [آية 1 من هذه السورة].

151.

*قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «151» *

{تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} أخبركم بما نهاكم عنه ربكم، وبما أمركم به يقيناً لا ظناً ولا كذبا كما زعمتم. والأصل في كلمة «تعال» أن يقولها من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه، ثم اتسع فيها حتى عَمَّت. والمذكور في الآيتين خمسة محرمات بصيغ النَّهي، وخمس واجبات بصيغ الأمر، وهي أحكام لا تختلف باختلاف الأمم والعصور. و «أنْ» في قوله: «أَلَّا تُشْرِكُوا» تفسيريّة. {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}

أي وأحسنوا بهما إحسانا. {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ} نُهوا عما كانوا يفعلونه من وأد البنات. {مِنْ إِمْلَاقٍ} أو من خشيته. والإملاق: الفقرُ، مصدر أملق: الرجل إملاقا، إذا افتقر واحتاج. {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ} كبائر المعاصي عَلَنيِّها وسرها. جمع فاحشة، وهو كقوله تعالى: {وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ «120»} [الانعام]. وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ «33»} [الاعراف]. {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} الذي يوجب قتلها شرعاً كردةٍ أو قصاص أو زنا يوجب الرجم، أو منع الزكاة أو ترك الصلاة. {وَصَّاكُمْ بِهِ} أمركم وألزمكم به.

151.

*قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «**151**» *

.**152**

*وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ «**152**» *

{حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} أي احفظوه حتى يبلغ الحلم فإذا بلغه فادفعوه إليه. والأشُدُّ: قوة الإنسان وشدته واشتعالُ حرارته؛ من الشدة بمعنى القوة والارتفاع. يقال: شدَّ النهار إذا ارتفع. وهو مفرد جاء بصيغة الجمع. أو جمعٌ لا واحد له. أو جمع شِدَّة، كأنعُم ونعمة. {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ} أمر بإقامة العدل في التعامل وإيفاء الكيل والوزنِ بالعَدْل: إتمامهما بحيث يعطى صاحب الحق حقه من غير نقصان ولا بخسٍ،

ويأخد صاحب الحق حقه من غير طلب الزيادة. والكيلُ والوزنُ: مصدران أريد بهما ما يكال وما يوزن به؛ كالعيش بمعنى ما عاش به. أو المكيل والموزون. {بِالْقِسْطِ} بالعدل دون زيادة ونقص. {وُسْعَهَا} طاقتها وما تقدر عليه. {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا} وإذا قلتم قولا في حكم أو شهادة أو رواية ونحو ذلك، فاصدُقوا فيه وقولوا الحق. {وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا} أي أوْفوا بما عهد إليكم من هذه الأمور المعدودة، أو أي عهد كان.

.**153**

*وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ «**153**» *

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي} أي ولأن هذا – أي المذكور في هاتين الآيتين أو في هذه السورة بأسرها – ديني وطريقي الذي لا اعوجاج فيه فاتبعوه واعملوا به، ولا تتبعوا الطرق الضالة: المخالفة له.

.**154**

* ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ «**154**» *

{لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} لعلهم يصدقون بالبعث

والجزاء.

.**155**

*وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ «**155**» *

{وَهَذَا كِتَابٌ} إشارة إلى القرآن.

.**156**

* أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ «**156**» *

{أَنْ تَقُولُوا} أي أنزلنا إليكم القرآن كراهة أن تقولوا. أو لئلا تقولوا يوم القيامة لو لم ينزله. {إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ

عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا} والخطاب لأهل مكة.

.157

* أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ «157» *

{وَصَدَفَ عَنْهَا} أعرض عنها غير مفكّر فيها أو صرف الناس عنها. يقال:

صَدَف عنه – من باب ضرب وجلس – أعرض. وصدف فلانا وأصدفه عن كذا، صرفه وأماله عنه.

.158

*هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ «158» *

{هَلْ يَنْظُرُونَ} ما ينتظر مشركو مكةَ بعد تكذيبهم بالآيات إلا أن تأتيهم ملائكةُ الموت لقبض أرواحهم. {أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ} أي في ظلل من الغيام كما أخبر. أو يأتي أمره بقتلهم؛ كما فسره ابن عباس. أو بعذابهم كما فسره الحسن {أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} أي بعض أشراط الساعة. وفُسِّر في الحديث بطلوع الشمس من مغربها. فمن آمن من شركٍ أو تاب من معصية عند ظهور بعض الآيات لا يقبل منه، لأنه رجوع اضطراري. كما لو أرسل الله عذاباً على قوم فآمنوا أو تابوا، فإنه لا ينفعهم ذلك لمعاينتهم الأهوال والشدائد التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة. فقوله: {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا} كافرة أو مؤمنه {إِيمَانُهَا} أي ولا توبتها من المعاصي {لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ} صفة راجعة إلى الأولى. {أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} راجعة إلى الثانية. والآية وعيد للمكذبين، وتيئيس من إيمان مشركي مكة، وتمثيل لحالهم بحال من ينتظر ذلك.

.159

*إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ «159» *

{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ} هم المشركون تفرقوا شيعا، فمنهم عبدة الملائكة، ومنهم عبدة الأصنام. وقيل: هم اليهود والنصارى، تفرقوا فرقا يكفّر بعضهم بعضا. وقيل: هم أهل الأهواء والبدع من هذه الأمة. {كَانُوا شِيَعًا} فرقا وأحزابا في الضلالة. تفرقوا شيعا واختلفوا ضلالا. واختار الطبري التعميم، وهو الأولى. فكلُّ من فارق دين الإسلام مشركا كان أو يهوديا أو نصرانيا، أو مبتدعا ضالاً كالفرق المعروفة التي خلعت ربقة الإسلام، ومنها فِرَق البهائية والقاديانية والإسماعيلية الباطنية – فمحمد صلى الله عليه وسلم بريء منه.

.160

* مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ «160» *

.161

* قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «161» *
{دِينًا قِيَمًا} مستقيما. والقِيَم والقَيِّمُ لغتان بمعنى

واحد،. وقرئ بهما. {حَنِيفًا} مائلا عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق [راجع آية 135 البقرة].

.162

*قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ «162» *
{وَنُسُكِي} أي عبادتي كلها وتقربي إليه تعالى. وهو من عطف العام على الخاص. وقيل: المراد به ذبائح الحج والعمرة واختاره الطبري.

.163

*لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ «163» *

.164

*قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ «164» *
{وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ .. } لا تجترحُ نفس إثما إلا عليها من حيث عقابُه فلا يؤاخذ سواها به. وكلُّ ذي اثم فهو المعاقب بإثمه، والمأخوذ بذنبه. {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ} ولا تحمل نفس آثمةٌ ولا غيرُ آثمة إثم نفس أخرى حتى تخلص هذه الثانية من وزرها، وإنما تحمل الآثمةُ إثم ذنبها الذي فعلته بالمباشرة أو التسبب فتُعاقَبُ هي عليه؛ من الوزر، وهو الإثم والثِّقل. وقيد في الآية بالوازرة موافقة لسبب النزول.

.165

* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ «165» *
{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ} أي خلائف من القرون الماضية، فأورثكم أرضهم التخلفوهم فيها وتعمروها بعدهم. جمع خليفة. وكلُّ من جاء بعد من مضى فهو خليفة؛ لأنه يخلفه. {لِيَبْلُوَكُمْ} به ليختبركم وهو بكم عليم.

والله أعلم.

سورة الأعراف

.01

*المص «1» *

.02

*كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ «2» *
{فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ} لا يكن في صدرك ضيق بسبب إبلاغ الكتاب وتأدية ما أرسلت به إلى قوم لم

يؤمنوا بكتاب، ولم يعتقدوا صدق رسالة؛ فتلقوك بالتكذيب والإعراض والأذى والتعنت فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولا تبالِ بما يلْقَونك به؛ وهو كقوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ «12»} [آيه 12 هود]. والحرج: شدة الضيق [آية 125 الأنعام]. {لِتُنْذِرَ بِهِ} متعلق بـ «أنزل».

.3

* اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ «3» *

.4

*وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ «4» *

{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا} وكثير من أهل القرى الذين أعرضوا عن الحق، وأصرُّوا على الكفر، قصدنا إهلاكهم بسبب ذلك، فجاءهم عذابُنا مَرَّة وهم نائمون ليلا كقوم لوط ومرة وهم قائلون نهارا كقوم شعيب، وهوا إنذار لمشركي مكة. والبياتُ: قصدُ العدو ليلاً. يقالُ: بيّت القوم العدو بياتا، إذا أوقعوا به ليلاً؛ وهو حال بمعنى بائتين. والقيلولة: نوم الظهيرة، أو الإستراحة نصف النهار. ولو بلا نوم. يقالُ: قالَ يقيل قَيْلا وقيلولة، فهو قائل. والجملة: حالٌ بمعنى أو قائلين. وإنزال

العذاب في هذين الوقتين وهما وقت الغفلة والدَّعة – أقسى وأفظع. {بَأْسُنَا} عذابنا. {بَيَاتًا} بائتين أو ليلا وهم نائمون. {هُمْ قَائِلُونَ} مستريحون نصف النهار «القيلولة».

.5

*فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ «5» *

{دَعْوَاهُمْ}. دعاؤهم وتضرعهم.

.6

*فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ «6» *

{فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ} أي فلنسألن يوم القيامة الأمم المرسل إليهم المكذبين لرسلهم عما أجابوا به رسلهم. والسؤال للتوبيخ؛ ولنسألن الرسل عن إبلاغ رسالاتهم؛ لتقريع الأمم إذا أنكروا التبليغ.

.7

* فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ «7» *

.8

*وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ «8» *

{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ} أي والوزن الحقُّ – أي العدل الذي لا ظله فيه لصحائف الأعمال – كائن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم، وإنما توزن الصحائف يومئذ بميزان: لإظهار العدل الإلهي على رءوس الأشهاد. وقيل: المراد بالوزن الحق العدل التام في القضاء بين العباد. {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} بأن رجحت حسناته على سيئاته، جمع

موزون.

.9

*وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ «9» *

{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} بأن رجحت سيئاته على حسناته.

.10

*وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ «10» *

{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ} تذكير بفنون من النعم توجب الإيمان. {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} ما تعيشون به وتحْيَون من المطاعم والمشارب، ونحوها. أو ما تتوصلون به إلى ذلك من المكاسب والتجارات. جمعُ معيشة، وهي في الأصل مصدر عاش يعيش عَيْشا وعَيشة ومعاشا ومَعِيشة، إذا صار ذا حياة، ثم

استعمل فيما يُعاش به أو يتوصل به إلى العيش.

.11

*وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ «11» *

{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} تذكيرٌ بنعمة أخرى؛ تستوجب شكرهم لسريانها إليهم. أي خلقنا أباكم آدم طينا غير مصوَّر، ثم صورناه أبدع تصوير بأحسن تقويم سَرَى إليكم. أو ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم، بأن خلقنا أباكم آدم ثم صورناه. و {ثمَّ} على المعنيين للترتيب الزماني، وكذا في قوله {ثُم قلنا}.

.12

*قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ «12» *

{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ} أي ما ألزمك واضطرك إلى ألا تسجد، فالمنعُ مجازٌ عن الإلجاء والاضطرار. أو ما حملك ودعا إلى الا تسجد، فالمنع مجاز عن الحَمل. والاستفهام للتوبيخ والتقريع، ولإظهار معاندته وكفره، وافتخاره بأصله، وحسدِه لآدمَ عليه السلام.

.13

* قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ «13» *

{فَاهْبِطْ مِنْهَا} أي من الجنة التي هي دار المتقين. أو من رَوْضة كانت على نَشَز من الأرض خلق فيها آدم عليه السلام. {فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} أي من أهل الصغار والهوان على الله تعالى وعلى أوليائه لتكبرك.

.14

*قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ «14» *

{أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} أخِّرني ولا تُمتني إلى يوم البَعث، وهو وقت النفخة الثانية عند قيام الساعة. وقد طلب بذلك النجاة من الموت، إذ لا موت بعد البعث؛ من اللإنظار. تقول: أنظرته بحقي؛ أُنظِره إنظاراً، أي

أمهلته.

.15

*قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ «15» *

{قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ} من المؤخَّرين. أي إلى يوم الوقت المعلوم؛ كما في آية 38 من سورة الحجر وآية 81 من سورة ص. وهو على المشهور: وقتُ النفخة الأولى فيموت كما يموت غيره. وقيل: المراد به الوقت المعلوم في علم الله أنه يموت فيه.

.16

*قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ «16» *

{فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي} أي فأقسم باغوائك إياي. أو فبسبب ذلك لأترصّدنهم على طريق الحق وسبيل النجاة، كما يَترصد قطاع الطريق السابلة فأصدهم عنها. والإغواء: خُلْقُ الغي بمعنى الضلال. وأصل الى الفساد؛ ومنه غَوِيَ الفصيل– كرضي ورمى – غَوى، إذا بَشِمَ من اللبن ففسدت مَعِدته، أو منع الرضاع فهُزِل وكاد يهلك، ثم استعمل في الضلال. يقال: غوى يَغْوي غيًّا وغواية فهو غاو وغوي، وإذا ضل. وأغواه غيره وغوّاه؛ أضله.
{لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ} لأترصدنهم ولأجلسن لهم.

.17

*ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ «17» *

.18

*قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ «18» *

{اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا} أي اخرج من الجنة أو من تلك الروضة معيبا مهانا. يقال: ذَأَمه يذأمُه ذَأما، إذا عابه وحقره، فهو مذءوم {مَدْحُورًا} مطروداً مبعداً. يقال: دحره دَحْرا ودُحورا، طرده وأبعده.

.19

*وَيَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ «19» *

.20

*فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ «20» *

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا} ألقى إليهما الوَسْوسة. يقال: وسوس له وإليه. وهي في الأصل: الصوت الخفى المكرر؛ ومنه قيل الصوت الحلْي: وسواس. وأريد بها الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في قلب الإنسان ليقارف الذنب.
{لِيُبْدِيَ لَهُمَا} لتكون عاقبة ذلك أن يظهر لها ما سُتر عنهما من عوراتها، وكانا لا يريانِها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر. و {وُورِيَ} من المواراة وهي الستر. والسَّوأةُ: فرج الرجل والمرأة؛ من السَّوء. وسُميت العورة سوأة لأن انكشافها يسوء صاحبها. وقيل: الكلام كناية عن إزالة الحُرمة وإسقاط الجاه. {إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ} أي كراهة أن تكونا. أو لئلا تكونا ملكين.

.21

*وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ «21» *

.22

*فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ «22» *

{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ} فأنزلها عن رتبة الطاعة إلى رتبة المعصية بما غرهما به من القسم؛ من التدلِية، وهي إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل، ومنه دَلى الدلو في البئر. والغرور: إظهار الصح مع إبطان الغِش. وأصله من غررت فلانا، أي أصبت غِرته وغفلته، ونلت منه ما أريد. {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ} و شرعا وأخذا يلزقان من ورق الجنة ورقة فوق أخرى على عوراتهما لسترهما؛ من الخَصف، وهو خَرز طاقات النَّعل ونحوه بالصاق بعضها ببعض. وفعله من باب ضرب، ولعل المعنى والله أعلم: أنهما لما ذاقا الشجرة وقد نهيا عن الأكل منها ظهر لهما أنها قد زلا، وخلعا ثوب الطاعة وبدت منهما سَوْأة المعصية، فاستحوذ عليهما الخوف والحياء من ربهما، فأخذا يفعلان ما يفعل الخائف الخجل عادة من الاستتار والاستخفاء حتى لا يُرى، وذلك بخصف أوراق الجنة عليهما يجتنَّان بها ويستتران، وما لهما إذ ذاك حيلة سوى ذلك. فلما سمعا النداء الرباني بتقريعهما ولومهما أُلهما أن يتوبا إلى الله ويستغفرا من ذنبهما، بكلمات من فيض الرحمة الإلهية، فتاب الله عليهما وهو التواب الرحيم، وقال لهما فقط أوْ لهما ولذريتهما، أوْ لهما ولإبليس: اهبطوا من الجنة إلى الأرض، لينفذ ما أراده الله من استخلاف آدم وذريته في

الأرض، وعمارة الدنيا بهم إلى الأجل المُسمى، ومنازعة عدوهم لهم فيها، والله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدرا. والله أعلم بأسرار كتابه.

.23

*قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ «23» *

.24

*قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ «24» *

.25

*قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ «25» *

.26

* يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ «26» *

{أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا} أي وهَبنا لكم بما هيّأناه من الأسباب لباسَيْن: لباس مداراة لعوراتكم وأجسامكم، ولباس زينة وتجمُّل. فقوله: و {وَرِيشًا} أي لباسا ريشا، أي ذا ريش وزينة، أخذاً من ريش الطائر وهو زينته. وقيل:

{وَرِيشًا}، أي مالا، من قولهم: تريش الرجل إذا تمول. والمراد أعطيناكم اللباس للمواراة، والمال لتحصيل ما تحتاجون إليه. وهو امتنان منه تعالى على عباده بهذه النعم. {وَلِبَاسُ التَّقْوَى} الإيمان وثمراته.

.27

*يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ «27» *

{يَنْزِعُ عَنْهُمَا} يزيل عنها، استلابا بخداعه. {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ} تعليل للتحذير من متابعته بقوله: {لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ} ببيان أنه بمنزلة العدوِّ المداجي يكيد لكم في خُفْية واستتار.وإنَّ عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصَمَه الله.

{وَقَبِيلُهُ} جنوده من الجن، أو نسله. {مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ} أي بصورهم الخلقية. أما إذا تَمثلوا بصور أخرى فإنا نراهم كما وقع كثيرا.

.28

*وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ «28» *

{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً} أي وإذا فعل المشركون فعلة متناهية في القبح كالشرك، والطواف عراة بالبيت المعظم، واتخاذ البحائر والسوائب وغير ذلك من الكبائر فنهوا عنه – احتجُّوا بتقليد – آبائهم، وأن الله تعالى أمرهم بها، فرد الله عليهم بأنه {لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} وإنما يأمر بمحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق والخصال، ويأمر بالعدل في الأمور كلها، وبأن تخلصوا له عبادتكم، والطاعة في عامة أموركم.

.29

*قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ «29» *

{بِالْقِسْطِ} بالعدل وهو جميع الطاعات والقرب. {أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ} توجهوا إلى عبادته مستقيمين. وقولُه: {عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} أي في وقت كل سجود أو في مكان كل سجود. والمراد بالسجود: الصلاة. والمقصود بذلك – إخلاص العبادة لله تعالى. {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} تعليل للأمرين السابقين في قوله: {وَأَقِيمُوا} وقوله: {وَادْعُوهُ} أي أنه تعالى يعيدكم أحياء يوم القيامة للحساب والجزاء كما بدأكم، لا يعجزه عن

ذلك شيء، فإن القادر على البَدء قادر على الإعادة. وقيل: هو كلام مستأنف التقرير قدرته على البعث، والرد على منكريه.

.30

*فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ «30» *

.31

*يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ «31» *

{يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ} كان بعض جهلة العرب يطوفون بالبيت عراة. ويحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحمَ والدَّسم؛ فأنزل الله الآية. أي البسوا ثيابكم مداراة لعوراتكم عند كل عبادة من طواف وصلاة، وكلوا واشربوا ما أحل الله لكم، ولا تسرفوا بتحريم الحلال.

.32

*قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ «32» *

وأُمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: {مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} وهي ما أحله لهم، ومالا يحرمه الله فلا محرّمَ له. ويقول لهم: إن النّعم التي قد أفاضها الله على المؤمنين وأجراها عليهم، وهي غير خالصة لهم في الدنيا لمشاركة غيرهم لهم فيها، هي خالصة لهم يوم القيامة لحرمان الكفار من المتاع في الآخرة.

.33

* قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ «33» *

ويقول لهم: {إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ} وهي كبائر المعاصي والآثام التي ترتكبون كثيرا منها {مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} جهرها وسرها {وَالْإِثْمَ} وحرم الإثم كله لما فيه من المفاسد {وَالْبَغْيَ} وحرم البغيَ والظلم لما فيه من الضرر بالعباد. وعطف الإثم على ما قبله من عطف العام على الخاص. وعطف «البغي» على «الإثم» من عطف الخاص على العام، وكذا ما بعده لمزيد الاعتناء به {وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ} وحرم عليكم أن تسوُّوا به في العبادة إلها آخر لم يُنزل به الله {سُلْطَانًا} حجة وبرهانا. {وَأَنْ تَقُولُوا} وحرّم عليكم الافتراء على الله بتحريم الحلال وتحليل الحرام. وغير ذلك مما تتقوَّلونه على الله.

.34

* وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ «34» *

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ... } هو أي مدَّةُ عُمْر وبقاء محدودة في علمه تعالى لا تتغير ولا تتبدل، كآجال آحاد الناس، فإذا جاء آخر عمرها فنِيَت لا محالة، لا يتأخر فناؤها عنه لحظة من الزمن ولا يتقدم عليه لحظة. والكلام كناية عن ذلك. وفيه وعيد لكفار مكة الذين كانوا يستعجلون العذاب الموعود استهزاء.

.35

* يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «35» *

.36

*وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «36» *

.37

* فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ «37» *

{أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ} أي ينالهم في الدنيا نصيبهم مما كتب لهم، من الأعمال والأرزاق والأعمار. مع ظلمهم وافترائهم لا يحرمون منه إلى انقضاء آجالهم، تَفَضُّلا منه تعالى، رجاء أن يَصلحوا ويتوبوا: فإذا فرغ أجلهم جاءتهم رسلُ الموت يتوفَّونهم قائلين لهم توبيخا وتقريعاً: و أن ما تم تدعون من دون الله و أي تعبدونهم من دونه لِيَمنعُوكم من عذابه.

.38

*قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ «38» *

{قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ} أي يقول تعالى لهم يوم القيامة: ادخلوا النار في زمرة أمم مكذبة قد مضت من قبلكم: فقد حقت عليكم جميعاً كلمة العذاب. {حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا} تلاحقوا في النار فأدرك بعضهم بعضا واجتمعوا فيها {قَالَتْ أُخْرَاهُمْ} دخولا في النار أوهم الأتباع {لِأُولَاهُمْ} السابقة دخولا أوْ هم المتبوعون {رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا} بدعوتهم إيانا إلى الضلال، أو بسَنِّهم لنا ما سنُّوا من طرائق فاقتدينا بهم {فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا} مُضاعفاً. والضِّعف: المثلُ مرةٌ واحدةٌ. وقيل: ضعف الشيء مثله إلى ما زاد عليه بلا نهاية، وليس مقصورة على المثلين. {مِنَ النَّارِ} أي من عذابها.

.39

*وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ «39» *

{فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} أي في الدنيا بالاقتداء. بل كفرتم باختياركم، فلا دخل لنا في كفركم.

.40

* إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ «40» *

{لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} أي لا تُفتح لأعمالهم ولا لأرواحهم لفرط خُبثها وفسادها. {وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ} أي ولا يدخلون الجنة حتى يدخل ما هو مَثلُ في عظم الجسم فيما هو مثل في

ضيق المسلك، وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه. والمرادُ: أنهم لا يدخلونها أبدا، لأن الشيء إذا غلق بما يستحيل حصوله دل ذلك على استحالته؛ نحو: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب. أو يبيض القار: أي لا

أفعله أبدا. والوُلوُج: الدخول بشدة؛ والسَّمُ ثَقبُ الإبرة، وفيه اللغات الثلاث، والفتح أشهر، وجمعه سِمام وسمُوم وكل ثقب في البدن فهو سم. والخِياط والِمخْيط –كإزار ومزر –: ما يُخاط به. والمراد هنا الإبرة.

.41

*لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ «41» *

{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ} أي لهم فراشٌ من تحتهم فيها. وأصل المهاد: المُتَمهَّد الذي يقعد ويضطجع عليه كالفراش {وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} أغطية. جمعُ غاشية، وهي ما غشاهم فغطاهم كاللحاف ونحوه. والمراد: أن النار تحيط بهم من تحتهم ومن فوقهم؛ كما في قوله تعالى: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ «16» [الزمر].

.42

*وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «42» *

{لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} أي طاقتها وما تقدر عليه بسهولة، دون ما تضيق به ذَرْعا. وأصل الوُسع: الجِدَة والطاقة. والجملة معترضة بين المبتدأ والخبر؛ لبيان أن الصالحات التي كانت سببا الدخولهم الجنة هي في وسعهم وطاقتهم.

.43

*وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ «43» *

{مِنْ غِلٍّ} حقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا بمقتضى الطبيعة البشرية، والتدافع في المجتمع. والمراد أنه تعالى يُنشئهم نشأة أخرى لا تحمل فيها صدورهم غلا، كما كانت في الدنيا. {أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} أي بسبب ما عملتم في الدنيا من الأعمال الصالحة. ولما كانت الأعمال الصالحه لا تنال الا بتوفيق الله ورحمته، ولا يترتب عليها دخول الجنة إلا بقبول الله لها، كان دخول الجنة في الحقيقة برحمته وتوفيقه وقبوله تعالى، لا بذات العمل بها وفي الحديث: «لن يدخل الجنة أحد بعمله وانما يدخلها برحمة الله».

.44

*وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ «44» *

{فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ} فأعلم مُعلمٌ. أي منادٍ بين الفريقين؛ من التأذين وهو النداء والتصويت للإعلام. ومنه الأذان للصلاة.

.45

* الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ «45» *

{وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} يطلُبون

السبيل معوجَّة؛ أي مائلة عن الحق [أية 99 آل عمران].

.46

* وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ «46» *

{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ} وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز عظيم؛ وهو السور المذكور في قوله تعالى: {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ «13»} [الحديد]. {وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ} أي وعلى أعراف الحجاب – أي أعاليه – رجال.

جمع عُرف: وهو كل مرتفع من الأرض؛ لأنه بسبب ارتفاعه يصير أعرف مما انخفض عنه. ومنه عرف الفرس. وعُرف الديك؛ لارتفاعه على ما سواه من الجسد. وهؤلاء الرجال: أقوام من المؤمنين استوت حسناتهم وسيئاتهم؛ فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فَحُبسُوا هناك حتى يقضى الله، فيهم: بما يشاء. فبينما هم كذلك إذ قال الله لهم: أنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم، فيكونون آخر أهل الجنة دخولا ممن لم يدخل النار. {يَعْرِفُونَ كُلًّا} يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار {بِسِيمَاهُمْ} بعلاماتهم التي أعلمهم الله بها؛ كبياض الوجوه ونضرة النعيم لأهل الجنة. وسواد الوجوه وزُرقة العيون لأهل النار. والسِّيما: العلامة. {وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} أي حين عرفوهم {لَمْ يَدْخُلُوهَا .. } أي نادوهم وهم لم يدخلوا الجنة حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له.

.47

*وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ «47» *

{تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ} حيالهم ووُجاههم. ظرفُ مكان بمعنى جهة اللقاء والمقابلة.

.48

*وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ «48» *

.49

* أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ «49» *

{أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ .. } يقول الله تعالى أو بعض الملائكة لأهل النار: أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته؟ مشيرا إلى ضعفاء المؤمنين قد قيل لهم: وادخلوا الجنة أو مشيرة إلى أصحاب الأعراف ثم يقول لهم: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} أو مشيراً الى اصحاب الاعراف ثم يقولُ لهم:أدخلوا الجنة.

.50

* وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ «50» *

{أَفِيضُوا عَلَيْنَا} صُبُّوا علينا شيئا {مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} من سائر الأشربة، ليخفف عنا ما نحن فيه من شدة العطش والعذاب. أو أفيضوا

علينا من الماء، وأطعمونا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة.

.51

*الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ «51» *

{اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا} فلم يرفعوا به رأسا ولم يعبأوا به. {وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} خدعهم عاجلُ ما هم فيه من الدَّعة وخَفْض العيش والرفاهية، عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة، حتى اجتالتهم المنايا { ... وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ «185»} [آل عمران]. يقال: غره يَغُرُّه غراً وغروراً وغِرَّة. فهو مغرورٌ وغريرٌ. خدعه وأطعمه بالباطل. {فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ .. } فيوم القيامة نتركهم في العذاب جياعا عطاشا؛ لتركهم العمل والاستعداد للقاء يومهم هذا، ولجحودهم آيات الله وتكذيبها. فالكاف في قوله «كما» للتعليل و «ما» في قوله «وما كانوا» معطوفة على «ما» في «كما نَسُوا».

.53

*هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ «53» *

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ} أي هل ينتظرون إلا عاقبة هذا الكتاب وما يئول إليه أمره؛ من تبين صدقه وظهور صحة ما أخبر به من الوعيد، والبعث والحساب. وتأويلُ الشيء: مرجعه ومصيره الذي يئول إليه ذلك الشيء، والمرادُ أنهم بمنزلة المنتظرين؛ من حيث أن ما ذكر يأتيهم لا محالة. {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ} أي يوم القيامة يقول هؤلاء الذين تركوا القرآن وأعرضوا عنه {قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ}. {يَفْتَرُونَ} يكذبونه من الشركاء وشفاعتهم.

.54

* إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ «54» *

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} أنشأهن على غير مثال سابق، وأنشأ ما بينها كذلك في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا. أو في ستة أيام، وكل يوم مقداره ألف سنة من السنين التي نَعُدُّها. قال سعيد بن جبير: كان الله قادرا على خلق السماوات والأرض – أي وما بينها – في لمحة ولحظة، فخلقهن في ستة أيام، تعليماً لخلقه التثبت والتأني في الأمور. {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} عرش الله تعالى –كما قال الراغب – :وعَرْشُ اللهِ: ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلّا بالاسم، وليس كما تذهب إليه أوهام العامّة، فإنه لو كان كذلك لكان حاملا له، تعالى عن ذلك، لا محمولا، والله تعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ} [فاطر/ 41]. وقد ذُكر العرش في إحدى وعشرين آية. أما الاستواءُ على العرش فذهب سلف الأمة – ومنهم الأئمة الأربعة – إلى أنه صفة الله تعالى بلاكيف ولا انحصار ولا تشبيه وتمثيل؛ لاستحالة اتصافه تعالى بصفات المحدَثين. ولوجوب تنزيهه تعالى عما لا يليق به { ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ «11»} [الشورى]. وأنه يجب الإيمان بها

كما وردت. وتفويض العِلم بحقيقتها إليه تعالى. وقال الإمام الرازي: إن هذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به وتعتمد عليه. وذهب جمهور المتكلمين إلى وجوب صرفه عن ظاهره لاستحالته. وإلى تأويله على التفصيل، وأن المراد منه –كما قال الإمام القَفّال – أنه استقام ملكُه، واطَّردَ أمْرُه، ونفذ حكمه تعالى في مخلوقاته، والله تعالى دلَّ على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم، واستقر في قلوبهم؛ تنبيها على عظمته وكمال قدرته،

وذلك مشروط بنفي التشبيه؛ ويشهد بذلك قوله تعالى: { ... ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ «3»} [يونس] [راجع المسألة الرابعة من المقدمة ص و] وقد ذُكر الاستواء على العرش في سبع آيات من القرآن. {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ} التَّغشيةُ: التغطية والسَّتر. أي يجعل الليل غاشية للنهار مغطيا له فيذهب بنوره، وهكذا دواليك في كل ليل ونهار، وبتعاقب الأمثال يستمر الاستبدال، فيتغير كل واحد منهما بالآخر، فكما يغطِّي النهار بالليل يغطى الليل بالنهار، وفي ذلك من منافع الخلق ما فيه و به تتم الحياة، وهو دليل القدرة والحكمة والتدبير من الإله العلي العظيم. {يَطْلُبُهُ حَثِيثًا} يطلبُ الليلُ النهارَ طلباً سريعاً حتى يلحقه ويُدركه. وهو كناية عن أن أحدهما يأتي عقب الآخر ويخلفه بلا فاصل؛ فكأنه يطلبه طلباً سريعاً لا يفتر عنه حتى يلحقه. والحثُّ على الشيء: الحضُّ عليه. يقالُ: حثَّ الفرس على العدو يَحُثُّه حثا، صاح به أو وكزه برجل أو ضرب. وذهب حثيثاً أي مسرعا. {لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} الخلقُ: إيجاد الأشياء من العدم. والأمر: التدبير والتصرف على حسب الإرادة لما خلقه. فهو سبحانه الخالق والمدبر للعالم على حسب إرادته وحكمته. لا شريك له في ذلك. {تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} كَثُرَ خيره واحسانه: من البركة بمعنى الكثرة من كل خير. وأصلُها: النَّماء والزيادة. أو ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال؛ من البركة بمعنى الثبوت، يقال: برك البعير. إذا أناخ في موضعه فلزمه وثبت فيه وكل شيء ثبت ودامَ فقد بَرَك. أو تعالى وتعظم وارتفع. أو تقدس وتنزه عن كل نقص.

.55

*ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ «55» *

{ادْعُوا رَبَّكُمْ} سَلُوا ربكم حوائجكم، فإنه تعالى يسمع الدعاء و يجيب المضطر. وهو القادر على إيصالها إليكم؛ وغيره عن ذلك عاجز. {تَضَرُّعًا} تذللاً واستكانة؛ من الضراعة، وهي الذلةُ والاستكانة. يقال: ضَرَع ضراعة، خضع وذل. وتضرَّع: أظهر الضراعة. حالٌ من الضمير في «ادعوا» أي متضرعين. {وَخُفْيَةً} أي سراً في أنفسكم. وقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت؛ إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم. وفي حديث أبي موسى الأشعري أنه صلى الله عليه وسلم قال لقوم يجهرون: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ–أي ارفقوا بها واقصروا من الصياح– فَإِنَّكُمْ ليس تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، انكم تَدْعُونَ سَمِيعًا قَريباً. وهوَ مَعَكم وهوَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ.» [رواه ابن جرير وابن المبارك]. وهو تعليم للأدب في الدعاء.

.56

* وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ «56» *
{وَادْعُوهُ خَوْفًا ... } خائفين من الرد؛ لقصوركم عن أهلية الإجابة. طامعين في الإجابة

تفضلا منه تعالى وكرماً. أو خائفين من عقابه، طامعين في ثوابه. والخوفُ: انزعاج في الباطن يحصل من توقع أمر مكروه يقع في المستقبل. والطَمَعُ: توقع أمر محبوب يحصل في المستقبل. {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} رحمةُ الله: إفضالُه و إنعامه على عباده، أو ثوابه. وتذكير «قريب» باعتبار معناها. أو لكون تأنيثها مجازيا، فيجوز في خبرها التذكير والتأنيث.

.57

*وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ «57» *

{بُشْرًا} بضمٍّ فسكون الشين، مخفف «بُشُرا» بضمتين جمع بشير، كنُذُر ونذير: أي مبشرات بنزول الغيث المستتبع لمنفعة الخلق. {أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا} بما فيه من الماء. وحقيقة أقلَّه: وجده قليلا ثم استعمل بمعنى حمله؛ لأن الحامل يستقل ما يحمله بزعم أن ما يرفعه قليل. و «سَحَابًا» اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء، روعي معناه في قوله: «ثقالا» ولفظه في قوله: «سقناه». و «ثقالاً» جمع ثقيلة: من الثَّقَل – كعِنَب – ضد الخفة. يقال: ثَقل – ككرُم –ثقلاً وثقالة، فهو ثقيل وهي ثقيلة. {لِبَلَدٍ مَيِّتٍ} مجدب لا ماء فيه ولا نبات. {كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى} أي كما أحيينا الأرض بعد موتها بإحداث القوى النامية فيها، وإنزال الماء عليها، وتطريتها بأنواع النبات والثمرات

نخرج الموتى من الأرض، ونبعثهم أحياء في اليوم الآخر.

.58

*وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ «58» *

{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ ... } الأولُ مثلٌ ضربه الله تعالى للمؤمن. يقول: هو طيب وعمله طيب. والثاني مثل للكافر، يقول: هو خبيثه وعمله خبيث، وفيها بيان أن القرآن يُثمر في القلوب التي تشبه الأرض الطيبة التربة، ولا يثمر في القلوب التي تشبه الأرض الرديئة السَّبِخة. {لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا} أي لا يخرج نباته إلا قليلا عديم النفع. وأصلُ النكد: العَسِرُ القليل الذي لا يخرج إلا بعناء ومشقة. يقال: نَكِدَ عيشه يَنْكَد. اشتد وعسُر. ونكدت البئر: قل ماؤها؛ ومنه: رجلٌ نَكِدَ ونَكْد وأنكد: شُؤْمٌ عَسِرٌ. وهم أنكاد ومناكيد. {نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} نكررها بأساليب مختلفة.

.59

*لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ «59» *

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا} شروع في ذكر أنباء بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما وقع لهم مع أممهم المكذبة، تسلية له صلى الله عليه وسلم، وتثبيتاً للمؤمنين، ووعيداً وإنذارا للمكذبين. {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} هذه دعوة جميع رسل الله إلى أقوامهم، فتوحيدُ العبادة شرعتُهم كافة؛ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وهو الدين القيم والملة الحنيفية والإسلام.

.60

*قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ «60» *

{قَالَ الْمَلَأُ} أشراف

القوم وسادتهم [آية 246 البقرة]. {فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} في ذهاب عن الحق والصواب بَيِّنٍ واضح: يقال: ضل الطريق يَضِل وضلَّ عنه ضلالا وضلالة، زلّ عنه فلم يهتد اليه.

.61

* قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ «61» *

.62

* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ «62» *

{وَأَنْصَحُ لَكُمْ} أتحرَّى ما فيه صلاحكم وأرشدكم إليه، من النُّصح وهو تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير، أو تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه. وأصله الخلوصُ، من قولهم:: نصحت له الوُدَّ. أي أخلصته؛ وأريد منه ما ذكر مجازاً. ويقال: نصحته. ونصحت له؛ وباللام أفصح.

.63

* أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ «63» *

.64

*فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ «64» *

{فِي الْفُلْكِ} أي السفينة. ويذكَّرُ ويستعمل واحداً وجمعاً. {قَوْمًا عَمِينَ} عُمْيَ البصائر عن الحق والإيمان. لا تنفع فيهم الموعظة، ولا يفيدهم التذكير. جمعُ عَمٍ صفة مشبهة. يقال: هو عم –كفرح – لأعمى البصيرة. وهو أعمى لأعمى البصر. وقيل هما بمعنى: كَخَضِر وأخضر.

.65

*وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ «65» *

{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} وأرسلنا إلى عادٍ – وهم عادٌ الأولى –أخاهم هودا، وكانوا بالأحقاف باليمن. والأحقاف: الرمل الذي بين عُمان وحَضْرَموت. وكانوا عبّاد أصنام.

.66

* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ «66» *
{إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ} أي متمكنا في الحراقة وخفة العقل؛ حيث هجرت دين قومك إلى دين آخر لا يُعرف.

.67

*قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ «67» *

.68

*أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ «68» *

.69

*أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «69» *
{بَسْطَةً} قوة وعظم أجسام. {فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ} نِعَمه الكثيرة عليكم بشكرها. جمعُ إِلْيٍ كحِمل وأحال. أو أُلي، كقُفل وأقفال. أو إِلًي؛ كمعًي وأمعاء. أو أَلًي كقفا وأقفاء.

.70

* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ «70» *

.71

*قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ «71» *
{قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ} أي نزل وَوجب عليكم من قبل ربكم عذاب وسخط. والرِّجسُ: العذاب، من الارتجاس وهو الاضطراب، ثم شاع في العذاب لاضطراب من ينزل به. والغضبُ: السُّخط: أو اللَّعن والطرد. وعُبِّر بالماضي لتحقُّق وقوعه.

.72

*فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ «72» *
{وَقَطَعْنَا دَابِرَ ... } استأصلناهم عن آخرهم بالريح العقيم. وهي ريح الدَّبُور [آية 45 الأنعام].

.73

*وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ «73» *
{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} أي أرسلناه إليهم. وهي قبيلة من العرب تسمى عاداً الثانية. وكانت مساكنهم الحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القُرى. في طريق الذاهب من المدينة إلى تبوك. وناقة الله خلقها الله من صخر لا من أبوين. {آية} معجزة دالة على صدقي.

.74

***وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ «74» ***

{وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ} جعل لكم مباءة فيها، أي منازل تسكنونها. يقال: بَوَّأَهُ منزلا، أنزله وهيأه له ومَكَّن له فيه. {وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ} تنجرونها {بُيُوتًا} تسكنون فيها: من النَّحت، وهو نجر الشيء الصُّلب. يقال: نَحَته ينحته – كيَضرِبُه وينصُره ويعْلَمه – بَرَاه.

{آلَاءَ اللَّهِ} نعمه وإحساناته. {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} العُثُوُّ: أشد الفساد [راجع آية 60 البقرة

].

.75

*** قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ «75» ***

.76

*** قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ «76» ***

.77

*** فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ «77» ***

{فَعَقَرُوا النَّاقَةَ} نحروها. وأصل العقر: قطع عرقوب البعير، ثم استعمل في النحر؛ لأن ناحر البعير يعقِرُه ثم ينحرُه. {وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ} استكبروا عن امتثاله؛ من العُتُو وهو النُّبُو، أي الارتفاع عن الطاعة والتكبُّر، عن الحق غُلوًّا في الباطل.يقال: عتا يَعتُو عُتُّوا وعُتِيا

وعِتِيا، إذا تجاوز الحد في: الاستكبار؛ فهو عاتٍ وعتيّ.

.78

***فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ «78» ***

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} أهلكتهم الزلزلة الشديده. يقال: رَجَفت الأرض ترجُف رَجْفا، إذا اضطربت وزلزلت؛ ومنه الرَّجفان للاضطراب الشديد. وجاء في آية 67 من سورة هود إهلاكهم بالصيحة من السماء التي زُلزلت بها الأرض فكان إهلاكهم بها. وذكر في كل موضع واحدة منهما. {جَاثِمِينَ} باركين على الركب، أو مقيمين. والمرادُ أنهم هامدون صَرعى لا حَرَاك بهم؛ من الجُثوم، وهو للناس والطير بمنزلة البروك للإبل. يقال: جَثَم الطائر يجثِمُ جثماً وجثوماً، فهو جاثمٌ وجَثوم، إذا وقع على صدره، أو لزم مكانه فلم يبرح.

.79

***فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ «79» ***

.80

***وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ «80» ***

{وَلُوطًا} أي وأرسلنا لوطا، وهو ابن أخي إبراهيم عليهما السلام، وكان قد هاجر مع إبراهيم من أرض بابل إلى الشام؛ فنزل فِلسطينَ، ونزل لوطٌ الأردُن، وبعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى، وهي من بلاد الشام ومن فلسطين مسيرة يوم وليلة، وهي القرى المؤتفكات، بُعث إليهم يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الفاحشة التي اخترعوها ولم تكن معروفة في الناس قبلهم.

.81

*إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ «81» *

.82

*وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ «82» *

{إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} أي يتنزهون عن الإتيان في هذا المأتى. يقال: تطهر الرجل أي تنزه عن الإثم أرادوا به السخرية والاستهزاء بلوطٍ ومن معه.

.83

* فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ «83» *

{مِنَ الْغَابِرِينَ} أي الباقين في العذاب. أو الباقين المُعَمَّرين، ثم هلكت فيمن هلك من قومها. والغابر: الباقي، يقال: غبر الشيء يغبُرُ غبورا: بقى.

.84

* وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ «84» *

{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا} أي نوعا عجيبا من المطر. بينه الله تعالى بقوله: {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ «74»} [الحجر].

.85

*وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «85» *

{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ} أي وأرسلنا إلى مَدْينَ– وهو ابن

إبراهيم عليه السلام، سِّميت به القبيلة – شعيباً عليه السلام. وكانوا أهل كفر وبخسٍ للمكيال والميزان، فدعاهم إلى التوحيد، ونهاهم عن الخيانة فيهما. وعن السُّدي وعِكرمة: أن شعيبا أرسِل إلى أُمَّتيْن: أهل مدين الذين أهلكوا بالصيحة، وأصحاب الأيئكة الذين أخذهم الله بعذاب يوم الظُّلة، وأنه لم يُبعث نبيٌّ مرتين إلا شعيب عليه السلام. واختار ابن كثير: أنهما أمة واحدة، أخذتهم الرجفة والصيحة وعذاب يوم الظُّلة أي السحابة، كما قال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ «91»} [الاعراف]، {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ «94»} [هود]، {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ «189»} [الشعراء]. {فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ} [آية 152 سورة الأنعام] {وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ ... } ولا تنقصوهم حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن في المبايعات؛ فإن ذلك خيانة. يقال: بَخَسه حقه يبخسَه. إذا نقصه إياه.

.86

*وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ «86» *

{وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ} ولا تقعدوا بكل طريق من الطرق المسلوكة تخوِّفون من آمن بالقتل. أو تخوفون الناس أن يأتوا شعيبا، وتقولون لهم: إنه كذاب يريد أن يفتنكم عن دينكم. وجملة «توعدون» وما عطف عليها في محل نصب على الحال من ضمير «تقعُدوا». {وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا} توَدُّون سبيل الله مُعْوجَّة [آية 99 آل عمران].

.87

* وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (87) *

.88

*قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (88) *

{أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} أي أنعود إلى ملتكم – بمعنى نصير إليها – ولو كنا كارهين لها؟ والاستفهام للإنكار. أي لا نصير

إليها في أي حال. وكلامُ شعيب في قوله {إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا} مبني على التغليب، وإلا فإنه لم يكن في ملتهم من قبل ونجاه الله منها.

.89

* قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89) *

{رَبَّنَا افْتَحْ} اقض واحكم بيننا وبينهم بالحق؛ من الفتح، وأصله إزالة الأغلاق، واستعمل في الحكم: لما فيه من إزالة الإشكال في الأمر. ومنه قيل: للحاكم: فاتح وفتّاح – في لغة – لفتحه أغلاق الحق. وقيل للحكومة: الفُتاحة والفِتاحة بضم الفاء وكسرها.

.90

* وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (90) *

.91

*فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (91) *

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} الزلزلة الشديدة. وإسناد الإهلاك إليها هنا من الإسناد إلى السبب القريب. وإسناده إلى الصيحة في آية 94 من سورة هود من الإسناد إلى السبب البعيد؛ إذ هي من أسباب الرجفة. وعلى ما اختاره ابن كثير بكون إهلاكهم بها وبعذاب يوم الظلة كما سلف. {جَاثِمِينَ} [آية 78 من هذه السورة].

.92

*الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (92) *

{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} كأن لم يقيموا في ديارهم ناعمى البال رخيِّي العيش. يقال: غَنيَ بالمكان يغنى، أقام به وعاش في نَعمة ورغَد.

.93

*فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (93) *

{فَكَيْفَ آسَى} أي فكيف أحزن عليكم! يريد: أنكم لستم: مستحقين لأن يحزن عليكم. والأسى: الحزنُ. وحقيقته إتْباعُ الفائت بالغم. يقال: أسيت عليه – كرضِيت – أسى، حزنت.

.94

* وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94) *

{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ} أي وما أرسلنا في قرية من القرى المُمهْلكة نبيا فكذبه أهلها، إلا أخذناهم بالبؤس والفقر والضر والمرض كي يتذللوا ويخضعوا ويبتهلوا إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم. {بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ} الفقر والبؤس والسقم والألم. {يَضَّرَّعُونَ} يتذللون ويخضعون ويتوبون.

.95

*ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (95) *

{ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ} ثم لما لم يفعلوا ذلك، واستمروا في كفرهم وعنادهم امتحناهم بضد تلك المِحن استدراجاً لهم؛ فأعطيناهم رَخاء وخصباً، وغنى وسِعَة، وصحة وعافية. {حَتَّى عَفَوْا} كثروا ونموْا في أنفسهم وأموالهم؛ يقال: عفا النبات، وعفا الشحم إذا كثرا وتكاثف، وأعفيته: تركته يعفو ويكثر؛ ومنه حديث «اعفوا اللحى» «متفق عليه». {وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا} وقالوا – لجهلهم أن ما أصابهم في الحالين ابتلاء من الله و امتحان –: إن تلك عادةُ الدهر، يُداول الضراء والسراء. بين الناس، من غير أن تكون

هناك داعية إليها. أو تَبعةٌ تترتب عليها. {بَغْتَةً} فجأة؛ فأخذناهم إثر ذلك بالعقوبة فجأة {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} ليكون ذلك أعظم لحسرتهم. وفي هذه الآية بيانٌ لسنن الله في الأمم المهلكة بسبب تكذيبها؛ تحذيرا وتخويفا من سوء العاقبة لمن هم على شاكلتهم في الكفر والتكذيب؛ ككفار قريش.

.96

*وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) *

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى} أي ولو أن أهل تلك القرى المُهْلكة آمنوا بما جاء به الرسل. واتقوا ما حرمه الله عليهم {لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ .. } لآتيناهم بركات من السماء والأرض، كالمطر والنبات والثمار، والأنعام والأرزاق، والأمن والسلامة من الآفات. جمعُ بَرَكة، وهي ثبوت الخير الإلهي في الشيء؛ وسُمي بذلك لثبوت الخير فيه، ثبوت الماء في البِرْكة.

.97

أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) *

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى} أي أبَعْدَ ذلك الأخذ – لمن كذب واستكبر وعاند – والعلم به يأمنُ أهلُ مكة – وما حولها من القرى – المماثلون لمن سبقهم في التكذيب والعناد. أن ينزل بهم عذابُنا ليلاً وهم في غفلة وطمأنينة. أو نهارا وهم ساهون لاهون [آية 4 من هذه السورة]. {يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا} ينزل بهم عذابنا {بَيَاتًا} وقت بيات أي ليلا.

.98

*أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) *

.99

*أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99) *

{أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ} أي عذابه ونقمته ليلا أو نهارا؛ آمنَ ما يكونون منه. أو إدْرارَ نعمه عليهم استدراجا لهم؛ حتى يُمعنوا في الطغيان. ويزدادوا في العُتُو، فيهلكهم كما أهلك من قبلهم.

.100

*أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (100) *

{أَوَلَمْ يَهْدِ .. } أي أو لم يبين لأهل مكة وما حولها ما جرى للأمم السابقة إصابتا إيّاهم بذنوبهم لو شئنا ذلك؛ كما أصبنا مَن قبلهم. و {يَهْدِ} أي يبين، والفاعل ضميرٌ عائد على ما يفهم من سياق الكلام، أي ما جرى للأمم المهلكة السابقة. و «أن» وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول. {أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ} إصابتا إياهم لو شئنا. {وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} أي ونحن نختم على قلوبهم، والجملة مستأنفة لإثبات حصول الطبع على قلوبهم.

.101

*تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (101) *

.102

*وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102) *
{مِنْ عَهْدٍ} من وفاء بما أوصيناهم.

.103
*ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103) *
{فَظَلَمُوا بِهَا} أي جحدوا وكفروا بها ظُلما وعُلُواً والباء للتَّعدية. أو فظلموا أنفسهم بتكذيبها. أو ظلموا الناس بسبب صدهم عن الإيمان، والباء
للستبية.
.104
*وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (104) *
.105
*حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105) *
{حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ} أي جدير بالا أقول
على الله غير الحق. وهو صفة {رَسُولٌ} أو خبر بعد خبر، أو خبرُ مبتدا محذوف؛ أي أنا حقيق. و {عَلَى} بمعنى الباء.
.106
*قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106) *
.107
*فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) *
{فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ} أي حية عظيمة ضخمة في الجثة، وإن كانت في خفة الحركة وسرعتها كأنها جَانّ. وهي الحية الصغيرة. {مُبِينٌ} ظاهر أمره لا يُشكُ فيه.
.108
* وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108) *
{وَنَزَعَ يَدَهُ} أي أخرج يده اليمنى من طوق قميصه؛ لقوله تعالى: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12)} [النمل]. والجَيْب: طوق القميص .. أو أخرَجها من تحت ابطه لقوله تعالى: {وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22)} [طه]. " والنزعُ: إخراج الشيء عن مكانه. {فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ} بياضاً عجيبً خارقاً للعادة، إذ كان لها شعاع يغلب ضوء الشمس.
.109
*قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) *

.110

*يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110) *

.111

* قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) *

{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} أي قال الملأ لفرعون: أخّر أمرَهما، ولا تعجل بقضاء في شأنهما. وأصلُه: أرجئه، حُذفت الهمزة وسكنت الهاء؛ تشبيهاً للضمير المنفصل بالضمير المتصل.

والإرجاءُ: التأخيرُ. يقال: أرجيت هذا الأمر وأرجأته، إذا أخرته، ومنه: {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (51)} [الاحزاب]. {وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} وابعث في مدائن الصعيد بمصر رجالا يجمعون إليك السحرة منها؛ إذ

كانت مقرهم، وكان السحر في زمن فرعون غالباً. يقال: حَشَر الناس – من باب ضرب ونصر–، جَمَعهم؛ ومنه: يوم الحشر والمحشْر.

.112

* يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112) *

.113

* وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (113) *

.114

* قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (114) *

.115

* قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) *

.116

* قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116) *

{سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ} خيلوا لها ما يخالف الحقيقه. {وَاسْتَرْهَبُوهُمْ} خوفوهم تخويفا شديداً.

.117

* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117) *

{تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} تبتلع وتلقم بسرعة ما يكذِبون ويُمَوِّهون به، واللقْفُ: التناول بسرعة. يقال: لقف الشيء يَلقَفه لَقْفا ولقَفَانا، أخذه بسرعة. والإفكُ: الكذب. يقال: أفَك يأفِك، وأفِك يأفَك افكا وأفكا –كضرب وعلم – إذا كذب. وأصلُه من الأفك – بفتح أوله – وهو صرف الشيء عن وجهه الذي يجب أن يكون عليه. وأطلق على الكذب افك – بالكسر– لكونه مصروفا عن وجه الحق ثم صار حقيقة فيه.

.118

*فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) *

{فَوَقَعَ الْحَقُّ} ظهر وتبين أمر موسى عليه السلام.

.119

* فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) *

.120

* وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) *

.121

*قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) *

.122

* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122) *

.123

*قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) *

.124

* لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) *

.125

* قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125) *

.126

* وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126) *

{وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا} أي ما تكره منا وتَعيبُ. [آية 59 المائدة]. {أَفْرِغْ عَلَيْنَا} أفض أو صب علينا.

.127

*وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127) *

{وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} قال جمهور المفسرين: إن فرعون كان قد صنع لقومه أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها، وسمى نفسه الرب الأعلى. وقال الحسن: إنه كان يعبد الكواكب ويعتقد أنها المربِّية للعالم السفلي كلِّه، وهو رب النوع الإنساني. {نَسْتَحْيِي

نِسَاءَهُمْ} نستبقى بناتهم للخدمة.

.128

*قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) *

.129

* قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129) *

.130

* وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (130) *

{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ} شروعٌ في تفصيل مباديء هلاكهم. واسلسنين: جمع سنة، أي عام الجدب والقحط، تقول العرب: مسّتهم السّنَّة، وأسَنتُوا إذا قَحِطوا وأجدبوا. وأصابتنا سُنيَّة حمراء: أى جدب شديد، ومنه حديث: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسِني يوسف» «رواه البخاري».

.131

*فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (131) *

{وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} أي قحطٌ وجدبٌ، وبلاء ومرض

{يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} أي و يتطيروا ويتشاءموا بهم. والأصلُ في إطلاق التَطُّير على التشاؤم: أن العرب كانت تزجر الطير فتتشاءم بالبارح، وهو ما ولّاك مُياسرة. وتتيمَّن بالسّانح؛ وهو ما ولاكَ مُيامنة. ومنه سَمُّوا الشؤم طيرا وطائرا، والتشاؤمَ تطيُّرا. وقد بطلق الطائر على الحظ والنّصيب، خيراً كان أو شرًّا ولكنه غالب في الشر. {إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ} إنما سببُ شؤمهم أعمالُهم السيئة المكتوبة عند الله، فهي التي ساقت إليهم ما يسوؤهم، وليس موسى عليه السلام ومن معه.

.132

*وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (132) *

.133

*فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (133) *

{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ} هو المعروف. وقيل: هو الموت الجارف، وكان بسبب الطاعون أو الجُدَري: والطُّوفانُ في الأصل: اسم لكل شيء حادث يحيط بالجهات ويعم كالماء الكثير، والقتل الذريع، والموت الجارف. {وَالْقُمَّلَ} ضرب من القراد. أو هو السوس أو القَمْل المعروفان.

.134

* وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) *

{وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ} أي نزل بهم العذاب بهذه الأمور الخمسة التي أرسلها الله عليهم.

.135

* فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (135) *

{يَنْكُثُونَ} ينقضون العهد الذي عاهدوه بقولهم: { ... لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134)} [الاعراف]. من النَّكث، وأصله فك طاقات الصوف المغزول ليغزل ثانية، ثم استعير لنقض العهد بعد ابرامه. يقال: نكث العهد والحبل ينكُثُه وينكِثه، نقضه.

.136

*فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136) *

.137

*وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137) *

{دَمَّرْنَا} أهلكنا وخربنا. {وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} يرفعون من الأبنية والقصور المشيَّدة. أو يجعلون له العروش من الثمارِ والأعناب.

.138

*وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) *

{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ} شروع في قصتهم، وما أحدثوه بعد أن منَّ الله تعالى عليهم بما مَنَّ فيما ذكر من قصة فرعون معهم؛ تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما رآه من اليهود في المدينة من الكيد والمكر والتدبير السيء، والعناد والجحود. {الْبَحْرَ}: بحر القُلْزُم؛ وهو البحر الأحمر.

.139

*إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) *

{إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ} مكسرٌ مُهْلك ما هم فيه من الدِّين الباطل وعبادة الأصنام. والتتبير: الإهلاك، أو التكسير والتحطيم. يقال: تبره يُتبِره وتبَّره، أهلكه.

.140

* قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140) *

{أَبْغِيكُمْ إِلَهًا} أطلب لكم إلها معبودا.

.141

*وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141) *

{وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ} تذكير بنعم الله عليهم؛ إذ أنقذهم من أسر فرعون وقهره، وما كانوا فيه من الهوان، وبما صاروا إليه من العزة، وباغراق عدوهم وهم ينظرون؛ ومع ذلك قالوا: { ... اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ... }.

{يَسُومُونَكُمْ} يذيقونكم أو يكلفونكم أشدَّ العذاب وأسوأه [آية 49 سورة البقرة]. {وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} يستبقون بناتكم للخدمة. {بَلَاءٌ} ابتلاء وامتحان بالنعم والنقم.

.142

* وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (142) *

{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ... }

وعده الله تعالى أن يكلمهُ عند انتهاء ثلاثين ليلة يصومها، وهي شهر ذي القعدة، وقد صام أيامه ولياليه، ثم أمره أن يصومَ عشرا بعدها، هي عشر ذي الحجة. {فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} وهو كما قال تعالى في سورة البقرة: {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51)} [البقره].

.143

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)}

{وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} أي أزال الحجاب بين موسى وبين كلامه فسمعه من غير واسطة بحرف وصوت، وهو لا يشبه كلام المخلوقين. {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} أي أرني ذاتك والمرادُ: مكني من رؤيتك. أوتجَلَّ لي أنظر إليك وأرَكَ {قَالَ لَنْ تَرَانِي} أي لن تُطيق رؤيتي وأنت في هذه النشأة وعلى الحالة التي أنت عليها؛ وتأييدُ النفي باعتبارهما. وأمّا في النشأة الأخرى فقد ثبت في الحديث الصحيح أن المؤمنين يرون ربهم في عرصات يوم القيامة وفي روضات الجنات. ويدل عليه قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)} [القيامه]. وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في تفسير قوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)} [الانعام]. وفي الآية دلالة على إمكان الرؤية في ذاتها، لأنه تعالى علقها على استقرار الجبل وهو ممكن، وتعليق الشيء بما هو ممكن يدل على إمكانه، وإليه ذهب أهل السُّنة. {فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ} ولم يفتته التجلي {فَسَوْفَ تَرَانِي} إذا تجليت لك. {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ} ظهر له على الوجه اللائق بجلاله، {جَعَلَهُ دَكًّا} أي مدقوقا مفتتاً والدكُّ والدقُّ بمعنى، وهو تفتيت الشيء وسحْقُه. وفعله من باب رَدَّ. قال الألوسيُّ: وهو من المتشابهات التي يسلك فيها طريق التسليم، وهو أسلم وأحكم. {وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا} مغشيّاً عليه؛ لعظم ما رأى من النور الذي حصل به التجلي. يقال: صَعَقتهم السماء تصعقهم –كَمَنع – صاعقة. وكَسَمِع صعْقاً وصَعَقاً وصعقة فهو صَعِق، غشي عليه. {قَالَ سُبْحَانَكَ} تنزيهاً لك من مشابهة خلقك في شيء. {تُبْتُ إِلَيْكَ} من الإقدام على السؤال بغير إذن.

.144

*قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144) *

.145

* وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145) *

{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ} أي في ألواح التوراة من كل شيء يحتاجون إليه من الحلال والحرام، والمحاسن والقبائح. {وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} أي بِحَسنِها وكلها حَسنٌ، أو بما هو أحسنُ وأكثر ثوابا في كل شيء.

.146

* سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146) *

{سَبِيلَ الرُّشْدِ} طريق الهدى والسداد. {سَبِيلَ الْغَيِّ} طريق الضلال والفساد.

.147

* وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (147) *

{حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} بطلت أعمالهم التي عملوها في الدنيا من البر والإحسان والخير؛ فلا ثواب لهم عليها.

.148

*وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (148) *

{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ ... } أي من بعد ذهاب موسى إلى جبل المناجاة إلها معبوداً على صورة العجل المعروف؛ صاغه لهم موسى السامِريُّ – وكانت صناعته الصياغة – من الحليِّ الذي استعاروه من القبط قبيل الغرق، وبقي في أيديهم بعده. وطلب منهم أن يعبدوه، وقال لهم: {فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88)} [طه] فعكفوا على عبادته. {عِجْلًا جَسَدًا} أي جُثَّة لا يعقل ولا يُميزُ، أو جسداً، أي أحمرَ ظاهر الحمرة لكونه مصنوعاً من الذهب. والجَسَدُ: الدمُ اليابسُ، والزعفران أو نحوه من الصَّبغ؛ ومنه ثوبٌ مُجسد، مصبوغ بالزعفران أو أحمرُ. {لَهُ خُوَارٌ} أي صوت يشبه صوت البقر، إذ صاغه على صورة العجل، وجعله مجوفاً، ووضع في جوفه أنابيب على شكل مخصوص، وجعله في مهب الريح، فإذا هبت الريح

مع هذه الأنابيب صوت يشبه خوار العجل، وقرئ «جُؤارٌ» أي صوت شديد. وفي هذين الوصفين تقريع لهم، وتبكيت بشدة الجهل؛ إذ ليس من شأن الإله أن يكون كذلك!. {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ} هو كقوله تعالى: {أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89)} [طه]، يُقرّعهم على فرط جهالتهم وضلالتهم، إذ عبدوا عجلا جسدا له خُوار، لا يكلمهم ولا يرشدهم إلى خير، ولا يملك لهم نفعا ولا ضرا، وذَهلوا عن عبادة الخالق رب العالمين. {اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} أي اتخذوا هذا العجل إلا معبودا، مع كونه مصنوعاً بأيديهم؛ فظلموا أنفسهم بهذا الجهل، وأوردوها مورد الهلاك.

.149

*وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (149) *

{وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ} أي ولما نَدِمُوا أشد الندم على عبادة العجل، وتبينوا ضلالهم بها تبينا ظاهرا هو {قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} وكان ذلك بعد عودة موسى من الميقات. يقال للنادم المتحيِّر: سُقط في يده؛ والأصل سَقَط فمهُ في يده، فحذف الفاعل وبُني الفعل للمفعول؛ كما في مُرَّ بزيد. وهو من الكناية؛ لأن من شأن الإنسان إذا اشتد ندمه على شيء أن يَعَض يده، فتصير يدُه مسقوطاً فيها، لأن فَمَه وقع فيها. ولما كان سقوط الأفواه في الأيدي لازماً للندم أطلق اسمُ اللازم

وأريد الملزوم على سبيل الكناية. وهذا التركيب لم تعرفه العرب إلا بعد نزول القرآن، ولم يوجد في أشعارهم ومنثورهم؛ فهو من فرائده البليغة.

.150

*وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150) *

{أَسِفًا} شديد الغضب. أو حزيناً مما حَدث منهم من عبادة العجل. يقال: أسِفَ يأسف أسفاً، اشتد غضبه أو حزن فهو أسف وأسيف. {أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} أسبقتم بعبادة العجل ما أمركم به ربُّكم! وهو انتظاري حافظين لعهدي، وما وصّيتكم به من التوحيد وإخلاص العبادة لله، حتى آتيكم بكتاب الله فغيرتم وعبدتم العجل!. يقال: عجلت الشيء: أي سبقته. {وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ} وضعها على الأرض حين رأى ما رأى من قومه، واشتد غضبه حَمِّية للدين، أو غيرةً من الشرك برب

العالمين، لتفرغ يده فيأخذ برأس أخيه .. وعبر عن هذا الوضع بالإلقاء تفظيعاً لفعل قومه، حيث كانت معاينته سبباً لذلك وداعيا إليه. و {وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي} قاربوا قتلي حين نهيتهم عن عبادة العجل، فلم أقصر في منعهم منها. {فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ} لا تسرَّهم بما تنال مني من مكروه. والشماته: الفرح ببليّة مَن تعاديه ويعاديك. يقال: شَمِت به يَشمتُ شماتا وشماتة، إذا فرح بمصيبة نزلت به. وأشمتّه الله به.

.151

* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (151) *

.152

* إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (152) *

.153

* وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (153) *

.154

*وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (154) *
{سَكَتَ} سكن وأخذ الألواح أي التي كان ألقاها. وظاهر الآية أن الألواح لم تتكسر، ولم يرفع من التوراة شيء وأنه أخذها بعينها. {وَفِي نُسْخَتِهَا} أي فيما نسخ فيها وكُتب. فنُسْخَة بمعنى منسوخة كخُطبَة بمعنى مخطوبة. والنّسخُ الكتابة. والإضافة بيانية أو بمعنى في. {لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ} أي يخافون أشد الخوف من ربهم.

.155

* وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) *
{وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ} أمر الله موسى أن يأتيَه في ناس من قومه ممن لم يعبدوا العجل، يعتذرون عمن تركوهم وراءهم من عَبَدة العجل، ووعدهم موعدا؛ فاختار موسى منهم سبعين رجلا وذهب بهم إلى الطور، وسألوا الله أن يكشف عنهم البلاء ويتوب على من عبد العجل؛ فأخذتهم في ذلك المكان

الرَّجفة، وهي الزلزلة الشديدة التي غُشي عليهم بها من أجل أنهم لم ينهوهم عن المنكر، ولم يأمروهم بالمعروف، ثم أفاقوا؛ وكان ذلك لتأديبهم على تقصيرهم. فالسبعون هنا غيرُ السبعين الذين كانوا مع موسى حين التكليم، والميقات غيرُ الميقات، وإلى ذلك ذهب بعض المفسرين، وهو الذي يقتضيه ظاهر النظم. {قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ} قال موسى هذا القول لاستجلاب العفو عن هذه الجريمة التي اقترفها قومه، بعد ما مَنَّ الله عليهم بالنعم السابغة الوافرة، وأنقذهم من فرعون وقومه. {فِتْنَتُكَ} محنتك وابتلاؤك.

.156

*وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) *
{وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً} أقسم لنا في الدنيا ما يَحسنُ من نعمة وطاعة، وعافية وتوفيق. {وَفِي الْآخِرَةِ} المثوبة الحسنى، أو المغفرة والرحمة، أو الجنة. {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} تعليل لطلب الحسنة في الدارين؛ أي لأنا تُبنا إليك من المعاصي التي جئناك للاعتذار منها. يقال: هاد يهود، إذا رجع وتاب. {قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ... } جواب من الله تعالى لنبيه موسى باجابة سؤله بقبول توبة قومه. وحاصله –كما قاله الآلوسي –: إن عذابي الذي تخشى أن يُصيب قومك أصيب به من أشاء، فلا يتعين قومُك لأن يكونوا عرضاً له بعد توبتهم {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} فلا تضيق عن قومك. كيف وقد تابوا ووفدوا إليَّ – أردهم خائبين؛ بل إني سأرحمهم، وأكتب الحظ الأوفر من رحمتي لأخلافهم وذراريهم الذين ياتون من بعدهم، ويتصفون بما يرضيني ويقومون بما آمرهم به، وهم من أدركوا بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، واتبعوه إيمانا به وبما جاء من نعوته في التوراة والإنجيل، فيكونون من آمن بالكتابين، وأفلح في الدارين. ووصف أخلافِهم بما وصفوا به لاستنهاض همم بني إسرائيل إلى الثبات على التوبة، وما يوجب الفلاح من الطاعة.

والقصر المستفادُ من الجملة قصر نسبي، أي سأجعلها خاصة بهؤلاء دون من بقي منهم على دينه ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم حين بعثته.

.157

*الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157) *

{النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ} الذي لا يكتب ولا يقرأ؛ نسبة إلى أمة العرب، لأن الغالب عليهم ذلك. أو إلى الأم وكأن الذي لا يكتب ولا يقرأ باق على حالته التي ولد عليها. وفي وصفه صلى الله عليه وسلم بالأمّية إشارة إلى أن كمال علمه مع ذلك إحدى معجزاته؛ فإنه عليه الصلاة والسلام لم تتفق له مطالعه كتاب، ولا مصاحبة معلم؛ لأن

مكة لم تكن بلدة العلماء، ولا غاب عنها غيبة طويلة يمكن التعلم فيها، ومع ذلك فتح الله عليه أبواب العلم، وعلمه ما لم يكن يعلم من سائر العلوم والفنون التي اشتملت عليها أحاديثه، وتعلمها و الناس منه، وكانوا بها أئمة العلماء، وقادة المفكرين. فما من شيء يحتاج إليه الفرد أو الأمة في الحياتين إلا للرسول صلى الله عليه وسلم هُدىً فيه، وقول سديد و بيان شاف، فأكْرِم بأمّية تضاءل عندها علم العلماء في كل العصور! وأعظم بها! وهي

الهدى والأسوةُ والنور. وقد ذكره الله في التوراة والإنجيل باسمه ونعوته، صلى الله عليه وسلم. {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ} أي ما طاب في حكم الشرع كالشحوم {وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} أي ما خبث في حكم الشرع كالربا؛ فالمدار على حكم الشرع في حل الأشياء وحُرمتها، لا على الرأي والفكر. {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ ... } يخفف عنهم ما ألزِموا العملَ به من التكاليف الشاقة الشديدة في التوراة؛ كقطع موضع. النجاسة من الثوب، وإحراق الغنائم وتحريم السبت، وتَعيّن القصاص في القتل مطلقا دون شرع الدية ونحو ذلك. والاصرُ في الأصل: الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه عن الحراك. والأغلالُ: جمع غل، وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه، وتسمى الجامعة. والمراد بها ما ذُكر. {وَعَزَّرُوهُ} عظموه ووقروه {وَنَصَرُوهُ} أي على أعدائه في الدين. وإذا أخذ في معنى التعزير النصرةُ يكون عطف (نصروه) عليه من عطف اللازم على ملزومه.

.158

*قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158) *

{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ} أمرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يصدع بما فيه تبكيتٌ لليهود، وإعلام بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة؛ رداً على زعمهم أنه مرسل للعرب خاصة.

.159

*وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (159) *

{وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى .. }. وهم أناس كانوا على خير وصلاح في عهد موسى عليه السلام، مخالفين لأولئك السفهاء من قومه. وقيل: هم ممن آمن من اليهود بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم. {وَبِهِ يَعْدِلُونَ} بالحق يحكمون في الخصومات بينهم.

.160

*وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (160) *

{وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا .. } أي صيرناهم اثنتي عشرة أمة لتتميز كل أمة عن الأخرى، ويقال لكل واحدة:

سِبطٌ. والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب. والسبط: ولدُ الولد أو الولدُ. {فَانْبَجَسَتْ} انفجرت. يقال: بجست الماء أبجسُهُ فانبجس؛ بمعنى فجَّرته فانفجر. {اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ... } لكل سِبط عين، وكان ذلك في التّيه. {وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ... } المَنَّ مادة صمغية حلوة كالعسل. {وَالسَّلْوَى .. } الطائر المعروف بالسماني. [آية 57 البقرة].

.161

* وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161) *

{هَذِهِ الْقَرْيَةَ} هي بيت المقدس أو أريحاء. {وَقُولُوا حِطَّةٌ} أي قولوا مسألتُنا حِطة، أي أن تحط عنا خطايانا [آية 58 البقرة].

.162

* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (162) *

{رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ} عذابا من السماء أهلكهم (آية 59 البقرة].

.163

* وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163) *

{حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} أي قريبة من بحر القُلْزُم – البحر الأحمر – مشرفة على شاطئه. والأكثرون على أنها أيْلَةُ. وقيل مدين، وقيل طبرية. {إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ} يعتدون في يوم السبت حدودَ الله بصيد الحيتان فيه وقد نهوا عنه. يقال: عدا فلان الأمر واعتدى، إذا تجاوزه. {شُرَّعًا} شارعةً ظاهرة على وجه الماء من كل ناحية كشوارع الطرق، دانية من الساحل. جمعُ شارع؛ مِنْ شَرَع عليه إذا دنا وأشرف. وكل شيء دنا من شيء فهو شارع. ودارٌ

شارعةٌ: إذا دنت من الطريق. {وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ} ويوم لا يعظمونه تعظيم السبت، وذلك سائر الأيام غير يوم السبت. يقال: سبتَ فلان –كنصر وضرب – إذا عظّم السبت. {لَا تَأْتِيهِمْ} حيتانهم. اختبرهم الله باظهار الحيتان لهم على ظهر الماء يوم السبت وإخفائها عنهم في غيره. {نَبْلُوهُمْ} نمتحنهم ونختبرهم بالشدة.

.164

*وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164) *

{وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ} افترق أهل القرية ثلاث فِرَق: فرقة اعتدت بالصيد يوم السبت.

وفرقة نهت عنه. وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه عنه، وقالت للناهية: {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} فأجابتها بأنا فعلنا ذلك معذرة إلى الله لوجوب النهي عن المنكر، وجائز أن ينتفعوا بها. فلما تركوا ما وعظوا به أخذهم الله بالعذاب الشديد، ونجى الفرقة الناهية. وأما الثالثة فقيل إنها ناجية، وقيل هالكة، والأول أصح. {قَالُوا مَعْذِرَةً} أي نعظهم لأجل المعذرة إلى الله تعالى، وطَلَبِ عفوه ومغفرته؛ فهو منصوب على المفعول لأجله.

والمعذِرة: مصدر كالمَغفِرة. يقال: عذره يَعذِره: عُذرا ومعذِرة، وهي التنصل من الذنب.

.165

* فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) *

{بِعَذَابٍ بَئِيسٍ} شديد وجيع؛ من بَؤُس يَبْؤُس بأسا، إذا اشتد.

.166

*فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166) *

{عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ} تكبروا عن ترك ما نهوا عنه وأبَوْا أن يرجعوا عن المعصية. يقال: عتا يعتُو عُتُوا وعِتيا، استكبر وجاوز الحد. {خَاسِئِينَ} صاغرين أذلاء، مبعدين عن كل خير. [آية 65 البقرة].

.167

*وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (167) *

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ} أي أعلم ربُّك أسلاف اليهود بأنهم إن غيروا وبدلوا، ولم يؤمنوا بأنبيائهم ليسلطن عليهم إلى يوم القيامة من

يُذيقهم ما يسوؤهم ويغُمُّهم من أنواع العذاب. {تَأَذَّنَ} بمعنى آذن أي أعلم. يقال: آذنه الأمر وبالأمر، أعلمه. وأذّن تأذيناً: أكثر الإعلام. {يَسُومُهُمْ} يذيقهم ويكلفهم.

.168

* وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (168) *

{وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا} فرقناهم في أقطار الأرضن فِرقاً حتى لا تكون لهم شوكة {مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ} أي المؤمنون {وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ} وهم غير المؤمنين. {وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ} عاملناهم معاملة المبتلى المُختبر بالنعم والخصب والعافية، وبالجَدب والشدائد؛ لِيتوبُوا ويرجعوا إلى ربهم. يقال: بلاه يبلُوه. بَلْوا، وابتلاه ابتلاء، إذا جربه و اختبره.

.169

*فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (169) *

{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ ... } فجاء من بعد هؤلاء الذين فيهم الصالح وغير الصالح خَلْفٌ لا خير فيهم، وهم اليهود الذين كانوا في عهده صلى الله عليه وسلم. والخَلْفُ: القرن يجيء بعد القرن، وهو بسكون اللام شائع فيمن يخلف بالسوء، وبفتحها فيمن يخلف بالخير. {يَأْخُذُونَ عَرَضَ ... } يأخذون عِوَضا عن قول الحق متاع هذه الحياة الدنيا، وهو الرشوة في الأحكام، والرشوة على التحريف. والعَرَض: متاع الدنيا وحُطامها. {الْأَدْنَى} الأقرب: والمراد به الدنيا، وهي من الكثير للقرب بالنسبة إلى

الآخرة. {وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ ... } أي وإن أتاهم شيء من حُطام الدنيا أخذوه، حلالا كان أو حرام، ويتمنون على الله المغفرة. وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه، وذلك لشدة حرصهم على الدنيا وإصرارهم على المعاصي.

{وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ... } قرأوا ما في الكتاب وهو التوراة وتدبروه مراراً، فَلِمَ كذبوا على الله؟.

.170

*وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170) *

{وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ... } أي والذين يتمسكون بالكتاب الأول وهو التوراة فلم يحرفوه ولم يغيروه، فأذاهم ذلك إلى الإيمان بالكتاب التالي والعمل به وهو القرآن – فإنا لا نضيع أجرهم. نزلت في مؤمني أهل الكتاب. يقال: مَسّكتُ وتمسكت بالشيء وتمسكت به، واستمسكت به وأمسكت به بمعنى.

.171

*وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (171) *

{وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ ... } زعزعنا جبل الطور، ورفعناه فوق رءوسهم كأنه غمامةٌ أو سقيفة؛ وهو كما قال تعالى: {وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ} [البقرة 93] من النَّتق وهو الزعزعة والرفع والجذبُ بشدة. يقال: نَتَق الشيء ينتُقه ويَنْتِقه نتقاً، جذبه واقتلعه. والظُّلة في الأصل: كل ما أظلك من سقف أو غيره.

.172

*وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) *

{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ... } أي أخرج من ظهر آدم ذريته كهيئة الذَّر، ثم أخرج من هذا الذر ذريته كذلك، ثم أخرج من الذَّر الآخر ذريته كذلك. وهكذا إلى آخر النوع الإنساني. {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ} قررهم جميعا بربوبيته لهم. والشهادة على النفس إقرار. {قَالُوا بَلَى} أي قالوا أنت ربنا وشهدنا به أقررنا على أنفسنا برُبُوبيتك. {أَنْ تَقُولُوا} أي لئلا تقولوا. أو كراهة أن تقولوا. والمعنى على ما ذهب إليه جمع من المفسرين: أنه تعالى نصب للناس في كل شيء من مخلوقاته ومنها أنفسهم – دلائل توحيده ورُبوبيته. وركز فيهم عقولا وبصائر يتمكنون بها تمكنا تاماً من معرفتها، والاستدلال بها على التوحيد والرُّبوبية؛ حتى صاروا بمنزلة من إذا دعى إلى الاعتراف بها سارع إليه دون شك أو تردد. فالكلام على سبيل المجاز التمثيلي: لكونهم في مبدأ الفِطرة مستعدين جميعا للنظر المؤدي إلى التوحيد، ولا إخراج للذُّرية، ولا قول ولا إشهاد بالفعل. وذهب جمع من السلف: إلى أن الله تعالى أخرج من ظهر آدم ذريته كالذَّر. وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق، وألهمهم ذلك الإقرار؛ لحديث رواه عمر رضي الله عنه. وقد أفاض العلامة الآلوسي في هذا المقام، فارجع إليه إن شئت.

.173

*أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) *

.174

* وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (174) *

.175

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) *

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ} أي أذكر لهم قصة رجل من بني إسرائيل أوتيَ علم ببعض كتب الله، ثم كفر بها ونبذها وراء ظهره. {فَانْسَلَخَ مِنْهَا} فخرج منها بكفره بها. {فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ} لحقه وأدركه فصار قُدوة ومتبوعاً للشيطان، أو فاتْبَعَه الشيطان خطواته وجعله تابعاً لها {فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} فصار في زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان مهتدياً.

.176

*وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) *

{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا} أي لرفعناه إلى منازل الأبرار، بسبب تلك الآيات التي آتيناه إياها والعمل بما فيها {أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ} رَكَن إلى الدنيا واطمأن بها. يقال: خلد إلى كذا وأخلد

إليه: ركن. {إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ... } أي إن شددت عليه وأجهدته لهثَ وإن تركته على حاله لهثَ. فهو دائم اللهث في الحالين؛ لأن اللهث طبيعة فيه، فكذلك حال الحريص على الدنيا، إن وعظته فهو لحرصه لا يقبل الوعظ، وإن تركت وعظه فهو حريص؛ لأن الحرص طبيعة فيه، كما أن اللهث طبيعة في الكلب. واللهْثُ: إدلا ع اللسان بالنَّفس الشديد. يقال: لهَثَ الكلب –كسمع ومَنَع – يلهث لهثا ولُهاثا، إذا أخرج لسانه في التنفس.

.177

*سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177) *

.178

* مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (178) *

.179

*وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179) *

{ذَرَأْنَا ... } خلقنا: يقال: ذرأ الله خلقَه يذرؤُهم ذرءًا، خلقهم. أخبر الله أنه خلق كثيرا من الثقلين لجهنم، وهم الكفار المعرضون عن الآيات وتدبرها، الذين عَلِم منهم أزلاً اختيارهم الكفر، فشاءه منهم وخلقه فيهم، وجعل مصيرهم النار لذلك. واللام في (لجهنم) للعاقبة والصيرورة.

.180

*وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180) *

{يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} يميلون و ينحرفون، فيها عن الحق إلى الباطل. يقال: ألحد إلحاداً، إذا مالَ عن القصد والاستقامة. وألحَدَ في دين الله: حاد عنه. ومن إلحادهم في أسمائه تسميةُ أصنامهم بأسماء مشتقة منها، كاللات: من الله، والعُزَّي: من العزيز، ومناة: من المنان.

وتسميته تعالى بما يوهم معنى فاسدا؛ كقولهم له: يا أبيضَ الوجه.

.181

*وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (181) *

{وَبِهِ يَعْدِلُونَ} وبالحق يقضون ويصفون الناس. والمرادُ بهذه الأمة: أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال من أمتي أمةً قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك) رواه الشيخان. وقيل: هم مَن آمن من أهل الكتاب.

.182

*وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182) *

{سَنَسْتَدْرِجُهُمْ} سَنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم؛ بإدْرار النعم وتواترها عليهم مع

انهماكهم في الضلال، حتى يفاجئهم الهلاك وهم غافلون. وقد قيل: إذا رأيت الله تعالى أنعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مُستَدرج. وأصلُ الاستدراج: الاستصعاد أو الاستنزال درجه بعد درجة. وهو استفعال من الدرجة بمعنى النقل درجة بعد أخرى، من سُفل إلى علو، أو بالعكس.

.183

*وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (183) *

{وَأُمْلِي لَهُمْ} أمهلهم ملاوَةً من الدهر وهي المدة الطويلة؛ من الإملاء، وهو الإمهال وإطالة المدة {كَيْدِي مَتِينٌ} أخذي شديد قوي.

.184

* أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (184) *

{مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ} من خَبَل وجنون؛ من الجن، وهو الستر عن الحاسة [آيه 76 الأنعام]. والخَبْلُ يجُنّ العقل ويستره، و (ما) نافية؛ والمقصود تنزيهٌ للنبي صلى الله عليه وسلم عما نسبوه إليه. وقيل: استفهامية إنكارية: أيْ أيُّ شيء بصاحبهم من الجنون.

.185

*أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185) *

{مَلَكُوتِ} هو المُلْك العظيم. زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة، كما في جَبَروت. {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} أي فبأي كلام بعد القرآن العظيم يصدقون.

.186

*مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (186) *

{طُغْيَانِهِمْ} تجاوزهم الحد في الكفر. {يَعْمَهُونَ} يترددون متحيرين [آية 15 البقرة].

.187

*يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187) *

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} أي متى

إثباتها واستقرارها، والمرادُ متى قيامها. أيّان: ظرف زمان متضمن معنى الاستفهام بمعنى متى، في محل رفع خَبَرٌ مقدم، و {مُرْسَاهَا} مبتدأ مؤخر. وهو مصدر ميميٌ؛ من أرساه إذا أثبته وأقره. {لَا يُجَلِّيهَا} لا يظهرها ولا

يكشف عنها. {ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} شَقّت أو عَظُمت على أهلها، لخوفهم من شدائدها وأهوالها، من الثقل ضد الخفة. و (في) بمعنى على. {بَغْتَةً} فجأة، على حين غفلة
منكم. {كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا} أي كأنك عالم بها؛ من حَفِي عن الشيء، إذا بحث عن تعرُّف حاله. ومن بحث عن شيء وسأل عنه استحكم علمه به؛ فأريد به لازم معناه مجازا أو كناية. وعُدِّي (حَفي) بعَنْ اعتبارا لأصل معناه، وهو السؤال والبحث.

.188

*قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188) *

.189

* هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) *

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} نزلت الآية في تسمية آدم وحواء ولديها بعبد الحرث، بوسوسة إبليس لحواء – وكان يُسمى بين الملائكة الحرث حين علم موت أولادهما، وحرصهما على حياتهم، فزين لها أنها إذا سمت ابنها بهذا الاسم عاش، ففعلت وأقرها آدم على هذه التسمية. وهو ليس شِركاً في العبادة وإنما هو شرك في التَّسمية، وهو: خلاف اللائق بهما، ولذا عوتبا عليه. والتعبير بالجمع في قوله (شركاء) لأن من استساغ الشركة في التسمية في واحد استساغها في الأكثر. وقيل: المرادُ بالنّفس الواحدة: آدم، وبالزوج حواءُ، وقد دَعَوا ربهما حين أثقلها الحمل: لئن اتيتنا ولدا صالحا لنكونن من الشاكرين؛ فلما آتاهما صالحاً جعل أولادُهما من بعدهما لله شركاء فيما آتى أولادهما من الأولاد. وعلى المعنيين قد تم الكلام بقوله: (فيما آتاهما) ثم ابتدأ بالخبر عن الكفار بقوله: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190)} [السورة]، وقوله: {تَغَشَّاهَا} أي تدَثَرها لقضاء شهوته، وهو كنايةٌ عن ذلك بديعة {فَمَرَّتْ بِهِ} فاستمرت به بغير مشقه. {أَثْقَلَتْ} صارت ذات ثقل بكبر الحمل؛ فالهمزة للصيرورة. {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا} رَزَقتنا نسلا سَوِيا صالحا لعمارة الأرض {لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} لنعمائك.

.190

*فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190) *

{جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ} بتسمية ولديهما عبد الحارث بوسوسة إبليس مريدا بالحرث

نفسه. {عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي العرب بعبادة الأصنام.

.191

*أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191) *

.192

* وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (192) *

.193

* وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (193) *

.194

* إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (194) *

{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ} أي إن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله، وتعتقدون فيها النفع والضر إنما هي عبادٌ مملوكة لله تعالى، مسخَّرة مُذَلَّلة لقدرته – أمثالُكم فكيف تعبدونها!؟ وأطلق عليها (عِباد) مع أنها جماد وَفْق اعتقادهم فيها، تبكيتا لهم وتوبيخاً.

.195

*أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (195) *

{فَلَا تُنْظِرُونِ} فلا تمهلوني ساعة بعد تدبير كيدكم مستعينين بشركائكم، فإني لا أبالي بكم؛من النظر بمعنى التأخير والإمهال.

.196

*إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196) *

.197

* وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (197) *

.198

* وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198) *

.199

* خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199) *

{خُذِ الْعَفْوَ ... } أي اقبَل ما عفا وتيسَّر من أخلاق الناس، وارْضَ منهم بما تيسَّر من أعمالهم وتسهَّل من غير كُلْفة، ولا تطلب منهم ما يشق عليهم ويرهقهم حتى لا يَنْفِروا. {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} أي بالمعروف المستحسَن من الأفعال، وهو كلُّ ما عُرف حُسْنُه في الشرع، فإن ذلك أقرب إلى قبول الناس من غير نكير.

{وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} وهذه الآية أجمع آية في القران لمكارم الأخلاق.

.200

* وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200) *

{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ} وان تعرض لك من الشيطان وسوسة فاستجر بالله والجأ إليه في دفعها عنك؛ من النَّزغ بمعنى النخْس والغرز، وهو إدخال الإبرة أو طرف العصا ونحوها في الجلد؛ وإطلاقُه على الوسوسة مجاز.

.201

*إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201) *

{مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ} لمَّة منه ووَسوسة، بما فيه صدٌّ عما يجب حقا لله تعالى أو للعباد؛ مريدا بذلك اقتناصَهم وإفسادَهم. يقال: طاف الشيء، إذا دار حوله {تَذَكَّرُوا} أمر الله ونهيه وعداوة الشيطان.

.202

* وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (202) *

{وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ} وإخوان الشياطين من المشركين تزيدهم الشَّياطينُ في الضلال بالوَسْوسة والإغراء بالمعاصي؛ من المد وهو الزيادة. يقال: مَّده

يمُدُّه زاده. و {الْغَيِّ} مصدر غَوى يغوي غيًّا وغَواية. {ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ} ثم لا يَكفُّون عن ذلك الإغواء حتى يُرْدُوهم بالكليّة، من أقصر عن الشيء: إذا كفَّ عنه ونزع مع القدرة عليه. أو ثم لا يكفُّ هؤلاء الناس عن الغَي بل يتمادَوْن فيه.

.203

* وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (203) *

{قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا} قالوا تهكُّما: هلا جمعتها من عند نفسك! يقال: جَبَيت الماء في الحوض، جمعته؛ ومنه قيل للحوض: جابية لجمعه الماء. أو هلا اخترعته عن نفسك. يقال: اجتبيت الكلام واختلقته وانتحلته واخترعته؛ إذا افتعلته من قبل نفسك {هَذَا بَصَائِرُ} القرآن حجج بينة وبراهين نيرة.

.204

*وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (204) *

.205

* وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205) *

{وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ} أي استحضر عظمته جل جلاله في قلبك {تَضَرُّعًا} متضرعاً متذلّلا له. {وَخِيفَةً} خائفا منه تعالى مُتذللاً له.

{وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ} عطف على (في نفسك) أي اذكر ربَّك ذكرا في نفسك. وذكرا بلسانك دون الجهر، والمراد بالجهر: رفع الصوت بإفراط. وبما دونه ما هو أقل منه، وهو الوسط بين الجهر والمخافتة. {بِالْغُدُوِّ} وهو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس. {وَالْآصَالِ} جمع أصيل، وهو من العصر إلى الغروب. والمرادُ: دوام الذكر واتصالُه بقدر الإمكان. أي أذكر الله في: كل وقت: وراقبه في كل حال.

.206

* إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (206) *

{وَيُسَبِّحُونَهُ} ينزهونه: عن كل ما لا يليق بجلاله على أبلغ وجه وأكمله. {يَسْجُدُونَ} يخضعون له تعالى و يعبدونه. والله أعلم.

سورة الأنفال

.1

*يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1) *

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} أي عن الغنائم، وهي الأموال المأخوذة من الكفار قهرا بقتال. جمعُ نفل، وأصله الزيادة. تقول: نفلتك وأنفلتك، أي زدتك. و سميت أنفالا لأنها زيادةٌ خص الله تعالى بها هذه الأمة، إذ كانت محرمة على من قبلهم من الأمم. سأل بعض أهل بدر النبي صلى الله عليه وسلم عن حكمها، حين تنازعوا في قسمتها: فنزلت الآية باختصاص حكمها بالله ورسوله، يقْسِمها الرسول صلى الله عليه وسلم كما أمره الله تعالى، فقسمها بينهم على السَّواء. {لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} مفوض إليهما أمرها {وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} بعد أن أمرهم الله تعالى بالتقوى وامتثال أمره وأمر رسوله، أمرهم بإصلاح ذات بينِهم. {ذَاتَ} كلمة بمعنى صاحبة، ولا تستعمل إلا مضافةٌ إلى الظاهر؛ كذات الصدور، وذات الشَّوكة. والبَيْن: يطلق على الوُصلة وعلى الفُرقة؛ أي راعُوا أحوالاً تحقق اتصالكم، وهي ما يقتضيه كمال الإيمان من المودَّة والمصافاة فأحرصوا عليها. أو راعُوا أحوالا توجب فرقتكم فاجتنبوها. ثم وصف كاملي الإيمان بالصفات الخمس الآتية؛ ترغيباً للسائلين في الاتصاف بها.

.2

*إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) *

{وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} خافت وفزعت، استعظاما لجلاله، وحذرا من عقابه. والوَجِل: استشعار الخوف. يقال: وَجِل وجلاً فهو وَجِل، إذا خاف. {زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} أي زادتهم تلاوتها تصديقا ويقينا. والتصديق لا شك في تفاوته للفرق الظاهر بين تصديق الأنبياء وآحاد الناس، ولتفاوت مراتب اليقين إلى علم اليقين، وحق اليقين، وعين اليقين. {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} يعتمدون فيفوضون أمورهم كلها إليه تعالى وحده؛ فلا يرجون غيره، ولا يطلبون إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه.

.3

* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) *

{يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} [آية 3 البقرة).

.4

*أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) *

{أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ} أي أولئك المتصفون بهذه الصفات،

الجامعون بين الإيمان والعمل هم المؤمنون إيمانا حقا، أي ثابتاً صدقاً، وهو الإيمان الكامل.

.5

*كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) *

{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ} أي حال بعض أهل بَدْر في كراهة قسمة الغنيمة بالسَّوية، مثل حال بعضهم في كراهة الخروج للقتال، مع ما في هذه القسمة والقتال من الخير. فالكاف بمعنى مثل، خبرٌ لمبتدأ محذوف وهو المشبّه، والمذكور هو المشبه به ووجه الشبه مطلق الكراهة وما ترتب على كل من المكروهين من الخيرِ للمؤمنين. وقد وقعت في هذه الغزوةِ كراهتان بحكم الطبيعة البشرية، أعقبها إذعان وتسليم ورضى من الصحابة رضوان الله عليهم. الأولى –كراهةُ شبّان أهل بدر قسمة الغنيمة بالسَّوية، وكانوا يحبون الاستئثار بها لأنهم هم الذين باشروا القتال دون الشيوخ الذين كانوا معهم في الغزوة؛ مع أنهم كانوا ردءاً لهم. فكان في الأمر بالقسمة بالسوية خير للمؤمنين، إذ أصلح الله بينهم وردهم إلى حالة الرضا والصفاء. والثانية كراهة بعض أهل بدر قتال قريش، بعد نجاة العير التي خرجوا لأجلها؛ لخروجهم من غير استعداد للقتال لا بعَدَد ولا بعُدد، فكان في القتال الذي أمروا به عزة الإسلام وخَضْدُ شوكة الكفر والطغيان. وفي هذه الآية تنوية بأن الخير فيما قدره الله لا فيما يظنون.

.6

*يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (6) *

{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ} أي يجادلونك في أمر القتال بقولهم: ما كان خُروجنا إلا للعير دون تأهُّبٍ للقتال. {بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ} الحق بإعلامك أنهم ينصرون أينما توجَّهوا، وقد أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم قبل نجاة العِير بأن الله وعده الظفر بإحدى الطائفتين: العير

أو النَّفير، فلما نجت العير عُلم أن الظفر الموعود به إنما هو على النفير. والعِير: الإبل الحاملة لأموالهم، الآتية من الشام إلى مكة. والنَّفير: المشركون الذين استنفرهم أبو سفيان للقتال دون العير. والطائفة من الناس: الجماعة منهم. ومن الشيء: القطعة منه.

.7

*وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) *

{ذَاتِ الشَّوْكَةِ} أي السلاح: أو الشدة والقوة. وذات الشَّوكة هي النَّفير. وقد أحبُّوا أن تكون لهم طائفة العير دون طائفة النفير التي فيها القتال بالسلاح؛ ولكن الله أراد لهم وللإسلام ما هو خير، فمكّنهم من أعدائهم وأعز الإسلام بنصرهم. {وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} أي آخرهم [آية 45 الأنعام]. وقد هلك في هذه الغزْوة صنادِيدُ قريش وعصابة المستهزئين؛ وهم أمة الكفر في مكة.

.8

*لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8) *

.9

*إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) *

{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ} تطلبون منه الغوث والنصر على عدوكم. والغَوْث: التخليص من الشدة؛ فأجاب دعاءكم بأنه مرسلٌ إليكم مددا ألفا من الملائكة {مُرْدِفِينَ} أي متتابعين بعضهم في إثر بعض. يقال: أردفتُه وردِفتُه. بمعنى تبعته. وقد قاتلت الملائكة في بدر على الصحيح، ولم تقاتل في غيرها، وإنما كانت تنزل لتكثير عدد المسلمين [آية 124،125

آل عمران).

.10

*وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) *

.11

* إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) *

{إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ} يجعله غاشياً لكم كالغطاء من حيث اشتماله عليكم؛ من غَشَّاه تغشية غطاه. والنُّعاس: أول النوم قبل أن يَثْقُل. {أَمَنَةً مِنْهُ} تعالى لكم، يزيل به عن قلوبكم الرعب ويقويكم بالاستراحة به على القتال في الغد. مصدرٌ بمعنى الأمن، وهو طمأنينة القلب وزوال الخوف. يقال: أمِنْت من كذا أَمَنَة وأمناً وأمانا، بمعنى. {رِجْزَ الشَّيْطَانِ} وسوسته لكم وتخويفه إياكم من العطش. وأصلُ الرِّجْز: الاضطراب، ويطلق على كل ما تشتد مشقته على النفوس {وَلِيَرْبِطَ} يشدُّ ويقوِّي باليقين والصبر.

.12

*إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) *

{أَنِّي مَعَكُمْ} أي بالعون والنَّصر. وقد بين الله ذلك بقوله: {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} أي الخوف والانزعاج. وأصله: الانقطاع من امتلاء النفس بالخوف من المكروه {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} بيان لكيفية التثبيت. والأعناق: الرءوس. والبنان: الأصابع، جمع بنانة؛ من قولهم: أَبَنَّ الرجل بالمكان، وبَنَّ يَبِنُّ إذا أقام به. وسميت بنانًا لأن بها إصلاح الأحوال التي بها يمكن أن يَبِنَّ، أي يقيم. وقيل البنان هنا: مطلق الأطراف لوقوعها في مقابلة الأعناق.

.13

*ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13) *

{شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} خالفوا أمرهما. والمُشاقة: المخالفة وأصلها المجانبة؛ لأنهم صاروا في شِقٍّ وجانب عن شِقِ المؤمنين وجانبهم.

.14

*ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (14) *

.15

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) *

{زَحْفًا} زاحفين نحوكم، أو يزحفون زحفاً لقتالكم. والزَّحفُ: انبعاث من جَرِّ الرِّجْل؛ كانبعاث الصبيِّ قبل أن يمشي، والبعيرِ إذا أعيا. أو هو الدَّبيب في السير. سُمِّي به الجيش الكثيف المتوجه للعدو؛ لأنه لكثرته وتكاثفه يُرى كأنه جسم واحد يزحف ببطء وإن كان سريع السير. {فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ} أي تديروا لهم ظهوركم

منهزمين؛ والمنهزم يولّي ظهره من انهزم منه. والأدبارُ: جمعُ دُبُر، وهو خلاف القُبُل ويطلق على الظهر وهو المراد هنا.

16.*وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16) *

{إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ} أي إلا أن يكون في توليه منعطفا عن موقفه إلى موقف آخر أصلح للقتال فيه. أو إلى قتال طائفة أخرى أهم من هؤلاء. أو خادعاً للعدو بالفرَّة، مريدا الكَرَّة، والحرب خدعة، وأصل التحرُّف: الزوال عن جهة الاستواء إلى جهة الحرف والطّرف: ومنه الاحتراف والتحريف. {أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ} أو إلا أن يكون في توليه منحازا إلى جماعة أخرى من الجيش، ومنضمًّا إليها للتعاون معها على القتال؛ من التحيز وهو الانضمام. يقال: حُزت الشيء أحوزه، إذا ضممته. والفِئة: الجماعة من الناس، سُمِّيت فئة لرجوع بعضهم إلى بعض في التعاضد؛ وجمعها فئات {بَاءَ بِغَضَبٍ} رجع متلبسا به مستحقا له.

.17

*فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17) *

{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ} أي فلم تقتلوهم بحولكم وقوتكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم، ولكن الله هو الذي أظفركم بهم بحوله وقوته. {وَمَا رَمَيْتَ} بالرعب يوم بَدْر في قلوب الأعداء {إِذْ رَمَيْتَ} في وجوههم بالحصباء {وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} بالرعب في قلوبهم فهزمهم ونصركم عليهم. أو ما أوصلت الحصباء إلى أعينهم، إذ رميتهم بها ولكن الله هو الذي أوصلها إليها. {وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ} اللام للتعليل متعلقة بمحذوف مؤخَّر. وليُحسن إليهم ويُنعم عليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل، لا لشيء آخر؛ والبلاء هنا محمول على: الإحسان والنعمة. ويطلق أيضا على المِحنة. وأصله الاختبار، وهو كما يكون بالنعمة لإظهار الشكر، يكون بالمحنة لإظهار الصبر.

.18

*ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (18) *

{مُوهِنُ ... } مضعف.
.19
*إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19) *
{إِنْ تَسْتَفْتِحُوا} إن تطلبُوا النَّصر لأعْلى الجُندين وأهْدى الفئتين فقد جاءكم النصرُ؛ حيث نُصِر الأعلى والأهْدى. قيل لهم هذا تهكما بهم. رُوى أنهم حين أرادوا الخروج إلى بَدْر تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهُمَّ انصر أعلى الجُندين وأهدى الفئتين،

وأكْرَم الحزبين، فكان ذلك في نفس الأمر دعاء على أنفسهم، لا على الرسول وأصحابه.
.20
*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20) *
.21
* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21) *
.22
* إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) *
{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ} نزلت في نَفر من بني عبد الدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن صُمٌّ بُكْم عُمْي عما جاء به محمد؛ فقُتلوا جميعا يوم بدر، ولم يسلم منهم إلا رجلان. وإطلاق الدابة على الإنسان حقيقي؛ لأنها تطلق على كل حيوان في الأرض مُميِّز أو غير مُميِّز.
.23
*وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23) *
.24
*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) *
{يُحْيِيكُمْ} يورثكم حياة أبدية في نعم سرمدي. {أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} أي يحول بين المرء وخواطر قلبه، فيمنعه من حصول ما لم يرده منه، فلا يقدر الإنسان أن يُدرك من إيمان أو كفر، أو أن يعيَ شيئا إلا بمشيئته تعالى؛ من الحَوْل بين الشيء والشيء، بمعنى الحجز والفصل بينهما. وهو مُجاز عن غاية قربه تعالى من العبد.
.25
*وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25) *
{وَاتَّقُوا فِتْنَةً} احذروا ابتلاء من الله تعالى ومحنة تنزل بكم، تعمُّ المسيء وغيره؛ كالقحط والغلاء، وتسلط

الظلمة وغير ذلك. والمراد التحذير من الذنوب التي هي أسباب الابتلاء؛ كإقرار المنكرات والبدع والرضا بها، والمداهنة في الأمر بالمعروف، وافتراق الكلمة في
الحق، وتعطيل الحدود، وفَشْوِ المعاصي ونحو ذلك. وفي حديث عائشة مرفوعا: (إذا ظهر السُّوء في الأرض أنزل الله بأهل الأرض بأسَه) فقالت: وفيهم أهل طاعة الله؟ قال: (نعم ثم بصيرون إلى
رحمة الله (رواه الطبراني).

.26

*وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (26) *

{يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ} يستلبوكم ويصطلموكم بسرعة.

.27

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27) *

{لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} أي بترك فرائض الله وسنن رسوله وارتكاب المعاصي؛ من الخَوْن وهو النَّقص. يقال: خوَّنه تخوينا، نسبة إلى الخيانة ونَقَصه. والخائن: ينقص المخُون شيئا مما خانه فيه.

.28

*وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28) *

.29

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29) *

{يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} هداية في قلوبكم، تفرقون بها بين الحق والباطل. أو نصراً يفرق بين الحق والبطل. أو مخرجا من الشبهات. أو نجاة مما تخافون. أو جميع ذلك.

.30

*وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30) *

{لِيُثْبِتُوكَ} أي بالوثاق. أو بالإثخان بالجراح حتى لا تستطيع حراكا؛ ومنه: رجل مُثْبِت، لا حراك به من المرض. وأثبته السقم: إذا لم يفارقه. {وَيَمْكُرُ اللَّهُ} يرد مكرهم، و يحبط كيدهم، ويدبر أمرك ويحفظك منهم. أو يجازيهم على مكرهم [آية 54 آل عمران].

.31

*وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (31) *

{لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا} أي مثل هذا القرآن {إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} ماسطروه في كتبهم من الأحاديث المكذوبة، والقصص المتخيلة [آية 25 الأنعام].

.32

*وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32) *

{وَإِذْ قَالُوا .. } القائل هو النضر بن الحارث من بني عبد الدار، قاله استهزاءً وإمعانا في الجحود، فنزل جوابا له:

.33

*وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33) *

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ} أي وما كان الله مريدا لتعذيبهم تعذيب استئصال، وأنت مقيم بين أظهرهم بمكة. وقد جرَت سنة الله ألا يُهلك قرية مكذِّبة وفيها نبيُّها والمؤمنون به؛ حتى يخرجهم منها ثم يعذب الكافرين {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ ... } أي وما كان الله معذب هؤلاء الكافرين وبين أظهرهم بمكة من المؤمنين المستضعفين من يستغفر الله، وهم الذين لم يستطيعوا الهجرة حين هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وهو كقوله تعالى { ... لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (25)} [الفتح] وإسناد الاستغفار إلى ضمير الجمع لوقوعه فيما بينهم ولعل ما صدر عن البعض بمنزلة ما صدر عن الكل، كقولهم: بنو تميم قتلوا فلانا، والقاتل أحدهم.

.34

*وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34) *

{وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ} أي شئ يمنع من عذابهم بعد خروجك وخروج المستضعفين من بين أظهرهم؛ أي لا مانع منه بعد ذلك خصوصا بعد مقتضيه. وقد أوقع الله بهم بأسَه يوم بدر فقُتِلَ صناديدهم، وأسِر سراتُهم وأذلوا.

.35

*وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (35) *

{مُكَاءً} صفيرا: يقال:

مكا الطيرُ يمكُو مكوا ومُكاءً، إذا صفَّر. وهو في الأصل اسم طائر أبيض يوجد بالحجاز له صفير. {وَتَصْدِيَةً} تصفيقا. وكانوا يطوفون بالبيت عراة، يصفرون ويصفقون، وكانوا إذا سمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بصلي ويتلو القرآن صفَّروا وصفَّقوا؛ ليخلطوا عليه قراءته، ويشغلوا عنه من يسمعه.

.36

*إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) *

{ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} نزلت في المُطعِمين يوم بدر، وكانوا اثني عشر رجلا من قريش – منهم أبو جهل – يُطعِمِ كل واحد منهم كل يوم عشر جُزُر. {ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} أي ندامة وأسفا لفواتها من غير ثمرة. يقال:

حَسِر يَحسر، ندم. والحسرةُ اسم منه، وهي التَلَهُّف والتأسف على الفائت [آية 167 البقرة].

.37

*لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (37) *

{فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا} يجمعه ويضم بعضه إلى بعض. يقال: رَكَم الشيء يَركُمُه، إذا جمعه وألقى بعضه على بعض. وارتكم الشيءُ وتراكم: اجتمع؛ ومنه: {سحابٌ مَرْكوم} [آيه 44 الطور].

.38

*قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (38) *

{سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ} عادة الله في المكذبين لرسله.

.39

*وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39) *

{لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} لا يوجد منهم شرك. أو لا يفتتين مؤمنٌ عن دينه.

.40

*وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (40) *

.41

*وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41) *

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ} الغَنِيمَة: ما أُخذ من أموال الكفار قهرا بقتال. أو إيجاف خيل أو ركاب، من الغُنْم وهو الفوز. يقال: غُنماً وغنيمة، إذا ظفر بالشيء. وأما ما أخذ منها بغير قتال ولا إيجافٍ

فهو الفيء؛ وسيأتي في سورة الحَشر. والغنيمةُ تُخمَّس: فيعطى أربعةُ أخماسها مِلكا للمقاتلة الذين أحرزوها. والخمسُ الباقي كان في عهد النبوة خمسة أسهم: للرسول ولذي القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل. وقولُه:

{فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} أي فحكمُه أن لله خُمُسه وذُكر الله تعالى لبيان أنه لا بد في الخمس من إخلاصه له تعالى، وأنه هو الحاكِم به فيقسِمه كيف شاء. وليس المراد أن له سهما منه مفردا؛ لأن له كلَّ شيء، فسهمُ الله وسهم رسوله شيء واحد. وأما بعده صلى الله عليه وسلم فقد سقط سهمه كما سقط سهمُ ذوي القربى، وإنما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنياؤهم، فيقسم الخُمس على اليتامى والمساكين وأبناء السبيل. وقيل: صرف سهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعده لمصالح المسلمين وما فيه قوة لهم. وتفصيل المذاهب في قسمة الخمس وفي الفئ في كتب الفروع. {يَوْمَ الْفُرْقَانِ} أي يوم بدر، الذي: فرق فيه بين الحق والباطل.

.42

*إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42) *

{بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} بجانب الوادي وحافته الأقرب إلى المدينة، {وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى} أي بالجانب الآخر الأبعد منها. {الدُّنْيَا} تأنيث: الأدنى بمعنى الأقرب {الْقُصْوَى} مؤنث الأقصى: أي الأبعد. {وَالرَّكْبُ} أي العير وأصحابُها أبو سفيان ومن معه في {أَسْفَلَ مِنْكُمْ} أي في مكان أسفل من مكانكم إلى ساحل البحر الأحمر، على ثلاثة أميال من بدر. {وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ} أي لو تواعدتم أنتم وهم للقتال، ثم علمتم حالهم وحالكم لتخلفتم عن لقائهم في الميعاد؛ هيبةً منهم ويأساً من الظفر بهم، بسبب قِلتكم وكثرتهم، وضعفكم وقوتهم {وَلَكِنْ} تلاقيتم على غير موعد {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} وهو نصرُكم وخذلانهم {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ} ليموت من يموت عن حُجة عاينها {وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ} ويعيش من يعيش عن حُجة شاهدها؛ فلا يبقى مجالٌ للتعلُّل بالأعذار. أو ليَكفر من كَفَر، ويؤمن من آمن عن حُجة واضحة ظاهرة.

.43

*إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43) *

{لَفَشِلْتُمْ} لجَبنتم و تهيبتم الإقدام عليهم، لكثرة عددهم وعُددهم. من الفشل وهو ضعف مع جبن.

.44

*وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44) *

{وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} حين الالتقاء قبل الالتحام؛ حتى قال أبو جهل: إنما هم أكلَة جزور. وذلك ليجترئوا عليكم، ويتركوا الاستعداد والاستمداد. ثم عند الالتحام كثركم في أعينهم حتى رأوكم مثليهم، لتفاجئهم الكثرة فيبهَتوا ويهابوا [آية 13 ال عمران]

عمران ص 74].

.45

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) *

.46

*وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) *

{وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} قوتكم ودولتكم. وأطلق على الدولة – بالفتح – ريح لشبهها بها في نفوذ الأمر وتمشيه. تقول العرب: هبت رياحُ فلان. إذا دالت له الدَّولة، وجرى أمره على ما يريد. وذهبت رياحه: إذا ولت عنه وأدبر أمره.

.47

*وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (47) *

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا} نزلت في مشركي مكة الذين خرجوا لاستنقاذ العير {بَطَرًا} طغيانا في النعمة بترك شكرها، واتخاذها وسيلة إلى مالا يرضي الله. أو فخرا وخيلاء. والبَطَرُ: دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها. وفعله كفَرِح. {وَرِئَاءَ النَّاسِ} ومراءاة للناس ليحمدوا لهم شجاعتهم وسماحتهم.

.48

*وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (48) *

{وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ} مجير ومعين وناصر لكم. والجارُ: الذي يجير غيره؛ أي يؤمنه مما يخاف. والجارُ: الناصر والحليف. {نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ} رجع القهقرى وولى هاربا. أو بطل كيدُه وذهب ما خيّله إليهم من النصرة والعون. يقال: نكص عن الأمر نكوصاً ونَكْصًا، تكأكأ عنه وأحجم. والعقِب: مؤخر القدم. ونكص على عقبيه: رجع عما كان عليه من خير.

.49

*إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49) *

.50

* وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) *

{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى ... } ولو رأيت ما يصيب قتلى بدر من أشد صنوف العذاب حين تقبض الملائكة أرواحهم، لرأيت منظرا فظيعا.

.51

*ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (51) *

{لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} أي ليس بذي ظلم لهم؛ إذ يعذبهم بسبب ما قدمت أيديهم من الذنوب، بل ذلك عدل. فظَلّام صيغة نَسَب؛ كلبّان وتمّار. أو هي صيغة مبالغة والتكثير لكثرة العبيد؛ كأنه قيل: ليس بظالم لفلان ولا بظالم لفلان، وهكذا؛ فلا جمع هؤلاء عدل إلى ظلّام لذلك.

.52

*كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52) *

{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ} [آية 11 آل عمران ص).

.53

*ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53) *
{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا} ذلك التعذيب على الأعمال السيئة عدل إلهي، فقد جرت سنه تعالى في خلقه، واقتضت حكمتُه في حُكمه ألا يُبدِّل نعمة بنقمة إلا بسبب ارتكاب الذنوب، فإذا لم يتلق المنعمُ عليهم نعمته تعالى بالشكر والطاعة، وقابلوها بالكفر والعصيان، بدّل نِعَمهم بنقم جزاءً وفاقاً، وهو كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [آيه 11 الرعد].

.54

*كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (54) *

.55

* إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) *
{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ} نزلت في يهود قُريظة، الذين عاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الا يمالئوا عليه، فأعانوا المشركين بالسلاح واعتذروا، ثم عاهدهم
بعد ذلك فنكثوا ومالئوا المشركين عليه يوم الخَندق، وركب زعيمهم كعب بن الأشرف إلى مكة فحالف المشركين على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم. فهم شر الدواب، لتماديهم في الكفر ورسوخهم فيه، ولذا قال تعالى: {فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.

.56

*الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) *

.57

* فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (57) *
{فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ .. } فإن ظَفِرت بهم في الحرب فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تُفرق به جمع كل ناقض للعهد؛ حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة وغيرها. يقال: ثَقِفه يَثْقفه، صادفه أو ظفر به أو أدركه. وشَرَّدت بني فلان: قلعتُهم عن مواطنهم وطردتهم عنها حتى فارقوها.

.58

*وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58) *
{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً} أي وإما تعلمنّ من قوم بينك وبينهم عهد مشارَفَتهم نقضه خيانه منهم، بأمارات تلوح لك كما ظهر من بني النضير فاطرح إليهم عهدهم. {فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ} فاطرح اليهم عهدهم وحاربهم. {عَلَى سَوَاءٍ} أي على طريق مستو ظاهر؛ بأن تُعلمهم بنبذ عهدهم قبل أن تحاربهم؛ حتى تكون أنت وهم في العلم بنبذ العهد سواءً، فلا يتوهَّم أحد فيك الغدر. أما إذا ظهر نقضهم العهد ظهورا مقطوعاً به، فلا حاجة إلى اعلامهم بالتبذ. والنَّبذ: إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به؛

وفعله كضرب. والسواء: المساواة والعدل والوسط.

.58

*وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58) *

.59

* وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59) *

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا .. } لا يحسبن كفار مكة الذين نجوا يوم بدر من القتل والأسر أنفسهم قد سبقوا الله، فخلصوا من عذابه ونجوا منه. {سَبَقُوا} خلصوا وأفلتوا من العذاب. {إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ} أي لا يجدونه عاجزا عن إدراكهم. أو لا يفوتونه بل يدركهم بعذابه لا محالة. يقال: أعجزه الشيء أي فاته. وقوله: {إِنَّهُمْ} تعليلٌ للنهي.

.60

*وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) *

{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ} أي أعِدُّوا لقتال أعدائكم: ما أمكنكم من كل ما يتقوى به عليهم في الحرب، من نحو حصون وقلاع وسلاح، وآلات ومصانع، وتعليم للفروسية وفنون الحرب. وما رُويَ من تفسير القّوةِ بالرمي فإنما هو على سبيل المثال، وخص بالذكر أنه كان إذ ذاك أقوى ما يُتقَّوى به؛ فهو من قبيل: (الحُج عرفة، والنَدمُ توبة). ولذا فسرها ابنُ عباس بأنواع الأسلحة، وعكرمة بالحصون والمعاقل. {وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} أي ومن ربط الخيل للغزو، وخُصَّت بالذكر من بين ما يتقوى به لمزيد فضلها وغَنائها في الحرب. {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ} تخوّفون بهذا الإعداد أعداء الله {وَعَدُوَّكُمْ} أعداء كم وهم كفار مكة {وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ} أي من غيرهم من الكفار كالمنافقين واليهود. والرَّهبة والرَّهب: مخافةٌ مع تحرُّز واضطراب. يقال: رَهِب يَرْهَب رهبةً ورهباً، خاف.

.61

*وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61) *

{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ} أي إن مال الأعداء المحاربون إلى المسالمة والمصالحة على المهادنة والأمان فَمِل إليها، واقْبَل ذلك منهم، ما دام فيه خير وصلاح بَيّن للإسلام وأهله، ولذلك قَبِل الرسول صلى الله عليه وسلم الصُّلح مع المشركين عام الحديبية على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، مع ما اشترطوا من الشروط. أما المصالحة على الجزية فلا تصح إلا مع أهل الكتاب؛

لأن المشركين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف. يقال: جنح إليه يجنح – مثلث النون –جُنوحا، مال. والسَّلْم – بفتح السين وكسرها يؤنث و يذكري: الاستسلام والصلح والمهادنة.

.62

*وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) *

{وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ} نزلت في بني قُرَيْظة. أي وإن أرادوا بإظهار الميل إلى السلم الخديعةَ لتكُفَ عنهم أو

ليستعدوا، فصالحهم مع ذلك إذا كان فيه مصلحة ظاهرة للإسلام وأهله، ولا تخش منهم، فإن الله كافيك بنصره ومعونته، وقد أيدك الله بنصره و بالمؤمنين، وألف بين قلوبهم فتحابوا في الله، واجتمعوا لإعلاء كلمته، واتبعوا أمرك وأطاعوك. ويظهر لي – والله أعلم – أنها من قضايا الأعيان الخاصة بالرسول المقطوع بتأييده ونصره؛ كما يشير إليه التعليل في الآية.

.64

*يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64) *

{حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ} أي كافيك الله وكافي متبعيك من المؤمنين، وناصركم ومؤيدكم على عدوكم؛ وإن كثر عددهم وقل عددُكم. وحَسْب: صفة مشبهة بمعنى اسم الفاعل، والكاف في محل جر.

.65

*يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) *

{حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} بالِغْ في حثهم وإحمائهم على القتال بصبر وجلَد؛ من التحريض وهو الحث على الشيء بكثرة التّزيين له وتسهيل الخطب فيه. كأنه في الأصل إزالة الحَرَض، وهو الإشراف على الهلاك من شدة الضنى؛ نحو مَرّضته، أي أزلت عنه المرض. {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ} خبر بمعنى الأمر. ففرض الله على المؤمنين أول الأمر ألا يفر الواحد من العشرة من الكفار، وكان ذلك في وسعهم، فأعزّ الله بهم الدين على قلتهم، وخذل بأيديهم المشركين على كثرتهم، وكانت السرايا تهزم من المشركين أكثر من عشر أمثالها تأييدا من الله لدينه. ولما شق على المؤمنين الإستمرار على ذلك، وضعُفوا عن تحمله، ولم تبق: ضرورة لدوام هذا الحكم لكثرة عدد المسلمين ممن دخلوا في دين. الله أفواجا نزل التخفيف، ففرض على الواحد الثبات للاثنين من الكفار، ورخص له في الفرار إذا كان العدو أكثر من اثنين. وهو كما اختاره مكي رخصةً كالفطر للمسافر. وذهب الجمهور إلى أنه نَسْخ.

.66

*الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66) *

.67

* مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) *

{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى} استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في أساري بدر: فأشار أبو بكر

باستبقائهم رجاء توبتهم، وأخذ فدية منهم تكون قوَّةً للمسلمين. وأشار عمر – اجتهادا منه – وآخرون بقتلهم إعزازا للإسلام، فمال صلى الله عليه وسلم إلى الرأي الأول. وكان فدا كل أسير أربعين أوقيةً من الذهب؛ إلا العباس ففداؤه ثمانون. فنزلت الآية عتابا على الإقدام على الفداء قبل الإثخان اللازم له قوةُ الإسلام وعزته.
والمعنى: ما ينبغي لنبي أن يكون

له أسرى {حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} أي حتى يبالغ في قتال الأعداء، إذلالاً للكفر وإعزازا لدين الله، من الثَّخانة، وهي في الأصل الغِلظُ والصلابة. يقال: يثَخُن الشيء يثخن ثَخونة وثخانةً وثِخَنا، غَلظ وصَلُب فهو ثخين. ثم استعمل في النكاية في العدو فقيل: أثخن فيه، أي بالغ فيه قتلا وجراحة؛ لأنه بذلك يمنعه من الحركة فيصير كالثخين الذي لا
سيل. {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا} أي حُطامَها وهو الفداء {وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} أي يريد لكم ثوابها بسبب الإثخان في أعداء دينه.

.68

*لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) *

{لَوْلَا كِتَابٌ} لولا حُكم {مِنَ اللَّهِ سَبَقَ} في كتابه ألا يعذِّب قوماً قبل تقديم البيان إليهم. أو ألا يعذب المخطئ في الاجتهاد. أو سَبقَ بإحلال الغنائم ومنها الفداء، لأصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمروا به {عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

.69

*فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (69) *

{فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ} لما نزلت الآية السابقة كف الصحابة عما أخذوا من الفداء؛ فنزلت هذه الآية بيانا لِحلِّ أخذه، إذ هو من الغنيمة.

.70

*يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70) *

.71

* وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71) *

{فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} فأقدرك الله عليهم حسبما رأيت يوم بدر؛ فإن عادوا إلى الخيانة فَسَيُمكِنَك الله منهم ويُقْدِرك عليهم، يقال: مكَّنته من الشيء وأمكنته منه فتمكن واستمكن.

.72

*إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ

النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) *
{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا} أي سبقوا إلى الهجرة بأن هاجروا قبل عام الحُدَيبية، وهو عام ستة من الهجرة.
{وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا} هم أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سماهم الأنصار لنصرتهم له ولدين الله
{بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} في النُصرة والميراث. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين هؤلاء المهاجرين والأنصار، فكان المهاجريُّ يرثه أخوه الأنصاريُّ، إذا لم يكن له بالمدينة وليٌّ مهاجري وبالعكس، واستمر ذلك إلى فتح مكة. ثم توارثوا بالنسب بعد إذ لم تكن {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

يُهَاجِرُوا .... } أي ليس بين المؤمنين الذين لم يهاجروا وبين المهاجرين والأنصار ولايه الإرث، إذا كان بينهم وبينهم قرابة وعُصوبة لانقطاع حكمها بسبب عدم الهجرة، وإنما بينهم بحكم الإسلام ولاية النصرة إلا على قوم معاهدين.

.73

*وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73) *

.74

* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74) *

.75

* وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75) *

{وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا ... } أي من بعد صلح الحديبية وقبل الفتح وهاجروا؛ وهي الهجرة الثانية
{فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ} أي مثلكم في النُّصرة والموالاة، وإن كانوا أنزل درجة من السابقين في الهجرة. {وَأُولُو الْأَرْحَامِ ... } وأولو القرابات بعضهم أولى ببعض في الميراث. فنُسخ بهذه الآية ما كان بين المهاجرين والأنصار من التوارث بالهجرة والمؤاخاة. والله أعلم.

سورة التوبة

وتسمى سورة براءة والفاضحة لأنها فضحت المنافقين. ولم تكتب في أولها البسملة لعدم أمره صلى الله عليه وسلم بكتابتها، إذ لم يَنزِل بها جبريل عليه السلام. والأصل في ذلك التوقيف. وقيل: إنها هي والأنفال سورة واحدة، ومجمُوعهما السورة السابعة من السبع الطُّوَل.

.1

*بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) *

{بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ ... } لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، جعل المشركون ينقضون العهود التي كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم؛ فأمره الله بنبذ عهودهم، كما قال تعالى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً

فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58)} [الانفال] ففعل صلى الله عليه وسلم ما أُمر به. أي هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى المشركين، بسبب خيانتهم بنكث العهود التي كانت بينه وبينهم. وأصل البراءة التباعد والتَّقصي مما يُكره مجاورتة. يقال: بريءَ منه يَبْرَا براءةً، إذا تخلص منه وتباعد عنه. ويقال: بَرِيءَ، إذا أعْذر وأنذر؛ أي هذا إعذارٌ و انذار إلى الذين عاهدتم من المشركين.

.2

*فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2) *

{فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ} ولكي لا ينسب إلى

المسلمين الغدر ونبذ العهد دون إعلام وإنذار، أمهل الناكثون مدة أربعة أشهر، يباح لهم فيها أن يسيروا في الأرض حيث شاءوا آمنين من القتل والقتال: ليتفكروا ويحتاطوا ويستعدوا، ويعلموا أن ليس لهم بعدها إلا الإسلام أو السيف. وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم عليا –كرم الله وجهه – بالأربعين آيه الأولى من هذه السورة، فأعلمهم بها في يوم الحج الأكبر وهو يوم النَّحر – في السنة التاسعة، وقد كان فيها عاشر ذي القعدة بسبب النسيء الذي ابتدعه المشركون، فيكون آخر مدة الإمهال اليوم العاشر من شهر ربيع الأول من السنة العاشرة. وقيل: إن يوم النَّحر في السنة التاسعة كان

عاشر ذي الحجة، فيكون نهايةُ المدة العاشر في شهر ربيع الآخر من السنة العاشرة. والسِّياحة في الأصل: جريان الماء وانبساطه على موجب طبيعته، ثم استعملت في الضرب والاتساع في السير؛ فيقال: ساح في الأرض سَيحا وسياحة، إذا مرَّ فيها مرَّ السائح.

.3

*وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (3) *

{وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} أي إيذانٌ وإعلام من الله ورسوله إلى الناس عامة يوم الحج الأكبر–وهو يوم النحر – بأن الله ورسوله قد بَرِئا من عهود المشركين، وأنها قد

نُبذت إليهم. يقال: آذنَه الأمر وبه، أعلمه.

.4

*إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4) *

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ} أي لكن الذين لم ينكثوا العهد من المشركين {ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا} من شروطه {وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا} لم يعاونوا عليكم أحدا من أعدائكم؛ كما عاونت قريش بني بكر على خُزاعة، وكانت خُزاعة في عهد الرسول

صلى الله عليه وسلم. {فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ} ولا تُجْروهم مجرى الناكثين إذا بقوا على ما هم عليه

من الوفاء بالعهد، وهم بنو ضَمْرة وبنو مُدلج من كنانة، وقد بقى من عهدهم تسعة أشهر فأُتِم إليهم عهدهم. وسيأتي ذكرهم في الآية السابعة من هذه السورة.

.5

*فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5) *

{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ

الْحُرُمُ} فإذا انقضت، أو خرجت أشهر الأمان الأربعة المذكورة؛ {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} الناكثين {حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}. وسُميت حُرُما لأنه تعالى جعلها مدة أمان لهم يُحرم قتالهم فيها؛ من السَّلخ بمعنى الكشط. يقال: سَلَخ الإهاب عن الشاة يَسْلُخُه سَلخاً، كشطه ونزعه عنها. أو بمعنى

الإخراج، من قولهم: سلخت الشاة عن الإهاب إذا أخرجتها منه، ثم استعير للانقضاء. {وَاحْصُرُوهُمْ} احبسوهم، أو ضيقوا عليهم وامنعوهم من التصرف في البلاد. {وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} أي في كل طريق يجتازون منه في أسفارهم حتى تأخذوهم من أي وجهة توجهوا. والمَرْصَد: الموضع الذي يُرقب فيه العدو. يقال: رَصَدت الشيء أرصُده رَصدا، إذا ترقبته.

.6

*وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (6) *

{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ} بعد انسلاخ أشهر العهد، أي استأمنك بعد انقضاء مدة الأمان، وطلب جوارك وحمايتك أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم وقتلهم ليسمع القرآن ويتدبره، ويطلع على حقيقة الإسلام؛ فأجره وأمنه حتى يسمع كلام الله ولا يبقى له عذر، ثم أبلغه موضع أمْنه إن لم يسلم وهذه الآية – كما قال الحسن – محكمةٌ غير منسوخة بآية: { .... وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36)} [براءة].

.7

*كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7) *

{كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ} أستفهام في معنى الإنكار، أي مُستنكر أن يكون لهؤلاء المشركين الناكثين عهود عند الله ورسوله فإنهم قومُ خيانة وغَدر؛ وليس لمن لم يَفِ بعهد أن يَفيَ الله ورسوله له بالعهد. {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ} أي لكن الذين عاهدتم ولم ينكثوا، وهم الذين سبق استثناؤهم في الآية الرابعة، فاستقيموا لهم على العهد مدة استقامتهم لكم عليه. والمراد بالمسجد الحرام الحَرَم كلُّه. {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ} فما أقاموا على العهد معَكم.

.8

*كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (8) *

{كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} أي كيف يكون لهؤلاء الناكثين

عهد عند الله وعند رسوله والحال أنهم {إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} يظفروا بكم ويغلبوكم {لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ} يراعوا في أمركم {إِلًّا} عهدا، أو حِلْفا أو قرابة

{وَلَا ذِمَّةً} حقا أو عهدا. يقال: ظَهر عليه يظهَر، غلبه. وأظهره الله على عدوه: أعانه عليه. والذمة: كل أمرٍ لزمك بحيث إذا ضيعته لزمك مَذَمة. أو هي: ما يُتذمم به، أي يُجتنب فيه الذم.

9.

*اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (9) *

10.

* لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (10) *

11.

* فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (11) *

12.

* وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (12) *

{وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ} نقضوا أيمانهم من بعد عهدهم الموثق. يقال: نكث العهد والحبل ينكُثُه وينكِثُه، نقضه فانتكث. وأصلُه من النِّكث، وهو أن تُنقض أخلاقُ الأكسية لتُغزل ثانية.

13.

*أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13) *

14.

*قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14) *

{قَاتِلُوهُمْ ... } قاتلوا هؤلاء الناكثين الذين طعنوا في دينكم وبدأوكم بالقتال، حيث همُّوا بإخراج الرسول من مكة، وقاتلوا خُزاعة حلفاءكم؛ فليس لهؤلاء عهد ولا ذمة، إلا من تاب منهم ورجع إلى الله فكفوا عن قتاله.

15.

*وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15) *

{غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} غضبها ووجدها الشديد.

.16

*أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (16) *

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا .. } خطاب لمن شق عليهم القتال من المؤمنين أو المنافقين، وبيان للحكمة في الأمر به، وأنها الامتحان والتمحيص. أي بل أظننتم أن تتركوا دون أن تُؤمروا بقتال المشركين، ولمّا يعلم الله المخلصين منكم فيه غير المتَّخذين بطانة من المشركين، يُفشون إليهم أسرارهم و يُداخلونهم في أمورهم! أي ولم يُظهر الله الذين جاهدوا منكم مع الإخلاص ممن جاهدوا بدونه،

ولم يُمَيز لكم هؤلاء من أولئك.

فنفيُ العلم مجازٌ عن نفي التبيين والإظهار. فكلمة «أمْ» بمعنى بل التي للإضراب الانتقالي وهمزة الاستفهام الإنكاري. و {لَمَّا} للنفي مع توقُّع الحصول. و {وَلِيجَةً} أي بطانة، من الولوج وهو الدُّخول. ووليجةُ الرجل: من يداخله في باطن

أموره، وهو صاحب سره. وقوله {وَلَمْ يَتَّخِذُوا} معطوف على {جَاهَدُوا} داخل في حيز صلة – الموصول.

ونظير هذه الآية قوله

تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)} [العنكبوت]، وقوله تعالى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ... } [آيه 179 ال عمران].

.17

*مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (17) *

{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ} افتخر المشركون بأنهم عُمّار المسجد الحرام، وحجبةُ الكعبة، وأنهم يَقْرون الحجيج ويفُكُّون العاني أي الأسير، فنزلت الآية. أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا المسجد الحرام بدخوله والخدمة فيه، حال كونهم مقرين على أنفسهم بالكفر بسجودهم للأصنام، وهو محبط لكل ما عملوا من بر وخير وافتخروا به، موجب لخلودهم في النار. وذُكر المسجد الحرام بلفظ الجمع لأنه قبلةُ المساجد كلها، فعامِرُه كعامِرها. {حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} بطلت وذهبت أجورها لكفرهم.

.18

*إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18) *

{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ... } بيان لصفات من هم أهلٌ لعمارة المساجد، وهي الأربعة المذكورة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة.

.19

*أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19) *

{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ} أي أتسوُّون أهل سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام منكم، وأنتم على هذا الشرك، بمن آمن بالله وأخلص له العبادة، وجاهد في سبيله بالنفس والمال!؟ كلا! وقد بيّن الله فضلهم وعظم منزلتهم في الآية التالية.

.20

*الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) *

.21

*يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (21) *

.22

* خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (22) *

.23

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23) *

.23

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... }

لما أُمِر المهاجرون بالهجرة شق عليهم هجر أهليهم وأموالهم وديارهم؛ فنزلت الآية فهاجروا طائعين ابتغاء رضوان الله، وامتثالا لأمر رسوله صلى الله عليه وسلم. {اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ} اختاروه وأقاموا عليه.

.24

*قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24) *

{أَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} اكتسبتموها [آية 113 الأنعام]. {كَسَادَهَا} بوارها بفوات وقت رواجها بسبب غيابكم عن مكة أيام الموسم. مصدر كَسَد الشي. من باب نصر وكرم –كسادا وسودا، لم نفق؛ فهو كساداً وكسِيد، أي غير رابح. {فَتَرَبَّصُوا} أي انتظروا {حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} أي بعقوبته. وهو تهديد وتخويف لمن آثر محبة من ذكر على محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. وفي الآية دليل على أنه إذا تعارضت مصلحة من مصالح الدين مع مهمات الدنيا وجب ترجيح جانب الدين على الدنيا ليبقى الدين سليماً. وهذا موقف تَزِّل فيه

الأقدام.

.25

*لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) *

{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} امتنان على المؤمنين بالنصر على الأعداء الذي يَبْذل الغيور في سبيله أحب الأشياء إليه. أي لقد نصركم الله على أعدائكم في مواقع حرب كثيرة، ومن أعظمها غزوه بدر وقريظة وخيبر ومكة. {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ} أي ونصركم يوم غزوة حُنَين؛ وهو واد معروف بين مكة والطائف. وتسمى غزوة هوازن وثَقيف. وكانت في شوال عقب رمضان الذي وقع فيه فتح مكة سنة ثماني من الهجرة. وكان عدد المسلمين اثني عشر ألفاً، وعدد الكفار أربعة آلاف. {فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا} فلم تنفعكم تلك الكثره شيئا من النفع في أمر العدوِّ؛ من الغَنَاء وهو النفع. تقول: ما يُغني عنك هذا، أي ما يجزيء عنك وما ينفعك. {وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} أي برحْبِها وسَعَتها.

.26

*ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) *

{ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ} رحمته التي تسكن إليها القلوب، وتطمئن اطمئناناً يستتبع النصر القريب؛ من السكون، وهو الثبوت بعد التَحرُّك. أو من السَّكن، وهو زوال الرعب.

.27

*ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (27) *

.28

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (28) *

{إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ}

قذَر: مصدر نَجِس الشيء يَنجَس، إذا كان قذرا غير نظيف. أخبر عنهم بالمصدر مبالغة، كأنهم عين النجاسة. {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ} أي الحرم كله. والمراد نهي المسلمين عن تمكينهم من قربانه {بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} وهو التاسع من الهجرة {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً} فقرا وفاقة بسبب منعهم من دخول أرض الحرم، إذ كانوا يأتون في الموسم للمتاجر. يقال: عال يَعيل عَيْلة وعُيولاً، إذا افتقر فهو عائل {فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} وقد أغناهم وأفضل عليهم كثيرا.

.29

*قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29) *

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} أمر بقتال أهل الكتابَيْن بعد الأمر بقتال المشركين؛ بسبب أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وإيمانهم الذي يزعمونه كلا إيمان. {وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ} وهو دين الإسلام، وهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده. {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ} وهي ما قُدِّر على رؤسهم من المال، نظير كفِّنا عن قتالهم واسترقاقهم وحمايتنا لهم؛ من الجزاء بمعنى القضاء. أو من المجازاة معنى المكافأة؛ لأنهم يجزوننا عن الإحسان إليهم بذلك. {عَنْ يَدٍ} عن طوع وانقياد. {وَهُمْ صَاغِرُونَ} أذلاء، والذليل من أذله الله والعزيز من أعزه الله. وأصلُ اليدِ الجارحة؛كُنى بها عما ذكر. يقال: أعطى، فلان يده، إذا سلَّم وانقاد؛ لأن من أبى لا يعطي يده.

.30

*وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) *

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ ... } قائل ذلك بعض مُتقدِّميهم، أو بعض من كانوا بالمدينة. ونسبة القبيح الصادر من البعض إلى الكل شائع. وكذا القائل ببنوة المسيح له تعالى بعض النصارى. {يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} أى يشابهون في هذه – الأقوال الشنيعة قول المشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله. والمضاهأة والمضاهاة: المشابهةُ والمشاكلةُ، أو الموافقة. {قَاتَلَهُمُ اللَّهُ}

قاتلهم الله دعاء عليهم بالإهلاك. {أَنَّى يُؤْفَكُونَ}

كيف يُصرفون عن الحق إلى الباطل، بعد وضوح الدليل على استحالة أن يكون له تعالى ولد [آية 75 المائدة].

.31

*اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31) *

{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ} أي اتخذ اليهود علماءهم، والنصارى نُساكهم كالأرباب من دون الله، حيث أطاعوهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه [آية 44،82 المائدة].

{أَرْبَابًا} أطاعوهم كما يطاع الرب. {وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} وأتَّخذوا المسيح رباً معبودا من دون الله. أو ابناً لله تعالى. {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا} أي والحال أنهم ما أمِروا في الكتب الإلهية وعلى لسان موسى وعيسى عليهما السلام إلا ليخلصوا العبادة الله تعالى وحده.

.32

*يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) *

.33

* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33) *
{لِيُظْهِرَهُ} ليعليه.

.34

* يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) *

{إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ ... } بيان لحال الأحبار والرُّهبان في إغوائهم لأراذلهم، بعد بيان سوء حال الأتباع باتخاذهم كالأرباب، وانقيادهم لهم فيما يأتون ويذَرون. {والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ .. } لما وصف الله أهل الكتاب بالحِرْص على أكل أموال الناس بالباطل، ذكر بعده وعيد من جمع المالَ، ومنع الحقوق الواجبة فيه، سواء أكان من أهل الكتاب أم من المسلمين. والمراد بالإنفاق في سبيل الله: أداء الزكاة. وكلُّ شيء مجموعٍ بعضه إلى بعض في بطن الأرض أو على ظهرها: كنزٌ، وجمعُه كنوز. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أُدِّيَ زكاته فليس بكنز) [رواه الطبراني والبيهقي] أي بكنز أوعِد عليه.

.35

*يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35) *

.36

* إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36) *

{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ ... } كانت الأشهر الحرم الأربعة: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم – معظَّمة في الجاهلية ومحرماً

فيها القتال، فإذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر؛ فيستحلون المحرم ويحرمون صفرا، فإذا احتاجوا إليه أحلوه وحرموا ما بعده، وهكذا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها، وقد يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا، أو أربعة عشر ليتَّسع لهم الوقت، ويحرموا أربعة أشهر منها، وكان يختلف وقت حجهم تبعا لذلك. وقد أبطل الله هذا الشيء الذي ابتدعوه وحرمه في هذه الآية، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق بـ (أن الزمن قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنه اثنا عشر شهرا
منها أربعة حرم ثلاث متواليات ورَجبُ مُضَر) [رواه البخاري]، وعاد يوم الحج الأكبر إلى ما كان عليه في عهد ابراهيم وإسماعيل وهو العاشر من ذي الحجة كل عام. وعُظِّمت الأشهر الحرم في الإسلام، وجُعلت المعصية فيها أعظم وزرا منها في غيرها؛ كارتكابها في الحرم وفي حال الإحرام، ولله تعالى أن يميز بعض الأزمنة عن

بعض بالفضل والتعظيم؛ إلا أنَّ القتال فيها إعلاءً لكلمة الله غير محرَّم في الإسلام، كما كان محرماً في الجاهلية، لأن الشرك ظلم وفتنة وفساد، وخطره أشد من خطر القتال فيها، كما قال تعالى. {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [آيه 191 البقرة] ولذا قال تعالى: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ... } ولم يستثن القتال في الأشهر الحرم؛ فدل على جوازه فيها كغيرها من الأشهر، وإليه ذهب الجمهور. وخالف في ذلك عطاء بن أبي رباح، فذهب إلى أنه لا يحل القتال فيها ولا في الحرم إلا أن يكون دفاعا. ويؤيد الجمهور أنه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائفة وغزا هوازن بحُنين في شوال وذي القعدة سنة ثمان من الهجرة، وقوله: {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ .. } أي كون العدة، كذلك، وتحريم الأربعة منها هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} بارتكاب المعاصي؛ فإنها فيهن أعظم وزرا.

.37

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (37) *

{إِنَّمَا النَّسِيءُ} أي تأخير حُرمة شهر إلى شهر آخر؛ مصدر نسأه أي أخَّره فهو منسوء كقتيل بمعنى مقتول. {لِيُوَاطِئُوا} ليوافقوا بما يصنعون من النسيء عدَّة الأشهر الحرم بحيث تكون أربعة في العدد، وإن لم تكن عينَ الأشهر المحرمة في دين إبراهيم وإسماعيل عليها السلام.

.38

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38) *

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... } نزلت في غزوة تبوك، وهي على طرف الشام بينها وبين المدينة أربع عشرة مرحلة، وكانت في رجب سنة تسعٍ بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف، حين بلغه

أن هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام لمحاربته، فاستنفر الناس في وقت عُسرة وشدة من الحر وجدبٍ في البلاد، حتى بلغ الجهد بهم مبلغه، وكان العشرة منهم يعتقبون بعيرا واحدا، وكان زادهم التمر المدوَّد، والشعير المسوس؛ فشقَّ ذلك عليهم. ولكن المخلصين من المؤمنين صبروا على هذه الشدائد، احتسابا لله تعالى، ولم يتخلف منهم إلا القليل. وتخلف عنها المنافقون وكثير من الأعراب. وتُسّمى غزوة العسرة، ويقال لها: الفاضحة؛ لأنها أظهرت حال كثير من المنافقين. وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم. وقد أنفق فيها عثمان رضي الله عنه نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها. وأول من أنفق فيها أبو بكر رضي الله عنه فجاء بجميع ماله، وعمر رضي الله عنه فجاء بنصف ماله، وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والنساء بحليهن. {انْفِرُوا} اخرجوا للجهاد {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} يقال: نَفَر إلى الحرب يَنْفَر وينفِر نَفْرا ونفورا، خرج إليه بسرعة. واستنفر الإمام الناس: حثهم على الخروج للجهاد. واسم القوم الذين يخرجون: النّفير والنُّفرة والنَّفر. {اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ} تباطأتم في الخروج مائلين إلى الإقامة بأرضكم ودياركم، من الثِّقل: ضد الخفة. يقال: تثاقل عنه، أي ثَقُل وتباطأ. وتثاقل

القومُ: لم ينهضوا للنجدة وقد استُنهضوا لها.
.39
*إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39) *
.40
* إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40) *
{ثَانِيَ اثْنَيْنِ} أحد اثنين. والثاني هو الصديق رضي الله عنه. {إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} بأعلى جبل ثور بمكة {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ} طمأنينته على النبي صلى الله عليه وسلم {وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} وهم الملائكة يحرسونه ويسكّنون روعه، ويصرفون أبصار الكفار عنه.
.41
*انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41) *
{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا .. } أي على الصفة التي يخف عليكم الجهاد فيها، وعلى الصفة التي يثقل عليكم الجهاد فيها. جمع خفيف وثقيل.

.42
*لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42) *
{لَوْ كَانَ عَرَضًا} نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، واستأذنوا في القعود عنها بأعذار كاذبة، فأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم. أي لو كان ما دُعُوا إليه غُنماً سهل المأخذ، وسفرا متوسّطاً بين القرب والبعد لا مشقة فيه، لخرجوا معك طمعا في المنافع التي تصل إليهم. والعَرَض: ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها. والسَّفر
القاصدُ: ما بيَّنا. وكل متوسط بين الإفراط والتفريط فهو قاصد، أي ذو قصد، لأن كل واحد يقصِده. والقاصِد والقَصدُ: المعتدل. {بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ} أي المسافة التي تُقطع بمشقة. وتطلق على الناحية: يقصِدها المسافر وتلحقه المشقة في الوصول إليها. وعلى السفر البعيد.
.43
*عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43) *
.44
* لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44) *
.45

* إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45) *
{رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} في شكهم الذي حَلَّ بقلوبهم يتحيرون، لا مع المؤمنين ولا مع الكفار، وأصلُ معنى التردد: الذهاب والمجيء، استعمل في التحيُّر مجازا أو كنايةً، لأن المتحير لا يقر في مكانه.

.46

*وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46) *
{انْبِعَاثَهُمْ} نهوضهم للخروج معكم، {فَثَبَّطَهُمْ} منعهم وحبسهم. يقال: ثبطه تثبيطا، قعد به عن الأمر، وشغله عنه ومنعه، تخذيلاً ونحوه.

.47

*لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47) *
{مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا} شرا وفسادا، لأنهم جبناء مُخذَّلون. وأصل الخَبَال: اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون. أو هو الاضطراب في الرأي. {وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ... } ولسَعَوا بينكم مسرعين بالنمائم وإفساد ذات البين؛ من الإيضاع، وهو في الأصل: سرعة سير الإبل. يقال: أوضعت الناقةُ إذا أسرعت في سيرها، وأوضَعْتُها أنا: حملتها على السير بسرعة؛ فيستعمل لازماً ومتعديا، والخِلال: جمع خَلَل وهو الفرجة بين الشيئين؛ واستُعمل ظرفا بمعنى بين. ومفعول الإيضاع محذوف، تقديره النَّمائم. {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} أي باغين لكم ما تفتنون به من الخُلفِ فيما بينكم، وتهويلِ أمر العدوّ

عليكم، وإلقاء الرُّعب في قلوبكم. يقال: ابغني كذا، وابغ لي كذا، أي اطلبه لأجلى.

.48

*لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (48) *
{قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ} دبروا لك الحيل والمكايد.

.49

*وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (49) *
{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ .. } أي من المنافقين من يقول: ائذن لي في التخلف في المدينة {وَلَا تَفْتِنِّي} أي ولا تُوقعني في المعصية والإثم، إذا لم تأذن لي فتخلفت بغير إذنك. والقائل هو الجَدُّ بن قيس وكان رأسا في المنافقين؛ زعم أنه مغرم بالنساء، ويخشى إذا رأى نساء بني الأصفر أن يَفْتَتن بهن. وقال: أنا أعطيكم مالى.

.50

*إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (50) *

.51

* قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51) *

.52

* قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (52) *

{هَلْ تَرَبَّصُونَ .. } و أي ما تنتظرون بنا إلا إحدى العاقبتين اللتين كل منهما أحسن من جميع العواقب: إما ظفرنا بالعدو، وفيه الأجر والمغنم والسلامة!؟ وإما قتل العدو لنا، وفيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار!؟ وكلاهما مما نحب ولا نكره. والاستفهام للتقريع والتوبيخ. {الْحُسْنَيَيْنِ} النصرة والشهاده.

.53

*قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (53) *

{لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ} ما أنفقوه أي لن يؤخذ منكم، أو لن تُثابوا عليه؛ لعُتوكم و تمردكم على الله ورسوله، وخروجكم عن الطاعة والاستقامة.

.54

*وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54) *

وهم الي متثاقلون بها، لأنهم لا يرجون بأدائها ثوابا، ولا يخافون بتركها عقابا، وإنما يقيمونها نفاقا. جمع كسلان؛ من الكسل وهو التثاقل عن الشيء والفتور فيه. وفعله كفرح.

.55

*فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (55) *

{وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ} ولتخرج أرواحهم وتهلك فيموتوا على الكفر. يقال: زَهَقت نفسُه تَزْهَق، خَرَجت. وزهق الشيء هلك.

.56

*وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (56) *

{يَفْرَقُونَ} يخافون أن ينزل بهم ما نزل بالمشركين من القَتْل

والسبي: فيظهرون لكم الإسلام تقية ويؤيدونه بالأمان الفاجرة ن ويبطنون الكفر في قلوبهم؛. من الفرق، وأصله انزعاج النفس بتوقع الضرر. يقال: فَرِق فرقاً إذا خاف، وأفرقته أي أخفته.

.57

*لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (57) *

{لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً} أي حِصناً ومَعْقلاً يلجأون إليه {أَوْ مَغَارَاتٍ} كهوفاً في الجبال يستخفون فيها. {أَوْ مُدَّخَلًا} سردابا في الأرض، أو نفقاً كنفق اليربوع يَنْجحرون فيه {لَوَلَّوْا إِلَيْهِ} أي لأقبلوا إليه {وَهُمْ يَجْمَحُونَ} بسرعون

أشد الإسراع؛ لا يردُّهم شي كالفرس الجموح، لشدة بغضهم اياكم. وخوفهم من القتل. والجُموح: أن يغلب الفرس صاحبه في سيره وجريه. يقال: جَمَح الفرس براكبه يجمحُ جَمْحا وجموحاً، استعصى عليه حتى غلبه، فهو جَموح وجامح.

.58

*وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (58) *

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ} ومن المنافقين من يعيبك ويطعن عليك في قسمة أموال الزكاة، أو فيها وفي قسمة الغنائم: من اللمْز وهو العيب، يقال: لَمَزه وهمَزَه يلمزُه. إذا أعابه.

.59

*وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (59) *

{وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا} الجواب مقدر أي لكان خيرا لهم. {حَسْبُنَا اللَّهُ} كافينا فضل الله وقسمته.

.60

*إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60) *

{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ} أي الزكوات المفروضة مقصورة على هذه الأصناف الثمانية. والفقيرُ: من له أدنى شيء من المال. والمسكين: من لا شيء له؛ فيحتاج إلى المسألة لقوته و مداراة بدنه. وقيل: الفقير من لا مال له ولا كسبَ يقع موقعا من

حاجته. والمسكينُ: من له مال أو كسب لا يكفيه. وأصلُ الفقير: المكسور فَقَار الظهر. أو هو من الفُقرة أي الحُفرة، ثم استعمل فيما ذكر لانكساره بعُدْمه وحاجته. أو لكونه أدنى حالا من أكثر الناس، كما أن الحفرة أدنى من سطح الأرض المستوية. والمسكين مأخود من السكون ضد الحركة، لأن العدم أسكنه وأذله.

{الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا} كالجباة والكتاب والحراس. {وَفِي الرِّقَابِ} أي في فكها؛ بأن يعان المكاتبون بشيء منها على أداء بدل الكتابة. أو يُشترى بها رقاب فتُعتق. أو يفدى بها الأسارى [آية 177 البقرة]. {وَالْغَارِمِينَ} المديونين الذين لا يجدون قضاء.

وفي الفقه تفصيل لهذا الصنف.

{وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ} فسره الجمهور بالغزاة الفقراء. وقيل: طلبة العلم الفقراء. وقيل: منقطعو الحجيج. وفسره في البدائع بجميع القُرُبات. ونقل القفال جواز صرف هذا السهم إلى جميع وجوه الخير، من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد؛ لعموم قوله «في سبيل الله». {وَابْنِ السَّبِيلِ} المسافر المنقطع عن ماله في سفره وإن كان غنيا في بلده؛ وأُلْحق به كل من غاب عن ماله، وإن كان في بلده. وقيل: هو الحاج المنقطع في سفره. أو هو الضيف. أما المُؤلفة قلوبهم فهم أصناف، وفي حكم سهمهم بعده صلى الله عليه وسلم أقوال مبيَّنة في

الفقه.

.61

*وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61) *

{هُوَ أُذُنٌ} أي يصدق كل ما يقال له. يريدون أنه سريع الاغترار بكل ما يسمع، وحاشاه ذلك! أُطلق عليه اسم الجارحة التي هي آلة السمع؛ كما قيل للرَّبيئة عَيْن. {قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ} أي أذن في الخير والحق. وفيما يجب سماعه وقبوله؛ وليس بأُذن في غير ذلك كما تقصدون. والإضافة على معنى في، وهذا أبلغ أسلوب في الرد على المنافقين. {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} يصدق بالله. ويسمع للمؤمنين؛ لكونهم صادقين عنده.

.62

*يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62) *

.63

* أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (63) *

{يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} يخالف الله ورسوله. وأصلُ المحادّة: المخالفة والمجانبة والمعاداة؛ مشتقة من الحد. يقال: حاد فلان فلاناً، إذا صار في غير حده وجهته، وجانبه وخالفه؛ كالمُشاقة.

.64

*يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64) *

{مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ} مظهرٌ ما تخافونه من الفضيحة؛ مأخوذ من الحِذْر– بالكسر ويحرك – بمعنى التحرُّز، وفعله كطَرِب.

.65

*وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) *

{كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} كنا نتحدث ونخوض في الكلام؛ لقصر مسافة السفر بالحديث. أجابوا بذلك حين أطلع الله رسوله على ما قالوه استهزاء به في مسيره في غزوة تبوك [راجع آية 140 النساء].

.66

*لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66) *

.67

* الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) *

{وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} أي عن الإنفاق في طاعة الله ومرضاته؛ كناية عن الشُّح والبخل؛ كما أن بسطها كناية عن

الجود والسخاء، لأن من يُعطي يمد يده بالعطاء، بخلاف من يمنع. {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} تركوا أمر الله حتى صاروا كالناسين له فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنْسي من ثوابه ورحمته.

.68

*وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68) *

{هِيَ حَسْبُهُمْ} كافِيتُهم جزاءً وعقابا، لا يحتاجون إلى زيادة على عذابها، يقال: حسْبُك! أي كفاك. وشيءٌ حساب: أي كافٍ.

.69

*كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (69) *

{فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ} تمتعوا بنصيبهم الذي قُدّر لهم من ملاذ الدنيا. والخَلاق: مشتق من الخَلْق بمعنى التقدير، وأطلق على النصيب لأنه مقدر لصاحبه. {خُضْتُمْ} دخلتم في الباطل. {كَالَّذِي خَاضُوا} أي كالخوض الذي خاضوه. {حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} بطلت وذهبت أجورها لكفرهم.

.70

*أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (70) *

{وَالْمُؤْتَفِكَاتِ} أي أصحاب قرى قوم لوط – عليه السلام – التي قلبت أعاليها أسافلها، من الائتفاك، وهو الانقلاب بجعل أعلى الشيء أسفلَ بالخسف. يقال: أفكَه يَأفِكه، إذا قلبَه رأسا على عَقِب. وذكَرَ الله هذه الطوائف الست؛ لأن آثارهم باقية، وبلادهم بالشام والعراق واليمن. وكلها قريبة من أرض العرب؛ فكانوا يمرون عليها في أسفارهم ويعرفون الكثير من أخبارهم.

.71

*وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) *

.72

* وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72) *

{فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} أي إقامة وخلود. وقيل: هي اسم لمكان مخصوص في الجنة.

.73

*يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73) *
{جَاهِدِ الْكُفَّارَ} بالقتال
{وَالْمُنَافِقِينَ} باللسان بالوعظ وإلزام الحجة. {وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} وشدد عليهم جميعا في الجهاد بِقِسمَيْه.

.74

*يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74) *
{وَمَا نَقَمُوا} ما كرهوا وما عابوا شيئا {إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ} بالغنائم [آية 59 المائدة].

.75

*وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) *
{وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ} أي من المنافقين. نزلت في شأن ثَعْلَبة بن حاطب من بني أمية بن زيد.

.76

*فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) *

.77

* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77) *

.78

* أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (78) *
{يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} يعلم ما انطوت عليه صدورهم من النفاق، وما تناجَوْا به بينهم من المطاعن. والسِّرُّ: هو الحديث المكتَتَم في النفس. والنّجوى: المسارّةُ بالحديث [آية 14 النساء].

.79

*الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79) *
{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ} يعيبون (هم المنافقون). {جُهْدَهُمْ} أي طاقتهم وما تبلغه قوتهم: وهم الفقراء.

.80

*اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (80) *
{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ ... } أمر بمعنى الخبر؛ أي استغفارُك لهؤلاء المنافقين وعدمُه سِيّان، ومهما أكثرت منه فلن يغفر الله لهم؛ لإصرارهم على الكفر والفسوق. وعن ابن عباس في سبب نزول الآية: أنه لما نزل قولُه تعالى: { ... سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79)} [التوبة] سأل اللامزون رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار لهم، فهمَّ أن يفعل، فنزلت فلم يفعل. وذِكْرُ السبعين لإرادة التكثير والمبالغة على ما جرى عليه العرب في

أساليبهم عند إرادة ذلك. ونظيره قوله تعالى: {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32)} [الحاقة]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من صام يوما في سبيل الله باعد الله

وجهه عن النار سبعين خريفا) [متفق عليه] وليس المراد بها التحديد؛ فلا

مفهوم للعدد هنا. ويؤيد ذلك: التعليلُ بالكفر والفِسق المذكورين بعدُ، فإنهما قائمان بهم مع الزيادة على السبعين.

.81

*فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) *

{خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ} بعد خروجه، أو لأجل مخالفته.

.82

*فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) *

.83

* فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (83) *

{فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ} مع المتخلفين بعد القوم عن الجهاد لعدم لياقتكم له كالنساء والصبيان ونحوهم. وجُمِع جمع المذكر للغليب.

.84

*وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (84) *

{وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ .. } نُهي صلى الله عليه وسلم عن صلاة الجنازة على من مات منهم وفيها الدعاء والاستغفار، وعن القيام عند قبره للدفن أو للزيارة والدعاء له؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله، وماتوا على فسقهم.

وكان من عادته صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك لمن مات من المسلمين، وكان يعامل المنافقين بحكم الظاهر معاملة المسلمين، حتى نزلت هذه الآية، فما صلى بعدها على منافق، ولا قام على قبره حتى قبض صلى الله عليه وسلم.

.85

*وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (85) *

{تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ} تخرج أرواحهم.

.86

*وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (86) *

{اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ} أي استأذنك في التخلُّف عن الجهاد أصحاب الغنى والسعة من المنافقين.

.87

*رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (87) *

{مَعَ الْخَوَالِفِ} أي مع النساء اللاتي تَخَلفن عن أعمال الرجال وقعدن في البيوت أو مع.

الرجال العاجزين عن القتال يقال: امرأة خالفة، ورجل خالفة، أي لا خير فيه. والتاء للنقل إلى الاسمية {وَطُبِعَ} خُتم.

.88

*لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88) *

.89

* أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (89) *

.90

* وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (90) *

{وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ} شروع في بيان أحوال منافقي الأعراب، بعد بيان أحوال منافقي أهل المدينة، وكان منافقو الأعراب قسمين: قسم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم معتذرا بأعذار كاذبة، وهم أسد وغطفان، اعتذروا بالجهد وكثرة العيال. وقيل: هم رهط عامر ابن الطفيل، اعتذروا بخوف إغارة طيئ على أهليهم ومواشيهم، وهؤلاء هم المعذِّرون و من عَذَر في الأمر، إذا قصّر فيه موهما أن له عذرا ولا عذر له. وقسم لم يجئ ولم يعتذر، وهم الذين ذكرهم الله تعالى بقوله: {وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أي قعدوا عن المجيء إليه للاعتذار. والأعراب: سُكان البادية، والعربُ: سكّان المدن والقرى.

.91

*لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (91) *

{لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ} شروع في ذكر أرباب الأعذار الحقيقية، بعد ذكر أرباب الأعذار المختلقة. أي لا إثم في التخلف عن الجهاد على العاجزين عنه وهم: الضُّعفاء كالشيوخ والنساء والصبيان. والمرضى كالعُمْى والزَّمْنَى والعرج. والفقراء العاجزون عن أهبة السفر والجهاد كجهينة ومزينة وبني عذرة. {حَرَجٌ} إثم أو ذنب في التخلف عن الجهاد. {إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} بالإيمان والطاعة ظاهرا وباطنا. والنُّصْح في الأصل: الخلاص. يقال: نصحته ونصحت له. واستعمل في إرادة الخير للمنصوح له، وأريد منه ما ذكرنا مجازا.

.92

*وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا

يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92) *
{وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ} أي تسيل دمعاً من الحزن على فقدان ما ينفقونه على أنفسهم في الجهاد. والفَيْض: انصباب عن امتلاء؛ وإسناده إلى العين للمبالغة، كما في جرى النهر.

.93

*إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (93) *
{إِنَّمَا السَّبِيلُ} أي الطريق للمعاقبة. والمراد بالطريق: الأعمالُ السيئةُ المُفْضية للعقاب.

.94

*يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (94) *
{يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ} يعتذر المنافقون إليكم بعد عودتكم من الجهاد عن تخلفهم أعذارا باطلة.

ويُروى أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلا.

.95

*سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95) *
{لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ} لتتركوهم ولا تؤنبوهم، ولتصفحوا عنهم. {إِنَّهُمْ رِجْسٌ} إنهم قذر أو نجس فاجتنبوهم. جُعلوا نفس الرجس مبالغة في نجاسة أعمالهم.

.96

*يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (96) *

.97

* الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (97) *
{الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا} نزلت في أسد وغطفان والعبرة بعموم اللفظ. أي أهل البادية أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر الكفار والمنافقين؛ لجفائهم وقساوة قلوبهم، وتوحشهم ونشأتهم في معزل عن مخالطة العلماء بالدين، والتعلم منهم، وجهلهم بالقرآن والسُّنن. {وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} وأخلق بألا يعلموا فرائض الله وأوامره ونواهيه. يقال: هو جدير بكذا وأجدر، أي خليق: به وأخلق. مشتقٌ من الجِدْر وهو أصل الشجرة، فكأنه ثابت ثبوتَ الجِدْر في قولك: جدير وأجدر. والمراد وصف جنس الأعراب؛ بدليل قوله تعالى: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... } [التوبة 99].

.98

*وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98) *

{مَغْرَمًا} غرامة وخسارة لأنهم لا ينفقونه رجاءً لثوابٍ، بل تقية ورياء؛ من الغرام بمعنى الهلاك لأنه سببة.
{وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ} ينتظر بكم صروف الدهر ومصائبه التي يتبدل بها حالكم إلى سوء. والتَّربُّص: الانتظار. والدوائر: جمع دائرة وهي النائبة. [آية: 52 المائدة]. {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} دعاءٌ بِنَحو ما يتربصون به. والسَّوء: مصدر ساءَه يسوءه سَوْءا، إذا فعل به ما يَكره فاستاء هو. والسُّوء – بالضم – اسم منه. وقيل: المفتوح بمعنى الذَّم، والمضموم بمعني العذاب والضرر. وإضافة (دائرة) إلى (السَّوْء) من إضافة الموصوف إلى الصفة كما في رجلِ صدقٍ.

.99

*وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (99) *

{صَلَوَاتِ الرَّسُولِ} دعواته واستغفاره (للمنفقين).

.100

*وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100) *

.101

* وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (101) *

{وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ} شروع في ذكر أنواع المتخلفين عن غزوة تبوك. أي ومن الأعراب الذين حول المدينة كبعض أناس من قبائل سليم وأشجع وغفار ومزينة وجهينة. ومن أهل المدينة منافقون {مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ} مَرَنوا عليه وتمهَّروا فيه {لَا تَعْلَمُهُمْ} لعراقتهم في النفاق والتَّقِيَّة، مع كمال فطنتك وصدق فراستك {نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} لا يخفى علينا ما في سرائرهم {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} في الدنيا بالفضيحة وعذاب القبر {ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} في الآخرة.

.102

*وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (102) *

{وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ} أي ومن المتخلفين قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم؛ وهي تخلفهم عن الغَزو وعن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، وإيثارهم الدَّعة. {خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا} وهو جهادهم في سبيل الله قبل هذه الغزوة {وَآخَرَ سَيِّئًا} وهو تخلفهم عن هذه الغزوة، وندموا وتابوا إلى الله منه. وكانوا عشرة أو أقل؛ منهم: أبو لُبابة بن عبد المنذر. ولما بلغهم ما نزل في المتخلفين أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد، وحلفوا لا يَحُلهم إلا النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأعرض عنهم حتى نزلت الآية فحلَّ وثاقهم؛ إذ قبل الله توبتهم كما يفيده

قوله تعالى: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} فإن الترجي في حقه تعالى إطماعٌ، وهو من أكرم الأكرمين إيجاب.
ولمّا أطلقهم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ أموالهم صدقة طهرة لهم، وكفارة عن ذنوبهم؛ فنزل: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً .. }

.103

*خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) *
{وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} تُنمى بها حسناتهم وأموالهم. {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} ادع لهم واستغفر لهم. {سَكَنٌ لَهُمْ} طمأنينة. أو رحمة لهم.

.104

*أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) *

.105

* وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105) *

.106

* وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (106) *
{وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ} أي ومن المتخلفين قومٌ موقوفٌ أمرهم إلى أن يظهر أمر الله فيهم، وهم: مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية؛ تخلفوا عن الغزوة كَسَلاً مع الهمِّ باللحاق به عليه الصلاة والسلام فلم يتيسر لهم؛ فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد نزل ما نزل في المتخلفين قالوا: لا عُذر لنا إلا الخطيئة؛ ولم يعتذروا كأصحاب السواري، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم باجتنابهم إلى أن نزلت آية 117: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ .. }. وكانت مدةُ وقفهم خمسين ليلة بقدر مدة التخلُّف؛ إذ كانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمسين ليلة. فلا تمتعوا بالراحة فيها مع تعب إخوانهم في السفر عوقبوا بهجرهم ووقفهم تلك المدة.

.107

*وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) *
{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا} منصوب على الذّم. أي وأذم الذين اتخذوا. أو مبتدأ بتقدير مضاف خبُره: (لا تَقُم) أى ومسجد الذين اتخذوا .. لا تقم فيه، و» (ضِرارا) مفعول له، وكذا ما بعده. وهؤلاء الذين اتخذوه اثنا عشر رجلا من كبار المنافقين، كانوا يصلون بمسجد قباء فقال لهم أبو عامر الراهب: ابنوا مسجدا واستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قَيْصَر ملك الروم، فآتي بجند من الروم فأُخرج محمدا وأصحابه، فلما بَنوه رغبوا إليه صلى الله عليه وسلم أن يصلي فيه، فوعدهم أن يصلى فيه إذا عاد من تبوك إن شاء الله

تعالى. فأوحى إليه خبرهم وأعلمه بتآمرهم؛ فلما عاد أمر بحرقه فَحُرق. والضِّرار: طلب المضارة ومحاولته، ومن ثمَّ سُمِّي مسجد الضرار. {وَكُفْرًا} أي وتقوية للكفر الذي يضمرونه {وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ} وهم أهل قُباء؛ حسدا لهم على اجتماعهم، وطمعا في اختلاف كلمتهم. {وَإِرْصَادًا} أي انتظارا و اعدادا لمن حارب الله ورسوله {مِنْ قَبْلُ} أي من قبل بناء هذا المسجد – وهو أبو عامر الراهب الذي سماه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا عامر الفاسق. يقال: أرصدته له أعددته ورَصَدته وأرصدته في الخير، وأرصدت له في الشر.

.108

*لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108) *

{لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى} هو مسجد قباء.

.109

*أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) *

{أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ .. } أي أبعد ما عُلِم حالهم، فمن أسس بنيان دينه على

تقوى الله وطاعته وطلبه رضوانه خير، أم من أسس بنيان دينه على ضلال وكفر ونفاق!؟ والشَّفا: الحَرفُ والشَّفير. والجُرُف – بضمتين –: البئرُ التي لم تُطوَ، أو الهُوَّة. أو المكان الذي يَجرُفه الماء ويذهب به. وهار: أي هائر ساقط. يقال: هار البناء إذا سقط. وهو نعت لـ (جرف). وقد مُثِّل بناء الدين على الباطل بالبناء على شفا جرف هار {فَانْهَارَ بِهِ} أي فسقط الجرف بالبنيان مع المباني {فِي نَارِ جَهَنَّمَ}.

.110

*لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110) *

{لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ .. } أي لا يزال ما بنوه سبب ريبةٍ وشك في الدين؛ لأنه حين بُني إنما بني لتفريق كلمة المؤمنين وتشتيت وحدتهم، وليتمكنوا فيه من إظهار ما في قلوبهم من كفر وضلال، وليدبروا فيه الكيد للمسلمين. وحين هُدم رَسخ ما في قلوبهم من الشر، وتضاعفت آثاره ومفاسده. {إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} أي إلا أن تتمزق قلوبهم، فحينئذ يسلون ذلك. والمراد أنهم لا يزالون كذلك ماداموا أحياء.

.111

*إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) *

.112

*التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ

لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112) *
{السَّائِحُونَ} أي الصائمون. سُمُّوا سائحين لتركهم الملاذ كالسائحين، وقيل: الغزاة المجاهدون. {لِحُدُودِ اللَّهِ} لأوامره ونواهيه.

.113

*مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113) *

{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا .. } نزلت حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لعمه أبي طالب بعد موته، فنهاه الله عن ذلك.

.114

*وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114) *

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} خاشع متضرِّع في الدعاء. أو كثير التأوه من خوف الله. قال أبو عبيدة: الأواه: المتأوِّه فَرَقاً، المتضرعُ يقينا ولزوماً للطاعة. وأصل التأوه: قولُ
الرجل أوَّه. أو أوْه؛ أي أتوجع. و (حليم) صبورٌ على الأذى، صفوح عن الجناية، يقابلها بالإحسان والعطف.

.115

*وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (115) *

.116

* إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (116) *

.117

* لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117) *

{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ .. } أي غفر الله للمؤمنين بسبب صبرهم على شدائد هذه الغزوة ما عساه قد فرط منهم من

الزلات. وضُمَّ ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذكرهم تنبيها على عظم مرتبتهم في الدين، وأنهم بلغوا الرتبة التي لأجلها ضُمّ ذكره صلى الله عليه وسلم إلى ذكرهم والعُسْرة: ضد اليُسرة، فهي الشّدة والضيق. {يَزِيغُ قُلُوبُ} تميل عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم لما فيه من الشدة والمشقة. والزَّيغ المَيْل. {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} تأكيدٌ للتوبة والعَفو.

.118

*وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ

مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) *

{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا .. } أي وتاب على الثلاثة السابق ذكرهم في تفسير آية 106 الذين تخلفوا عن الغزو. {بِمَا رَحُبَتْ} أي مع رُحبها أي

سَعتها. وأما الرَّحب – بالفتح –: فهو المكان المتسع. {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} تأكيدٌ للتوبة المفهومة مما سبق. {لِيَتُوبُوا} ليدوموا على التوبة ويثبتوا عليها.

.119

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119) *

.120

* مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) *

{مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ .. } المراد بالنَّفي هنا؛ النهيُ. أي ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله في الجهاد في {وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ} أي لا يجعلوا أنفسهم راغبةً عما ألقى فيه نَفْسه، والباء للتَّعدية. أو لا يرغبوا عن نفسه بأنفسهم، أي بسبب صونها؛ والباء للسببية. وهو متضمِّن أمرهم بأن يصحبوه على البأساء والضراء، و يكابدوا معه الشدائد والأهوال برغبة ونشاط، وأن يُلقوا أنفسهم في الشدائد ما تلقاه نفسه الكريمة {لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ} عطشٌ {وَلَا نَصَبٌ} تعب ومشقة {وَلَا مَخْمَصَةٌ} مجاعة شديدة تظهر

خَمَص البطن وضموره؛ وفعلها كنصر. {وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا} ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بأرجلهم أو حوافر خيلهم وأخفاف رواحلهم. أو هو مصدر بمعنى وطْأ ودوْسا، من وطئ كَفَهِم. {يَغِيظُ الْكُفَّارَ} يغضبهم ويغمهم. {وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا} بقتل أو أسْر، أو جراحة أو غنيمة، ونحو ذلك.

.121

*وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (121) *

.122

* وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122) *

{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً .. } أي ما ينبغي للمؤمنين ولا يجوز أن ينفروا جميعا للجهاد، ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده في حالة عدم خروجه بنفسه للجهاد وعدم النَّفير للكافة. بل يجب أن ينقسموا قسمين: طائفة تبقى معه لتعلم العلم والفقه في الدين، والتَلقي من مشكاة النبوة. وطائفة تنفِر

للجهاد. فالماكثون يحفظون ما تجدد من الأحكام؛ فإذا قدم الغزاة علموهم ما تجدد في غيبتهم. فالتَّفقُّه والإنذار إنما هو عمل الطائفة الماكثة. وفي هذا التقسيم رعاية المصلحة في الجانبين.

.123

*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (123) *

{قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ .. } لمّا أمروا بقتال المشركين كافة، أرشدهم الله إلى الطريق الأصلح، وهو أن يبدأوا بقتال الأقرب فالأقرب، حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد؛ لعدم تصور القتال دفعةً واحدةً، ولهذا قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا قومه، ثم انتقل إلى قتال سائر العرب، ثم إلى قتال أهل الكتاب، وهم قريظة والنضير وخيبر وفَدَك. ثم انتقل إلى غزو الروم والشام، وتم فتحه في زمن الصحابة. ثم إنهم انقلبوا إلى العراق، ثم إلى سائر الأمصار. وإذا قاتل الأقرب أولاً تقوى بما ينال منه على الأبعد. {غِلْظَةً} شدة وشجاعة، وحمية، وصبرا.

.124

*وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) *

.125

* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125) *

{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} شك ونفاق وكفر. {فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا} شكّا ونفاقا وكفرا مضموما {إِلَى رِجْسِهِمْ} لأنهم كلما جحدوا سورةً أو آية، أو استهزأوا بها ازدادوا فيما هم

فيه. وأصل الرِّجس: الشيء المستقذر. وما هم فيه أقذر شيء!

.126

*أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (126) *

{يُفْتَنُونَ .. } يُبْتلون بالشدائد.

.127

*وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (127) *

{لَا يَفْقَهُونَ} لا يتدبرون، أو لا يفهمون لسوء استعدادهم. يقال: فَقِه يَفقه، وفقُه يَفْقُه، إذا فهم وعلم.

.128

*لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128) *

{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ} شديد وشاق عليه عنتُكم ومشقتكم؛ لكونه بعضا منكم. يقال: عزَّ عليه، أي صعُب وشق. والعَنَتُ المشقة. يقال: أكمةٌ عنُوت، أي شاقة، وفعله كفَرِح.

.129

*فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129) *
{حَسْبِيَ اللَّهُ} كافيني الله ومعيني
والله أعلم.
سورة يونس
.1
*الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (1) *
.2
* أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (2) *
{أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ} القَدَم: السّابقة والسّالفة. والعرب تُسمِّي كل سابق في خير أو شر قدماً. وإضافته إلى الصدق من إضافة الموصوف إلى الصفة:؛ كما في مسجد الجامع، فتفيد المدح. وما قدموه هو الإيمان. أو الأعمال الصالحة المستتبعة للثواب. أي أن لهم سابقة فضل ومنزلة رفيعة عند ربهم. أو أجراً حَسنا. أو ثوابا كريما بما أسلفوا. وسُميَ قدما لأنه لا ينال إلا بالسعي وهو: لا يحصل إلا بالقدم؛ فَسُميَ المسبب باسم السبب.
.3
*إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3) *
{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} آية 54 الأعراف]. {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} استواء يليق به سبحانه. {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} يقضي ويقدر شئون جميع الكائنات على وفق الحكمة والوجه الأكمل. وأصلُ التدبير: النظر في أدبار الأمور وأعقابها، لتقع على الوجه المحمود.
.4
*إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (4) *
{وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا} وعدكم بالبعث والرُّجوع إليه وَعداً، وحق ذلك الوعد حقا، أي ثبت: ووجب ثباتا ووجوبا لاشك فيه، فيجازيكم على جحودكم. {إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ .. } هو دليل على قدرته، وهو كالتعليل لما قبله. {بِالْقِسْطِ} بالعدل. {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} أي وليجزي الذين كفروا

بكفرهم {لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ} أي ماء حار بالغ نهاية الحرارة. والجملة بيان لجزائهم في الآخرة.
.5
*هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا

بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5) *

{جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً .. } شروع في بيان أدلة كمال قدرته تعالى وعظم حكمته وتدبيره، ردًّا على منكري البعث. أي هو الذي جعل الشمس ذات ضياء في النهار، والقمر ذا نور في الليل، وقدر سير القمر في منازله الثمانية والعشرين في كل شهر، تقديرا بديعا محكما؛ لِيُعرف بذلك ابتداء الشهور والسنين وانتهاؤها وعددها والحساب بالأوقات من الأشهر والأيام. وبذلك تنتظم مصالح العباد في العبادات والمعاملات وسائر الشئون المعاشية .. وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة يتعاقبان دائما بحسب طلوع الشمس وغروبها، ويتفاوتان بحسب الأمكنة طولاً وقصرا. {قَدَّرَهُ مَنَازِلَ} صير القمر ذا منازل يسير فيها.

.6

*إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (6) *

.7

*إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7) *

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا .. } لا يتوقعون لقاء حسابنا، فلا يأملون ثوابنا، ولا يخشون عقابنا؛ لإنكارهم البعث. والرجاء في الأصل: توقع الخير، كالأمل. ويستعمل في الخوف وتوقع الشر، وفي مطلق التوقع الشامل للأمل والخوف؛ وهو المراد هنا.

.8

*أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (8) *

.9

* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9) *

.10

* دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10) *

{دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ} أي دعاؤهم في الجنة التسبيح والتنزيه، الذي هو إشارة إلى وصفه تعالى بصفات الجلال، فَيُقابلون بالتحية منه تعالى، أو من الملائكة بالسلام، أي بالدعاء لهم بالسلامة من كل مكروه. والتَّحية: التَكرمة بالحالة الجليلة. وأصلها من الحياة؛ أي

أحياك الله حياةً طيبةً. ثم يختمون دعاءهم بالتحميد، الذي هو إشارة إلى وصفه بنعوت الجلال والإكرام.

.11

*وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (11) *

{وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ .. } نزلت في المشركين حين استعجلوا العذاب الذي أوعدوا به؛ استهزاء وتكذيبا إنكارهم البعث، فقالوا: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ

ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32)} [الانفال]

أي ولو يعجل الله لهم الشر الذي استعجلوه {اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ} أي تعجيله لهم بالخير. فَوضع الاستعجال بالخير – وهو طلب التعجيل به – موضع التعجيل به لهم؛ لإفادة سرعة إجابته تعالى لهم، وإسعافهم بالخير؛ حتى كأنَّ استعجالهم بالخير تعجيل له، لسبق رحمته تعالى لعباده. {لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ} لأهلكوا جميعا. يقال: قَضَى إليه أجله، أي أنهى إليه مدته التي قدرها لموته فهلك. ولكنه تعالى لا يعجل الشر لهم، ولا يقضى آجالهم استدراجا لهم. {فِي طُغْيَانِهِمْ} وهو إنكارهم البعث، وما يتفرع عليه من الأعمال الفاسدة. {يَعْمَهُونَ} يتردَّدون ويتحيَّرون: أو يَعْمَون عن

الرشد. والجملة حالية (آية 15 البقرة].

.12

*وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (12) *

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ .. } أي إذا أصاب الإنسان. {الضُّرُّ} الجهد والبلاء والشدة. أي شدةٍ ومكروه – ولو قليلا يسيراً – دعانا لكشفه في كل أحواله؛ فإذا استجبنا له استمر على حالته الأولى ونسي ما كان فيه. من البلاء، كأنه لم يَدْعُنا إلى كشفه. والمرادُ جنس الإنسان، أو الكافر من الناس باعتبار حال بعض أفراده، وهو من يذكر الله عند البلاء وينساه عند الرخاء. والآية، بيان لكذب الذين استعجلوا العذاب؛ لأنهم سيضرعون إلى الله عند نزوله، لكشفه وعجزهم عن احتماله. {دَعَانَا لِجَنْبِهِ} استغاث بنا لكشفه مُلْقيا لجنبه. {مَرَّ} استمر على كفره ولم يتعظ.

.13

*وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (13) *

{أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ} الأمم الماضية آية 6 الأنعام]. {ظَلَمُوا} بالكفر وتكذيب الرسل.

.14

*ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (14) *

{خَلَائِفَ} خالفين لمن سبقكم. جمع خليفة (آية 165 الأنعام]. {لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} أي لنعلم أي عمل تعملون، خيرا أو شرا. والمرادُ: لنعاملكم معاملة من يطلب العلم بما يكون منكم لنجازيكم بحسبه، وإلا فهو تعالى عالم ما يكون منهم.

.15

*وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) *

{مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي} من قبل نفسي ومن عندي. مصدرٌ على تفعال؛ ولا نظير له غير تِبْيَان.

.16

*قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (16) *

{وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ} ولا أعلمكم الله بالقرآن على لساني. يقال: دريته وبه أدري دَرْيا ودِراية، علمتُه. أو علمته بضَرْب من الحيلة. وأدراه به: أعلمه. و «لا» مؤكدة للنفي.

.17

*فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (17) *

{فَمَنْ أَظْلَمُ .. } أي وإذا كان القرآن بمشيئته تعالى وأمره، فن اختلق من تلقاء نفسه كلاما وقال هو من عند الله. أو بدل بعض آياته ببعض، كما يُجوزون ذلك في شأني. أو كذّب ببعض آياته كما يفعلون، فهو أظلم من كل ظالم! و {افْتَرَى} اختلق. يقال: افترى الكذب اختلقه؛ ومنه الفِرية أي الكذب. والفَريُّ: الأمر المختلق المصنوع. وزيادة {كَذِبًا} مع أن الافتراء لا يكون إلا كذلك: للإشارة إلى أن ما نسبوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مع كونه افتراء على الله هو كذب في نفسه. {لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ} لا يفوزون بمطلوب.

.18

*وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (18) *

{وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا} كان المشركون ينكرون البعث، وقد حاجهم الله في ذلك في غير آية. وكانوا يقولون: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (38)} [النحل]. ويقولون: {وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29)} [الانعام].

ومع ذلك قالوا: {هَؤُلَاءِ} أي الأصنام {شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}. وروي عن بعضهم القول بشفاعة اللات والعزى لهم يوم القيامة. فذهب الجمهور إلى أنه إنما قيل على سبيل الفرض والتقدير: أي إن كان هناك بعث كما تزعمون فهؤلاء يشفعون لنا. وذهب الحسن إلى أن مرادهم الشفاعة في الدنيا لإصلاح المعاش لا في الآخرة لإنكارهم البعث. والحق أنهم في أمر مريج من البعث وأنهم فيه حيارى مضطربون، ولذلك اختلفت كلماتهم. وسيأتي لذلك تتمة في موضعه. {قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ} أي قل لهم تبكيتاً: أتخبرونه بما لا وجود له أصلا وهو شفاعة الأصنام عنده؛ إذ لو كان

موجودا لعَلِمه، وحيث كان غير معلوم له تعالى استحال وجوده، لأنه لا يعزب عن علمه شيء

{سُبْحَانَهُ} تنزيها له تعالى.

.19

*وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (19) *

.20

* وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (20) *
{وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ} أي هلا أظهر الله على يديه آية من الآيات التي اقترحناها؛ كآية موسى وعيسى عليهما السلام. ولم يردعهم عن هذا القول ما يرون من المعجزات الباهرة، التي أعلاها القرآن العظيم، المعجز للبشر على وجه الدهر إلى يوم القيامة: وأيُّ آية من الآيات السابقة تدانيه! ولكنه الضلال – والعناد!؟

.21

*وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (21) *
{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً} يعنى على كفار مكة غُلوَّهم في كفرهم، فقد ابتلاهم: بحبس المطر عنهم سبع سنين حتى كادوا يهلكون. فطلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم بالخِصب ووعدوه بالإيمان؛ فلما دعا لهم ورحمهم الله بالحَيَا طفقوا يطعنون في آيات الله وذلك قوله تعالى: {إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا} أي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها. {ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ} نائبة أصابتهم (الجوع والفحط). {قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا} أعجل عقوبة وأشد أخذا، جزاء لكم على مكركم السيء.

.22

*هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) *
{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ} تفسير لما أُجمل في قوله تعالى: {وإذا أذقنا}. وضرب مثل ليظهر ما هم عليه. {الْفُلْكِ} السفن {طَيِّبَةٍ} ليّنة الهبوب موافقة للمقصد. {جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ} أي ذات عصفٍ؛ على النسب: كلابن وتامر، والعصفُ: الكَسر والنبات المتكسر. والمراد: شديدة الهبوب. {أُحِيطَ بِهِمْ} أحدق بهم الهلاك.

.23

*فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23) *
{يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ} يفسدون فيها متجاوزين إلى غير ما أمر الله به. يقال: بغى الجرحُ. إذا تراخى في الفساد وجاوز الحد فيه. {بِغَيْرِ الْحَقِّ} تأكيد لما يفيده البغي.

.24

* إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24) *
{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. } بيان لشأن الحياة الدنيا وقِصَرِ مدة التمتُّع بها مهما طالت. وقرب زمان الرجوع الموعود به. أي إنما حالها في سرعة تقضيها وانصرام ملاذها؛ بعد كثرتها والاغترار بها كحال ماء

أنزلناه .. {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا} استكملت حسنها وبهاءها {وَازَّيَّنَتْ} بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة. وأصل الزُّخرف: الزينة المزوَّقة. {فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا} فجعلنا زَرعها كالمحصود من أصله بالمناجل: مِنَ الحصْدِ وهو قطع الزرع. يقال: حصَد الزرع يحصِده ويحْصُده حصدا وحِصَادا، قطعه بالمنجل: فهو حصيد ومحصود. {كَأَنْ لَمْ تَغْنَ} كأن لم تمكث تلك الزروع قائمة على ظهر الأرض في الماضي القريب؛ من غَنِيَ بالمكان –كَرضِيَ –. إذا طال مقامه به مستغنيا عن غيره. أي فكذلك الدنيا في سرعة نقيها وانصرام نعيمها، بعد إقبالها واغترار الناس بها.

.25

* وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (25) *

{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ} ترغيب في الآخرة بعد التوهين من شأن الدنيا.

.26

*لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) *

{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى} أي لهم المثوبة الحسنى – وهي الجنة. والعربُ توقع هذه اللفظة على الخَلْة المحبوبة، والخصلة المرغوب فيها، ولذلك ترك موصوفها. {وَزِيَادَةٌ} هي التظر إلى وجه الله الكريم. أو هي المغفرة والرضوان. {وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ .. } الرهق: الغشيان. يقال: رَهِقه يرهَقه، اذا غَشيه بقهر. والقَتَر: الدخان الساطع من الشِّواء والعود

ونحوهما؛ يصيب الوجوه فتغبر وتسود. {ذِلَّةٌ}: الهوان: أي لا يصيبهم ما يصيب أهل النار من ذلك.

.27

*وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (27) *

{عَاصِمٍ} مانع يمنع سخطه وعذابه. {كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ} أي أن وجوههم في شدة سوادها كأنما ألبست {قِطَعًا} أي أجزاء من الليل المظلم الحالك السواد. و {مُظْلِمًا} حال من الليل، وقريء (قِطْعا) أي بسواد.

.28

*وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (28) *

{مَكَانَكُمْ} الزموا مكانكم في الموقف {أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ} أي الأصنام حتى تنظروا ما يفعل بكم وبهم

{فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ} فرقنا بين. المشركين وشركائهم، وقطعنا الوُصَل التي كانت بينهم في الدنيا. وذلك حتى يتبرأ كل معبود ممن عبده؛ من زَيَّل: بمعنى فَرق وميَّز. والتَضعيف فيه للتكثير لا للتعدية، لأن زالَ ثلاثيه متعد بنفسه. تقول: زِلْتُ الضأن من المَعِز: اذا فرّقت بينهما. وزِلتُ الشيء عن مكانه أزيله زَيلا، إذا. أزلته.

.29

*فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (29) *

.30

* هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (30) *

{هُنَالِكَ تَبْلُو} في هذا الموقف الدَّحض الزلق – وهو موقف الحشر – تُخْبَر وتعلم كلُّ نفس ما قدمت من عمل وتعاينه بكُنهه، متتبعة لآثاره من خير أو شر؛ من البَلْو وهو الاختبار. تقول: بلوته أي اختبرته. وأصله من بَلِيَ الثوب بِلىً وبَلاء. إذا خَلَق، فكأن المختبر للشيء أخلقه من كثرة اختباره له. وقرئ (تتلو) بتاءين، أي تقرأ كلُّ نفس كتابى حسناتها وسيئاتها.

.31

*قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31) *

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ .. } هذه ثمانية أسئلة أجابوا عن خمسة منها. وأجاب الرسول صلى الله عليه وسلم عن اثنين منها بتعليم الله

اياه؛ لعدم قدرتهم على الإجابة عنها. ولم يذكر جواب الأخير منها لشهرته والعلم به: وهو قوله: {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ}.

.32

*فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (32) *

{رَبُّكُمُ الْحَقُّ} الثابتة ربوبيته بالبرهان ثبوتا لا ريب فيه. {فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} فكيف مع ذلك تُصرفون عن الحق إلى الضلال. وعن التوحيد إلى الشرك.

.33

*كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) *

{كَذَلِكَ حَقَّتْ} كما حقت كلمة الربوبية لله تعالى. أو كما صُرفوا عن الحق بعد الإقرار به، حقت {كَلِمَتُ رَبِّكَ} على هؤلاء المتمردين في الكفر {أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} أي وجب وثبت حُكمه عليهم بذلك. يقال: حق الأمر يَحِق ويحُق حَقَّه. وجب ووقع بلاشك. وحَق الشيء أوجبه كأحقه. لازمٌ مُتعدٍّ.

.34

*قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (34) *

{فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} فكيف

تُصرفون مع ذلك عن التوحيد إلى الشرك [آية 75 المائدة].

.35

*قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا

يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (35) *
{أَمَّنْ لَا يَهِدِّي ... } هذه قراءة حفص ويعقوب. أي لا يهتدي؛ أبدلت التاء دالا–لاتحاد مخرجها – وأدغمت في الدال. وكسرت الهاء تخلصا من التقاء الساكنين. والمعنى: وإذا كان شركاؤكم لا يهدون إلى الحق فأنا أسألكم: آلله الذي يهدي إلى الحق حقيق بالاتباع أم الأوثان التي لا تهتدي إلا أن تُهدى!؟ أي لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن
تُحمل و تُنقل. فبين الله بهذا عجز الأوثان والأصنام حتى عن حالها في أنفسها.

.36

*وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (36) *

.37

* وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (37) *
{وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ .. } زعم المشركون أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد اختلق القرآن من تلقاء نفسه، فأخبر الله تعالى أن هذا القرآن وحي أنزله عليه، وأنه مبرَّأ عن الاختلاق والافتراء، وأنه لا يقدر عليه أحد إلا الله. ثم ذكر ما يؤكد ذلك بقوله: {وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} أي ما سبقه من الكتب المُنَزَّلة و فهو موافق لها في أصولها. {وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ} أي تفصيل ما كُتب وأثبت من الشرائع. {لَا رَيْبَ فِيهِ} أي لاشك فيه أنه كذلك.

.38

*أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38) *
{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} (أم) منقطعة بمعنى بل التي للانتقال والهمزة التي للإنكار؛ عند الجمهور. أي بل أيقولون افتراه واختلقه!؟ وهو قولٌ منهم في غاية الشناعة. {قُلْ} إن كان الأمر كما تزعمون {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ} أي فأتوا من عند أنفسكم، أو ممن سبقكم من فصحاء العرب وبلغائهم بسورة مماثلة له في صفاته وخصائصه، فحيث عجزتم عن ذلك دل على أنه ليس من كلام البشر. {وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ} دعاءه والاستعانة به من آلهتكم أو من غيرها. {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} في أني افتريته.

.39

*بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39) *
{بَلْ كَذَّبُوا .. } أي فما أجابوا وما قدروا. بل سارعوا إلى تكذيبه من غير أن يتدبروا ما فيه، ويقفوا على ما في تضاعيفه من الأدلة على صدقه، وأنه كلام رب العالمين. ومسارعةُ الإنسان إلى تكذيب ما لم يحط به علما من أفحش الجهل! {وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ} أي ولم يعرفوا معانيه المُنبئةَ عن علو شأنه مع انسياقها إلى النفوس بنفسها بمجرد التأمل والتدبُّر. فالتأويل: بمعنى التفسير، والإتيان مجاز عن المعرفة. أو ولم ينتظروا وقوع ما

أخبر به من الأمور المستقبلة مع توقُّعه. ومسارعتهم إلى التكذيب دون انتظار ذلك مع قيام تلك الأدلة على صدقه – غايةٌ في الجهالة! فالتأويلُ: بمعنى وقوعِ مدلوله، وهو عاقبته وما يئول اليه.

.40

*وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (40) *

.41

* وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (41) *

{لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ} لي ثمرة عملي. ولكم ثمرة أعمالِكم من الثواب والعقاب يوم الحساب.

.42

*وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42) *

.43

*وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (43) *

{يَنْظُرُ إِلَيْكَ} يعاين دلائل نبوتك الواضحة.

.44

*إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44) *

.45

* وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (45) *

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ .. } ويوم يجمعهم في موقف الحساب كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا برهة يسيرة من نهار. والمراد بهذا التشبيه: بيان تأسفهم وتمنيهم طول مكثهم قبل ذلك؛ لهول ما يرون مما لم يكونوا متوقعين له.

{يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ} يعرف بعضهم بعضا في هذا الموقف؛ كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا.

.46

* وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (46) *

{وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ .. } أي وإن أريناك في حياتك بعض ما نَعِدهم به من العذاب فذاك، وإن توفيناك قبل أن نرِيك فسنرِيكَه. في الآخرة.

.47

* وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (47) *

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ .. } ولكل أمة مكلفةٍ بشريعة رسولٌ يأتي يوم القيامة يشهد عليها بالبلاغ والكفر والإيمان؛ فإذا شهد بذلك قضى بينها وبينه بالعدل؛ فحُكم بنجاة المؤمن وعقاب الكافر. {بِالْقِسْطِ} بالعدل في الدنيا أو يوم الجزاء. {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} شيئا أصلا في ذلك القضاء.

.48

*وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) *

.49

* قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49) *

{لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ} جواب آخر عن استعجالهم العذاب [آية 34 الأعراف].

.50

* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (50) *

{أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ .. } أي قل لهم: إن عذابكم أمر محتوم، له أجلٌ معلوم، سنة الله في الذين خلوا من قبلكم؛ فأخبروني إن حل بكم بغتة، في

أي وقت وفي أي حالة كنتم عليها:– أي نوع من أنواعه تطلبونه على عجل؟! والمراد تقريعهم على الاستهزاء بالوعيد وعلى استعجال العذاب، وتهويل أمر العذاب الذي سيحل بهم عما قريب. و {بَيَاتًا} أي وقت بيات، وهو الليل. [آية 4 الأعراف].

.51

*أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (51) *

{أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ} أي أبعد ما وقع العذاب و حل بكم {آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ} حين لا ينفعكم الإيمان {وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} والمقصود الإنكار عليهم في تأخير الإيمان إلى هذا الحد. وهمزة الاستفهام داخلة على (ثم) المفيدة للتراخي. والاستفهام للتقريع والتوبيخ.

.52

*ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (52) *

.53

* وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (53) *

{وَيَسْتَنْبِئُونَكَ} يستخبرونك عن العذاب الموعود. يقال: استنبأتُ زيدا عن عمرو، أي طلبت منه أن يخبرني عنه. {إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ} أي نَعَم وربي إنه لحقٌ واقع. ولا تستعمل (إي) حرف جواب بمعنى نعم إلا مع القسم خاصةً. {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} [راجع آية 134 الأنعام].

.54

*وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (54) *

{وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ} أي أخفَوا آثار الغَم والأسف على ما فعلوا من الظلم؛ كالبكاء والعويل وعض الأيدي؛ فلم يظهروها لشدة حيرتهم وذهولهم حين رأوا ألاهوال والشدائد.

.55

* أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (55) *

.56

* هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (56) *

.57

* يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) *

.58

* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58) *

.59

* قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (59) *

{أَرَأَيْتُمْ} أخبروني ما خلقه الله لأجل نفعكم من الأرزاق فبعَّضتموه، وجعلتم منه حراما كالبحيرة والسائبة. وحلالاً كالميتة؛ أأذن لكم الله فيه؟ أم تفترون على الله الكذب بنسبة ذلك إليه؟! و (قل) الثانية للتأكيد. {أَذِنَ لَكُمْ} أعلمكم بهذا التحليل والتحريم. {تَفْتَرُونَ}

تكذبون في نسبة ذلك إليه.

.60

* وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (60) *

.61

* وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (61) *

{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ} في أمر معتنى به؛ من شَأَنه -: بالهمز – يَشأنُه. إذا قصده، فهو مصدر بمعنى المفعول. {وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ} أي وما تتلو قرانا من أجل الشأن الذي نزل بك. و (من) الأولى تعليلية، والثانية مزيدة للتأكيد. {وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ} أي عمل كان {إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا} رُقَباء مطلعين عليه حافظين له. لإحاطة علمنا بكل شيء. {إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} تشرعون فيه. وتتلبسون به. وأصلُ الإفاضة: الاندفاع بكثرة أو شدة. ثم أقام – جل شأنه – البرهان على إحاطة علمه بالجزئيات أو الكليات بقوله: {وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ} ما يغيب ويخفى عنه تعالى أصغر شيء في الوجود والإمكان. يقال: عَزب الشيء يعزُب ويَعزِب، غاب وخَفِيَ فهو: عازب. و (المثقال): ما يوازن الشيء. والذَّرَّة: النَملة الحمراء الصغيرة جدا. أو الهباءةُ التي تُرى في شعاع الشمس الداخل من النافذة.

.62

*أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) *

{إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ} بيان الأحوال أولياء الله المخلصين: وهم عباُده الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة. جمع وَلِي، وهو ضد العدو، فهو المحبُّ،. ومحبَّة العباد لله طاعتهم له. ومحبتهُ لهم إكرامه إياهم. وأصله من الوَلي بمعنى القرب. وهؤلاء لا يخافون حين يخاف الناس، ولا يحزنون إذا حَزِن الناس يوم القيامة.

.63

*الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) *

.64

* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64) *

{لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} لا تبديل لأقواله تعالى. التي من جملتها ما بَشر به المؤمنين المتقين.

.65

* وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (65) *

{إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} كلام مستأنف لتعليل النهي عن الحزن. أي إن الغلبة الشاملة، والقوة الكاملة، والقدرةَ التامة لله تعالى وحده، فهو ناصرُك ومعينك، فلا يحْزُنك ما يقولونه فيك وفي القرآن، وما يدبرونه في أمرك.

.66

*أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (66) *

{وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ} أي ما يتبع هؤلاء المشركون شركاء في الحقيقة، وإن ظنُّوها شركاء جهلا منهم وسفها. {وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} يحزرُون ويقدرون أنهم شركاء؛ فهو مجرد تخمين. أو يكذبون فيما نسبوه إلى الله من ذلك [آية 116 الأنعام ص].

.67

*هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (67) *

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ ... } بيانٌ لتفرده تعالى

بالقدرة الكاملة، والنعمة الشاملة، ليَّدُلهم على تفرده باستحقاق العبادة.

.68

* قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (68) *

{سُبْحَانَهُ} تنزيها له تعالى عما نسبوه إليه. {إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا} أي ما عندكم حجة وبرهان على ما زعمتم من اتخاذه تعالى ولداً؛ حيث قلتم: الملائكة بنات الله. وقالت اليهود: عزيز ابن الله. وقالت النصارى

المسيح ابن الله.

.69

*قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (69) *

.70

* مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70) *

.71

*وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (71) *

{كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي} عظم وشق عليكم قيامي، أي وجودي بينكم، أو إقامتي بين أظهركم، أو على دعوتكم مدة طويلة، فهو اسم مكان، أو مصدر ميمي. {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ} اعزموا وصمموا على إهلاكي. يقال: أجمع أمرَه وأجمع عليه. أي عَزَمَه وصمم عليه. وأصله جعل أمره مجموعا بعد ما كان مفرقا. {وَشُرَكَاءَكُمْ} أي مصاحبين لهم في العزم على إهلاكي. {ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ} ثم لا يكن أمركم مستورا عليكم بل أظهروه وجاهروني به، فإن الستر انما يُصار إليه ابتغاء الهرب أو نحوه، وذلك محال في حقي؛ فلم يكن للستر وجه. والغُمَّة: الستر؛ من غمه اذا سَتَرَه و (عليكم) متعلق (بغُمة). {ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ .. } أدُّوا إليّ ذلك الأمر الذي تريدون بي؛ كما يؤدِّي الرجل دينه إلى غريمه؛ من القضاء بمعنى الأداء. يقال: قَضَى دينه. إذا أدَّاه. {وَلَا تُنْظِرُونِ} ولا تمهلوني بل عجلوا

أشد ما تقدرون عليه! والكلام خارج مخرج التهكُّم.

.72

*فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72) *

.73

* فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73) *

{وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ} وصيرنا الناجين يخلُفون في الأرض

من هلكوا بالطوفان.

.74

* ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (74) *

{نَطْبَعُ} أي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المتجاوزين للحدود في الكفر والفساد؛ وذلك بخذلانهم وتَخْليتهم وشأنهم لانهماكهم في الضلال. والطبع: الختم والاستيثاق.

.75

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (75) *

.76

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (76) *

.77

قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (77) *

.78

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (78) *

{لِتَلْفِتَنَا} لتصرفنا وتلوينا {عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} من الدين. واللفت: الصرف واللَّيُّ. يقال: لفته يَلفِته لَفتاً؛ صرفه إلى ذات اليمين أو الشمال ولفت الشيء وفَتَله: لواه عنه وصرفه.

.79

*وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (79) *

.80

* فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (80) *

.81

* فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81) *

.82

* وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (82) *

.83

* فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83) *

{وَمَلَئِهِمْ} أي أشراف قومهم. {أَنْ يَفْتِنَهُمْ} أي يبتليهم ويعذبهم ليحملهم على الرجوع عن الإيمان؛ من الفتن [آية 102 البقرة].

.84

*وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (84) *

.85

* فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85) *

{لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً} أي موضع عذاب لهم، بأن تسلطهم علينا فيعذبونا أو يفتنونا عن ديننا.

.86

*وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (86) *

.87

* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (87) *

{أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا} أي اتخذا لهم مباءةً، أي بيوتاً بمصر يسكنون فيها. يقال: بوّأت له مكانا، سويته وهيأته له. وتبوَّأ المكان: اتخذه مباءةً. ومنه {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121)} [آل عمران]. {وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً} أي مصلى تصلُّون فيها سرا بعد أن خرب فرعون كنائسَكم؛ حتى تأمنوا وتظهروا على فرعون وقومه.

.88

*وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) *

{اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ} أهلكها. أو أمحُ أثرها. يقال: طَمَس يَطمِس ويطمُس طموساً، دَرَسَ وامَّحى أثره.

{وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ} اربط عليها واطبع وقَسِّها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان، من الشَّد على الشيء للاستيثاق منه.

.89

*قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89) *

.90

* وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) *

{بَغْيًا وَعَدْوًا} ظلما واعتداء. يقال: بغى عليه بغياً، إذا علا وظلم. وعدا عليه عدوا وعُدوانا، ظلمه، كتعدَّى واعتدى.

.91

*آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) *

{آلْآنَ} أي الآن تؤمن حين يئست من الحياة وأيقنت الموت!؟ فالظرف متعلق بمحذوف يقدَّر مؤخَّرا. والاستفهام للتوبيخ والإنكار؛ لتأخيره الإيمان إلى وقت لا يُجدي فيه نفعا لعدم قبوله.

.92

*فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92) *

{آيَةً} عبرة ونكالا.

.93

* وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي

بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (93) *
{بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ} أسكناهم وأنزلناهم منزل كرامة، ومكانا صالحا مرضيّا. واضافته إلى الصِّدق للمدح: كما في: قَدَم صدق. ورَجُل صدقٍ.

.95،94

* فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (94) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (95) *
{فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ} الخطاب في هذه الآية وفي قوله بعد: {فَلَا تَكُونَنَّ} للرسول صلى الله عليه وسلم والمرادُ غيره؛ كما في نظائرها. {الْمُمْتَرِينَ} الشاكين المتزلزلين.

.96

* إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (96) *

.97

* وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (97) *

.98

*فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (98) *
{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ} (لَوْلَا) للتحضيض كـهَلا، وفيه معنى التوبيخ والنفي، أي فهلا كانت قرية من القرى التي أهلكت هلاك الاستئصال، آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخِّر ايمانها إلى حين معاينته كما أخر فرعون إيمانه – فنفعها ذلك! بأن يقبله الله منها

ويكشف عنها العذاب بسببه. لكن قوم يونس لم يَجْرُوا على ستة أسلافهم، بل بادروا إلى الإيمان قبل نزول العذاب حين رأوا أماراته؛ فَقَبِل الله إيمانهم، وكشف عنهم العذاب ومتعهم إلى حين. {عَذَابَ الْخِزْيِ} الذل والهوان.

.99

* وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99) *
{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ} أي لكنه لم يشأ ذلك؛ لكونه مخالفا للحكمة التي بُني عليها أساس التكوين والتشريع.

.100

*وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (100) *
{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ .. } أي وما كان لنفس علم الله تعالى أنها لا تؤمن، أن تؤمن في حال من الأحوال، كسلامة العقل وصحة البدن وغيرهما – إلا في حال ملابستها إرادة الله أن تؤمن. وإرادته تابعة لعلمه به، وعلمه به مُحالٌ؛ لتعلقه بنقيضه وهو عدم الإيمان، فيلزم انقلاب العلم جهلاً، فتكون إرادتُه ذلك محالاً، فيكون إيمانها

محالاً: إذ الموقوف على المحال محال. ذكره العلامة الآلوسي. {وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ} العذاب أو الكفر. أو الخذلان الذي هو سبب العذاب. وأصله الشيءُ المستقذَر.

.101

*قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101) *

.102

* فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (102) *

.103

* ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (103) *

.104

* قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (104) *

.105

* وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (105) *

{وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ .. } وأوحيَ إليّ أن أقم نفسك على دين الإسلام، مقبلا بوجهك عليه غير ملتفت إلى سواه. {حَنِيفًا} مائلا إليه.

.106

*وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (106) *

.107

*وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107) *

.108

* قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (108) *

{وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} أي بحفيظ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها؛ إنما أنا بشير ونذير.

.109

* وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (109) *

والله أعلم

سورة هود

.1

*الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1) *

{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} هذا كتاب نظمت آياته تنظيما محكما متقنا، لا يتطرق إليه نقص ولا خلل؛ من الأحكام وهو الإتقان با كالبناء المحكم الرصيف. يقال: أحكمت الشيء، أتقنه فاستحكم. {ثُمَّ فُصِّلَتْ} جُعلت مفصلة كالعِقد المفصل بالفرائد. أو فُرِّقت في التنزيل: فنُزِّلت نجوما على حسب

الوقائع والمصالح. و (ثم) على الأول للترتيب الإخباري. وعلى الثاني للترتيب الزماني.

2.*أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (2) *

{أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} أي أُحكمت وفصلت لِتُمحضوا العبادة الله تعالى؛ فإن الإحكام والتفصيل يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات.

.3

*وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (3) *

{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا .. } معطوف على (ألا تعبدوا) أي ولاستغفاركم ربّكم من ذنوبكم، ولإخلاصكم في توبتكم منها. و (أن) مصدرية، وهي تُوصَل بالأمر والنهي كما تُوصل بغيره.

.4

* إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (4) *

.5

* أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (5) *

{يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ} يطوونها على ما يسترونه من العداوة والبغضاء، من ثَنيت الثوب، إذا طويته على ما فيه من الأشياء المستورة. نزلت في الأخنس بن شريق من منافقي مكة، وكان رجلا حُلو المنطق، حسن السياق للحديث، يضمر للرسول صلى الله عليه وسلم الكراهة، ويطوي صدره على بغضه، ويظهر له المحبة والمودة: ويظن أن ذلك يخفى على الله تعالى. {لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ} من الله تعالى جهلا منهم. {أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ .. } أي ألا حين يبالغون في الاستخفاء، كمن يجعلون ثيابهم أغشية لهم حتى لا يظهر منهم شيء! {يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} أي يعلم الله سِرَهم وعلانيتهم فيجازيهم على نفاقهم {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.

.6

*وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6) *

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ .. } و بيان الإحاطة علمه بكل شيء. {وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا} موضع قرارها في الأصلاب {وَمُسْتَوْدَعَهَا} موضع استيداعها في الأرحام، وما يجري مجراهما من البيض و نحوه.

.7

*وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) *

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ .. } [آية 54 الأعراف]. {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} أي ليس تحت عرشه غير الماء قبل خلق السموات والأرضَ. {لِيَبْلُوَكُمْ} أي خلق السموات والأرض وما فيهما الذي منه أنتم، ورتَّب فيهما جميع ما تحتاجون إليه من مبادئ وجودكم وأسباب معاشكم؛ ليعاملكم معاملة من يختبر غيره؛ ليتميز المحسن من و المسيئ، والمطيعُ من العاصي، ويظهر للناس حاله في الدنيا وفي يوم الحساب. ويجري حُكم القضاء الإلهي في أمره على حسب ما يظهر من حاله. {أَيُّكُمْ

أَحْسَنُ عَمَلًا} أي بطاعة الله. وأورع عن محارمه، فيجازيكم على أعمالكم.

.8

*وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (8) *

{أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ} طائفة من الأيام معلومة أو قليلة. [آية 104 آل عمران}. {وَحَاقَ بِهِمْ} أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاءً.

.9

*وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) *

{إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ} أي لشديد اليأس من أن يعود إليه مثل ما سُلب منه، كثير الكُفران لما سلف له التقلب فيه من النعم. يقال: يئس من الشيء ييْأَس. إذا قَنِط منه.

.10

* وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10) *

{ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ} نائبة ونكبة أصابته. {4 لَفَرِحٌ فَخُورٌ} بَطِرٌ بالنعمة مغتر بها، كثير التَّعاظم على الناس بما أوتي منها. مشغول بذلك عن القيام بحقها.

.11

*إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (11) *

{إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا} استثناء منقطع.

.12

*فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12) *

{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ .. } أي فلعلك تارك تبليغ بعض ما يوحى إليك؛ وهو ما يثير غضب المشركين، وضائقٌ بتبليغه صدرك؛ مخافة تكذيبهم واستهزائهم بقولهم: هلَّا أُعطيَ مالاً كثيرا يغتني به! وهلا جاء معه ملك يصدِّقه ويشهد

له بالنبوة! فَدُم على التبليغ ولا تضق بأمرهم ذَرْعا؛ فما عليك إلا الإنذار وعلينا الحساب. و (لعل) للترجي والتوقُّع , ولا يلزم من توقع الشيء وقوعُه. فقد يمتنع لمانع، وهنا لا يتوقع منه صلى الله عليه وسلم ترك تبليغ شيء مما أوحى إليه: ولا ضِيق الصدر به؛ لثبوت عصمته من ذلك. وفي الآية تنديدٌ بالمشركين وإنذار لهم بسوء العاقبة. وحثٌّ له على عدم المبالاة بهم. {وَكِيلٌ} قائم به حافظ له.

.13

*أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) *

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} أي بل أيقولون اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه؛ فتحداهم الله بقوله: {فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ} في البلاغة {مُفْتَرَيَاتٍ} مختلفات من عند أنفسكم إن صح أني

اختلقته من عند نفسي! فإنكم عرب فصحاء بُلغاء. وقد وقع التحدي بالقرآن كله كما في سورة الإسراء، ثم بعشر سور كما هنا. ثم بسورة واحدة كما في سورتي البقرة [أية 23] ويونس [آية 38]. وقد عجزوا عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه؛ فدل على أنه مُنَزَّل من عند الله تعالى.

.14

* فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14) *

.15

* مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) *

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} نزلت في الكفار الذين يعملون أعمالاً صالحة في الدنيا مع تشبُّثهم بالكفر، فهؤلاء يعجل الله لهم ثوابها كاملا في الدنيا، بسطة في الأموال والأولاد والجاه والسلطان، وليس لهم في الآخرة لا النارُ جزاء على كفرهم. {لَا يُبْخَسُونَ} أي لا ينقصون؛ من البَخْس وهو نقص الحق ظلما.

.16

* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (16) *

{وَحَبِطَ} أي بطل في الآخرة {مَا صَنَعُوا فِيهَا} أي في الدنيا. يقال: حَبَط – كسَمع وضرب – حَبْطا وحُبُوطا، بطل. وأحبط الله عمله، أبطله.

.17

*أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (17) *

{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ .. } بيان لحال الذين يريدون بأعمالهم وجه الله تعالى، اثر بيان حال أضدادهم الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا. أي أفمن كان على برهان جَلِي من ربه يدل على حقيَّة الإسلام وهو القرآن، ويؤيده و يقويه شاهدٌ منه على كونه من عند الله وهو إعجازه في نظمه، وكتاب موسى من قبله – كمن ليس كذلك!؟ لا يستويان؟ والبينة: القرآنُ؛ والتُّلُو: التبعية بمعنى التقوية. والشاهد: إعجازه، والتوراة المؤيدة له.

والضميرُ في (منه) للقرآن؛ لإفادة أن إعجازه وصفٌ ثابت لَه في ذاته غير خارج عنه. و {مِنْ قَبْلِهِ} حالٌ من {كِتَابُ مُوسَى} المعطوف على {شَاهِدٌ}.
{شَاهِدٌ} على تنزيله وهو إعجاز نظمه. {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ} أي في شك من كون القرآن نازلا من عند الله. أو من أنَّ موعدهم النار. والخطاب للرسول والمراد أمتُه كما في نظائره. أو لكلٍّ من يصلح للخطاب. والمراد: التحريض على النظر الصحيح المزيل للشك.

.18

*وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (18) *

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى .. } بعد أن بين الله تعالى حال المؤمنين المُتَصفين بالصِّفة الحميدة السابقة، بين حال الكافرين، وذكر من أوصافهم أربعة عشر وصفا، أوَّلها: افتراءُ الكذب، وآخرها: الخسران في الآخرة، كذبوا على الله تعالى بنسبة ما يستحيل عليه من الشريك والولد. {وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ} أي

الحاضرون في موقف العَرض والحساب، وهم الملائكة مطلقا، أو الحفظةُ منهم، أو الملائكة والأنبياء والمؤمنون. جمع شاهد أو شهيد، بمعني حاضر.

.19

*الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (19) *

{وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} ويطلبون سبيل الله معْوَجَّة آية 99 آل عمران].

.20

*أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20) *

{لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} أي مفلتين أنفسهم من عذابه لو أراد الله ذلك.

.21

*أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (21) *

.22

* لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (22) *

{لَا جَرَمَ .. } وردت هذه الكلمة في القرآن في خمسة مواضع متلوَّة بـ (أنَّ) واسمها، وليس بعدها فِعْل. وجمهور النحاة على أنها مركبة من (لا) و (جَرَم) تركيب خمسة عشر، ومعناها بعد التركيب معنى فِعْل؛ وهو: حقَّ وثبتَ، والجملة بعدها فاعله. أى حق وثبت كونهم في الآخرة هم الأخسرون. وقيل: إن (لا) نافية للجنس، و (جرم) اسمها، وما بعدها خبرها. والمعنى: لا محالة في أنهم في الآخرة هم الأخسرون، أي في خسرانهم.

.23

*إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (23) *
{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا .. } بيان لأحوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الآخرة، إثر بيان أحوال الكافرين في الدنيا وخسرانهم في الآخرة. {وَأَخْبَتُوا} أي أطمأنوا وخشعوا. وأصلُ الإخبات: نزول الخَبْت، وهو المطمئنُّ من الأرض، ثم أطلق على الاطمئنان والخشوع؛ تشبيها للمعقول بالمحسوس، ثم صار حقيقة فيه، ويعدى بالى وباللام.

.24

* مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (24) *

.25

* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) *
{إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} أي قائلا لَهم ذلك.

.26

* أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26) *
{أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} أي أرسلناه بألا تعبدوا غير الله تعالى. {عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ} مؤلم.

ونسبة الإيلام إلى اليوم مجازٌ لوقوع العذاب فيه. كما في: نهارُه صائم.

.27

*فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27) *
{فَقَالَ الْمَلَأُ} الأشراف والساده. [آية 246 البقرة] {بَشَرًا مِثْلَنَا} أي إنسانا مماثلا لنا، ليس فيك مزيّة تخصك من بيننا بالنبوة! {بَادِيَ الرَّأْيِ} أي اتبعوك ظاهرا لا
باطنا. أو في أول الرأي من غير تفكر وتثبت، ولو تفكروا ما اتبعوك. و) بادي) على الأول من البدو بمعنى الظهور؛ يقال: بدا الشيء بدْوا وبُدُوًّا وبَداء، ظهر. وعلى الثاني من البَدْء؛ يقال: بدأ يبدأ، إذا فعل الشيء أولا. والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها. {مِنْ فَضْلٍ} زيادة في شيء تؤهلكم لاتباعنا لكم.

.28

*قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28) *
{أَرَأَيْتُمْ} أخبروني [آية 40 الأنعام]. {عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} حُجةٍ وبرهان يشهد لي بالنُبوة والصدق. {فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ} أخفيت عليكم عقوبة لكم والضمير للبينة، أو للرحمة بمعنى النبوة. يقال: عُمِّي عليه الأمر، أي أخفي عليه حتى صار هو بالنسبة إليه كالأعمى، وقرئ (عَمِيت) أي خفيت.

.29

*وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (29) *

{وَمَا أَنَا بِطَارِدِ .. } أي لا أطرد المؤمنين الذين اتبعوني. ووصفتموهم بأنهم أراذل وأخسَّاء. كما طلبتم مني ذلك أنَفَة من مجالستهم، واستكبارا عن الانتظام في سلكهم! {إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ} لقاء فوز ورضوان.

.30

* وَيَاقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30) *

.31

* وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31) *

{وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ} أي خزائن رزقه وماله.: رد لقولهم: {وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ}. {وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} ردٌّ لقولهم: {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ .. } الآية. {وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} ردٌّ لقولهم: {مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا}. {تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ} تستحقرهم وتستصغرهم: من الأزدراء وهو الإعابة. يقال: ازدراه إذا عابه. و زَرَي عليه زَرْيا وزرايةً؛ إذا حقره. وأزري به أدخل عليه عَيباً.

.32

*قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32) *

.33

* قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33) *

{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} بمصير يه سبحانه عاجزاً بالهرب من عذابه.

.34

*وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34) *

{أَنْ يُغْوِيَكُمْ} يضلكم.

.35

*أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (35) *

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} أي بل أيقول قوم نوح: إنه اختلق ما جاء به من عند نفسه ونسبه إلى الله تعالى! فهو من قصة نوح. {فَعَلَيَّ إِجْرَامِي} فعليّ عقاب إجرامي. أي عقاب اكتساب الذنب. والإجرام: اكتساب الذنب. يقال: أجرم وجَرَم واجترم، بمعنى اكتسب الذنب وافتعله.

.36

* وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36) *

{فَلَا تَبْتَئِسْ} فلا تحزن بما كانوا يفعلون في هذه المدة الطويلة، من التكذيب والاستهزاء والإيذاء؛ فقد حان

وقت عقابهم. يقال: ابتأس فلان بالأمر، إذا بلغه ما يكرهه. والمبتئس: الكاره الحزين .. وأصله من البؤس وهو الحزن.

.37

*وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (37) *

{وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا} أي واصنع السفينة بمرأى منّا. أو محفوظا بِكلاءتنا. أو اصنعها بعلمنا. والفلك يكون واحدا فيُذكَّر، وجمعا فيؤنَّث.

.38

*وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) *

{سَخِرُوا مِنْهُ} استهزؤوا به؛ لصُنعه السفينة. يقال: سخر منه وبه يَسخر سَخرا وسُخْراً، هَزيء. والاسم السخريةُ.

.39

* فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (39) *

{يُخْزِيهِ} يذله و يهينه. {وَيَحِلُّ عَلَيْهِ .. } أي يجب عليه عذاب دائم. يقال: حل عليه أمرُ الله يحل حُلولاً، وجب.

.40

* حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) *

{إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا} نَزَل عذابنا. {وَفَارَ التَّنُّورُ} نبع الماء منه وارتفع بشدة؛ كما تفور القدر عند غليانها. وكان ذلك علامة لنوح على بدء الطوفان.

والتَّنُّور: الكانون يُخبز فيه. وقيل: هو وجه الأرض؛ والعرب تسمى وجه الأرض تنوراً. أو أعلى الأرض وأشرفها. وهو لفظ مُعَرَّب. وقيل عربي. والمشهور: أنه مما اتفقت فيه اللغتان كالصابون.

.41

* وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (41) *

{مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا} بفتح

الميم الأولى مع الإمالة، وبضم الميم الثانية، مصدران من جَرَى وأرسى؛ أي باسم الله جَرْيها وإرساؤها.

.42

*وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) *

{فِي مَوْجٍ} الموجُ: ما ارتفع من ماء البحر عند اضطرابه. وأصله: من ماج يموج إذا اضطرب.

.43

* قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) *

{سَآوِي} سألتجيء وأستند. {لَا عَاصِمَ} لا مانع ولا حافظ.

.44

*وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44) *

{بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .. } القول في هذه الآية مجازٌ عن تعلق القدرة بزوال الماء و بهلاكهم، كما قيل في قوله تعالى: { .. يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)} [البقره]. {وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي} أمسكي عن إرسال المطر، يقال: أقلع عن عمله إقلاعا، كف عنه. وأقلعت عنه الحمى إذا تركته. {وَغِيضَ الْمَاءُ} نقص، يقال: غاض الماء يغيض قل ونضَب. {الْجُودِيِّ} جبل بالمَوْصل. {بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} هلاكا لهم. يقال: بَعُد بُعْدا، بمعنى هلك: قال تعالى: { ... أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (95)} [هود] أي ألا هلاكا لمدين كما هلكت ثمود. وبعض العرب يقول في المكان: بَعُدَ – بالضم، وفي الهلاك: بَعِد – بالكسر، ويذهب إلى أن استعمال المضموم في الهلاك مجاز. ومثله يقال في قوله تعالى: {ألا بُعداً لِعاد} [ايه 60 من هذه السورة]، وقوله تعالى: {ألا بعداً لثمود} [آيه 68 من هذه السورة].

.45

* وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) *

.46

*قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) *

.47

* قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (47) *

.48

* قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48) *

{وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ} خيرات ونِعم ثابتة عليك. جمع بركة، وهي ثبوت الخير ونماؤه وزيادته. واشتقاقها من البَرْك وهو صدر البعير. يقال: بَرَك البعير، إذا ألقى بَرْكه على الأرض

وثبت. ومنه البِركة، لثبوت الماء فيها.

.49

*تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49) *

.50

* وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (50) *

{وَإِلَى عَادٍ .. } [آية 65 الأعراف].

.51

*يَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51) *

{فَطَرَنِي} خلقني وأبدعني. يقال: فطرَ الأمر، ابتدأه وأنشأه. فطر الله الخلق: خلقهم. وأصل الفَطْرِ: الشق، ثم استعمل في الخلق والإبداع مجازاً.

.52

* وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52) *

{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} يُنزل المطر عليكم كثيرَ الدُّرور والتتابع من غير إضرار وكانوا قد مُنعوه سنين. [آية 6 الأنعام].

.53

*قَالُوا يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (53) *

.54

*إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (54) *

{اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} أصابك بعض أصنامنا بجنون وخبل لِسَّبك إياها. يقال: عَراه الأمر واعتراه بمعنى أصابه. وأصله من قولهم: عراه يَعْروه، أي غَشِيه طالباً معروفه، كاعتراه.

.55

* مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55) *

{فَكِيدُونِي} فاحتالوا في كيدي وضري. {ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ} لا تمهلوني بكيدكم، بل عاجلوني بالعقوبة؛ من الأنظار بمعنى الإمهال. قال ذلك لِعظم وثوقه بحفظ الله له، وصونه من كيْد أعدائه.

.56

*إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56) *

{آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} مالكها وقاهرٌ لها. والأخذ: التناول بالقهر. والناصية: منبت الشّعر في مقدم الرأس، ويطلق على الشعر النابت نفسه. والكلام كناية أو مجاز عن القهر والغَلَبة، وإن لم يكن هناك أخذ بالناصية. والعرب إذا وصفوا إنسانا بالذلة والخضوع لغيره قالوا: ما ناصية فلان إلا بيد فلان، أي أنه في قبضته يصرفه كيف شاء.

.57

*فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (57) *

{حَفِيظٌ} رقيب مهيمن.

.58

*وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (58) *

{جَاءَ أَمْرُنَا} نزل عذابنا وهو الريح، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20)} [القمر]. {عَذَابٍ غَلِيظٍ} شديد

مضاعف، هو عذاب الآخرة.

.59

*وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (59) *

{وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} أي اتبع سِفْلتُهم رؤساءهم. والجبار: المتعاظم المتكبر على العباد، المترفع عن قبول الحق. والعنيد: المعانِد الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه. يقال: عَنَد عن الحق – من باب نَصَر وضَرب وكرم – عُنُودا، إذا خالفه ورده عارفا به؛ فهو عنيدٌ وعانِدٌ.

.60

*وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (60) *

{أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ} هلاكاً لهم [آية 44 من هذه السورة].

.61

*وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61) *

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [آية: 73 الأعراف]. {وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} جعلكم عمارها و سُكَّانها. يقال: أعْمَره المكان واستعمره،، جعله يَعْمُره. وأصله من العمارة ضد الخراب.

.62

*قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (62) *

{مُرِيبٍ} مَوقِع في الريبة أي القلق والاضطراب،، اسم فاعل من أراب. يقال. أربتُه فأنا أريبه،: إذا فعلت به فعلا يوجب لديه الرِّيبة. أو مُريب بمعني ذي ريبة؛ من أراب اللازم، أي صار ذا ريبة.

.63

*قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (63) *

{غَيْرَ تَخْسِيرٍ} غير أن تجعلوني خاسرا هالكا بإبطال أعمالي، والتعرُّض لعذاب الله. وسخطه. يقال: خسره تخسيرا، أهلكه.

.64

* وَيَاقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (64) *

{هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً} معجزة دالة على صدقي في الرسالة.

.65

*فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (65) *

{فَعَقَرُوهَا} فنحروها [آية 77 الأعراف].

.66

*فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (66) *

.67

* وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (67) *

{وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ} آية 78 الأعراف] من الصياح، وهو الصوت الشديد. يقال: صاح إذا صوّت بقوة. وأصل ذلك تشقيق الصَّوت؛ من قولهم:. انْصاح الخشب أو الثوب. إذا انشق فسمع منه صوت.

{فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ

جَاثِمِينَ [آية 78 الأعراف].

.68

*كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (68) *

{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا} كأن لم يلبثوا فيها أصلاً [آية 92 الأعراف]. {أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ} هلاكاً لهم [آية 44 من هذه السورة].

.69

*وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) *

{قَالُوا سَلَامًا} أي نسلِّم عليك سلاما. {قَالَ سَلَامٌ} أي سلام عليكم. {بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} مشوي على الحجارة المُحماة في حفرة من الأرض؛ وهو من صنع أهل البادية. يقال: حَنَذ الشاة يحنِذُها حَنْذا، شواها بهذه الطريقة؛ فهي حنيذ.

.70

* فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70) *

{نَكِرَهُمْ} أنكرهم ونَفَر منهم. تقول: نكرته أنكُره نكراً ونُكورا، وأنكرته واستنكرته، إذا وجدته على غير ما تعهد فنَفرت منه. {وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} أضمر من جهتهم خوفاً وفزعا. وأصل الوَجْس: الصوت الخفي. والإيجاس:

وجوده في النفس، أريد به الفزَع الذي يقع في القلب من صوت أو غيره.

.71

*وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) *

{فَضَحِكَتْ} سرورا بزوال الخيفة عن إبراهيم وعنها؛ اثر قول الملائكة: {إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ}.

.72

*قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) *

{يَاوَيْلَتَا} كلمه أرادت بها التعجب، لا الدعاء على نفسها بالويل والهلاك. وهي كثيرة في أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يتعجبن منه.

.73

* قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73) *

{إِنَّهُ حَمِيدٌ} محمود في أفعاله. {مَجِيدٌ} كثير الخير والإحسان. أو ذو الشرف والكرم. والمَجْد: السَّعة في الكرم والجلال. يقال: مَجَد – كنَصر وكَرُم – مجدا ومجادة، أي كَرُم وشرُف. وأمجده ومجده: عظمه وأثنى عليه. وأصله من مَجَدت الإبل وأمجدَتْ: إذا وقعت في مرعى كثير واسع.

.74

*فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) *

{الرَّوْعُ} بفتح الراء: الخَوْف والفزع. يقال: راعه أي أفزعه، كروَّعه.

.75

*إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) *

{لَحَلِيمٌ} متأن غير

عجول {أَوَّاهٌ} [آية 114 التوبة] {مُنِيبٌ} راجع إلى الله سبحانه.

.76

* يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76) *

.77

* وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) *

{سِيءَ بِهِمْ} أي ساءه وأحزنه حضورهم؛ لاعتقاده أنهم أناس، فخاف أن يقصدهم قومه بالسوء وهو عاجز عن مدافعتهم. {وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} نَفِد طاقة ووسعاً بسببهم؛ فلم يجد من ذلك المكروه مخلصاً. والذرعُ في الأصل: مصدرُ ذَرَع البعير بيديه يذرع، إذا سار مادًّا خطوه. مأخوذٌ من الذراع، وهو العضو المعروف؛ فإذا حمل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعُه عنه وضعف ومَدّ عنقه، فجعل ضيق الذرع كناية عن نفاد الوسع والطاقة، فيقال: ضاق به ذرعا، إذا لم يُطقه ولم يقدر عليه و (ذرعًا) تمييز مُحوَّل عن الفاعل، أي ضاق بأمرهم ذرعُه.

{يَوْمٌ عَصِيبٌ} شديد شرُّه، عظيم بلاؤه، من العَصب وهو الشدُّ، كأنهُ لشدة شره قد عُصِب به الشر والبلاء؛ أي شُد به.

.78

*وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78) *

{يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ} أي يسوق بعضهم بعضا إليه من شدة فرحهم. يقال: هُرِع الرجل وأهرع، إذا أُعجل. {هَؤُلَاءِ بَنَاتِي} يُرشدهم إلى نسائهم. وأضافه إلى نفسه لأن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية. {وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي} ولا تفضحوني وتذلوني في أضيافي؛ من الخزي [آية 85 البقرة].

.79

* قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (79) *

وقولهم: {مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ} أي قد علمت أنا لا أَرَبَ لنا في النساء، وما لنا فيهن كبير حاجة.

.80

* قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (80) *

{أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} أو أني ألجأ وأنضوي إلى عشيرة قويةٍ تمنعني منكم. تقول: أوَيْت إليك فأنا آوي إليك أُويا، بمعنى صرت إليك وانضممت. وإنما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه نسبا. بل كان غريبا فيهم. وجواب (لا) محذوف، أي لمنعتكم بالقوة.

.81

* قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) *

{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ .. } بقَطْع الهمزة ووصلِها؛ من أسرى وسَرى، ومعناهما: السير ليلا. وقيل: أسرى سار أول الليل. وسرى سار آخرَه. والقِطْع: الطائفة من الليل. أو ظلمة آخره.

.82

*فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) *

{جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا}

أي قلبنا قراهم، وكانت عند حمص ببلاد الشام، وأكبرها سدُوم، وهي المؤتفكات المذكورة في سورة التوبة. {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا} وأمطرنا على هذه القُرى بعد قلبها {حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} وهو حجر وطين مختلِط: وهو لفظ عربيٌ بطلق على كل شديد صُلب. وقيل مُعَّرب. {مَنْضُودٍ} متتابع في النزول؛ من النَّضد، وهو وضع الشيء بعضه على بعض. يقال: نَضَد متاعه يَنضده، جعل بعضه فوق بعض، كنضده؛ فهو منضود ونضيد ومنضَّد.

.83

*مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (83) *
{مُسَوَّمَةً} مُعَلّمة في حكم الله بسما تتميز بها عن حجارة الأرض. وقد عُذب بها أصحاب الفيل.
.84
* وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (84) *
{وَإِلَى مَدْيَنَ} [آية 85 الأعراف]
{وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ} أي آلتَي الكيل والوزن، لا عند الأخذ ولا عند الإعطاء، فلاتُعطوا غيركم ناقصا، ولا تزيدوا عن حقكم فيما تأخذونه؛ فيكون نقصا من مال غيركم. {أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ} بسعة تغنيكم عن التطفيف {يَوْمٍ مُحِيطٍ} مهلك.
.85
*وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (85) *
{بِالْقِسْطِ} بالعدل بلا زيادة ولا نقصان. {وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ .. } ولا تنقصوهم مما استحقوه شيئا. وهو تعميم بعد تخصيص؛ ليشمل غير المكيل والموزون، كالمذروع والمعدود. ويشمل الجودة والرداءة. يقال: بخسه حقه، إذا نقصه. {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ .. } لا تسعوا في الأرض مفسدين. [آية 60 البقرة] وقد كانوا يقطعون الطريق على
السابلة.
.86
* بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (86) *
{بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ} أي ما أبقي الله لكم من الحلال، بعد إيفاء الحقوق بالعدل – خير لكم مما تأخذونه بالحرام. اسمُ مَصدر
من بقيَ ضد فَنيَ. {بِحَفِيظٍ} برقيب فأجازيكم بأعمالكم.
.87
* قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87) *
{أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ} كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة، وكانوا يستهزئون به لذلك ويتضاحكون فقالوا له ذلك. {أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا .. } أي وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا من التطفيف وغيره. فهو عطف على (ما) في قوله: {مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا}. و (أو) بمعنى الواو. {إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} وصفوه بذلك تهكُّماً وسُخريةً.

.88
* قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ

أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88) *

{أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ} أي أخبروني. وجواب الشرط محذوف، تقديره: فهل يسعُني مع هذا الإنعام العظيم أن أخون في وَحْيه، أو أخالفه في أمره ونهيه؛ {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ .. } أي ما أريد بنهيي إياكم عن البخس والتطفيف أن أنهاكم عنه ثم أفعله! وإنما أختار لكم ما أختار لنفسي. يقال: خالفني فلان إلى كذا، إذا قصده وأنت مُوَّل عنه: وخالفني عنه: إذا ولَّى عنه وأنت تقصده.

{وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} أرجع في كل أموري لا إلى غيره.

.89

*وَيَاقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (89) *

{لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي} لا تكسبكم معاداتي أن يصيبكم مثل ما أصاب أسلافكم المكذبين. [آية 2 المائدة].

.90

*وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (90) *

.91

* قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (91) *

{رَهْطُكَ} الرهط: اسم جمع، يطلقُ في المشهور على العصابة دون العشرة من الرجال ليس فيهم أمرأة. ورهطُ الرجل: قومه وقبيلته الأقربون.

.92

*قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (92) *

{وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا} نبذتم أمر الله وراء ظهوركم، وتركتموه كالشيء الملقي الذي لا يلتفت إليه. والظِّهريُّ: نسبة إلى الظهر؛ وأصله المُرمى إلى الظهر، وكسر الظاء فيه من تغييرات النسب، ثم توسعوا فيه فاستعملوه للمنسي المتروك.

.93

*وَيَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (93) *

{اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ} على غاية تمكنكم من أمركم، وأقصى استطاعتكم [آية 135 الأنعام].

{ارْتَقِبُوا} انتظروا العاقبة والمآل.

.94

* وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ

جَاثِمِينَ (94) *

{وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ} [آية 76 هذه السورة

و 78، 91 الأعراف]. {جَاثِمِينَ} هامدين ميتين لا يتحركون.

.95

*كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (95) *

{لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} لم يقيموا فيها طويلا في رغد {أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ} [آية 44 هذه السورة]. {بَعِدَتْ ثَمُودُ} هلكت من قبل.

.96

*كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (95) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (96) *

{وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ} برهان بين على صدق رسالته.

.97

*إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (97) *

.98

*يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (98) *

{يَقْدُمُ قَوْمَهُ} يتقدمهم ويقودهم إلى النار، كما قادهم في الدنيا إلى الكفر والضلال؛ من قَدَمَ يقدُم قُدما وقُدوما، أي تقدم. {فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ} أدخلهم فيها بكفره وكفرهم. {الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} المدخل المدخول فيه وهو النار.

.99

*وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (99) *

{بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ} الرِّفد: العطاء. يقال: رفَده يرْفِده رَفدا، أعطاه. والرِّفد – بالكسر: اسم منه – وأصله ما يضاف إليه غيره ليَعْمَده ويُقيمه؛ ومنه رَفَد الحائط: دعمه. وقد لُعِنوا في الدنيا ولُعنوا في الآخرة. أي بئس العطاء المعطى لهم تلك اللعنة المضاعفة. وسُمِّيت اللعنه رِفدا تَهكما بهم.

.100

* ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (100) *

{وَحَصِيدٌ} أي ومن القرى ما عفا أثره؛ كالزرع المحصود بالمناجل. من قولهم: زرع حصيد، إذا كان قد استؤصل بقطعه.

.101

*وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (101) *

{غَيْرَ تَتْبِيبٍ} غير تخسير وأهلاك. والتَبُّ والتَّباب والتتبيب: النقص والخسارة. يقال: تبت يداه أي خسرتا. وهو كناية عن الهلاك.

.102

* وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102) *

.103

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (103) *

.104

وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (104) *

.105

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105) *

.106

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) *

{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا} وهم الكفار، كما أن الذين {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا}

هم المؤمنون: مطيعين

وعصاةً. {زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} الزَّفيرُ: إخراج النفس من الصدر من شدة الحزن. مأخوه من الزِّفر بالكسر – وهو الحمل على الظهر لشدته. والشهيقُ: رد النَّفس إلى الصدر. والمراد بها الدلالة على شدة كربهم وغمِّهم.

.107

* خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107) *

{مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} أي مدة دوامهما والمقصود التأبيدُ ونفي الانقطاع؛ على حد قول العرب: لا أفعل كذا ما اختلف الليلُ والنهار، أو مالاح كوكبٌ. {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} نقل ابن عطية أنه على طريق الاستثناء الذي ندب إليه الشرع في كل كلام؛ فهو على حدِّ: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [آيه 27 الفتح]. وهذا الاستثناء في معنى الشرط؛ كأنه قيل: إن شاء ربك؛ فلا يوصف بمتصل، أو منقطع. والنكتة فيه: إرشاد العباد إلى تفويض جميع الأمور إليه جل شأنه، وإعلامهم بأنها منوطة بمشيئته، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا حق لأحد عليه، ولا يجب عليه شيء؛ كما قال تعالى: {رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}. وقيل: (إلا): حرف عطف بمعنى الواو، والمعنى:

وما شاء ربك زائدا على ذلك. والمراد: إفادة التأبيد والدوام.

.108

*وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108) *

{عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} غير مقطوع. عنهم يقال: جَذَّه يجُذُّه جذا، كسره وقطعه؛ ومنه الجُذاذ – بضم الجيم. وكسرها. لِما تكسر من الشيء. والضمُّ أفصح، قال تعالى: {فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58)} [الانبياء].

.109

*فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (109) *

{فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ} أي في شك من عبادة هؤلاء المشركين أنها ضلال مؤد إلى مثل ما حل بمن قبلهم من أمثالهم الضالين. وقوله {مِمَّا يَعْبُدُ} ما: مصدرية.

.110

*وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (110) *

{وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} أي وإن هؤلاء المكذبين لفي شك من القرآن أو من العذاب موقعٍ في الرِّيبة. أو ذي ريبة [آية 62 من هذه السورة].

.111

*وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (111) *

{وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ} قرئ بتشديد (إنَّ) و (لَمّا). وقد قيل في إعرابها: إن (كُلاًّ) اسم (إنَّ).واللام في (لمّا) هي الداخلة في خبر (إنَّ). وما بعد اللام هو (مِن) الجارة: و (ما) الموصولة أو الموصوفة المراد بها هنا من يعقل. فقُلبت النون ميما للإدغام، فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت واحدة منها للتخفيف. فصارت (لَمّا). والجار والمجرور خبر (إن)؛ وجمله (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) – وهي قسَم وجوابه – صلة أو صفة لـ (ما). . والمعنى: وإن كلا لمِنَ الذين أو لِمنْ خَلْقٍ والله لَيُوَفِّيَنَّهُمْ جزاء أعمالهم.

.112

* فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112) *

{فَاسْتَقِمْ} أي ألزم النهج المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط أنت ومن أمن معك كما أمر الله تعالى.

{وَلَا تَطْغَوْا} أي لا تجاوزوا ما حدد لكم بإفراط أو تفريط.

.113

* وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (113) *

{وَلَا تَرْكَنُوا} أي لا تميلوا {إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} أنفسهم بشرك أو معصية. يقال: ركن إليه – كَنصر وعَلِم ونَفَع – إذا اعتمد عليه. ويستثنى من ذلك للضرورة: صحبة الظالم على التَّقية مع حرمة الميل القلبي إليه.

.114

*وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114) *
{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} أي أدِّ الصلاة المكتوبة على تمامها في طرفي النهار، وهما الغداة والعَشي. وصلاة الغداة: الصبح. وصلاة العشي – وهو من الزوال إلى الغروب –: الظهر والعصر. {وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ} أي طائفة من أوّله. وهي صلاتا المغرب والعشاء: جمع زلفة، كغُرف وغرفة. {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} إن الأعمال الحسنة – كالصلاة والصدقة والاستغفار ونحوها من أعمال البر. وكالعزم على اجتناب الكبيرة – يكفِّرْن السيئات ويذهبن المؤاخذة عليها. والمراد بها: الذنوب الصغائر، لأن الكبائر تكفرها التوبة {ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} عظة للمتعظين.

.115

*وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (115) *

.116

*فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (116) *
{مِنَ الْقُرُونِ} أي من الأمم الماضية {أُولُو بَقِيَّةٍ} ذوو خصلة باقية من العقل. أو ذوو فضل. وأصل البقية: ما يصطفيه الإنسان لنفسه و يدخره لينتفع به؛ ومنه فلان من بقية القوم، أي من خيارهم. والمراد: أنه لم يكن منهم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا ما استثنى. {مَا أُتْرِفُوا} ما أنعموا فيه من الثروة والعيش الهنيء. والشهوات العاجلة؛ فبطروا النعمة واستكبروا وكفروا بالله. أو فَسَقوا عن أمره؛ من التُّرفة وهي النَّعمة والطعام الطيب، والشيء الطريف تخص به

صاحبك. يقال: تَرِف– كفرح – تنعم. وأتْرَفتُه النَّعمةُ: أطغته أو نَعَّمته. والمُترفُ: المتنعم لا يمنع من تنعمِه.

.117

*وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117) *

.118

*وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) *

.119

* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119) *
{وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} أي خلق الناس مختلفين، بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل؛ ليكون فريق منهم في الجنة وفريق في السعير. أو لِرَحمته خِلَق مَنْ خلق. {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ} وجب حكمه وقضاؤه الأزلي.

.120

*وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120) *

.121

* وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121) *

{عَلَى مَكَانَتِكُمْ} على حالتكم التي أنتم عليها وهي الكفر، والأمر للتهديد. [آية 93 من هذه السورة].

.122

*وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122) *

.123

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123) *

والله أعلم.

سورة يوسف

.1

*الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) *

.2

*إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

(2) *

.3

* نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3) *

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} نُبين لك قصة يوسف ابن يعقوب عليهما السلام أحسن البيان وإن كانت من قبل ذلك لم تقرع سمعك. يقال: قَصَّ عليه الخبر. أعلمه إياه. واقتص الحديث: رواه على وجهه. وأصله من قولهم: قَصَّ الأثر قصًّا وقصصا، تتبعه.

.4

* إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) *

{يَاأَبَتِ} أصله يا أبي، فحُذفت الياء، وعوض عنها تا التأنيث اللفظي، ونُقلت إليها كسرة الباء، ثم فُتحت الباء على القاعدة في فتح ما قبل تاء التأنيث.

.5

*قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5) *

{فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} فيحتالوا في هلاكك احتيالاً خفيا لا قبل لك بدفعه. و (كاد) يتعدى بنفسه فيقال: كاده ه يكيده كيدا، إذا احتال لإهلاكه. ولتضمُّنه معنى احتالَ عُديَّ بالام.

.6

*وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6) *

{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ} أي كما اجتباك هذه الرؤيا الحسنة يجتبيك لأمور عظام. والاجتباءُ: الاصطفاء والاختيار. {وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} أي وهو يعلمك تعبير الرؤيا. وهو علم ما تَئول إليه؛ من الأَوْل وهو الرجوع.

.7

* لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) *

{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ .. } سأل اليهودُ النبي صلى الله عليه

وسلم عن قصة يوسف: فنزلت هذه السورة جملة واحده فيها كل ما في التوراة من القصة وزيادة؛ فكان ذلك آية له صلى الله عليه وسلم دالة على صدقه. وفيها من العبر الكثيرة ما لا غنى عنه للناس.

.8

*إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) *

{وَنَحْنُ عُصْبَةٌ} جماعة قادرون على خدمته دون يوسف وأخيه. والعُصبَة: ما بين العشرة إلى الأربعين كالعصابة؛ من العصب وهو الشدُّ؛ لأن كل واحد منها يشدُّ الآخر ويعضُده. أو لأن الأمور تعصب بهم: أي تشتد فتقوى. {ضَلَالٍ مُبِينٍ} خطأ ظاهر بإيثارهما علينا بالمحبة. مع فضلنا عليهما. وكونهما بمعزل عن كفاية الأمور؛ ولم يريدوا الخطأ في الدين. وأصل الضلال: الميل عن المنهج السويِّ. يقال: ضلَّ يضلُّ. إذا خفيَ وغاب وضاع.

.9

* اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) *

{اطْرَحُوهُ أَرْضًا} ألقوه في أرض بعيدة عن أبيه. {يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ} تخلصُ لكم محبةُ أبيكم دون أن يشارككم فيها أحد؛ فيقبل عليكم بكليته. يقال: خلا المكان يخلو خُلوًّا وخلاء، فرغَ. ومكانٌ خلاء: ليس به أحد.

.10

*قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10) *

{وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ} في قعر الجب حيث يغيب خبرُه. والجُبُّ: البئرُ التي لم تُطوَ– لم تُبن بالحجارة – وجمعه أجبابٌ وجباب وجَبَة، وسُمِّيتْ جُبًّا لأنها قطعت في الأرض قطعا. والغيابة: غور الجب وما غاب منه عن الأعين وأظلم من أسفله.

{يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ} أي المارة من المسافرين: فيذهب به إلى ناحية بعيدة فتستريحون منه. جمع سَيَّار. وهو المبالغ في السير.

.11

قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) *

.12

*أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) *
{يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ} يتسع في أكل الفواكه ونحوها. ويلهو

بالاستباق والانتضال ونحوهما. من الرّتع، وهو الاتساع في الملاذ والتنعُّم في العيش؛ وفعله كمنع. ومنه للاتساع في الخصب: الرّتعةُ.

.13

*قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) *

.14

* قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) *

.15

*فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) *

{وَأَجْمَعُوا} عزموا عَزْماً قويا. يقال: أجمعت السير والأمر وأجمعت عليه: عزمت عليه. {أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ} وهو بئر على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب عليه السلام. {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ} أي بطريق الإلهام، أو مبشرات الرؤيا، أو بإرسال جبريل عليه السلام. وكان ذلك قبل بلوغه الحُلم – على الأرجح – تطمينا له، وليس استنباءً.

.16

* وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16) *

.17

* قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) *

{نَسْتَبِقُ} نتسابق في الرمي بالسِّهام، أو على الخيل أو على الأقدام، يقال:. استبقا، أي تسابقا حتى ينظر أيهما أسبق.

.18

*وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18) *
{سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} زينت وسهلت لكم أنفسكم أمرا عظيما في يوسف فعلتُموه: من التَّسويل، وهو تزيين النفس لما تحرص عليه، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن. {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} فصبري صبرٌ جميل، وهو ما لاشكوى فيه لأحد غير الله تعالى.

.19

*وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) *

{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ} مسافرون من جهة مدين إلى مصر {فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ} وهو الذي يتقدم القوم فَيَردُ المَنْهل ويستقي لهم. ويقع على الواحد وعلى الجماعة. ويقال لكل من يرد الماء: وارد، وللماء مورود. {فَأَدْلَى دَلْوَهُ} فأرسلها إلى الجب ليستخرج الماء منه؛ فتعلق بها يوسف، فلما خرج فرح الوارد وقال: {يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ} يقال: أدلى دلوه يدليها في البئر، إذا أرسلها فيها يملأها، فإذا نزعها وأخرجها ملأى قيل: دَلا الدلو يدلوها، من باب عدا. والدَّلو: التي يستقى بها تؤنث وتذكر. {وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً} أي أخفى

الوارد وأصحابه أمره عن باقي الرفقة؛ مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبره، وقالوا لهم: قد دفعه إلينا أهل هذا الماء بضاعة لنبيعه لهم بمصر. من الإسرار، ضد الإعلان. والبضاعة: القطعة من المال تتخذ للتجارة؛ من البَضع وهو القطع، وأصلهُ جملة من اللحم تُبضع أي تقطع. ولما علم اخوة يوسف بأمره أتوا الوارد وأصحابه وقالوا: إنه عبد آبق منا، فاشتروه منهم بثمن ناقص زها فيه لكونه معيبا.

.20

* وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20) *

{وَشَرَوْهُ} باعه إخوته. أو السيارة. {بَخْسٍ} أي نقص بمعنى ناقص أو منقوص؛ مصدر بَخَسه يبخَسه بخساً، نقصه أو عابه.

.21

* وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) *

{أَكْرِمِي مَثْوَاهُ} ولما اشترى العزيزُ– الذي كان على خزائن مصر من قبل ملكها يومئذ – يوسف من السيارة قال لزوجته زليخا: اجعلي منزله ومقامه عندنا حَسَنا مرضيا (آية 151 آل عمران]. {غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} لا يقهره شيء، ولا يدفعه عنه أحد.

.22

*وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) *

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} منتهى شدتَه وقوته، وذلك بتمام خلقه واستكمال عقله [آية 152 الأنعام]. وفي سنّه التي بلغ فيها أشده أقوال. {آتَيْنَاهُ حُكْمًا} أي حكمةً، وهي الإصابة في القول والعمل. أو هي النبوة. {وَعِلْمًا} أي فقها في

الدين. أو علم تعبير الرؤيا.

.23

*وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ

لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) *

{وَرَاوَدَتْهُ .. } المراوده مفاعلة من الرويد، وهو الرفق والتَّمحُّل، وتعديتها بـ (عن) لتضمنها معنى المخادعة. أي دَعته امرأة العزيز إلى نفسها، وفعلت معه فعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد أن يخرجه من يَده، وهو يحتال أن يأخذه منه؛ فكان منها الطلب، وكان منه الإباء خوفا من الله تعالى. وقيل: إن المفاعلة من جانب واحد؛ على حد قولهم: مماطلة المدين، ومداواة المريض، ونظائرهما. {هَيْتَ لَكَ} اسم فعل بمعنى هَلُم، أي تعال وأقبل وأسرع ونحوه، ويدلُ على الحث والإقبال على الشئ. وقيل: هي لفظة معرَّبة، أو من الألفاظ التي اتفقت فيها اللغات. واللام في (لَك) لتبيين المخاطب؛ كما في: سَقْيّا لك، ورَعْيّا لك. وهي مُتعلقة بمحذوف؛ كأنها تقول: أقول لك، أو الخطاب لك. {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ} أعوذ بالله معاذا مما تريدين مني! أي أعتصم بالله وأستجير به، وألتجئ إليه التجاءً في دفع ذلك عنّي. وهو منصوب على المصدر بفعل محذوف.

.24

* وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) *

{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا .. } الهمُّ: المقاربة من الفعل من غير دخول فيه. ولا خلاف في أن هَمَّها كان بالمعصية، وكان عَزْما وجزما، ولا في أن يوسف عليه السلام لم يأت بفاحشة، وأن الله برأه منها وأنطق المرأة ببراءته، وأن همَّه عليه السلام كان مجرد خاطرة قلب بمقتضى الطبيعة البشرية، من غير جَزْم وعزم. وذلك لا يَدخل

تحت التكليف، ولا يخل بمقام النبوة، كالصائم يرى الماء البارد في اليوم الحار فتميل نفسه إليه ولكن يمنعه منه دينه، فلا يؤاخذ – بهذا الميل. وقوله تعالى: {لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} أي لولا مشاهدته البرهان الإلهي على شناعة المعصية لجرى على موجب ميله الجِبلِّي، لكنه لمشاهدته البرهان استمر على ما هو عليه من الطهارة وإباء المعصية. ولذا قيل: الهَمُّ همَّان: هم ثابت وهو ما كان معه عزم وعقد ورضا، مثل هم امرأة العزيز. وهمٌّ عارض، وهو الخَطْرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم؛ مثل هم يوسف. وقد عصمه الله وصرف عنه السوء والفحشاء؛ كيف وهو من عباد الله المخلصين؟. وقيل: إنه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه بالقوة وكاد، لولا أن أراه الله أنه لو فعل ذلك لفعلت معه ما يوجب هلاكه؛ فكان في الامتناع عنه صون نفسِه من الهلاك، فربما تعلقت به فتمزق ثوبه من قدام، وكان في علم الله أن الشاهد يشهد بأن تمزيقه من الأمام دليل جنايته، وتمزيقه من الخلف دليل جنايتها وبراءته. فلا جرم لم
يشتغل بدفعها بالقوة وفَر عنها هاربا، حتى صارت الشهادة حجة له على براءته. فلم يقع منه همٌّ بالفاحشة، وإنما وقع منه الهم بدفع امرأة العزيز عن نفسه، ولم يحصل الدفع بالفعل لرؤيته برهان ربه. وفي البحر: أنه لم يقع منه هم ألبتة، بل هو منفى لوجود رؤية البرهان، وهو نظير قولك: قارفتَ الذنب لولا أن عصمك الله.
وجواب (لولا) محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ أي لولا أن رأى البرهان لهمَّ بها، أي أن الهم كان يوجد لو لم ير

برهان ربه، لكنه رآه فانتفى الهمُّ {الْمُخْلَصِينَ} المختارين لطاعته أو لرسالته.

.25

*وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) *

{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ} تسابقا إليه، يقصد هو الفرار من الفاحشة، وتقصد هي منعه منه لتقضي حاجتها منه، والتسابق والمسابقة بمعنى واحد. {وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} شَقَته؛ من القد وهو القطع والشق، وأكثر ما يستعمل فيما كان طولا، وهو المراد هنا، لأنها جذبته من وراء، فانخرق القميص إلى أسفله. {وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا} وجدا زوجها.

.26

*قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) *

{وَشَهِدَ شَاهِدٌ} صبي في المهد أنطقه الله ببراءته.

.27

*وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) *

.28

* فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) *

.29

* يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29) *

.30

* وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (30) *

{قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا} أصاب حبها إياه شَغَاف قلبها، حتى غلب عليه وتمكن منه. والشغاف: سُويداء القلب، أو حِجابُه وغلافُه الذي هو فيه. يقال: شَغَفَ الهوى

قلبه شغَفًا من باب نفع – بلغ شغافَه. والاسم الشَّغف و (حُبًّا) تمييز محوَل عن الفاعل، والأصل: شغفها حبُّها إياه.

.31

*فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) *

{فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ} باغتيابهن إياها وسوء مقالتهن فيها. وسمى ذلك مكرا لشبهه به في الإخفاء. {وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً .. } هيأت لهن في مجلسها ما يتكِن عليه من النمارق والوسائد؛ اسم مفعول، من الأتكاء وهو الميل إلى أحد الشقين في الجلوس كعادة المترفين. وأحضرت لهن طعاما يقطع بالسكين عند أكله، وآتت كل واحدة

منهن سكينا، فلما رأين يوسف {أَكْبَرْنَهُ} أي أعظمنه، ودهشن عند رؤيته من فرط جماله. يقال: أكبر الشيء، رآه كبيرا وعظُم عنده. وكبَّر الشيء: جعله كبيرا؛ من الكبر بمعنى العِظم. {وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} خدشنها وحززْنها بما في أيديهن من السكاكين؛ ولم يشعرن لافتتانهنَّ به. يقال إذا
خدش الإنسان يد صاحبه: قطع يده. {حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا} معاذ الله أن يكون هذا بشرا! أو جانب يوسف ما قُرِف به لله؛ أي لأجل مخافة الله ومراقبته. والمراد تنزيهه وبُعده؛ كأنه صار في جانب ما اتهم به لما رأوه من آثار العصمة وجلال النبوة عليه. ف (حاش) فعل ماض، واللام في (لله) للتعليل. وقيل: هو اسم فعل بمعنى برئ الله من كل سوء. أو تنزيها لله سبحانه عن صفات التقصير والعجز عن خلق مثله؛ وفيه معنى التعجب من قدرته تعالى مثل هذا الصنيع البديع.

.32

*قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (32) *

{فَاسْتَعْصَمَ} فامتنع امتناعا بليغاً، وتحفظ تحفظا شديدا عما طلبه منه؛ من العِصمة وهي المنع. يقال: عصمه الطعام، منعه من الجوع. وعَصَم القِربة: شدها بالعصام. واعتصم بالله: امتنع بلطفه من المعصية.

.33

* قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) *

{أَصْبُ إِلَيْهِنَّ} أمِل إليهن وأمالِتْهُنَّ على ما يُردن مني بحكم الميل الطبيعي والشهوة البشرية؛ من الصَّبوة، وهي الميل إلى الهوى. يقال: صبا يصبُو صُبوا وصَبوة، إذا مال؛ ومنه الصَّبا للريح المعروفة، لميل النفوس إليها لطيب نسيمها ورَوْحها.

.34

*فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34) *

.35

* ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (35) *

.36

* وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36) *

{أَعْصِرُ خَمْرًا} عنبا يؤول لخمر أسقية الملك.

.37

*قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) *

{لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ .. } وعدهما بإخبارهما بكل طعام يأتيهما قبل إتيانه بطريق الكشف بنور النبوة، لأجل أن يعلما صدقه فيمتثلا دعاءه لهما إلى التوحيد. وهذه معجزة له كمعجزة عيسى حيث قال: {وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ} [49 آل عمران]. {ذَلِكُمَا} التأويل والاخبار بما يأتي.

.38

*وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) *

.39

* يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) *

.40

* مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40) *

{الدِّينُ الْقَيِّمُ} المستقيم، أو الثابت بالبراهين.

.41

*يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41) *

.42

* وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42) *

{فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ .. } أنسى الشيطان ذلك الناجي ذكر يوسف عند سيده {بِضْعَ سِنِينَ} البِضْعُ – بالكسر وبفتح –: ما بين الثلاث إلى التسع أو السَّبع؛ من البَضْع بمعنى القطع والشق. يقال: بضعت الشيء، أي قطعته.

.43

*وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) *

{يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ} مهزولة والعَجَف – بفتحتين: ذهاب السِّمن وهو أعجف وهي عَجْفاء. وقد عَجُف – كفرِح وكرُم –: ذَهب سمنه. {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} أي إن كنتم تعبرون الرؤيا، أي تعلمون تعبيرها علما مستمرا؛ من العبور وهو المجاوزة. يقال: عبر الرؤيا يَعْبُرُها عَبْرا وعبارة وعبَّرها: فسرها وأوّلها: أي ذكر عاقبتها وآخر أمرها. وعَبَرت النهر عَبْرا وعبورا، إذا قطعته وجاوزته. واللام لتقوية الفعل بعدها.

.44

*قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) *
{أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ} أي

هذه تخاليط أحلام ومنامات باطلة. جمع ضِغث، وأصله ما جمع من أخلاط النبات وحُزم كالحزمة من الكلأ، استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من أحاديث النفس ووساوس الشيطان في المنام. والأحلام جمع حُلم. وهو ما يراه النائم مما ليس بِحَسَن.

.45

*وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) *
{وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} تذكر بعد حين طويل من الزمن ما سبق له مع يوسف في السجن. وأصله اذتكرَ– بوزن افتعل – من الذكر، ودخله الإبدال. والأمة هنا: الطائفة من الزمن [آية 104 آل عمران].

.46

*يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) *

.47

* قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) *
{دَأَبًا} أي على عادتكم المستمرة في الزراعة. مصدر دأبَ على الشيء يدْأب دأباً ودأباً، أي داوم عليه ولازمه. وحاصل تعبيره: أنه أوّل البقرات السمان والسُّنبلات الخضر بسنين مخصبة، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جُمع في السنين المخصبة في السنين المُجدبة.

.48

*ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) *
{تُحْصِنُونَ} تحرزونه وتخبئونه من البذر للزراعة؛ من الإحصان، وهو جعل الشيء في الحِصْن كالأحراز. يقال: أحصن الشيء، جعله في الحصن، وهو الموضع الحصين الذي لا يوصل إلى جوفه.

.49

*ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49) *
{فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ} يُمْطرون؛ من الغيث وهو المطر. يقال: غاث الله البلاد غيثا، أنزل بها المطر. وغاث الغيث الأرض يغيثها، أصابها. أو يغاثون؛ من الغوث وهو زوال الهم والكرب. يقال: أغاثه الله إغاثة، أعانه ونصره فهو مغيث. واستغاثني فأغثته إغاثة ومَغوثة. والاسم الغَوث والغِياث. {وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} ما شأنه أن يعصر من نحو العنب والزيتون والقصب والمسم للانتفاع بما يخرج منها؛

وذلك لخصبه.

.50

*وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50) *

{مَا بَالُ النِّسْوَةِ} أي ما حالهن. والبال: الحال التي يُكتَرَث بها؛ ومنه: ما باليْت بكذا، أي ما اكترثت به.

.51

*قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) *

{قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ} ولما أخبر الرسول الملك بذلك جمعهن وقال لهنَّ: ما كان شأنُكُن وأمرُكن إذ قلتن ليوسف ما ما قلتن!؟ مصدر خَطَب يخطب؛ ومنه: هذا خطبٌ يسير، وخطب جلل، وجمعه أخبر الرسول الملك بذلك جمعهن وقال له: ما كان شأنن وأمكن إذ قلتن ليوسف ما ما قلتن!؟ مصدر خطب يخطب؛ ومنه: هذا خطبه يسير، وخطب جل، وجمعه خطوب. وخصه بعضهم بما له خَطر، وأصله الأمرُ العظيم الذي يكثر فيه التخاطب ويُخطب له. {حَاشَ لِلَّهِ} معاذ الله أن يعمل سوءًا! أو تنزيهاً لله تعالى عن أن يعجز عن خلق بشر عفيف كيوسف. {الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ} انكشف الحق وتبين بعد خفاء .. وأصله حَص؛ كما قيل: كبكبَ في كبَّ. من الحَص وهو استئصال شعر الرأس بحلق أو مرض.

.52

* ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) *

{ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي} هو من كلام يوسف عليه السلام. وقيل: هو من كلام امرأة العزيز.

.53

*وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53) *

.54

* وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) *

{مَكِينٌ} متمكن نافذُ القول لِعظم منزلتك. اسم فاعل من مَكن مكانة، إذا عَظُم وارتفع. يقال: مكنتُه من الشيء، جعلت له عليه سلطان وقدرة، فتمكن منه واستمكن، أي قدر عليه.

.55

* قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) *

{إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} حفيظ للخزائن، عليم بوجوه مصالحها. أو حفيظٌ لما تستودعني، عليمٌ بما توليني.

.56

* وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56) *

{يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ} يتخذ من أرض مصر منزلا وموطنا ينزله حيث يشاء. يقال: بوأه منزلا وفي منزل، أنزله.

.57

* وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (57) *

.58

* وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58) *

.59

* وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (59) *

{جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ} هيّأ. لهم ما هم في حاجة إليه من الطعام، وأوْقر ركائبهم به.

وأصل الجهاز – بالفتح – والكسر لغة قليلة –: ما يحتاج إليه المسافر من زاد و متاع. يقال: جهزت المسافر تجهيزاً، هيأت له جهازه؛ ومنه جهاز العروس وجهاز الميت.

.60

*فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (60) *

.61

* قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (61) *

.62

* وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (62) *

{اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ} البضاعة في الأصل: قطعة وافرة من المال تُقتنى للتجارة. والمراد بها هنا: أثمان الطعام الذي اكتالوه من مصر. والحال: الأوعية التي تحمل فيها الطعام وغيره. جمعُ رحل، وأصله ما يوضع على البعير للركوب. {لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا} لكي يعرفوها. {إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ} رجعوا إليهم {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} لتحملُهم معرفتهم إياها على الرجوع إلينا.

.63

*فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (63) *

.64

*قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (64) *

.65

* وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (65) *

{مَا نَبْغِي} أيْ أيَّ شيء نطلب من إحسان الملك الذي وصفناه لك وراء ما فعل؛ من البغاء وهو الطلب.

{وَنَمِيرُ أَهْلَنَا} نجلب لهم الميرة، وهي الطعام يجلبه الإنسان من بلد إلى بلد. يقال: مارَ عياله يَميرهم ميْرًا، وأمارهم وامتارَ لهم، بمعنى جلب لهم طعاما، وهو ميَّار. وهو معطوف على محذوف، أي نستعين بها ونمير أهلنا.

.66

* قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (66) *

{مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ} ميثاق وعهدا مؤكدا باليمين، وجمعه مواثيق ومياثيق. {لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ} أي إلا أن تهلكوا جميعا. تقول العرب: أحيط بفلان، إذا هلك أو قارب الهلاك وأصله من إحاطة العدو، واستعمل في الهلاك؛ لأن من أحاط به العدو يهلك غالبا. أو إلا أن تُغلبوا عليه فلا تطيقوا الإتيان به. {وَكِيلٌ} مطلع رقيب.

.67

*وَقَالَ يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67) *

{لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ... } نهاهم عن الدخول من باب واحد، وأمرهم بالدخول من أبواب متفرقة؛

أخذا بالسبب العادي في اتقاء الحسد. وأرشدهم إلى التوكل على الله مع ذلك؛ لأنه لا حُكم إلا له تعالى، ولا يدفع قضاءه شيء إلا أن يكون شيء قد قدره الله تعالى سبباً لمنع شيء آخر. فكل من التوكل والأخذ بالأسباب مطلوب من العبد، إلا أنه حين الأخذ بالأسباب يجزم بأن الحكم لله وحده في كل الأمور. وما الأسباب إلا أمور عادية يخلق الله عندها ما يريد، أو يمنع عندها ما يريد منعه، والله فعّال لما يريد. وقد أخبر الله تعالى أن امتثالهم أمر أبيهم ما كان يغني عنهم من الله شيئا لو سبق في قضائه إصابتهم بالعين؛ ولكن شفقة يعقوب حملته على وصيتهم بما ذكر؛ دَفعا للخطرة التي تسبق إلى النفس، وهو يعلم أن ذلك لا تأثير له إلا بإذن الله.

.68

* وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (68) *

{وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ} بأن الحذر لا يدفع
القدر. {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} سر القدر، وأنه لا يندفع بالحَذَر.

.69

*وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (69) *

{آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ} ضمهُ إلى نفسه وأنزله معه في منزله.يقال: آواه إذا ضمه. وأويت منزلي و إلى منزلي، نزلته. وتأوت الطير وتآوت: تجمعت. {فَلَا تَبْتَئِسْ} فلا تحزن بشيء فعلوه بنا فيما مضى: افتعالٌ من البؤس وهو الشدة والضرر، يقال: بَئِس –كسمع – بُؤسا وبئوسا؛ اشتدت حاجته: وابتأس يبتئس ابتئاساً؛ ومنه المبتئس، أي الكاره الحزين.

.70

*فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (70) *
{السِّقَايَةَ} هي إناء كان يشرب به الملك، و يكيل به الطعام للممتارين، لِعزة ما يُكال به في ذلك الوقت، وهو الصاع والصُّواع، {أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ} نادى مناد وأعْلم مُعلم، من التأذين وهو الإعلام. {أَيَّتُهَا الْعِيرُ} هي في الأصل: الإبل التي تحمل الميرة، والمراد هنا أصحابها وقيل: العير قافلة الحمير، ثم أطلقت على كل قافلة.

.71

*قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (71) *

.72

* قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (72) *
{نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ} صاعه، وهما لغتان معناها الةُ الكيل، وتقدم أنه هو السقاية. والصُّواع يُؤنث باعتبار السقاية، ويُذكّر باعتبار الصاع. {وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} كفيلٌ أؤديه إليه. وأصل الزعيم: القائم بأمر القوم، وهو الكفيل والحَميل والضّمين

والقبيل.

.73

*قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (73) *

.74

* قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74) *

.75

* قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (75) *
{جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ} أي جزاء سرقته: استرقاقُ من وجد في رحله سنة. وكان ذلك شريعة يعقوب في حُكم السارق.

.76

*فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76) *
{كِدْنَا لِيُوسُفَ} دبّرنا لأجل تحصيل غرضه تلك المقدمات. وأصله الاحتيال والمكر، يستعمل في المحمود وفي المذموم، وهو هنا من الأول. واللام في (ليوسف) للتعليل. {فِي دِينِ الْمَلِكِ} أي في حُكمه؛ إذ جزاؤه فيه مضاعفة الغُرم لا الاسترقاق. فألهمه الله تعالى أن يسأل إخوته عن الحُكم فيجيبوا بسنتهم وطريقتهم، وذلك قوله {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}.

.77

*قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِمَا تَصِفُونَ (77) *

{إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ} يعنون شقيقه يوسف عليه السلام. فقد رُوى أنه دخل كنيسة فوجد تمثالا من ذهب يعبدونه فأخذه ودفَنَه. وأنه كان لجده أبي أمه صنم من ذهب وفضة فكسره وألقاه على الطريق، فعيَّره إخوته بذلك. وليس شيء من ذلك بسرقة، وإنما هو مَثلُها في الظاهر.

.78

* قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78) *

.79

*قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (79) *

{مَعَاذَ اللَّهِ} أستجير بالله استجارة من أن نأخذ بريئا بغير برئ. والأصل: ندعوك عائذين أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده.

.80

*فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (80) *

{فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ ... } فلما يئسوا من يوسف أن يجيبهم إلى ما سألوه يأساً كاملا، انفردوا عن الناس يتناجون ويتشاورون فيها يقولونه لأبيهم في شأن بنيامين. يقالُ: خَلَص يَخْلُص خلوصا وخالصة، صار خالصاً. والخالص الصّافي. والنَّجيُّ: مَنْ تَسارُّه، ويطلق على جماعة القوم يُناجي بعضهم بعضا. {وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ} أي ومن قبل هذا قصرتم في أمر يوسف

ولم تحفظوا عهد أبيكم فيه. و (ما) زائدة.

.81

*ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَاأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81) *

82

* وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82) *

.83

* قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83) *

{بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ .. } بل زَينت لكم أنفُسكم أمراً أردتموه؛ فصبري صبر جميل! لا شكوى معه لغير الله تعالى.

.84

*وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84) *

{يَاأَسَفَا} يا حُزني عليه والأسفُ: شدة الحزن على ما فات. يقال: أسِف على كذا يأسف أسفا، حزن أشد

الحُزن؛ كأنه يقول: يا أسفا هَلُم فهذا أوانك، وألفه بدل من ياء المتكلم. {فَهُوَ كَظِيمٌ} مكظوم ممتلئ من الحزن، ممسك عليه لا

يَبثُّه. يقال: كظمتُ الغيظ أكظمُه كظماً وكُظوماً، أمسكت على ما في نفسك منه على غيظ أو صفح.

.85

*قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85) *

{تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ} أي لا تزال تذكره تفجعاً عليه! قال الكسائي: فتأت وفتئت أفعل كذا، أي مازلت. وقال الفراء: إن (لا) مضمرة، أي لا تفتأ، وإنما أضمرت لأنه لا يلتبس بالإثبات. فإن القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات – وهي اللام ونون التوكيد –كان على النفي؛ لأنه لو كان مثبتأ لزم أن يكون بهما عند البصريين، أو بأحدهما عند الكوفين؛ فلي وجدناه خالية منها علمنا أن القسم على النفي، أي أن جوابه منفى لا مثبت. {حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا} مُشرفاً على الهلاك لطول مرضك. وهو في الأصل مصدر حَرِض – من باب تعب – أشرف على الهلاك، فهو حَرِضٌ. ولكونه كذلك في الأصل يستوي فيه المذكر والمؤنث، والواحد والجمع.

.86

* قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86) *

{أَشْكُو بَثِّي} همِّي الذى انطوت عليه نفسي! وأصله: التفريق و إثارة الشيء؛ كبث الريح التراب؛ واستعمل في الغم الذي لا يطيق صاحبه الصبر عليه.

.87

*يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87) *

{فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ} أي تحسسوا خبرا من أخبارهما. أو تحسسوا عنهما. والتّحَسُس: التعرف. وأصله طلب الخبر بالحاسة. واستعمل في

التعرُّف للزومه له. {وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ} ولا تقنطوا من فرج الله وتنفيسه. وأصل معنى الرَّوح: التَّنفس. يقال: أراح الإنسان إذا تنفس، ثم استعير للفرج.

.88

*فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88) *

{الضُّرُّ} الهزال من شدة الجوع. {وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ} مدفوعةٍ يردُّها كل من يراها لرداءتها. يقال: زَجاه، ساقه ودفعه؛ كزجَّاه وأزجاه. والريحُ تُزجي السحاب: تسوقه سوقا رفيقا. وكانت بضاعتهم من متاع الأعراب صوفا وسمنا. أو دراهم زُيُوفا؛ مردودة لغش فيها.

.89

*قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) *
.90
* قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90) *
.91
* قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) *
{آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا} اختارك وفضلك علينا.
.92
*قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92) *
{لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} لا تأنيب ولا لوم عليكم اليوم. يقال: ثَرَبه يثربه، وثَربه وعليه وأثربه، إذا بكّته بفعله وعدد عليه ذنوبه. قيل: أصله من الثَرْب. وهو شحْم رقيق يُغشى الكرش والأمعاء.
.93
*اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93) *
{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا .. } أي اذهبوا بقميصي هذا، مشيرا إلى القميص الذي كان عليه حينئذ. وقد علم بالوحي أن إلقاءه على وجه أبيه يرد إليه بصره؛ وهذا من باب خرق العادة. وقيل: إن يوسف لما علمَ أن أباه قد عرا بصره ما عراه من كثرة البكاء عليه وضيق القلب، بعث إليه قميصه ليجد ريحه فيزول بكاؤه، ويفرح قلبه فرحة شديدا، فعند ذلك بزول الضعف ويقوى البصر. {يَأْتِ بَصِيرًا} يصير بصيرا من شدة السرور.
.94
*وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94) *
{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ} خرجت من عَريش مصر قاصدة مكان يعقوب عليه السلام قرب بيت المقدس. {قَالَ أَبُوهُمْ} يعقوب عليه السلام لمن حضره من ذوي قرابته {إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ} أي إني لاشُمُّ ريحه! لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني! وقد أشمه الله ما
عَبَق من القميص من ريح يوسف من مسيرة أيام. وهي معجزة ظاهرة. قال مالك: قد أوصل ريحه من أوصل عرش بلقيس قبل أن يرتد إلى سلمان طرفه. والتَفنيد: النسبة إلى الفَنَد، وهو الكذب أو الخطأ في القول والرأي. أو الخرفُ و إنكار العقل

من هَرَم أو مرض.
.95
*قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95) *
{إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ} أي لفي ذهابك عن طريق الصواب قدماً بالإفراط في محبة يوسف والتَّوقُّع للقائه.

.96

*فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96) *

.97

* قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97) *

.98

* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (98) *

.99

* فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) *

{آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ} ضمهما إليه واعتنقهما، والمراد بهما أبوه وخالته، لأن أمه قد توفيت قبل ذلك.

.100

* وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) *

{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ} أي على سرير الملك. {وَخَرُّوا} أي أبواه وإخوته {لَهُ} أي لأجله {سُجَّدًا} أي الله تعالى. وقيل: خَروا جميعا ليوسف ساجدين على الجباه؛ وكان ذلك جائزا في شريعة يعقوب، وجارية مجرى التحية والتكرمة. وقيل: إنه كان بايماء الرؤوس. {هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ .. } أي هذا السجود تصديق الرؤيا التي رأيتها في الصغر. وكان بين الرؤيا وظهور تأويلها أربعون سنه؛ في قول الأكثرين. {الْبَدْوِ} البادية. {نَزَغَ الشَّيْطَانُ .. } أفسد وأغرَى. وأصله من نزع الرائِض الدابة: إذا نخسها وحملها على الجري. وإلى هنا انتهت القصة، وفيها عبرٌ ومعجزات وعجائب.

.101

*رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101) *

{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي .. } ولما أتم الله النعمة على يوسف قابلها بالثناء عليه تعالى، ثم سأله حُسن العاقبة، والخاتمة الصالحة. {فَاطِرَ} يا مبدع ومخترع.

.102

*ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (102) *

{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ .. } أي ما ذكر من قصة يوسف وإخوته، من أخبار الغيب التي لا سبيل لك إلى العلم بها إلا من طريق الوحي؛ لأنك لم تقرأها في كتب، ولم تَرْوِها عن علماء، ولم تسافر إلى غير بلدك، ولم تكن مع إخوة يوسف حين اعتزموا الكيد له، ودبروا ما دبروا من الأمر. فنزل القرآن بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأفصح عبارة، وأصدقُ بيان. {أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ} عزموا على

الكيد ليوسف.

.103

*وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103) *

.104

*وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (104) *

.105

* وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105) *

{وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ} أي وكم من آية [آية 146 آل عمران] تسليةٌ للرسول صلى الله عليه وسلم، وتقرير لكون الإعراض عن التأمل في الآيات، والجحود للحقائق شأن الكفار دائما، ومنهم قريش واليهود الذين سألوا عن قصة يوسف تعنيتاً وتعجيزا، فلما نزلت كاملة وافية لم يُسْلِموا، واستمروا على جحودهم وتكذيبهم، وذلك من فرط الجهل والعناد؛ مع أن هؤلاء الذين كفروا بالله لو تأملوا في الآيات النفسية والآفاقية لآمنوا به، وأخلصوا له العبادة وحده؛ ولكن أكثرهم حين تقرَعهم الحجج، وتُلجئهم الآيات البينات إلى الإقرار بوجود الإله، وبأنه خالق كل شيء – يؤمنون به، ثم يخلطون إيمانهم بالشرك في العبادة؛ فيعبدون من دون الله الأصنام وغير الأصنام ضلالا وكفرا، وذلك قوله تعالى:

.106

* وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106) *

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنهم يُقِرون أن الله خالقهم فذلك إيمانهم، وهم يعبدون غيره فذلك شركهم.

.107

*أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (107) *

{أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ} نائبة تغشاهم وتُجَلِّلهم والمراد بها عقوبة الدنيا. والغاشية: كل ما يغطى الشيء و يستره؛ ومنه غاشية السَّرج. {بَغْتَةً} فجأة.

.108

*قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108) *

.109

* وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (109) *

.110

* حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110) *

{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ .. } أي وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم، حتى إذا يئسوا من إيمان أمَمِهم يأساً شديد، وظن أمَمُهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروا به من العذاب ولم يَصْدُقوا، جاءهم نصرنا. وقرئ {كُذِّبوا} بالتشديد؛ أي حتى إذا يئس الرسل من إيمان من كذبهم من أمهم، وظنوا أن أتباعهم الذين آمنوا بهم كذبوهم لطول البلاء وتأخر النصر– جاءهم نصرنا. يقال: كَذَبه – بالتخفيف. لم يَصْدقُه فقال له الكذب. وكذَّبه – بالتشديد – تكذيباً وكِذَّاباً: جعله كاذباً وقال له كذبت. أو أخبر أنه كاذب. {وَظَنُّوا} توهم الرسل أو حدثتهم أنفسهم. {بَأْسُنَا} عذابنا.

.111

* لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111) *

{عِبْرَةٌ} عظة وتذكرة. {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى} ما كان

هذا القرآن حديثا يُختلق {وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} من الكتب السماوية {وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ} أي وتبيين كل شيء من أصول الدين؛ إذ ما من أمر ديني إلا وهو يستند إلى القرآن بالذات أو بالواسطة، أو مما يحتاج إليه العباد في أمور دينهم ودنياهم؛ على نحو ما بيناه في قوله تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}. والله أعلم.

سورة الرعد

.1

*المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (1) *

.2

* اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2) *

{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ} بيَّن الله تعالى في هذه الآية والآيتين بعدها عشرة أدلة من العالم العُلوي والسُّفلي على كمال قدرته وعظيم حكمته: خلقهُ السماوات مرتفعة بغير عمد. وتسخيرُه الشمس والقمر لمنافع الخلق. وخلقُه الأرض صالحة للاستقرار عليها. وخلقُه الجبال فيها لتثبيتها، والأنهار لتسقي الزرع. وخلقُه زوجين اثنين من كل نوع من الثمرات. ومعاقبتُه بين الليل والنهار. وخلقُه بقاعاً في الأرض متلاصقة مع اختلافها في الطبيعة والخواص. وخلقُه جناتٍ من الأعناب للتفكه. وخلقُه أنواع الحبوب المختلفة للغذاء. وخلقُه النخيل صنواناً، وغير صنوان. وجميعُها تسقى بماء واحد لا تفاوت فيه، مع اختلاف الثمار والحبوب في اللون والطعم والرائحة والشكل والخواص. {بِغَيْرِ عَمَدٍ} أي بغير دعائم؛ اسمُ جمعٍ مفردُه عماد. يقال: عَمْدت الحائط أعْمِدُه عمدا وأعمدته، إذا دعمْته؛ فانعَمد واستند. {تَرَوْنَهَا} أي رفع السماوات مرئية لكم بدون دعائمَ تدعَمُها. والجملة في

محل نصبٍ حالٌ من السماوات. {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [آية 54 الأعراف]. {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} يقضي ويقدر ويتصرف في جميع

العوالم على أكمل الوجوه.

.3

*وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) *

{مَدَّ الْأَرْضَ} بسطها طولا وعرضا إلى مالا يُدرِك البصرُ منتهاه، لإمكان الاستقرار عليها والمَدُّ البسْطُ. ولا تنافي بين المد وكُروية الأرض، لأن الأول بحسب رؤية العين، والثاني بحسب الحقيقة. {رَوَاسِيَ} جبالاً ثوابت راسخات في أحيازها

تُمسكها عن الاضطراب؛ من الرَّسو وهو ثبات الأجسام الثقيلة. يقال: رسا الشيءُ يرسُو رَسْوا ورُسُوًّا، ثبت: كأرسى. وأرسيتُ الوتد في الأرض: أثبته. {زَوْجَيْنِ} نوعين وضربين. {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ} يجعل الليل غاشياً للنهار وساترا له؛ أي يأتي به بدله فيصير الجوُّ مظلماً بعد ما كان مضيئاً [آية 54 الأعراف].

.4

*وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4) *

{قِطَعٌ} بقاع مختلفة الطبائع والصفات. {وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ .. } صفة لنخيل، وهو جمع صِنْو. والصنْوُ: الفرع الذي يجمعه وآخر أصل واحد؛ فإذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحدة منهن صِنْو. والاثنتان صِنوانِ (بكسر النون)، والجمع صنوانُ (بضم النون). وأصله المثل؛ ومنه قيل لعم الرجل: صِنْو أبيه، أي مثله؛ فأطلق على كل غصن صنو لمماثلته للآخر في التفرع من ذلك الأصل. {الْأُكُلِ} – بضمتين وضم فسكون –: اسم لما يؤكل من التمر والحَب؛ وإنما اقتصر على الأكل لكونه أعظم المنافع. قال مجاهد: هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد.

.5

*وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (5) *

{أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ} أي أولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث هم الكافرون بربهم. {وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ} وهم أصحاب النار المخلدون فيها. جمعُ غُل، وهو طوق من حديد تُشد به اليد إلى العُنُق؛ من الغَلل، وأصله تَدَرُّع الشيء وتوسطه. ومنه قيل للماء الجاري بين الشجر: غلل؛ أي ذلك شأنهم في الآخرة. وقيل: هو تمثيل لحالهم في الدنيا – من حيث إباؤهم الإيمان وعدم التفاتهم إلى الحق – بحال من في أعناقهم أغلالٌ فلا يستطيعون معها التفاتا.

.6

*وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (6) *

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ .. } كان صلى الله عليه وسلم يهددهم بعذاب الدنيا وبعذاب الآخرة؛ فكانوا يستعجلونه في نزوله؛ طعنا في

خبره واستهزاء به، فنزلت الآية. والاستعجال: طلب الأمر قبل مجيء وقته. {وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ} العقوبات المنَكِّلات. جمع مَثُلة، وهي العقوبة الفاضحة التي تنزل بالإنسان فيُجعل مثالا يرتدع غَيره به. وسُمِّيت مثلات لمماثلتها الأفعال المعاقب عليها في السُّوء. {مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ} ستر وإمهال.

.7

*وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (7) *

.8

* اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) *

{اللَّهُ يَعْلَمُ .. } بيانٌ لما يدل على كمال علمه وقدرته تعالى وعظم سلطانه، وعلى حكمته في قضائه وقدره. {وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ} أي يعلم ما تنقصه الأرحام وما تزداده في البِنْيَة وفي المدة وفي العدد. يقال: غاض الشيء وغاضه غيره، نحو نقصَ ونقصه غيره، فيستعمل لازماً ومتعديا، وكذا أزداد. {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} أي وكل شيء عنده تعالى بقدر وحدٍّ لايجاوزه ولا ينقصُ عنه، قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)} [القمر] فيعلم كميته وكيفيته وزمنه ومكانه وسائر أحواله، ويعلم ما غاب عن الحواس وما يشاهد بها، أو السر والعلانية.

.9

*عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9) *

{الْكَبِيرُ} العظيم الذي كل شيء دونه. {الْمُتَعَالِ} المستعلي على كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله.

.10

*سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10) *

{وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} أي ومن هو ذاهب في سَرْبه وطريقه، ظاهرا بالنهار يبصره كل أحد. يقال: سَرَب في الأرض يَسْرُب سَرَبا وسُرُوبا، أي ذهب في سِربه – بسكون الراء مع فتح السين وكسرها – أي طريقه. والمرادُ: أنه يستوي في علمه تعالى السر والجهر، والخفي والظاهر.

.11

*لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (11) *

{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ} للمذكور ممن أسرَّ القول أو جهر به: ملائكة يتعاقبون عليه بالليل والنهار؛ لحفظه وكلاءته، ولكتابة أقواله وأعماله؛ من التعقيب، وهو أن يؤتى بشيء بعد آخر. يقال: عقب الفرس في عَدْوه، أي جرى بعد جَرْيه. وعقبه تعقيبا: جاء عقبه. و (معقبات) جمع معقبة بمعنى مُعَقب، أي ملك معقِّب؛ والتاء للمبالغة، كما في علّامة أو بمعنى جماعة معقبة. {مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} بسبب أمره تعالى وإعانته، وهذا ما لم يكن هناك قدر، فإذا كان خلُوا عنه. فـ (من) بمعنى باء السببية. {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ} أي قد جرت السنة الإلهيةُ بأنه تعالى لا يبدل ما بقوم من نعمة وعافية وخير بضده؛ حتى يعتدوا فيبدلوا أحوالهم: من جميل إلى قبيح، ومن صلاح إلى فساد، ومن طاعة إلى عصيان؛ فإذا أراد أن ينزل بهم نقمته وجزاءه فلا راد له، ولا معقب لحكمه. {وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} وليّ ناصر، يَلي أمورهم ويدفع السوء عنهم؛ من الولاية وهي النُصرة وتوَلّي الأمر. يقال: ولِيَ على الشيء ولاية فهو

وال.

.12

*هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (12) *

{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ .. } ذكر خمسة أنواع من الظواهر الكونية، جعل فيها شبَها بالنَّعم وشبها بالنَّقم، وكلها دلائل على عِظم قدرته تعالى وبديع صنعته، الموجبين لإفراده بالعبادة. {خَوْفًا} من الصواعق {وَطَمَعًا} في الغيث. {وَيُنْشِئُ السَّحَابَ} الغيم المنسحب في الهواء. {الثِّقَالَ} بالماء. جمع ثقيلة، أي مثقلة به.

.13

* وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13) *

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ} تسبيحُه متلبسا بحمده: دلالتُه على كمال قدرته أوضح دلالة؛ قال تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [آيه 44 الاسراء]. {شَدِيدُ الْمِحَالِ} المِحالُ: الكيد والمكر، والتدبير والقوة، والعذاب والعقاب، والإهلاك والعداوة؛ كالمُماحلة. يقال: مَحل به – مثلثةَ الحاء – مَحْلاً ومِحَالا، إذا كاده وعرَّضه للهلاك؛ أي شديد المُماحلة والمكايدة لأعدائه. وفيه من التهديد لهم ما لا يخفي.

.14

*لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (14) *

{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} لله الدعوة الحق (كلمة التوحيد). {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ .. } أي والأصنام التي يعبدونها من دون الله لا تستجيب لهم بشيء مما يطلبونه منها؛ إلا كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد؛ ليطلبه ويدعوه {لِيَبْلُغَ فَاهُ} بنفسه، من غير أن يؤخذ بشيء كاناء ونحوه. {وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ} لكونه جمادا لا يشعر بعطشه، ولا ببسط كفيه إليه ولا بدعوته له؛ فكذلك هذه الأصنام جماداتٌ لا تُحِس بعبادتهم، ولا تستطيع

إجابتهم بشيء.

.15

* وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (15) *

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي أن جميع من فيها من الملائكة والثَّقلين خاضعون لعظمته، منقادون لأحكامه إيجادا وإعداما، شاءُوا أو أبَوْا؛ من غير مداخلة حُكم غيره. يستوي في ذلك مؤمنهم وكافرهم، إلا أن المؤمن خاضع بذاته وبظاهره، والكافر خاضع بذاته متمردٌ بظاهره. وتنقاد له تعالى ظلالُ من له منهم ظِلٌّ؛ فهي تحت قَهره ومشيئته في الامتداد والتقلص، والفَيء والزوال؛ إذ الحركة والسكون بيده تعالى، والمُتحركُ والساكن في قبضته. فالمراد من السجود: الخضوع والانقياد. والظلال: جمع ظل، وهو الخيال الذي يظهر للجرم. والغُدوُّ

والغداة: البُكْرَة، أو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. والآصال: جمع أصيل وهو العَشي، وهو ما بين العصر وغروب الشمس. {ظِلَالُهُمْ} تنقاد لأمره تعالى وتخضع.

.16

* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16) *

{أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ} ﻫ أي بل أجعلوا! والاستفهام للإنكار والمعنى أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله، حتى يتشابه خلقُهم بخلق الله، فيقولون: هؤلاء خلقوا كخلق الله! واستحقوا بذلك العبادة كما استحقها سبحانه. ولكنهم اتخذوا شركاء

عاجزين لا يقدرون على شيء؛ فكيف يصنعون ذلك!؟

.17

*أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17) *

{أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} ضرب الله مَثَلين للحق: هما الماء الصَّافي، والجوهر الصافي اللذان ينتفع بهما. ومثلين للباطل: هما زبدُ الماء، وزَبد الجوهر، اللذان لا نفع فيها. {فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} فسالت المياه في الأودية بمقدارها الذي عيَّنه الله تعالى، واقتضته حكمته في نفع الناس أو بمقدارها قلة وكثرة بحسب صغر الأودية وكِبَرها. والأودية: جمع واد، وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة، ويطلق على الفُرجة بين الجبلين.

{فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ} اي فحمل الماءُ السائلُ في الأودية {زَبَدًا} وهو ما يعلو على وجه الماء عند اشتداد حركته ويُسمى الغثاء. وما يعلو على القِدر عند الغليان كالرغوة ويُسمى الوضَر والخبث. {رَابِيًا} عاليا مرتفعا فوق

الماء، طافيا عليه. وهنا تَمَّ المثل الأول، ثم ابتدأ في الثاني فقال: {وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ} أي ومن الذي يفعلون عليه الإيقاد في النار كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها من المعادن. {ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ} أي الأجل اتخاذه حلية للزينة والتجمُّل كالأوليْن {أَوْ مَتَاعٍ} أو لأجل اتخاذه متاعا يُرتفق به كالآخرين. {زَبَدٌ مِثْلُهُ} أي مثل ذلك الزَّبد في كونه رابياً فوقه، فقوله (زَبَدٌ) مبتدأ مؤخر خبره (مما يوقدون). {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ} أي يضرب مَثَلهما للناس للاعتبار. {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً} فأما الزبد من كلٍّ من السيل ومما يوقدون عليه في النار فيذهب مرميًّا به مطروحا. يقال: جفأ الماء بالزبد، إذا قذفه ورمى به. وجَفأت القدر: رمت بزَبدها عند الغليان. وأجفأت به وأجفاته.

.18

*لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (18) *

{لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا .. } بيانٌ لمآل حال كل من أهل الحق والباطل، بعد بيان شأن كل منهما

حالا ومآلاً. {الْحُسْنَى} أي المثوبةُ الحسنى. {سُوءُ الْحِسَابِ} الحساب السيئ، وهو المناقشة المشار إليها في حديث: (من نوقش الحساب

عُذِّب) (متفق عليه). {وَبِئْسَ الْمِهَادُ} وبئسَ الفراش الذي مهدوه لأنفسهم مهادُهم.

.19

*أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19) *

.20

*الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) *

{الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ} بدل من (أولي الألباب). وجملة ما وصفوا به ثمانية أوصاف جليلة وهي: (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) وآخرها: وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ.

.21

*وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) *

.22

* وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) *

{وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} أي يدفعون بالعمل الصالح السيئ من الأعمال، فيجازون الإساءة بالإحسان. أو يتبعون السيئة الحسنة فتمحُوها. يقال: دَرأه دَرْءًا، دفعه. ودرأ السَّيل واندرأ: اندفع.

{أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} العُقْبى والعُقب: الجزاء؛ ومنه: أعقبه أي جازاه. والمراد بـ (عُقبى الدار: الجنه.

.23

* جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) *

{جَنَّاتُ عَدْنٍ} بدل من عقبى الدار.

.24

*سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24) *

.25

*وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25) *

{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ .. } بيان لأحوال الأشقياء بعد بيان أحوال السعداء. وجملة أوصافهم الجامعة ثلاثة: نقضهم للعهد، قطعهم ما أمر الله به أن يوصل، إفسادهم في الأرض. {سُوءُ الدَّارِ} عاقبتها السيئة وهي النار.

.26

*اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26) *

{وَيَقْدِرُ} أي يضيق، ضد يَبْسط بمعنى يوسع. يقال: قَدَر –كضرب ونصر – أي قَتَّر وضيق. وقدر الله الرزق يقدره –بكسر الدال – ضيَّقه. ففتْحُ أبواب الرزق في الدنيا لا تعلُّق له بالكفر والإيمان، بل هو منوط بمشيئة الله تعالى: فقد يضيق على المؤمن امتحانا لصبره وتكفيرا الذنوبه. ويوسع على الكافر

استدراجا له. {مَتَاعٌ} شيء قليل ذاهب زائل.

.27

*وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (27) *

{أَنَابَ} رجع إليه وأقبل عليه؛ من الإنابة بمعنى الرُّجوع إلى نوبة الخير.

.28

*الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) *

.29

*الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (29) *

{طُوبَى لَهُمْ} عيشٌ طيب لهم في الاخرة. مصدرٌ كبُشرى وَزُلفى من الطِّيب. وأصلهة طُيْبى، قلبت الياء واوا لوقوعها ساكنة إثرَ ضمة، كما قلبت في مُوقن ومُوسِر من اليقين واليُسر. وقيل: طوبى اسم لشجرة في الجنة.

{وَحُسْنُ مَآبٍ} مرجعٍ ومنقلب؛ من الأوْب. وهو الرجوع. يقال: آب يئوب أوْبا و ايابا ومَآبا، إذا رجع.

.30

*كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (30) *

{وَإِلَيْهِ مَتَابِ} أي إليه وحده مرجعي ومرجِعُكم با فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم، ويجازيكم على كفركم وعصيانكم. يقال: تاب إلى الله تَوْبا وتوبة ومتاباً، اذا رجع عن المعصية.

.31

*وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31) *

{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا} نزلت في نَفَر من المشركين غلوا في كفرهم وتمادوا في ضلالهم، حتى اقترحوا على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسير لهم بالقرآن جبال مكة ليتفسحوا في أرضها، ويفجر لهم فيها الأنهار والعيون ليزرعوها ويتخذوا فيها البساتين، ويحي لهم الموتى ليخبروهم بصدقه. وجواب (لو) محذوف، أي ما آمنوا به – أي بالقرآن – إذا فُعلت به هذه الأفاعيل العجيبة. {بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا} أي بل الله قادر

على الإتيان بما اقترحوا من الآيات، ولكن إرادته لم تتعلق بذلك، وهو الحكيم الخبير؛ لعلمه بعتوهم ونفورهم من الحق. {أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا} أي أغفَلَ الذين آمنوا فلم يقطعوا أطماعهم في إيمان كفار قريش مهما نزلت من الآيات. أو أغفلوا عن كون الأمر جميعا لله فلم يعلموا. واستعال يئس بمعنى علم حقيقة في لغة. وقيل مجاز، لتضمن اليأس معنى العلم، فإن اليائس من الشيء عالم بأنه لا يكون، كما استعمل الرجاء في معنى الخوف، والنسيانُ في معنى الترك مجازاً

لتضمّن ذلك. {قَارِعَةٌ} بلية وداهيه تقرَعُهم، أى تهلكهم وتستأصلهم؛ من القرع وهو ضرب الشيء بالشيء بقوَّة. وجمعها قوارع.

.32

*وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (32) *

{فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} أمهلتهم؛ من الإملاء وهو أن يترك ملاوَةً من الزمان في أمن ودعة.

.33

*أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33) *

{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ} أفمن هو رقيب على كل نفس، حفيظ عليها، عالم بما عملت من خير أو شر فجازيها به؛ كمن ليس كذلك؟ والاستفهام انكاري، وجوابه: ليس كذلك. {أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ} أي بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول، بسبب ظن باطل لا حقيقة له في نفس الأمر!.

.34

* لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (34) *
{وَاقٍ} حافظ يَعصِمُهم من العذاب. اسم فاعل من الوقاية، وهي الصيانة والحفظ. وفعله من باب ضرب.

.35

*مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (35) *
{أُكُلُهَا دَائِمٌ} ما يؤكل فيها لا انقطاع الأنواعه. {وَظِلُّهَا} دائم لا يزول.

.36

*وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ (36) *
{وَإِلَيْهِ مَآبِ} إلى الله وحده مرجعي للجزاء.

.37

*وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (37) *

.38

* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (38) *
{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ... } عابُوا الرسول صلى الله عليه وسلم بكثرة الزواج فنزل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا}، وبعدم إجابة مقترحاتهم فنزل: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}، وبعدم نزول ما خوّفهم به من العذاب فنزل: {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ}، وبنسخ الأحكام الثابتة في الشرائع السابقة فنزل: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} والأجل: مدة الشيء. والمرادُ به أزمنة الموجودات، فلكل موجود زمان يوجد فيه محدودٌ، لا يزاد عليه ولا ينقص. لا فرق في ذلك بين الأرزاق والآجال، والأحكام والشرائع، وإتيان

المعجزات ونزول القرآن وغيره. والكتابُ: ما كتب فيه أزمنة المقدرات، وهو صحف الملائكة أو اللوح المحفوظ. فتأخر نزول العذاب بهم إنما هو لعدم حلول وقته المقدر له؛ قال تعالى: {وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (4)} [الحجر].

.39

*يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39) *
{يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} المَحو: إذهاب أثر الكتابة. والإثباتُ: التدوين في الكتاب، فيمحو الله ما يشاء ويثبت في صحف الملائكة، إذ هي القابلة للمحو والإثبات، أو بوقوعها فيه – وذلك حسب تقتضيه المشيئة والحكمة الإلهية؛ فَيَنسَخ ما يشاء نسخه من الأحكام، لاقتضاء الحكمة ذلك. (ويثبت) أي يُبقي ما يشاء منها

غير منسوخ. أو يثبت منها ما يشاء بتبديل المنسوخ بغيره، أو ببقاء الحكم غير منسوخ، أو بإنشاء حُكم ابتداءً. {وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} أمُّ كل شيء: أصله، وهو الذي لا يتغير ولا يتبدل، ولا يقع فيه محو ولا إثبات. والمراد به في القول المشهور: اللوحُ المحفوظُ الذي أثبت فيه جميع أحوال الخلق إلى يوم القيامة. والكتاب الذي يقع فيه المَحو والإثبات هو صحف الملائكة دونه. وفي قَول آخر: العلم الأزلي الذي لا يكون شيء إلا على وفق ما فيه، ومحالٌ عليه التغيير والتبديل، والكتاب الذي يقع فيه المحو والإثبات هو اللوحُ المحفوظ.

.40

*وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (40) *

.41

* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (41) *

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ ... } أي أأنكروا نزول ما وعدناهم، أوشكُّوا ولم يروا أنا نفتح أرضهم من جوانبها ونلحقها بدار الإسلام! أو أولم يروا هلاك من قبلهم وخراب ديارهم كقوم عاد و ثمود! فكيف يأمنون حلول ذلك: بهم!. ولا معقب لحكمه لا راد ولا مبطل له.

.42

*وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (42) *

.43

*وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (43) *

والله أعلم

سورة إبراهيم

.1

*الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1) *

{لِتُخْرِجَ النَّاسَ .. } أي بدعائك إياهم إلى اتباع ما تضمنه الكتاب من التوحيد وغيره، من ظلمات الكفر والضلالة والجهل، إلى نور الإيمان والعلم. وفي جَمْع و (الظلمات) وإفراد (النور) إشارة إلى أن الكفر طُرق كثيرة، وأما الإيمان فطريق واحد. {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} بتيسيره وتوفيقه لهم أو بأمره. {إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} الصِّراط: الطريق، استعير للهُدى. والعزيزُ: هو الذي لا يغلبه غالب. والحميد: هو المحمود بكل لسان، المُمجَّد في كل مكان.

.2

*اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (2) *

{وَوَيْلٌ} هلاك [آية 79 البقرة] وهو وعيدٌ للكافرين.

.3

* الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (3) *

{الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا .. } يختارونها ويؤثرون لذائذها على الآخرة ونعيمها. {وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} يطلبون لسبيل الله اعوجاجة وزَيْغاً عن الحق لموافقة أهوائهم، أو بطلبونها معوجة غير مستقيمة. [آية 99 آل عمران].

.4

*وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4) *

.5

* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5) *

{بِأَيَّامِ اللَّهِ} أي بنعمائه وبلائه. {صَبَّارٍ} كثير الصبر على البلاء {شَكُورٍ} كثير الشكر على النَّعماء. والصبرُ: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرعُ فعلاً أو تركاً. يُقال: صَبَرَه عن كذا يَصبِرُه، إذا حبسه. والشكرُ: عرفان الإحسان ونَشره. وأصله من شَكِرَت الناقه –كفرح – امتلأ ضرعها. ومنه أشْكر: امتلأ

.6

*وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (6) *

{يَسُومُونَكُمْ} يبغون لكم [آيه 49 البقرة]. {يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} يستبقون بناتكم للخدمه. {بَلَاءٌ} ابتلاء بالنعم والنقم.

.7

* وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7) *

{تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ} أعلم إعلاماً لا تبقى معه شُبهةٌ، لدلالة صيغة التفعل على المبالغة في الإعلام.

.8

*وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (8) *

.9

* أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (9) *

{فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} عضوا على أناملهم غيظ وحَنَقا. أو وضعوا أيديهم على أفواههم؛ إشارة منهم إلى الرسل: أنِ اسكتوا. {وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ} أي بما جئتم به من المعجزات والبينات. {وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ

مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ} من الإيمان والتوحيد {مُرِيبٍ} موقعٍ في الرِّيبة. أو ذي ريبة [اية 62 هود].

.10

*قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (10) *

{فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} مُبدِعِهما ومبْدِع ما فيهما على أحكم نظام، دون احتذاء مثال سابق [آية 14 الأنعام]. {بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} بحجة ظاهرة على صدقكم، تتسلط بقوتها على نفوسنا وتجذِبها إلى اليقين. من السلاطة وهي التَمَكُّن من القهر. يقال: سلّطته فتسلّط.

.11

*قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11) *

.12

* وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12) *

.13

* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) *

.14

* وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (14) *

{مَقَامِي} قيامي عليه و مُراقبتي له. أو مكان وقوفه بين يديَّ للحساب.

.15

*وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (15) *

{وَاسْتَفْتَحُوا} استنصروا الله على أعدائهم: من الفَتح بمعنى النصر. أو طلبوا من الله الحُكم بينهم وبين أعدائهم؛ من الفَتْح بمعنى الحكم بين الخصمين. والسين والتاء للطلب. {جَبَّارٍ} متعظم في نفسه، متكبِّر على أقرانه: يَجبُرُ نقيصته بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقها. {عَنِيدٍ} مُعاندٍ للحق، مُباهٍ بما عنده؛ من العند بمعنى المَيْل. يقال: عَند عن الطريق –كنَصَر وضرب وكَرُم – عُنُودا، مال. وعَنَد: خالف الحق؛ ومنه العاند، للبعير يَحُور عن الطريق ويَعدِل.

.16

*مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (16) *

{مَاءٍ صَدِيدٍ} هو ما يسيل من أجساد أهل النار. وأصل الصَّديد: ماءُ الجرح الرقيق، وهو بدل من (ماء).

.17

*يَتجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (17) *

{يَتَجَرَّعُهُ} يتكلف بلعَه مرة بعد أخرى، لمرارته وحرارته مع غلبة العطش عليه. والجرْع: البلع. وفعله كسَمِع ومَنَع. {وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ} أي ولا يُقارب أن يُسيغه فضلا عن الإساغة؛ بل يغص به فيشربه بعد عناء جَرْعة غِبَّ جرعة. والسَّوغُ: انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس. يقال: ساغ الشرابُ سَوْغاً وسَواغاً، إذا كان سهل المدخل.

.18

*مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (18) *

{مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... } شبَّه ما يعمله الكافرون في الدنيا من أعمال البر والخير في حبوطها وذهابها هباء منثورا في الآخرة؛ لابتنائها على غير أساس من الإيمان والعلم بالله – بِرَماد أسرعت به الريح الشديدة الهُبوب ففرقته؛ فلم يبق له أثر. و (عاصف) شديد الريح.

.19

*أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19) *

.20

* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (20) *

.21

* وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (21) *

{وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا} خرجوا من قبورهم يوم القيامة، وظهروا في الفضاء للجزاء على أعمالهم. وأصل البروز: الظهور؛ مأخوذ من البَرَاز، وهو الفضاء الواسع، ثم استُعير لمجتمع الناس يوم القيامة {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا .. } أي مستَو علينا الجزعُ والصبر. والجَزَعُ: حُزن يصرف الإنسان عما هو بصدده. يقال: جَزِع يجْزَع جزَعاً وجُزوعاً، إذا ضَعُف عن حمل ما

نزل به ولم يجد صبرا. {مُغْنُونَ عَنَّا} دافعون عنا. {مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ} محيدٍ ومهربٍ من العذاب. يقال: حاص عنه يحيص حَيصا ومَحيصاً، إذا عدل عنه وحاد على جهة الفِرار.

.22

*وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22) *

{سُلْطَانٍ} تسلط أو حجة. {مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ} مغيثكم ومُنقذِكم مما أنتم فيه من العذاب. {وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ} بمغيثي مما أنا فيه منه. يقال: صرَخ يصْرُخ صَرْخاً وصُرَاخا، إذا استغاث، فهو صارخ وصريخ، أي مستغيث طالب للنُصرة والمعاونة، وذاك مُصرِخٌ أي مغيث. واستصرختُه فأصرخني: استغثتُ به فأغاثني؛ فهو صريخ ومُصرِخ، أي مغيث، من الصُّراخ وهو الصياح الشديد عند الفزع أو المصيبة.

.23

*وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (23) *

.24

* أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) *

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا} أي لكلمتي الإيمان والكفر. أو لمعرفة الله تعالى ومحبته وطاعته، وضد ذلك. {كَلِمَةً طَيِّبَةً} كلمة التوحيد والإسلام. {أَصْلُهَا ثَابِتٌ} ضارب بعروقه في الأرض. {وَفَرْعُهَا} أي أعلاها.

.25

*تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) *

{أُكُلَهَا} ثمرها الذي يؤكل.

.26

*وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) *

{كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ} كلمة الكفر والضلال. {اجْتُثَّتْ} اقتلعت جُثتها، أي شخصها وذاتُها. {مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ} لقرب عُروقها من سطح الأرض. يقال: اجتثثْت الشيء اجتثاثا، إذا اقتلعته واستأصلته.وهو افتعال من لفظ الجُثَّة وهي شخص الشيء.

.27

*يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27) *

{فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} في مُدة الحياة الدنيا وفي القبر عند السؤال. وقيل: في الحياة الدنيا وفي يوم القيامة.

.28

*أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28) *

{دَارَ الْبَوَارِ} دار الهلاك. ويطلق البَوار أيضا على الكساد. يقال: بار المتاعُ بَوَارا، كَسَد. والكاسد في حكم الهالك.

.29

*جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (29) *
{يَصْلَوْنَهَا} يدخلونها. أو يقاسون حرها.

.30
*وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30) *
{أَنْدَادًا} أمثالا في التسمية أو في العبادة؛ وهي الأصنام والأوثان.
.31
*قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (31) *
{وَلَا خِلَالٌ} ولا مُخالة، أي لا موادة في يوم القيامة بين الناس تنفع في تدارك ما فات. مصدر خاللت. أو جمع خَليل أو خُلَّة بمعنى الصداقة؛ كقِلة وقلال.
.32
*اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) *
{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ .. } ذكر لهذا الموصول سبع صلات: أولها – خلق السماوات، وآخرها {وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ}. وهي تشتمل على عشرة أدلة على وحدانيته تعالى وعلمه وقدرته: خلقُ السماوات، وخلق الأرض، وإنزال المطر من السماء، وإخراج الثمرات به، وتسخير الفلك في البحار، وتسخير الأنهار، وتسخير الشمس، وتسخير القمر دائبين، وتسخير الليل والنهار للتمكين من السعي للكسب، وإعطاء ما يحتاج إليه الناس في معاشهم.
.33
* وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) *
{دَائِبَيْنِ} دائمين في إصلاح ما يُصلحان من الأبدان والنبات وغيرهما. أو دائمين في السير في مدارهما بغير اختلال، لا يَفْتران عن ذلك ما دامت الدنيا؛ من الدَأب – بسكون الهمزة وفتحها – وهو العادة المستمرة على حالة واحدة.
آية 11 آل عمران].
.34
*وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) *
{لَا تُحْصُوهَا} لا تطيقوا عدها لعدم تناهيها.
.35
*وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) *

{وَاجْنُبْنِي ... } أبعِدْني وبَنِيَّ عن عبادة الأصنام؛ من جَنَبْته عن كذا: أبعدتُه عنه. وجنَّبته – بالتشديد – مبالغة.
.36
*رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) *
.37
* رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) *
{مِنْ ذُرِّيَّتِي} أي بعضِهم، وهو ابنهُ إسماعيل عليه السلام الذي رُزق به من السيدة هاجر، وأوحيَ إليه أن بنقلهما إلى مكة عند المكان الذي سيبني فيه البيت المحرم. {تَهْوِي إِلَيْهِمْ} تُسرع إليهم شوقا ووِدادا. يقال: هَوَى يهوي هويا، إذا أسرع في السير. أو تريدهم، كما تقول: رأيت فلانا يهوِي نحوك، أي بريدك.
.38
*رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) *
.39
* الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) *
{إِسْمَاعِيلَ} من السيدة هاجر {وَإِسْحَاقَ} من السيدة

سارة. وإسماعيل أسَنُّ من أخيه، وبينها ثلاث عشرة سنة، على ما قيل.
.40
*رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) *
.41
* رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (41) *
{اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ} طلب المغفرة لوالديه قبل أن يتبين له أن والده عدو الله، وكانت أمه مؤمنة، ثم لما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ونُهِيَ عن الاستغفار له.
.42
*وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) *
{تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} ترتفع فيه أبصار أهل الموقف، فلا تطرف أجفائهم. من هول ما يَرونه. يقال: شَخَص بصرُه شخص فهو شاخص، إذا فتح عينيه وجعل لا يَطرِف. وشخص شُخَوصاً: ارتفع.
.43
*مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (43) *
{مُهْطِعِينَ} مسرعين إلى الداعى بذلة واستكانة، كإسراع الأسير والخائف. يقال: أهطع في عدوه يُهطع إهطاعاً، إذا أسرع. {مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ}

رافعيها إلى السماء مع إدامة النَّظر: بأبصارهم إلى ما بين أيديهم من
غير التفات إلى شيء. يقال: أقنع رأسه، إذا نصبه ورفعه، أو لم يلتفت يمينا وشمالا، بل جعل طرْفه موازياً. {لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} أي: لا ترجع إليهم أجفانهم التي يكون فيها الطَّرف، أي التحريك. {وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} وقلوبهم فارغة خالية عن الفهم، لا تعي شيئا، ولا تعقل من شدة الخوف والدهشة.

.44

*وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (44) *

.45

* وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (45) *

.46

* وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46) *

.47

* فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (47) *

.48

* يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (48) *

{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ}

ظرف للانتقام. وتبديلُ الأرض والسموات في ذلك اليوم: تغييرُ صفاتهما وهيئاتهما عما كانتا عليه في الدنيا، يقال: بدّلت الحلقة خاتماً، إذا غيرت شكلها. {وَبَرَزُوا لِلَّهِ} خرجوا من أجداثهم ليستوفوا جزاءهم (آية 21 من هذه السورة].

.49

*وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (49) *

{مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} المقرَّن: من جُمع مع غيره في قَرَن، وهو الوثاق. والأصفادُ: جمع صَفد، وهو القيد الذي يوضع في الرجل، أو الغُل الذي تُضمُّ به اليد والرجل إلى العنُق؛ أي قُرِن بعضهم مع بعض، وضُم كلٌّ لمشاركه في كفره. أو قُرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال.

.50

*سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (50) *

{سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ} أي تطلى جلودُهم بالقَطِران، وهو ما تُهنأ به الإبلُ الجَرْبى، وهو حارٌّ نَتِن شديد الاشتعال بالنار؛ حتى يكون الطِّلاء كالسرابيل – أي القمصان – ليجتمع لهم لذع القطران وكراهيةُ لونه ونَتْن ريحه، وإسراعُ النار في

جلودهم. {وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ} تعلوها وتحيط بها النار التي تسعَّر بأجسادهم المُسَربلة بالقطران؛ من الغَشي وهو التغطية.

.50

*لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (51) *

.52

* هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (52) *

{بَلَاغٌ لِلنَّاسِ} كفاية في العظه والتذكير. والله أعلم.

سورة الحجر

.1

*الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (1) *

{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} (تلك): إشارة إلى آيات هذه السُّورة. أي تلك آياتٌ من الكتاب الكامل، ومن قرآن عظيم الشأن، بَيِّن في حِكَمِه وأحكامه، وفي هدايته وإعجازه؛ فأقبِلوا عليها، ولا تقابلوها بالتكذيب والإعراض.

.2

* رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (2) *

{رُبَمَا يَوَدُّ .. } أي يتمنى الذين كفروا بالقرآن عند رؤيتهم في الآخرة رحمة الله لِعصاة المؤمنين حين يخرجهم من النار {لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} مثلهم، منقادين لأحكامه، حين لا يُجديهم التمني. و (رُبَّ) حرف يستعمل في التقليل وفي التَّكثير؛ وقد تزاد بعدها «ما» النافية وتخفف باؤها وتُشدَّد. وحَمَلها كثير من المفسرين هنا على التقليل بالنسبة إلى زمان ذهاب عقولهم من

شدة الدهشة، فإن أهوال القيامة تُذهلهم فيُبهتُون، فإذا وجدت منهم إفاقةٌ في وقت ما تمنوْا هذه الأمنية.

.3

*ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (3) *

{ذَرْهُمْ .. } خَلِّهم وشأنهم، ينعموا بدنياهم، وتُلههم آمالهم الكاذبة من أخراهم {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} سوءَ عقباهم.

.4

*وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (4) *

{وَلَهَا كِتَابٌ} أجل مقدر مكتوب في اللوح.

.5

*مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (5) *

.6

* وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (6) *

.7

* لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (7) *

{لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ} هلا تأتينا بالملائكة يشهدون لك ويَعْضدونك في الإنذار {إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} في ادِّعائك ما ادعيت، وهو كقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} [الانعام:8]، {لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ} [هود:12]، {لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا} [الفرقان:7]، {لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ} [الفرقان:21]. وقد أجابهم الله تعالى بقوله: {مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ}.

.8

*مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ (8) *

{مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ} أي إلا تنزيلاً ملتبساً: بالحق؛ أي بالوجه الذي تقتضيه الحكمة والمصلحة، وجرت به السُّنة الإلهية. ولا حكمة ولا مصلحة لكم في تَنزلهم إليكم كما اقترحتم، لا بصورهم الحقيقية لأنكم تهلكون عند رؤيتها، ولا: بصُور بشرية لأن ذلك لا يزيدكم إلا لَبْسا: كما قال تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ} [الانعام:9]. بل في ذلك مضرةٌ بكم؛ لأنه لا يكون مع ذلك إلا استئصالكم في الحال إن لم تؤمنوا وتصدقوا. كما جرت بذلك سنة الله في القرون الخالية، وأنتم غير أهل الإيمان والتصديق. {مُنْظَرِينَ} أي مؤخَّرين مُمهلين،. بل يُعجل لهم العذابُ من الإنظار بمعنى التأخير والإمهال.

.9

*إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9) *

{الذِّكْرَ} القرآن. {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} أي من كل ما يقدح فيه؛ كالتحريف والتبديل والزيادة والنقصان. أو حافظون له بالإعجاز؛ فلن يقدر أحد على معارضته. أو بقيام طائفة من الأمة بحفظه والذب عنه إلى آخر الدهر.

.10

* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (10) *

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا} رسلاً {مِنْ قَبْلِكَ} في الفِرَق الأولين، يدعونهم إلى ما تدعو إليه، فما قابلوهم إلا بالاستهزاء بهم وبما جاءوا به من الكتب، فلست بدعاً من الرسل،: فتسلَّ بمن سبقك. والشِّيعُ: جمع شيعة، وهي الفِرقة المتفقة على طريقة ومذهب؛ من شاعه إذا تبعه.

.11

*وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (11) *

.12

* كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (12) *

{كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ} أي كما سلكنا كتب الرسل السابقين في قلوب أولئك المستهزئين مستهزا بها غير مقبولة – نسلك الذكر الذي أنزلناه إليك في قلوب المجرمين أهل مكة مستهزَأ به غير

مقبول؛ لكونهم جميعا من أهل الخذلان الذين ليس لهم استعداد لقبول الحق، والسَّلْك: مصدر سَلَك – من باب نصر– وهو إدخال الشيء في الشيء كإدخال الخيط في المخيط.

.13

*لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (13) *

{لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ} أي بالذكر. والجملة حال من مفعول (نسلكه) أي نسلكه غير مؤمن به. أو بيان للجملة السابقة. {سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} أي سنة الله وعادتُه فيهم، وهي الإهلاك للتكذيب. وهو وعيد لأهل مكة.

.14

* وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14) *

{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ .. } أي ولو فتحنا لكفار مكة المعاندين بابا من السماء {فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ} أي يصعدون، فينظرون إلى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة والعجائب. {يَعْرُجُونَ} من العُروج وهو الذهاب في صعود. وفعله من باب دخل؛ ومنه المعراج والمعارج.

.15

*لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (15) *

{لَقَالُوا} لفرط عنادهم وجحودهم {إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا} أي سُدَّت ومُنعت من الإبصار، وما نرى إلا تخييلاً لا حقيقة له {بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ} في عقولنا بسحرٍ صَنعه محمد. و {سُكِّرَتْ} من السَّكْر – بفتح فسكون – وهو سدُّ الباب أو النَّهر. يقال: سَكَرْت النهر أسْكُره سَكْرا، سددته، والتشديد للمبالغة

. و {مَسْحُورُونَ} أي مصروفون بالسحر عن إدراك عقولنا للحقيقة. والسِّحر: الخداع وتخييل مالا حقيقة له. أو ما لَطُف مأخذه ودق. وفعله كمنع، والفاعل ساحر، والمفعول مسحور [آية 102 البقرة].

.16

*وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (16) *

{جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا} اشتملت هذه الآية وما بعدها إلى آية 27 على أربعة عشر دليلا على قدرة الخالق وبداعة صنعه وتعالى حكمته، مما يوجب الإيمان به وبوحدانيته، وإفراده بالعبادة، ومقابلة نعمه بالشكران بدل الكفران. وه {جَعَلْنَا} أي خلقنا وأبدعنا فيها منازل وطرقاً تسير فيها الكواكب. وهي الاثنا عشر بُرجاً المشهورة. وقيل: البروجُ الكواكبُ نفسها. جمعُ بُرج، وهو في الأصل القصْر والحِصْن، واستعمل فيما ذُكر على سبيل التشبيه.

.17

*وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (17) *

{وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ} منعناه من التعرض لها والوقوف على ما فيها في الجملة. أو من دخولها والاختلاط بأهلها. {رَجِيمٍ} مرجومٍ مطرود عن الخير؛ من الرّجْم بمعنى اللعن والطرد؛ فإن من يُطرد يُرجم بالحجارة.

.18

* إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (18) *

{اسْتَرَقَ السَّمْعَ} خطف المسموع من الملأ الأعلى. {فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ} لحقه وأدركه شهاب يحول بينه وبين الاستراق. وهو الشعلة الساطعة من النار المنفصلة من الكواكب، التي تُرى في السماء ليلاً كأنها كوكب ينقض بأقصى سرعة. وجمعُه شُهب، وأصلها من الشُّهْبة وهي بياض مختلط بسواد، وهو كقوله

تعالى: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} [الصافات:10]. {مُبِينٌ} أي ظاهر للمبصرين. والمنعُ الشديد من استراق السمع كان من زمن البعثة، ويشهد له قوله تعالى: {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ

شِهَابًا رَصَدًا (9) [الجن]. وقيل: المنعُ من مولده صلى الله عليه وسلم.

.19

*وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19) *

{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا} بسطناها للاستقرار عليها. {وَأَلْقَيْنَا} وضعنا {فِيهَا رَوَاسِيَ} جبالا ثوابت [آية 3 سورة الرعد]. {مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} أي مقدر بمقدار معيَّن حسبما تقتضيه الحكمة، كما قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) [القمر].

.20

*وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20) *

{مَعَايِشَ} [آية 10 الأعراف]، {وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} أي وجعلنا لكم فيها من العبيد والخَوَل والدّواب والأنعام من لستم له برازقين، وإنما المتكفل برزقهم خالقهم رب العالمين. وعبر به (مَن) تغليبا للعقلاء.

.21

*وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21) *

{خَزَائِنُهُ} جمع خزانة، وهي في الأصل: المكان الذي – تُخزنُ فيه نفائس الأموال للحفظ. والكلام تمثيلٌ لإفادة أن مقدوراته تعالى التي لا تحصى – في كونها محجوبة عن الخلق، مصونة عن الوصول إليها مع وفور رغبتهم فيها، وكونها متهيِّئة للإيجاد والتكوين؛ بحيث متى تعلقت إرادته تعالى بوجودها وجدت بلا إبطاء – شبيهة بنفائس الأموال المخزونة للحفظ، المعدِّة للتصرف فيها بإرادة مالكها. {وَمَا نُنَزِّلُهُ} وما نوجد شيئا من تلك المقدورات إلا بمقدار معين تقتضيه الحكمة، وتستدعيه المشيئة.

.22

*وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22) *

{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ} حوامل، جمع لاقح بمعنى: حامل؛ لحملها الماء والتراب بمرورها عليها، وحملها السحاب وسوقه واستدرارِه. وهي مُلَقِحة تُلقح السحاب بما تمجه فيها من بخار الماء، وتلقح الشجر بنقل الجراثيم الحية من ذكوره إلى إناثه.

.23

*وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (23) *

{وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} لزوال مِلْك كلِّ مالك عما ملك، وبقاء جميع ذلك لنا.

.24

*وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (24) *

.25

* وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (25) *

.26

* وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) *

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ .. } بيانٌ لأطوار خلق آدم أبي البشر: ابتدأ الله خلقه من تراب مُفرَّق الأجزاء، ثم بله بالماء وتركه حتى اسود وتغير ريحه، ثم صور فيه تمثال إنسان أجوف، فَجف ويبس، حتى إذا نُقِر سُمعت له صلصلة، فغيَّره طورا بعد طور، حتى نَفخ فيه من روحه؛ فتبارك الله أحسن الخالقين! {صَلْصَالٍ} طين يابس غير مطبوخ، له صلصلة وصوت إذا نُقر، كما يصوت الحديد؛ فإذا طبخ بالنار فهو الفخار. {حَمَإٍ} طين أسودَ مُتغير. {مَسْنُونٍ} مصوَّر؛ من سنَّ الشيء صوَّره. وعلى هذه الأطوار تُخرَّج الآيات الواردة في أطواره الطينية، كآية: {خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ .. } [آل عمران:59] وآية: {بَشَرًا مِنْ

طِينٍ} [ص:71] وهذه الآية.

.27

*وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27) *

{مِنْ نَارِ السَّمُومِ} السموم: الريح الحارة التي تقتل. وسُمِّيت سموماً لأنها لشدة لطافتها وقوة حرارتها تنفذُ في مسام البدن. وقيل: هي نار لا دُخان لها تنفذ في المسام.

.28

*وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) *

.29

* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) *

{سَوَّيْتُهُ} سوّيت خلقه وصورته بالصورة الإنسانية.

{وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} أي أفضت عليه ما به حياته، وهو الروح الذي هو من أمري. {سَاجِدِينَ} سجود تحية

لا سجود عبادة.

.30

*فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) *

.31

* إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) *

{أَبَى} امتنع تكبرا.

.32

*قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) *

{مَا لَكَ} أيُّ غرض لك أو ما عذرك.

.33

*قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33) *

.34

* قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34) *

{رَجِيمٌ} مطرود من الرحمة أو مرجوم بالشهب.

.35

*وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (35) *

{اللَّعْنَةَ} الإبعاد على سبيل السخط.

.36

*قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) *

{فَأَنْظِرْنِي} أخِّرني إلى يوم البعث، من الأنظار بمعنى التأخير والإمهال. طلب ألا يموت أبدا؛ فأخِّر إلى يوم النفخة الأولى فقط، ثم يموت عندها.

.37

*قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) *

.38

* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38) *

{الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} وقت النفخة الأولى.

.39

*قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) *

{وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ} لأحملهم على الغواية والضلال.

.40

* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) *

{الْمُخْلَصِينَ} هم الذين أخلصتهم بتوفيقك لطاعتك. وقرئ بكسر اللام؛ أي الذين أخلصوا العبادة لك، ولم يشركوا معك فيها أحدا.

.41

*قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) *

{قَالَ} الله تعالى {هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ} أي تخليص المخلَصين من أعوانه حقٌّ على أن أراعيه. {مُسْتَقِيمٌ} لا عدول عنه.

.42

*إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42) *

{سُلْطَانٌ} تسلط وقدرة على الإغواء.

.43

* وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (43) *

{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ .. } الضمير لـ (من

اتبعك) أو لـ (الغاوين).

.44

*لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (44) *

{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ} أي لجهنم سبعة أطباق بعضها فوق بعض، وكلُّ طبق يسمى دَرَكا، ينزلها الغاوُون بحسب تفاوت مراتبهم في الغواية والمتابعة. {جُزْءٌ مَقْسُومٌ} فريق معيَّن من الأتباع الغاوين مفرَزٌ من غيره؛ من القَسْم، وهو إفرازُ النصيب. يقال: قسمت كذا قَسْما وقِسمة، فرزته. وقسَمه يقسِمه وقسَّمه: جزأه. وقَسَم الدهر القوم: فرقهم؛ كقسَّمهم.

.45

*إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (45) *

.46

* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (46) *

.47

* وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (47) *

{مِنْ غِلٍّ} حِقد وضغينة. وأصله من الغِلالة، وهي ما يُلبس بين الثوبين: الشِّعار والدِّثار. أو من الغَلَل، وهو الماء المتخلل بين الشجر. وهو إشارة إلى أنهم يُنْشأون في الآخرة نشأة أخرى صالحة غير النشأة الدنيوية.

.48

*لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (48) *

{نَصَبٌ} إعياء وتعب. يقال: نَصِب ينصَب، أعْيا. ونَصِب الرجلُ؛ ومنه عيش ناصبٌ: فيه كد وجهد.

.49

*نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) *

.50

* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50) *

.51

* وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (51) *

{ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ} هم الملائكة الذين نزلوا عنده ضيوفا بِصُوَر آدمية وبشروه بالولد، ثمَّ أخبروه بأنهم أرسلوا لإهلاك قوم لوط. والضيفُ: يُطلق على الواحد والجمع، وهو في الأصل مصدرُ ضافه، أي أماله.

.52

*إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (52) *

{وَجِلُونَ} ه خائفون لدخولهم بغير إذن، وفي غيرِ وقت دخول الضيف، وامتناعهم من أكل طعامه با من الوَجَل، وهو استشعار الخوف [آية 2 الأنفال].

.53

* قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53) *

.54

* قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (54) *

.55

* قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (55) *

{الْقَانِطِينَ} الآيسيين من خَرْق العادة لك، من القُنوط، وهو اليأس من الخير.

.56

* قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56) *

.57

* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57) *

{فَمَا خَطْبُكُمْ} فا شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى هذه البشارة [آية 51 يوسف].

.58

*قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58) *

.59

* إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (59) *

.60

* إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (60) *

{إِلَّا امْرَأَتَهُ} استثناء من الضمير في {لَمُنَجُّوهُمْ}. {قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ} علمنا أو قضينا أنها من الباقين في العذاب؛ من التقدير بمعنى الحُكم. وإسنادُ الملائكة الفعل

إلى أنفسهم مجازٌ، على حد قول خاصة المَلِك: نحن فعلنا؛ وإن كانوا فعلوه بأمر الملك. {الْغَابِرِينَ} من غَبَر بمعنى بَقِيَ [آية 83 الأعراف].

.61

*فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (61) *

.62

* قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (62) *

{قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} أنكركم ولا أعرفكم.

.63

*قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (63) *

{بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ} أي بالعذاب الذي كانوا يشكون أنه نازل بهم ويُكذِّبونك فيه.

.64

*وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (64) *

.65

* فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (65) *

{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ .. } سِرْ بهم في طائفة من الليل. أو ظلمة آخره [آية 81 سورة هود]. {بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ} بطائفة منه أو من آخره. {وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ} كُنْ على أثرهم؛ لتطَّلع عليهم وعلى أحوالهم.

.66

* وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (66) *

{وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ} أوحينا إليه. {أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ} أي آخرهم [آية 45 الأنعام]. {مُصْبِحِينَ} أي داخلين في الصباح، من أصبح التّامة، وصيغةُ أفعل تأتي للدخول في الشيء؛ نحو أنجَدَ وأتْهَم: أي دخل في نَجد وفي تهامة.

.67

*وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (67) *

.68

* قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (68) *

.69

* وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (69) *

{وَلَا تُخْزُونِ} لا تذِلُّوني بالتعرُّض بالسوء لهم [آية 78 هود].

.70

* قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (70) *

{عَنِ الْعَالَمِينَ} عن اجارة أو ضيافة أحد منهم.

.71

*قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (71) *

{هَؤُلَاءِ بَنَاتِي} يريد نساءهم، أو بناته حقيقة؛ فباشِروهُنَّ بالعقد المشروع [آية 78 هود].

.72

*لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72) *

{لَعَمْرُكَ} قسم من الله تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم. أو من الملائكة بحياة لُوط عليه السلام.

والعَمْر– بفتح العين –: لغة في العُمر بضمها – ومعناهما: مدة حياة الإنسان وبقائه؛ والتُزِم الفتح في القسم. و (عَمْر) مبتدأ خبره محذوف وجوبا، تقديره: قَسمي

أو يميني، أو نحوه. {إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ .. } غَوايتهم. أو شِدّة غُلمتهم التي أزالت عقولهم، وتمييزهم بين القبيح والحسن. {يَعْمَهُونَ} يترددون حياري [آية 15 البقرة].

.73

* فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (73) *

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ} صَيْحة السماء، وكلُّ شيء أهلك به قوم فهو صيحة وصاعقة [آية 67 هود]. {مُشْرِقِينَ} أي داخلين في وقت

الشروق. فكان ابتداء العذاب عند الصبح، وانتهاؤه وقت الشروق.

.74

*فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (74) *

{مِنْ سِجِّيلٍ} طين متحجر [آية 82 هود]

.75

* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (75) *

{لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ} للمتفكرين، المتفرسين الذين يتثَبَّتون في نظرهم حتى يعرفوا حقائق الأشياء بسماتها. تَفَعُّل من الموسم، وأصله التثبتُ والتفكُّر، مأخوة من الوَسْم وهو التأثير بحديدة محماة في جلد البعير أو غيره.

.76

*وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (76) *

{وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ} وإن قُرَى قومِ لوطٍ المُهلَكة لفي طريق مُعْلم واضح يراه كل مجتاز به إلى الشام، كما قال تعالى: {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138)} [الصافات].

.77

* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (77) *

.78

* وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (78) *

{أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ} أصحاب الغَيضة، وهي الشجر الملتفُّ. والمراد بها: البقعة الكثيفة الأشجار التي كانت فيها مساكنهم قرب مدينَ قريةِ شعيب عليه السلام. وكانوا مع كفرهم يقطعون الطريق، وينقصون المكيال والميزان فأهلكهم الله [آية 85 الأعراف]

.79

*فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ (79) *

{وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ} أي وإن قرى قوم لوط ومساكن قوم شعيب لبطريق واضح يأتمُّون به في سفرهم، ويهتدون به إلى الموضع الذي يريدونه.

.80

*وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (80) *

{أَصْحَابُ الْحِجْرِ} هم ثمودُ قومُ صالح عليه السلام. والحِجْرُ: واد بين الشام والمدينة، كانوا يسكنونه وله آثار باقية. والحجرُ في الأصل: كلُّ ما أحيط به الحجارة.

.81

*وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (81) *

.82

* وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (82) *

.83

* فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (83) *

{مُصْبِحِينَ} داخلين في وقت الصباح.

.84

*فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (84) *

.85

* وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (85) *

.86

* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (86) *

.87

* وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (87) *

{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} أي أنزلنا عليك سبعاً من المثاني: هي فاتحة الكتاب، وآياتها سبعة، آخرها {غير المغضوب عليهم} إن لم تُعَدُّ البسملة آية منها، فإن عُدَّت آية منها فالآية السابعة {صراط الذين أنعمت عليهم} إلى آخرها. وسُميت المثانيَ لأنها تُثنى في كل صلاة بقراءتها، أو لأنها أُثنيَ بها على الله؛ إذ جمعت الحمد والتوحيد ومُلْكه يوم الدين. والمثاني: جمع ثَنيٍ ومِثَناة –

بفتح الميم وكسرها، من تثَنى

الشيء ثنيا: إذا رد بعضه على بعض؛ فهي بمعنى طاقات الشيء التي يعطف بعضها على بعض.

{وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} معطوف على

سبعة من عطف الكل على جزئه.

.88

* لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88) *

{لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ .. } أي لا تطمح نفسُك إلى ما متَّعْنا به {أَزْوَاجًا مِنْهُمْ} أصنافا من الكفار من متاع الدنيا وزينتها؛ فإنه مستحقرٌ بالنسبة لما آتيناك من عندنا. {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ} تواضع وألن جانبك.

.89

*وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (89) *

.90

*كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (90) *

{كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ} أي ولقد أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب المقتَسِمين.

.91

*الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (91) *

{الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} الذين جعلوا القرآن أجزاء وأعضاء لفرط عنادهم، فجعلوا ما يوافق كتابهم حقا، وما يخالفه باطلا، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. فقوله: {كَمَا أَنْزَلْنَا} متعلق بقوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ} لأنه في معنى أنزلنا عليك. و {عِضِينَ} أي أجزاء وأعضاء متفرقة؛ من عضَّيت الشيء تعضية، أي فرقته وجعلته أجزاء، كل فرقة عِضَة، بوزن عِزَة. وأصلها عِضوة كعِزوة. أو جعلوه أكاذيب فأكثروا البَهْت والكذب عليه. جمع عِضة بمعنى الكذب والبهتان؛ من العَضْه، وهو أن يقول الإنسان في غيره ما ليس فيه. يقال: عَضَهه عَضَها، رماه بالكذب. وقد أعْضهتَ: أي جئت بالبهتان.

.92

*فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) *

.93

* عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93) *

.94

* فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) *

{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} أظهره واجْهَرْ به. يقال: صدع بالحجَّة. إذا تكلم بها جهارا. أو افرق بين الحق والباطل؛ من الصدع بمعنى الشق والفَرْق. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا بالدعوة، حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه معلنين بها لا يبالون بالمشركين، كما قال تعالى: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}.

.95

* إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95) *

{إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} تولينا إهلاكهم، مِن كفيت فلان المئونة: إذا توليتها له ولم تُحْوجه إليها.

.96

*الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (96) *

.97

* وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) *

.98

*فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) *

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} فافزع إلى الله تعالى فيما أنابك من ضيق الصدر بالتسبيح والتحميد، يكفك ويكشف الغَمَّ عنك.

.99

* وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99) *

{الْيَقِينُ} أي الموت.

والله أعلم.

سورة النحل

.1

*أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (1) *

{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ .. } قَرُب ودنا ما وَعَد الله به نبيه صلى الله عليه وسلم، من النصر على الأعداء، والانتقام منهم بالقتل والسبي واستئصال الأموال، والاستيلاء على المنازل والديار. أو قَرُب مجيءُ يوم القيامة الذي فيه عذاب المنكرين. وأُبرزَ المتوقَّعُ في صورة الواقع لتحقُّقه ولصدق المخبر به. {فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} أي الأمر فإنه واقع لا

محالة. وكان الكفار يستعجلون الموعودَ به استهزاء. {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} تنَزَه وتعاظم بذاته وصفاته عن إشراكهم المؤدِّي إلى صدور تلك الأباطيل عنهم. أو عن أن يكون له شريكٌ فيدفع ما أراد الله بهم. وكانوا يقولون: إن صح مجيءُ يوم القيامة فإن الأصنام تشفع لنا فيه.

.2

* يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (2) *

{يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ} بالوَحي، أي الموحَى به الذي من جملته التوحيد، كما في قوله تعالى: {يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [غافر:15]؛ وإطلاق الرُّوح عليه مجاز؛ لأن – بالوَحي تحيا القلوب المّيتةُ بداء الجهل والضلال، كما أن بالروح حياة الأبدان. والمرادُ بالملائكة: جبريلُ عليه السلام رسول الوحي ومن معه من حفظة الوحي. وقيل: جبريل خاصةً، والواحدُ يسمَّى باسم الجمع إذا كان رئيسا عظيماً.

.3

*خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3) *

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ .. } شروع في بيان أدلة التوحيد، و اتّصاف ذاته العليَّة بصفات الجلال والإكرام، والتنبيه على أن كل واحد منها كان في صرف المشركين عما هم فيه من الشرك. والمراد بالسماوات والأرض العالم العُلوي والسُّفليُّ. وخلْقُها بالحق: إيجادُها متلبساً بما يَحِق له بمقتضى الحكمة البالغة.

.4

*خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4) *

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ .. } أي هذا النوع غيرَ الفَرْد الأول منه وهو آدم عليه السلام {مِنْ نُطْفَةٍ} أي من مَنِي. وأصلُها الماء الصَّافي أو قليل الماء الذي يبقى في الدلو أو القربة؛ كالنُّطافة. وجْمُعها نُطَفٌ ونطاف. يقال: نطفَت القربة – من باب قتل وضرب– إذا قطرت؛ مِن النَّطف بمعنى السيلان والتقاطُر. {فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} مُخاصم ومُجادل في البَعث مع خلْقِه من نطفة مهينة؛ ينكر على خالقه القدرة عليه و يقول: { ... مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78)} [يس]. {مُبِينٌ} بين الخصومة ظاهرها. يقال: خَصِم الرجل يَخْصَم – من باب تَعِب – إذا أحكم الخصومة، فهو خَصِم وخصيمٌ.

.5

*وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) *

{وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا} بعد أن ذكر خلق السموات والأرض ثم خلْقَ الإنسان، ذكر ما ينتفع به

الإنسان، وبدأ بذكر الحيوان المنتفع به وهو الأنعام: الإبل والبقر والغنم. {لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ} الدفءُ: السُخونة؛ ويقابله حِدَّة البرد. ويطلق على ما يُدفيءْ من الأصواف والأوبار. وعلى نتاج الإبل وألبانها وما يُنتفع به منها. يُقال: دَفِيءَ الرجل – من باب طَرِب – فهو دَفيءٌ –كتَعِب – ودَفان وهي دفأى؛ كغضبان وغضبى.

.5

*وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) *

.6

* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) *

{وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ} زينة وعظمة ووجاهة عند الناس {حِينَ تُرِيحُونَ} حين تردُّونها بالعشي من مسارحها إلى مراحها. يقال: أراحَ الماشية يريحها إراحة. إذا ردها إلى المراح: وهو منزلها الذي تأوي إليه وتروح عشِية.

{وَحِينَ تَسْرَحُونَ} حين تخرجونها غُدوة من مراحها إلى مسارحها ومراعيها. يقال: سَرحت الماشية أسرحها سرحاً وسُروحا، أي أخرجتها بالغداة إلى المرعى؛ وسرحتْ هي. وسرّح فلان ماشيته يُسرّحها تسريحا: إذا أخرجها للمرعى غُدوة.

.7

*وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) *

{وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ .. } أي وتحمل الإبلُ أحوالكم الثقيلة إلى بلد لم تكونوا بالغيه بها إلا بمشقة أنفسكم وعنائها. أو إلا بذهاب نصف أنفسِكم، أي نصف قوتكم. والأثقال: جمع ثِقْل. وهو ما يُثقل الإنسان حملُه من متاع وغيره. والشِّق–بالكسر–: المشقة. ومن كل شيء: نِصفه. وقرئَ الشين بمعنى المشقة أيضا. وقيل: المفتوح المصدر، والمكسورُ الاسمُ.

.8

*وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) *

{وَالْخَيْلَ .. } ثم ذكر أنواع أخرى من الحيوان المنتفع به. {وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ويخلق لكم غير ذلك أشياء ترتفقون بها، وتنتفعون بثمراتها في الدنيا، لا تعلمونها الآن ولا تخطر لكم ببال، وستعلمونها حين يجيء الوقت المقدر لخلقها؛ والله عليم خبير.

.9

* وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9) *

{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} بيان طريق الهدي بِنَصب الدلائل عليه وإرسال الرُسل، وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه. والسبيل: الطريق. والقَصْد منه: هو المستقيمُ الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام. يقال: سبيلٌ قصدٌ وقاصدٌ، أي مستقيم؛ كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالكُ ولا يعدل عنه، فهو نحو: طريق سائرٌ. {وَمِنْهَا جَائِرٌ} أي ومن جنس السبيل سبيلٌ معوجٌّ منحرف عن الحق: و هو ملَل الكفر ونِحَل أهل الأهواء الضالة، من الجَوْر ضد العدل وضد القَصْد.

.10

*هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) *

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ .. } شروع في ذكر أنواع أخرى من

النِّعم على الإنسان والحيوان. {وَمِنْهُ شَجَرٌ} أي ومن الماء ينبت شجر وهو ما ترعاه الماشية. {فِيهِ تُسِيمُونَ} أي تَرْعون دوابكم يقال: أسام فلان ابلَه يُسيمها اسامة، إذا أخرجها إلى المَرْعى: وسامت هي تسوم سَوْما: إذا رعَت حيث شاءت. وأصل السَّوم: الإبعاد في المرعى.

.11

*يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) *

.12

* وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) *

{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ .. } بيانٌ لأنواع أخرى سماوية وأرضية مما خُلق لنفع الإنسان. {وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ} بتدبيره الجاري على وَفق مشيئته تعالى. والجملة مبتدا وخير، والجار والمجرور متعلق بالخبر.

.13

* وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13) *

{وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ} معطوف على {وَالنُّجُومُ} أي وما خلق لأجلكم في الأرض من حيوانٍ ونبات و معادنَ، حال كونه {مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ} أي أصنافه وأنواعه في الخِلقة والهيئة، والخواصِّ والمنافع.

.14

* وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14) *

{وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ .. } بيان لنوع آخر مما خلق للانتفاع به وهو البحار. {تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ} من البحر الملح خاصة. {حِلْيَةً} بالكسر: ما يتحلى به نساؤكم ويَتَزَيَّن به كاللؤلؤ والمرجان. وجمعها حَلّي وحُلى. أما جمع الحَلْي – بفتح فسكون فهو حُليّ. {وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ} جواريَ في البحر، تشق الماء شقاً. يقال: مَخَرت السفينة تَمْخَر وتَمخُرُ مَخراً ومُخُورا، إذا جرت تشق الماء بمقدَّمها. وأصل المَخْر: الشق. يقال: مخر الماء الأرض، إذا شقها.

.15

*وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) *

{رَوَاسِيَ .. } جبالا ثوابت. {أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} كراهة أن تميدَ، أو لئلا تميد؛اي تميل بكم وتضطرب. يقال: مادت السفينة تميدُ ميداً، إذا تحركت ومالت. ومادت الأغصان:

تمايلت.

.16

*وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16) *

{وَعَلَامَاتٍ} معالم الطرق تهتدون إليها.

.17

*أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17) *

{أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ} من هذه الآية إلى آية 29، ومن آية 33 إلى آية 39 في مُحاجة عبدة الأصنام ومنكري البعث، بعد بيان دلائل القدرة الباهرة والوحدانية، وخلق هذه النّعم الوافرة التي يتقلب فيها العباد. أي: أفمن يخلق هذه المخلوقات البديعة وغيرها كمن لا يخلق شيئا! فكيف تعبدون من لا يستحق العبادة، وتتركون عبادة من يستحقها وهو الله وحده!؟.

.18

*وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18) *

{لَا تُحْصُوهَا} لا تطيقوا حصرها لعدم تناهيها.

.19

*وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (19) *

.20

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) *

.21

أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21) *

.22

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (22) *

.23

*لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (23) *

{لَا جَرَمَ} حق وثبت أن الله يعلم [آية 22 هود].

.24

*وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24) *

{أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} أباطيلُهم وتُرّهاتُهم. جمع أسطورة، كأعاجيب وأعجوبة [آية 25 الأنعام].

.25

*لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (25) *

{لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ .. } آثامَ ضلالهم كاملة. ويحملوا معها آثام إضلالهم لأتباعهم؛ فضاعف لهم العذاب على الضلال والإضلال. {بِغَيْرِ عِلْمٍ} أي من المضِلين بما يستحقونه من العقاب الشديد على الإضلال، بل يُقدمون عليه جهلاً منهم بما يستحقُّونه منه.

.26

* قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (26) *

{الْقَوَاعِدِ} الدعائم والعمد. أو الأساس.

.27

*ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (27) *

{تُشَاقُّونَ فِيهِمْ} تُخاصمون المؤمنين في شأنهم، وتزعمون أنهم شركاء حقا. {إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ} أي الذل والهوان يوم القيامة {وَالسُّوءَ} أي العذاب {عَلَى الْكَافِرِينَ} وأبدل منهم: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ} [الاية اللاحقة] أي تَوفتهم. وعبر بالمضارع حكاية للحالة الماضية.

.28

*الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) *

{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ} تَوفتهم. وعبر بالمضارع حكاية للحالة الماضية. {فَأَلْقَوُا السَّلَمَ} فاستسلموا لأمره تعالى وانقادوا حين رأوْا عذاب الآخرة، وجحدوا ما كان منهم في الدنيا من الشرك والعصيان، وقالواكاذبين: {مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ} وهو– كما قالوا –: { .. وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23)} [الانعام]. فرد الله أو الذين أوتوا العلم عليهم بقولهم: {بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} فيجازيكم عليه؛ ولا ولايجديكم نفعا إنكاركم له!.

.29

* فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (29) *

{فَلَبِئْسَ مَثْوَى

الْمُتَكَبِّرِينَ} أي فَلَبِئس مقام المتعاظمين، عن الإيمان بالله: جَهَنّم.

.30

* وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30) *

{حَسَنَةٌ} أي مثوبة حسنة جزاء إحسانهم.

.31

*جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) *

.32

* الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32) *

{طَيِّبِينَ} طاهرين من دنس الشرك والمعاصي. {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} هو نظير قوله تعالى: {وَتِلْكَ

الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (72)} [الزخرف]. أي بسبب أعمالكم الصالحة؛ وسببيّتُها عادية، والسبب الحقيقي فضل الله ورحمته بقبولها وجعلها سبباً.

.33

* هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (33) *

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ} [البقرة:210،الأنعام:197]. {أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ} أي القيامةُ التي فيها عذابهم، أو العذاب المستأصل لهم في الدنيا.

.34

*فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (34) *

{حَاقَ بِهِمْ} أحاط أو نزل بهم.

.35

*وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35) *

{وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا} هو كقوله تعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا} [الأنعام:148].

.36

*وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36) *

{وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [البقرة:256،النساء:51]. {حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ} وجبت عليه بالقضاء السابق حتى مات، مُصِرا على الكفر.

.37

* إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (37) *

{إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ} أي إن تطلب بجُهدك هداهم لم تقدر عليه، فإن الله لا يهدى من يخلُق فيه الضلالة بسوء اختياره، وفساد استعداده. يقال: حَرَص عليه – ضرب وسمع –، إذا اجتهد.

والاسمُ الحِرص؛ بالكسر.

.38

*وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (38) *

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} أكّدوا الأيمان وشددوها بأقصى وسعهم (آية 53 المائدة].

.39

* لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (39) *

.40

* إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (40) *

{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ} أي إنما إيجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ما يكون [آية 117 البقرة]. والآيةُ لتقرير إمكان البعث. وقيل: لبيان كيفية التكوين مطلقا؛ ومنه التكوين في الإعادة.

.41

* وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) *

{هَاجَرُوا فِي اللَّهِ} أي في سبيل الله ابتغاء مرضاته وإعلاء لكلمته. {لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} لنُنزِلنَّهم في الدنيا دارا حسنة وهي المدينة (آية 74 الأعراف].

.42

*الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (42) *

.43

*وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) *

.44

* بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44) *

{بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ} أي أرسلناهم بالمعجزات للدلالة على صدقهم، وبالكتب لبيان الشرائع والتكاليف. يقال: زَبَرت الكتابَ – من باب نصر وضَرَب– أي كتبته كتابة عظيمة. والزُّبر: جمع زَبور بمعنى مزبور: وهو الكتاب. {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} من الأحكام والشرائع وأحوال القرون الماضية. وأسرار القرآن وعلومه – بيانا شافيا وافياً، فكانت السُّنن مفسِّرة للقرآن.

.45

*أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (45) *

{أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ} يُهلكهم بالخَسف وهو التغييب في الأرض. أو تغييب الأرض بهم. يقالُ: خسف الله به الأرض خسوفا، غيّبه فيها. وخَسَف هو في الأرض وخُسِف به.

.46

*أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (46) *

{أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ} أي يصيبَهم العذاب في أسفارهم. والأخذُ في الأصل: حوْزُ الشيء وتحصيله، والمراد به: القهر والإهلاك.

والتقلبُ: الحركة إقبالاً وإدباراً، والمراد الأسفار. {بِمُعْجِزِينَ} فائتين من عذاب الله بالهرب.

.47

*أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (47) *

{أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ} على مخافةٍ وحذر من أن يهلكوا كمن هلك قبلهم. أو من الهلاك لظهور أماراته. أو على تَنَقّص شيئا فشيئا في الأموال والأنفس والثمرات حتى يُهلكهم جميعا. يقال: تخوفته إذا تنقصته.

.48

*أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (48) *

{أَوَلَمْ يَرَوْا .. } أي أعَموا ولم يروا ما خلق الله من الأشياء ذوات الظلال –كالجبال: والأشجار ونحوها– تنتقل ظلالها وترجع من جانب إلى جانب فتكون أول النهار على حال، وآخره على حال. أو تكون قبل الزوال على حال، وأثناءه على حال، وبعده على حال. منقادةٌ في كل ذلك لله، جارية على ما أراده لها من امتداد وتقلص، غير ممتنعة عليه سبحانه فيما سخرها له؛ وهو المراد: بسجودها. والتَّفيُّؤ: تفعُّل: من فاء يفيء إذا رجع. وفاء لازم ويعدى بالهمزة، كأفاءه الله با وبالتّضعيف نحو فيا الله الظلَّ فتفيأ. فتفيُّؤ الظلال: رجوعها بعد انتصاف النهار؛ فلا يكون إلا بالعشي. والظل يكون بالغداة. وقيل مطلقا {سُجَّدًا لِلَّهِ} منقادة لحكمه وتسخيره تعالى. {وَهُمْ دَاخِرُونَ} أي وهذه الأشياء ذوات الظِّلال أذلاءُ منقادون لحكمه تعالى. يقال: دَخَر يدْخر دُخُرا، ودَخِر يدخَر دَخَرا: صَغُر وذل. وأدْخره فدَخر: أذله فذَل وجُمعت جمع العقلاء لوصفها بصفتهم، وهي الانقياد والطاعة.

.49

*وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49) *

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ} سجود المؤمنين والملائكةِ الله تعالى سجودُ طاعة وعبادة. وسجود غيرهم سجود خضوع وتسخير؛ بمعنى أنها لا تستطيع أن تستعصي على ما يريده منها.

.50

*يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (50) *

.51

* وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (51) *

{فَارْهَبُونِ} أي إن رَهبتم شيئا فايَّايَ ارهبوا. أي خافوا؛ من الرهبة وهي خوف معه تحرز.

.52

* وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (52) *

{وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا} ولهُ العبادةُ أو الطاعة والانقياد دائما. أو واجباً لازما. يقال: وصبَ الشيء يصِب وصُوبا، دام وثبت، كأوصب. ووصب على الأمر: واظب عليه. ووصب الدَّيْن: وجب و (واصبا) حال من الضمير في (لَهُ).

.53

*وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (53) *

{فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} ترفعون أصواتكم بالتضرُّع في كشفه. يقال: جأر يجأر جَأْرا وجُوارا،

رَفع صوتهُ بالدعاء وتضرعَ واستغاث. وأصلُه صياح الوحش.

.54

*ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (54) *

.55

*لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (55) *

.56

* وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (56) *

{وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ} أي لآلهتهم التي ليس من شأنها العلم؛ لكونها جمادات لا تحس ولا تشعر.

{تَفْتَرُونَ} تكْذبونه على الله.

.57

* وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (57) *

.58

* وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) *

{وَهُوَ كَظِيمٌ} مملوءٌ غيظاً وغماً [آية 134 آل عمران، 84 يوسف].

.59

* يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59) *

{يَتَوَارَى} يستخف وبتغيب {عَلَى هُونٍ} على هوان وذل. {أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ} يخفيه فيه. والمرادُ: أنه يئِده ويدفنه حيا حتى يموت. أو يهلكه مطلقا، وكانوا يفعلون ببناتهم ذلك. من الدَّس. وهو إخفاء الشيء في الشيء، وبابُه ردَّ.

.60

* لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (60) *

{مَثَلُ السَّوْءِ} ﻫ أي صفة السَّوْء التي هي كالمَثَل في القبح والسوء. وهي كراهة الإناث ووأدهُنَّ خشية الإملاق أو العار [آية 98 التوبة].

.61

*وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (61) *

.62

* وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (62) *

{لَا جَرَمَ} أي حقَّ وثبت {أَنَّ لَهُمُ النَّارَ} [أية 22 هود]. {وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} مقدَّمون يُعجَّل بهم إلى النار. يقال: أفرطته إلى كذا، وهو مُعدى بالهمزة؛ من فَرَط إلى كذا تقدم إليه. أو منسيُّون مُتركون في النار أبدا، من أفرطت فلانا خلفي: تركته ونسيته.

.63

* تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63) *

.64

* وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64) *

.65

*وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (65) *

.66

* وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66) *
{لَعِبْرَةً} لَعِظةً؛ من

العبور [آية 13 آل عمران]. {مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ} هو الأشياء المأكولة المنهَضمة بعض الانهضام في الكرش؛ فإذا خرجت من الكرش سُمِّيت رَوثاً.

.67

*وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67) *
{وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ} أي ومن ثمراتها ثم {تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا} أي خمرا {وَرِزْقًا حَسَنًا} وهو نحو الزبيب والتمر والدبس والخل، والسَّكر كالسُّكر: مصدر سُمي به الخمر. وقد كانت حين الامتنان بها حلالاً، إذ السُّورة مكية، والتحريم في سورة المائدة وهي آخر السُّوَر نزولاً بالمدينة [آية 90]. وفي الآية إشارة إلى عدم حُسنها لمقابلتها بالرزق الحسن.

.68

* وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) *
{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ .. } لما ذكر الله تعالى من دلائل قدرته وبديع صنعته إخراج اللبن من بين فَرْث ودمٍ وإخراج السَّكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، ذكر في هذه الآية إخراج العسل – وهو شفاء للناس – من طائر ضعيف وهو النّحل. {بُيُوتًا} أوكارا تبنيها لتعسل فيها. {وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} أي يبنون للنحل من الخلايا. يقالُ: عَرَش يَعْرِش ويعرُش، أي بنى عريشا. كأعرش وعرَّش؛ من العَرش وهو سقف البيت. ومنه عرشت

الكَرْم وعَرَّشته، إذا جعلت له كهيئة السقف لرفعه عن الأرض. والمراد: أنه تعالى الهم النحل أن تتَخذ بيوتاً من الشمع الذي تمُج فيه العسل شيئا فشيئا، في كهوف الجبال وفي متجوف الأشجار، وفي الخلايا التي يبنيها الناس لذلك. ولولا هذا الإلهام لم تأوِ إلى هذه الأماكن ولم تمج فيها العسل. وفي بنائها هذه البيوت الدقيقة. المحكمة البديعة؛ من مسدسات متساوية الأضلاع لا خلل فيها ولا تفاوت؛ وفي غدوّها لأقتطاف الأزاهير والثمار، ورواحها إلى خلياتها من مسافات بعيدة دون أن تخطئها، وفي تنصيب أمة النحل في الخلايا مَلِكة عليها نافذة الحكم والسلطان، وإقامة حاجب على كل خلية يحرُسها، ولا يمكن غير أهلها من الدخول فيها؛ مع صغر حجم النحلة وضعف بنيتها، ودأبها على العمل بنظام دقيق – أدلة متضافرة على كمال قدرة مَبدعها، وبداعة صُنع ملهمِها. وكم في هذه المخلوقات الصغيرة من عجائب ودلائل كالنمل والعنكبوت والذباب: { .. إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (74)} [الحج].

.69

*ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) *

{سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا} مذللة، ذللها الله تعالى وسهلها لك. جمع ذَلول، وهو حالٌ من (سُبل) أي الطرق التي هداها إليها وهي راجعة إلى خلاياها وبيوتها. {شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ} تَبعاً لاختلاف سن النحل صغرا وكبرا، ولاختلاف المرعي. {فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} أي في العسل شفاء للمرضى الذين يَنجع العسل في أمراضهم، وذلك من نعمه تعالى، إذ خلق الداء

والدواء، وسنّ التداوى لعباده.

.70

*وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (70) *

{أَرْذَلِ الْعُمُرِ} أخسِّه وأحقره. وهو وقت الهَرَم الذي تنقص فيه القوى وتضعف. ويكون حال الإنسان فيه كحالته وقت الطفولة. من ضَعف العقل والقوة , وهو كقوله تعالى: {وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68)} [يس]. وليس لذلك سنٌ معينة على الصحيح.

.71

*وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (71) *

{وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ} مثلٌ ضربه الله للذين جعلوا له شركاء. فقال لهم: إنكم لا ترضون أن تُسوُّوا بينكم وبين مماليككم فيما أنعمتُ به عليكم من الأرزاق، ولا أن تجعلوهم فيه شركاء، فكيف رَضيتم أن تجعلوا عبيدي

شركاء لي في ملكي وسلطاني!

.72

* واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72) *

{وَحَفَدَةً} أي أولادَ أولادٍ. أو أعوانا وخَدَما، يحفدون في مصالحكم ويعينونكم. يقال: حَفَد يَحفِدُ حَفدا وحفودا. إذا أسرع في الخدمة والطاعة؛ ومنه: (وإليك نسعى ونَحْفِد) أي نسرع إلى طاعتك.

.73

*وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73) *

.74

* فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (74) *

{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} جمعُ مثل – بالسكون –. أي فلا تجعلوا له أمثالا وأكفاء: فهو كقوله تعالى: { .. فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)} [البقرة]. أو جمع مَثَل – بالتَّحريك –: أي فلا تُشبهوه بخلقه ولا تُشركوا به أحدا.

.75

*ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (75) *

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا} أي مثلُكم في إشراككم بالله الأوثان. كمثل من سوَّى بين عبد مملوك عاجز عن التَّرف في أي شيء، وبين حُرٍ كريم قد رزقه الله مالا طيبا كثيرا فهو يتصرف فيه كما يشاء. فهل يستوي العبدُ والحرُ الموصوفان بهذه الصفات، مع أنهما مشتركان في البشرية والمخلوقية لله تعالى!؟ وأن ما ينفقه الحر لا دخل له في إيجاده ولا تملُّكه وإنما أعطاه الله إياه؛ فإذا لم يستويا مع ذلك فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون معه الأصنام!؟ والأوّل مثل للصَنم. والثاني مَثَل الله العلي الاعلى.

.76

* وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (76) *

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ} أي ومثل هؤلاء في إشراكهم بالله هذه الأوثان – مثلُ من سوَّى بين رجلين: أحدهما

أخرس أصمُّ لا يَفهَم ولا يُفهِم ولا يقدر على شيء، وهو عيال على من يلي أمره ويعولُه، حينما يرسله لأمر لا يأتي بِنُجح ولا يكفي لِمُهِم والآخرُ منطيقٌ فَهِمٌ

ذو رشد ورأي، يكفي الناس في مهماتهم وينفعهم، يحثهم على العدل، وهو في نفسه على صراط مستقيم وسيرة صالحة، ولا يتوجه لغرض إلا ويبلغه بأقرب سَعيٍ. {أَبْكَمُ} أي وُلد أخرس. {كَلٌّ} ثقلٌ وعيالٌ على غيره.

أو ثقيلٌ لا خير فيه؛ وجمعه كُلُول.

.77

*وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (77) *

{كَلَمْحِ الْبَصَرِ} أي وما شأن السَّاعة في سُرعة مجيئها إلا كفتح العين. يقال: لمحتُ الشيء ألمَحُه لمْحاً، نظرت إليه باختلاس البصر. ولَمَحه لمَحاً ولَمحانا: إذا نظره بسرعة، أو كرَجع الطرف من أعلى الحَدقة إلى أسفلها. {أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} أي بل هو أقرب من ذلك وأسرعُ. والمقصود: تمثيل سرعة المجيء على وجه المبالغة.

.78

*وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78) *

{وَالْأَفْئِدَةَ} جمع فؤاد، وهو وسط القلب. والفؤادُ من القلب كالقلب من الصدر.

.79

*أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (79) *

.80

*وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (80) *

{يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ} تجدونها خفيفه الحمل وقت سفركم، ووقت نزولكم وإقامتكم في مسيركم. يقال ظعَن يظعَن ظعنا وظَعَنا، سار. {وَمِنْ أَصْوَافِهَا} أي وجعل لكم من أصوافها {وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا} متاعا كثيرا لبيوتكم من الفَرش والأكسية ونحوها، من أثَّ يَئِثُّ – مثلثة الهمزة – أثاثةً وأثاثا، إذا كثر وتكاثف. {وَمَتَاعًا} وشيئا تنتفعون به في المتجر والمعاش [آية 36 البقرة]. وقيل: الأثاثُ والمتاع شي واحد، وجمع بينها لاختلاف لفظهما.

.81

* وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81) *

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ

ظِلَالًا} أي ما تستظلُّون به من شدة الحر، من الغمام والجبال والأشجار ونحوها. {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا} أماكن تستكنُّون فيها، وهي الكهوف والغيرانُ والأسراب. أو حصوناً ومعاقل تسترون فيها. جمع كِن وهو وقاء كل شي ء وسِتره. يقال: كنَّه وكنَّته، ستره. ويجمع أيضا على اكِنَّة. {سَرَابِيلَ} قُمُصاً وثيابا من القطن والصوف والكتان ونحو ذلك. {تَقِيكُمُ الْحَرَّ} أي والبرد؛ ففيه اكتفاء لدلالة الكلام عليه. وخُص الحر بالذكر

لأهميته عندهم؛ إذ هو أكثر نكاية من البرد. {وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ} أي في حَربَكم، وهي الدروع ونحوها والبأس: شدّةُ الحرب.

.82

*فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (82) *

.83

* يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (83) *

.84

* وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (84) *

{وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} الاستعتاب: طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته. والعُتبى: رجوعه عنها إلى ما يُرضيك. وأصل الكلمة من العتب، وهو لومُك صاحبك على إساءة كانت منه إليك؛ فإذا ذَكَّر كل منهما صاحبه بما فَرَط منه كان عتابا ومعاتباً. أي لا يطلب منهم العُتبى. أي الرجوع عما أغضب الله تعالى منهم إلى ما يرضيه؛ إذ الدار الآخرة دار جزاء لا دار عمل وتكليفٍ.

.85

*وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (85) *

{يُنْظَرُونَ} يمهلون ويؤخرون.

.86

*وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (86) *

{فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ} أي قال الذين اتخذهم الكفار شركاء لله وعبدوهم من دونه {إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} في زعمكم أننا شركاءُ لله. مبطلون في عبادتكم إيّانا من دونه.

.87

* وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (87) *

{وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ} أي الاستسلام والانقيادَ لحكمة في ذلك اليوم. بعد أن كانوا في الدنيا متكبرين عن حُكمه تعالى. ولم تغن عنهم الهتُم شيئا.

.88

*الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (88) *

{زِدْنَاهُمْ عَذَابًا .. } فلهم عذابان: عذاب على الكفر. وعذابٌ على الصد عن سبيل الله.

.89

*وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89) *

.90

* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90) *

{يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} العدلُ: كلمة جامعة لمعنى المُماثلة والمساواة والاستقامة والتوسُّط. شاملة للعدْل بين العبد وربِّه؛ بايثار حقه تعالى على حظ نفسه،

وتقديم رضاه على هواه، وامتثال أوامره واجتناب منهياته. وللعَدْل بين العبد ونفسه، بمنعها ما فيه هلاكها وفسادُها. وللعدل بين العبد والخلق؛ بالإنصاف من نفسه، وبذل النصيحة وترك الخيانة والإساءة إليهم، والصبر على الأذى. ويتحقق العدل بالتوسط في كل الأمور. بين طرفي الإفراط والتفريط؛ اعتقادا كالتّوحيد المتوسط بين التعطيل والتّشريك. وعملا كالتعبُّد بأداء الواجبات المتوسِّط بين البطالة والترهُّب. وخُلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير. وبالعدل الإلهي قامت السماوات والأرض. والعدل خاصة هذه الأمة، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة:143] أي عدولاً خيارا. {وَالْإِحْسَانِ} يُطلق الإحسان على إتقان العمل واكماله، وعلى إيصال النفع إلى الخلق. وهو مَصْدر أحسنَ يُحسن إحسانا؛ فيقال: أحسنت كذا، أي أتقنته وأكملته. وأحسنت إلى فلان: أي أوصلت إليه ما ينتفع به؛ وكلاهما مأمور به شرعا. {وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ} أي ما عَظُم قبحه. من الذنوب؛ قولا أو فعلا. {وَالْمُنْكَرِ} أي ما أنكره الشرعُ، وهو يعمُّ جميع الذنوب والمعاصي. {وَالْبَغْيِ} أي التطاول على الناس بالظلم والعدوان.

.91

* وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91) *

{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ} نزلت في الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان المؤكدة لها ومنها مبايعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام. وتوكيد اليمين: توثيقها. {وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} أي شاهد رقيبا أو ضامنا. والجملة حال من فاعل {تَنْقُضُوا}.

.92

*وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92) *

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ} مَثَلٌ ضرب لناقض العهود بعد توثيقها. أي ولا تكونوا فيما تُقدِمون عليه من النَّقض كمن أنحتْ على غَزلها بعد إحكامه وإبرامه فنقضته.

{قُوَّةٍ} إبرام وإحكام. {أَنْكَاثًا} حماقه منها جمعُ نِكثٍ وهو ما نقض ليغزل ثانيا. وفعله من باب قتل. {تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ} أي

لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها، متخذين أيمانكم وسيلة للغدر والخيانة. أو للفساد بينكم. والدَّخل: العيْبُ؛ واستعمل فيما يدخل الشيء وليس منه، ثم كنّى به عن الغدر أو الفساد والعداوة المستبطِنة. {أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ} أي لأجل وجدانكم جماعة أخرى {هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ} أكثر عددا وأعز نفرا من التي عاهدتموها – وكانت قريش تفعل ذلك؛ بل عليكم الوفاء بالعهد وإن قل من عاهدتموهم عن أولئك. و {أَرْبَى}: أزيد عددا وأقوى. يقال: رَبا الشيء يربُو، إذا كثر {يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ} يختبركم به هل توفون بعهدكم.

.93

*وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (93) *

.94

*وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (94) *

{وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ .. } تصريح بالنهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً. بعد النهي الضِّمني عنه في الآية السابقة، حيث وقع قيدا لقوله: {وَلَا تَكُونُوا} – مبالغة في قُبْح المنهي عنه. وتمهيدا لقوله تعالى: {فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} ورسوخها عن محجة الإسلام. وهو مثل يُضرب لكل من وقع في بلية ومحنة بعد عافية ونعمة.

.95

*وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (95) *

.96

* مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (96) *

{مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ} أي ما عندكم من متاع الدنيا ونعيمها يَنقضي ويفنى. يقال: نَفِد الشيء يَنْفد نفاداً ونَفدا ونُفودا. ذهب وفَنِي، ضد بَقِي. {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ} في الآخرة {بَاقٍ} لا يزول ولا يفنى.

.97

*مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) *

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا .. } ترغيب للمؤمنين في الإتيان بكل ما كان من شرائع الإسلام. {حَيَاةً طَيِّبَةً} في الآخرة، أو في القبر، أو في الدنيا، بالقناعة والرضا بما قسم الله له وقدّره. وذلك شأن كامل الإيمان.

.98

*فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) *

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ .. } أي فإذا أردت قراءة القرآن فاسأل الله أن يعيذك من وساوس الشيطان؛ حتى لا يصرف قلبك عن التأمل فيه، ولا يُلقي فيه الشُّبه والشكوك، ولا يزين لك الانصراف عنه.

.99

* إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) *

{سُلْطَانٌ} تسلط وولاية.

.100

*** إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100) ***

{يَتَوَلَّوْنَهُ} يتخذونه وليا مطاعا.

.101

***وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101) ***

{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً .. } رَدّ لقول المشركين: إن محمدا يسخَر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا، ما هو إلا مفتر يَتقوَّل من تلقاء نفسه. أي وإذا نسخنا آية بآية أخرى. {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} أي بما هو أصلح لخلقه. وبما يُغَيِّر ويبدل من أحكامه؛ فلعل ما يكون مصلحة في وقت؛ يصير مفسدة بعده فيَنسَخه. ومالا يكون مصلحة حينئذ، يكون مصلحة الآن فيثبته

مكانه. {قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ} تختلقهُ من عندك؛ قال تعالى:

{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106)} [البقرة].

ويُبعِدُ حمل الآية على الآية التكوينية صريح هذه الآية وما بعدها، وما وقع في القرآن من نسخ بعض الأحكام إلى بدلٍ وإلى غير بدل.

.102

*** قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (102) ***

{رُوحُ الْقُدُسِ} جبريل عليه السلام [آية 87 البقرة].

.103

***وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103) ***

{لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ .. } أي لغة الذي يُميلون قولهم عن الاستقامة إليه، فيُضيفون إليه أنه يعلِّم النبي صلى الله عليه وسلم – لغةٌ أعجمية غير عربيَّة، وهذا القرآن عربي مبين، أعجزكم بفصاحته وبلاغته، وأنتم أهل اللسن والبيان؛ فكيف يقدر من هو أعجميٌّ على مثله! وأين فصاحة القرآن من عُجمته! والإلحاد: الميل. يقالُ: لَحد وألحد، إذا مال عن القصد؛ ومنه لحد القبر

لأنه حفرة مائلة عن وسطه، والمُلحِد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها. والأعجميُّ منسوب إلى الأعجم وهو الذي لا يُفصح في كلامه، سواء أكان من العرب أم من العجم؛ زيدت فيه ياء النسب توكيدا.

.104

***إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) ***

.105

*** إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (105) ***

.106

* مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106) *

{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ} مبتدا خبره محذوف؛ تقديرُه: فعليه غضب من الله.

.107

* ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) *

{اسْتَحَبُّوا} اختاروا وآثروا.

.108

*أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108) *

{طَبَعَ} ختم.

.109

*لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (109) *

{لَا جَرَمَ} حقَّ وثبت. أو لا محالة [آية 22 هود].

.110

*ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (110) *

{إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا} أي إنه لهم لا عليهم؛

بمعنى أنه ناصرُهم لاخاذلهم. {فُتِنُوا} عذِّبوا لأجل أن يرتدوا عن الإسلام؛ من الفَتن [آية 102 البقرة].

.111

*يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (111) *

.112

* وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112) *

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً} جعل الله قرية موصوفةً بهذه الصفات مثلا لكل قوم أنعمَ الله عليهم بهذه النِّعم فأبطرتهم. وكفروا بالله فانتقم منهم. ويدخل في هؤلاء دخولا أوليا أهل مكة. والمراد بالقرية: أهلُها. {آمِنَةً} لايُغار عليهم {مُطْمَئِنَّةً} قارَّة بأهلها لا يحتاجون للنُّجعة كما يحتاج سائر العرب. {رَغَدًا} واسعا. {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ} فأذاقها الله ما غشيها من صنوف البلاء بسبب صنيعهم؛ وهكذا أهل مكة.

.113

* وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (113) *

.114

* فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (114) *

.115

* إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (115) *

{الدَّمَ} المسفوح وهو السائل. {وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ} أي الخنزير بجميع أجزائه. {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ .. } [آية 173 البقرة، المائدة:3]. {اضْطُرَّ} دعته الضرورة إلى التناول منه. {غَيْرَ بَاغٍ} غير طالب للمحرم للذة أو استئثار {وَلَا عَادٍ} ولا متجاوز ما يسد الرمق.

.116

*وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116) *

.117

* مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (117) *

.118

* وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118) *

.119

*ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (119) *

{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ} بعد أن هدد المشركين على أنواع من قبائحهم كانكار البعث والنبوة، وكون القرآن من عند الله، وتحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله –

بين أن كل ذلك لا يمنع من قبول توبتهم وغفران ذنوبهم إذا تابوا وأصلحوا. {بِجَهَالَةٍ} جاهلين بالله وبعقابه، أو غير متدبرين في العواقب لغلبة الشهوات عليهم.

.120

*إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) *

{كَانَ أُمَّةً قَانِتًا} أي كان أمةً وحده؛ إذ كان عنده من الخير ما كان عند أمة بأسرها. أو كان منفردا بالإيمان في وقته مدة ما، والناس كلهم كفار. {قَانِتًا} مطيعا لله خاضعا له؛ من القنوت وهو الطاعة مع الخضوع. {حَنِيفًا} مائلا عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق.

.121

* شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121) *

{اجْتَبَاهُ} اختاره واصطفاه للنبوة [179 آل عمران].

.122

*وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (122) *

.123

* ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (123) *

{مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} شريعته وهي التوحيد، وهي الإسلام الحنيف المعبَّرُ عنه آنفاً بالصراط المستقيم.

.124

* إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (124) *

.125

* ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125) *

.126

* وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126) *

.127

* وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) *

{فِي ضَيْقٍ} أي في ضيق صدر وحرج. قُرِيء بفتح الضاد وكسرها، وهما لغتان في المصدر. يقال: ضاق الشي يضيق ضَيْقا وضِيقا، خلافُ اتسع، فهو ضيِّق. وضاق صدره: حَرِج؛ فهو ضيق أيضا، والاسم الضِّيق.

.128

*إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128) *

والله أعلم.

سورة الإسراء

.1

*سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) *

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى} اسم مصدر لـ (سَبَّح)، منصوبة بفعل مُضمر تقديره: سبّحت الله

سُبحانا أي تسبيحاً، بمعنى نَزّهتُه تنزيها، وباعدتُه تبعيدا من كل سوء. وفيه معنى التعجب من باهر قدرته في إسرائه بعبده. والإسراء: السير بالليل خاصة، مصدر أسْرَيت. {بِعَبْدِهِ} أي بمحمد صلى الله عليه وسلم. {لَيْلًا} أي في جزء قليل من الليل. وفائدة ذكره مع أن الإسراء لا يكون إلا ليلاً: الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدة السير. وكان الإسراء يقظة بالجسد والروح. {مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} في السنة الثانية عشرة من

البعثة في قول والمشهور أنه كان في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب. وعُرج به صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة إلى السماء، وفيها فرضت الصلوات الخمس. وكان عروجه بالجسد والروح أيضا، وذلك من المعجزات، والله على كل شيء قدير. {لِنُرِيَهُ .. } لنرفعه إلى السماء فنريه.

.2

* وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2) *

{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ .. } فمُحمد صلى الله عليه وسلم أسريَ به، وكلمه الله تعالى ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماء، وأعطيَ القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم. موسى عليه السلام سار إلى الطور، وناجاه الله، وأعطاه التوراة وهي هدي لبني إسرائيل. {أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا} أي لئلا تتخذوا ربًّا غيري تكون إليه أموركم وتفوضونها إليه. والمرادُ: النهي عن الإشراك بالله تعالى.

.3

*ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3) *

{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3)} منصوب على الاختصاص. والمراد: حملهم على التوحيد بذكر إنعامه عليهم في ضمن إنعامه على آبائهم من قبل؛ حين لم يكن لهم وكيل سواه تعالى. {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} أي إن نواحاً عليه السلام كان عبدا كثير الشكر لله تعالى على نعمه؛ من الشكر، وأصله الامتلاء. يقال: عين شَكْرى. أي ممتلئة، ثم استعير للامتلاء من ذكر المنعم بالثناء وإظهار نعمه.

.4

*وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) *

{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ .. } أوحينا إليهم بمعنى أعلمناهم وأخبرناهم في التوراة بما سيقع منهم من الفساد مرتين في أرض الشام. قيل: الأولى – تغيير التوراة وعدم العمل بها، وحبسُ إرمياء وجرحُه: إذ بشرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم. والأخرى – قتل زكريا ويحيى عليهما السلام. وقال الجُبّائي: إنه تعالى لم يُبَيِّن ذلك فلا يُقطع فيه بخبر، وقوله تعالى: {لَتُفْسِدُنَّ} جواب قسم محذوف. {وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} أي لتَتَكبَّرن عن طاعة الله أولتغلبن الناس بالظلم والعدوان. وتُفرطنَّ في ذلك إفراطا مجاوزا للحد.

.5

* فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5) *

{وَعْدُ أُولَاهُمَا} العقاب الموعود على أولاهما. {أُولِي بَأْسٍ} ذوي قوة وبطشٍ في الحروب. والبأس: الشدَّة والمكروه. {فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ} توسَّطوها وترددوا بينها، ذاهبين وجائين لقتلكم؛ من الجوس وهو طلب الشيء باستقصاء، والتردد خلال الدور والبيوت في الغارة والطَّوف فيها. يقال: جاس يحوس جَوْسا

وجَوْسانا: أي فتش ونَقب {خِلَالَ الدِّيَارِ} ما حوالي جُدُرها وما بين بيوتها.

.6

*ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) *

{الْكَرَّةَ} الدَّولة والغَلَبة. والكرَّة: المرةُ من الشيء؛ وأصلها الكرُّ وهو الرجوع مصدر كرّ يَكُر: أي رجع، واستعمال الكرة في الدولة والغلبة مجاز شائع؛ كما يقال: تراجع الأمر. {أَكْثَرَ نَفِيرًا} أي أكثر من أعدائكم نافرا. والنَّفير والتنافر: من يَنفِر مع الرجل من عشيرته للذهاب إلى العدو.

.7

*إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7) *

{لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ .. } أي بعثناهم ليجعلوا آثار المَساءة والكآبة بادية في وجوهكم وليدخلوا بيت المقدس بالسيف والقهر والإذلال {وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا .. } ليُدمروا ويهلكوا ما استولوا عليه تدميرا؛ من التَّبر وهو الإهلاك [آية 139 الأعراف].

.8

*عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8) *

{وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا} أي وإن عدتم إلى الإفساد عُدنا إلى العقوبة كما فعلتم وفعلنا من قبل وقد عادوا بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم فعاد الله بتسليطه عليهم؛ فَقَتل قُرَيظة وأجْلى بني النَّضير، وضرب الجزية على الباقين. {حَصِيرًا} مَحْبسا وسِجْنا يُحبسون ويُسجنون فيه، مِن الحَصْر بمعنى التضييق.

.9

*إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) *

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} مقابل لقوله تعالى: {وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} أي أن القرآن يدعو الإنسان إلى الخير الذي لا خير فوقه من الأجر العظيم – ويُحذّر من الشر الذي لا شرَّ وراءه من العذاب الأليم.

.10

*وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (10) *

.11

* وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (11) *

{وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ} أي أن بعض أفرادِ الإنسان – وهو الكافر – يدعو لنفسه بما هو الشَّر من العذاب الأليم بلسانه، أو بأعماله السيئة المُفضِية إليه – دعاءً كدعائه بالخير لو فرض أنه دعا به. {وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} في دعائه بالشر متسرعا في طلب ما يضره، متعامياً عن ضررها؛ من العَجلة وهي طلب الشيء قبل أوانه.

.12

* وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12) *

{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ} بيان لبعض الدلائل الآفاقية التي تدل على قدرته تعالى. أي خلقنا المَلَوْين بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة – آيتين دالّين على أن لهما صانعا قادرا حكيما، وعلى ما هَدى إليه القرآن من الإسلام والتوحيد. {فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ} أي الآية التي هي الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه، مظلما لا يظهر فيه شيء. {وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} أي جعلنا الآية التي هي النهار مضيئة. أو مُبْصرا فيها. من قولهم: أبصر النهار، إذا أضاء وصار بحالة يُبصر فيها.

.13

* وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13) *

{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ .. } وألزمنا كل إنسان مكلَّف عمله الصّادر منه باختياره، حسبما قدرناه له من خير وشر؛ كأنه طار إليه من عُش الغيب ووكر القَدَر، فلازمه ملازمة لافكاك منها. وكانوا يتفاءلون بزجر الطير، وينسبون إليه الخير والشر؛ فاستُعير الطائر لما يشبه ذلك من قدر الله وعمل العبد، لأنه سبب للخير والشر. {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا} هو صحيفة عمله.

.14

* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14) *

{حَسِيبًا} محاسِبا كجليس بمعنى مجالس. أو حاسبا وعادًّا عليه؛ كصريم بمعنى صارم. يقال: حَسَب عليه كذا يحسبُهُ، عدَّه عليه.

.15

* مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15) *

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ} أي لا تحمل نفسٌ آثمةٌ إثم نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية من وزرها، وإنما تحمل كل منهما إثم ما باشرته أو تسببت فيه. [آية 164 الأنعام].

.16

*وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16) *

{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ .. } أي وإذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك أهل قرية بعذاب الاستئصال لما اقترفوه من الظُلم والمعاصي – أمَرنا بالطاعة مُتنعِّميها وجَباريها وقادتها ففَسقوا فيها وتمردوا. وهو من باب قولهم: أمَرتُه فعصاني. من التّرفة [آية 16 هود]. وخُصوا بالذكر مع توجه الأمر بالطاعة إلى الكل: لأنهم أئمة الفسق ورؤساء الضلال، وغيرهم تبع لهم. أو المعنى: وإذا دنا ذلك الوقت أفضنا عليهم النّعم المبطرة لهم وصببناها عليهم وكأننا أمرناهم بالفسق ففسَقوا فيها وعصوا. وقيل (أمَرْنا) بمعني كَثَّرنا كآمَرْنا، وبها قريء. وقُريء (أمَّرْنا) بتشديد

الميم: أي كثرناهم أو جعلناهم أمراء مسلطين. {فَدَمَّرْنَاهَا} فاستأصلناها بالهلاك، لأن غير المترف يتبع المترف في فسقه

عادة، من التدمير وهو إدخال الهلاك على الشيء مع طمس الأثر.

.17

* وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (17) *

{الْقُرُونِ} الأمم المكذبة.

.18

*مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) *

{يَصْلَاهَا} يدخلها. من صَلَيْت الرجل النار، أدخلته فيها. وصَلَيت الشاة: شَوَيتها. {مَدْحُورًا} مطرودا مبعدا من رحمة الله [آية 18 الأعراف].

.19

*وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19) *

.20

*كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) *

{كُلًّا نُمِدُّ} أي نزيد كلاً من الفريقين مرة بعد أخرى فتزيد المعجل لهم من العطايا العاجلة، وتزيد المشكور لهم من العطايا الآجلة. يقال: أمدَّ الجيش بالجند، إذا زاده وقواه. {مَحْظُورًا} ممنوعا عن أحد ممن يُريد إعطاءه، مؤمنا كان أو كافرا، تفضلا منه تعالى، من الحظر بمعنى الحَجْر. يقال: حَظره يَحْظُرُه فهو محظور، أي ممنوع.

.21

*انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21) *

.22

* لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (22) *

{لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ .. } لما بيَّن سبحانه أن سعادة الآخرة منوطة بإرادتها وبأن يسعى الإنسانُ لها سعيها، وبأن يكون مؤمنا – فصَّل ذلك بذكر ست وعشرين نوعا من أنواع التكاليف:1.التوحيد بقوله: {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ}. 3،2 – الأمر بعبادة الله والنهي عن عبادة غيره بقوله: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ}. 4 – {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}.5 – {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ}. 6 – {وَلَا تَنْهَرْهُمَا}.7 – {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}.8 – {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ}.9 – {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا}.10. {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ}.11 – {وَالْمِسْكِينَ}.12 – {وَابْنَ السَّبِيلِ}.13 – {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا}.14 – {فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا}.15 – {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ}.16 – {وَلَا تَبْسُطْهَا .. }.17 – {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ}.18 – {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا}.19 – {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ}.20. {فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ}.21 – {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ}.22. {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ}.23.

{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ}.24. {وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ}.25 – {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}.26 – {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا}. {مَخْذُولًا} غير منصور ولا معان من الله.

.23

*وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) *

{وَقَضَى رَبُّكَ} أمَرَ وألزمَ وحكَمَ. {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا} لا تقل لهما: أنا أتضجر وأقلق من كل فعل لكما تضجُرا. وأفٍ: اسم فعل مضارعٍ هو اتضجَّر. والنهي عن ذلك يدل على النهي عن سائر أنواع الأذى بدلالة النص {وَلَا تَنْهَرْهُمَا} و لا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك، والنّهْرُ: الزَّجْر بمغالطة. يقال: نَهره وانتهره بمعنى.

والمرادُ من النّهي الأول: المنع من إظهار الضجر منهما مطلقا، ومن الثاني: المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد والتكذيب. {قَوْلًا كَرِيمًا} حسنا جميلا لينا.

.24

*وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24) *

{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ .. } ألِنْ جانبك متذللاً لهما من مبالغتك في الرّحمة بهما.

.25

*رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (25) *

{لِلْأَوَّابِينَ} الرّجَّاعين إليه تعالى بالتوبة مما فرط منهم. جمع أوَّاب، بمعنى كثير الأوبة والرجوع إلى طاعة الله. يقال: آب يئوب. أي رجع.

.26

*وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) *

{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى} أعط ذوي قُرباك حقوقهم من صلة الرَّحِم، والمودة والمعاضدة، والزيارة وحسن المعاشرة، والمؤالفة على السراء والضراء، ونحو ذلك.

.27

*إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27) *

.28

*وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (28) *

.29

* وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29) *

{مَغْلُولَةً} مقبوضة عن الإنفاق في سبيل الخير. وأصل الغُل: الطوق الذي يجعل في العنق وتضمُّ به اليدُ إليه كُنّي به عما ذكر. {تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} كناية عن التبذير والإسراف. {مَحْسُورًا} منقطعا بك، لاشيء عندك

بسبب الإسراف و إتلاف المال؛ من حَسَره السيْر يحسِرُه ويحسُرُه. إذا أثر فيه أثرا بليغا. ويقال: بعيرٌ محسور، إذا ذهبت قوته فلا انبعاث به. نُهوا عن البخل والإسراف. وهو حث على التوسط والاعتدال في إنفاق المال.

.30

*إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30) *

{وَيَقْدِرُ} يُضَيِّق ويقتر على حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية.

.31

*وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31) *

{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ} أي خوف فاقة وفقر. وهو نَهيٌ للموسرين، كما نهى المعسرين بقوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ} [الانعام:151]. والمرادُ النهي عن وأد البنات لذلك؛ لما فيه من سوء الظن بالله تعالى. يقال: أملق الرجلُ، افتقر. وأصله من أملق الرجل بمعنى لم يبق له إلا المَلَق–محركة – وهو ما استوى من الأرض، بمعنى أنه قاعٌ لا نبات فيه. {إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا}

إثماً – وزْنا ومعنى – مصدر خطيءَ خِطْأً، كأثم إثما. وقرئ (خَطأ وخِطاء) وهما لغة في (خِطْأ). كبيرا عظيما فاحشاً.

.32

*وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) *

.33

* وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33) *

{سُلْطَانًا} تسلطا على القاتل بالقصاص أو الدية.

.34

*وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34) *

{يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} قوته. أي زمن قوته واشتداده؛ بحيث يمكنه بسبب عقله ورشده القيام بمصالح ماله، فتزول الولاية عنه فيه [آية 152 سورة الأنعام].

.35

*وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35) *

{بِالْقِسْطَاسِ} بالميزان، أو بالعدل. وفيه لغتان: كسر القاف وضمُّها، وهو لفظ معرب. {وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} مآلاً وعاقبة؛ لما يترتب عليه من الثواب في الآخرة: من الأَوْل وهو الرجوع. [آية 59 سورة النساء].

.36

*وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) *

{وَلَا تَقْفُ} لا تَتَبْع ما لا علم لك به من قول أو فعل، ويندرج في ذلك شهادة الزور والكذب، وأن تقول للناس وفي الناس مالا علم لك به، وترميهم بالباطل. يقال: قفوتُه أقْفُوه. وقُفْته أقُوفُه وقَفَّيتُه. إذا اتبعت أثره. وأصل القَفْو: العَضْه والبهْتُ والقذف بالباطل.

.37

***وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37) ***

{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} فخرا وكبرا وخُيَلاء والمَرَح في الأصل؛ شدة الفرح والتوسُّع فيه. والمذموم منه أن يكون متلبّساً بكِبر وخُيَلاء، وتجاوز للقدر. وفعله من باب فرح وتقييد النهي بقوله: {فِي الْأَرْضِ} للتذكر بالمبدأ والمعاد المانعين من الكِبْر والخُيَلاء، وللتمهيد للتعليل الآتي.

.38

***كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38) ***

{كَانَ سَيِّئُهُ .. } أي السيئ منه وهو المنهيات الاثنتا {عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا} أي وأمّا حسنه وهو المأمورات فهو مرضيّ عند الله محمود.

.39

***ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39) ***

{ذَلِكَ} أي المتقدم من التكاليف والأحكام المحكمة التي لا يتطرَّق إليها النَّسخ والنقض المذكورة في الآيات الثماني عشرة: من آية 22 إلى هذه الآية. {مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ}. وعن ابن عباس: أن التوراة كلَّها في هذه الآيات.

{مَدْحُورًا} أي مطرودا مبعدا من رحمة الله تعالى.

.40

***أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (40) ***

{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ} أفضلكم ربكم فَخَصَّكم؟

.41

***وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (41) ***

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ} بيَّنا فيه أحسن بيان ضروبًا من الأمثال والمواعظ والقصص والأخبار والأحكام؛ من التَّصريف. وهو كثرة صَرْف الشيء من حالة إلى أخرى، ومن أمر إلى آخر. {وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا} أي وما يزيدهم ذلك التصريفُ والتذكيرُ إلا تباعُدا وشرودا عن الحق. وغفلة عن الاعتبار. يقال: نَفَرت الدابة تنفِر وتنفُر نُفورا ونِفاراً فهي نافر ونفور، جَرِعت وتباعدت. ونَفَر الظَّبيُ نَفْرا ونفراناً: شرد.

.42

*** قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42) ***

{لَابْتَغَوْا} لطلبوا {سَبِيلًا} بالمبالغة والممانعة.

.43

*سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43) *

.44

* تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44) *

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ} تَسبيحُ هذه الكائنات الله تعالى هو دلالتُها بإمكانها وحدوثها وتغير شئونها وبديع صنعها، على وجود مبدعها ووحدته وقدرته. وتنزُّهه عن لوازم الإمكان والحدوث كما يدل الأثر على المؤثر. فهي دلالة بلسان الحال لا يفقهها إلا ذوو البصائر. أما الكافرون فلا يفقهون هذا التسبيح: لفرط جهلهم وانطماس بصائرهم وكثافة حُجُبهم، والله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة حلما منه. وهو غفور الذنوبهم إذا تابوا إليه وأنابوا. وقيل: تسبيحُها بلسان المقال. وقد خلق الله فيها القدرة على ذلك ولم يَرْتض الإمام هذا القول. وقيل: تسبيح العقلاء بلسان المقال. وتسبيح غيرهم بلسان الحال.

.45

*وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (45) *

{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ... } بعد أن بين سبحانه عدم فقه هؤلاء الكافرين الجاحدين للبَعْث دلالة المحدثات على صانعها وعلى وحدانيته وقدرته، مثَلهم – في جهلهم بشئونه صلى الله عليه وسلم وبصدق رسالته، وفَرْط نبوّ قلوبهم عن فهم القرآن الكريم، ومَجِّ أسماعهم له – بمن أقيم حجاب سائر بينه وبين مخاطبه. وجعلت على قلبه أغطيةٌ تحول دون فهم كلامه. وصُمَّت آذانه

صَمما ثقيلا يمنع من سماعه؛ فهو لا يرى ولا يفقه ولا يسمع. {مَسْتُورًا} أي ساترا لك عنهم. ومفعولُ يَرِد بمعنى فاعل؛ كميمون بمعنى يامن.

.46

*وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (46) *

{أَكِنَّةًأي أغطية جمعُ كِنان وهي ما يتغشاهم من خذلان الله لهم في فهم ما يتلى عليهم. {وَقْرًا} أي صَمما وثقلا.

.47

*نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (47) *

{نَحْنُ أَعْلَمُ ... } نزلت تهديدا للمشركين على استهزائهم

بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم وتكذيبهما، وعلى تناجيهم فيما بينهم بقولهم: ساحر، و شاعر، أو كاهن، أو مجنون. وتسلية له صلى الله عليه وسلم؛ أي نحن أعلم بما يستمعون القرآن متلبسين به من اللَّغو والاستهزاء والتكذيب حين استماعهم إليك، وحين تَنَاجيهم بما ذكر، و {إِذْ} في قوله {إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى}: ظرف لقوله {أَعْلَمُ}. {نَجْوَى} مصدر بمعنى التَّناجي والمسارة في الحديث. وقد جُعِلوا عين النَّجوى مبالغة، على حد: قومٌ عدلٌ، وقومٌ رضا. جمع نَجيّ كقتيل وقتلى؛ أي متناجون في أمرك. {مَسْحُورًا} قد خبله السحر فاختلط عقله؛ وهو كما قالوا في حقه: {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ} [المؤمنون:25]. اسم مفعول، من سَحَره يَسحَرُه سِحرا: وهو الأخذة وكل ما لطف مأخذه
ودقَّ.

.48

*انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (48) *

.49

* وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (49) *

{أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا} أي أنُبعثُ خَلقا جديدا إذا صرنا عظاما نَخرة {وَرُفَاتًا} تُرابا أو أجزاء متفتتة!؟ والرُّفات: ما تكسَّر وبَلِيَ من كل شيء؛ كالفتات. يقال: رفَت الشيء يَرفِته ويرفتُه، كسره ودقَه.

.50

*قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (50) *

.51

* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (51) *

{يَكْبُرُ} يعظم عن قبول الحياة كالسماوات. {الَّذِي فَطَرَكُمْ} أي الذي أبدعكم من غير مثال هو الذي يعيدكم بعد الموت بقدرته التي لا يتعاظمها شيء. {فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ} سيحرّكونها نحوك تعجبا، واستهزاء. يقال: نَغَض رأسه يَنغُض ويَنْغِض نَغضاً ونُغوضا، إذا تحرك واضطرب. وأنغض رأسه: حركه بارتفاع وانخفاض؛ كالمتعجب من الشيء.

.52

*يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (52) *

{فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ} أي منقادين لبَعْثه انقياد الحامدين له.

.53

* وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (53) *

{وَقُلْ لِعِبَادِي .. } أمَرَ المؤمنين أن يقولوا عند محاورة المشركين الكلمة التي هي أحسنُ وأقرب إلى استمالتهم للإيمان، حتى لا يلجُوا في العناد. وهو كقوله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}

[العنكبوت:46] كأن تقولوا لهم: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ .. } [الاسراء:54]. {يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ} يُفسد ويُهيِّج هي الشر بينهم. يقال: نزَغه يَنْزَغه، طعن فيه واغتابه. ونَزَغَ بينهم: أفسد وأغْرى ووسوس.

.54

*رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (54) *

{وَكِيلًا} موكولا إليك أمرهم.

.55

* وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (55) *

{زَبُورًا} كتابا فيه تحميد وتمجيد ومواعظ.

.56

* قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) *

{تَحْوِيلًا} نَقْله إلى غيركم ممن لم يعبدهم.

.57

*أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (57) *

{الَّذِينَ يَدْعُونَ} أي الذين اتخذهم الكفار آلهة من العقلاء؛ كالملائكة وبعض الإنس والجن. {الْوَسِيلَةَ} القربة بالطاعة والعبادة.

.58

*وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (58) *

.59

*وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59) *

{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ .. } وما كان سبب تركنا إرسال الآيات التي اقترحها المشركون إلا علمنا بأنهم سَيكذّبون بها كما كذّب بأمثالها الأولون؛ فيستوجبون مِثلهم عذاب الاستئصال على ما جرت به السنة الإلهية. وقد قَضَيْنا بامهال المكذبين من هذه الأمة لِحِكم نعلمها. {مُبْصِرَةً} آية بيِّنة واضحة. {فَظَلَمُوا بِهَا} أي فظلموا أنفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها.

.60

* وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (60) *

{إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} فهم في قبضة قدرته، ومنهم كفار مكة فسيهلكهم. {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا .. } وهي ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء من العجائب السماوية والأرضية. وأطلق على ذلك رُؤْيا مع أنه كان يقظة؛ لأن الرؤيا تطلق حقيقة على رؤيا المنام ورُؤية اليقظة ليلاً. أو على سبيل التشبيه بالرؤيا، لما فيها من العجائب، أو لوقوعها ليلا وسرعة تقضّيها كأنها منام. وقد كانت سبب افتتانِ الضعفاء من المسلمين {وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ} أي وما جعلنا الشجرة التي جاء القرآن بلعْن آكليها – وهي شجرة الزَّوم – إلا فتنة لبعض الناس: حيث كذبوا خلق شجرة في النار. {طُغْيَانًا} تجاوزا للحد في كفرهم وتمردا.

.61

*وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61) *

.62

* قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) *

{أَرَأَيْتَكَ هَذَا .. } أخبرني عن هذا الذي كرّمته عليّ! لم كرمته علي وأنا أكرمُ منه [آية 40 الأنعام]. {لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ} لأستولي عليهم استيلاء قويا، ولأقودهم حيث شئت؛ من قولهم: حَنَك الدابة يحنُكها ويَحنِكها وأحنكها، إذا جعل في حَنَكها الرسن ليقودها به. أو لأستأصلنهم بالإغواء، من قولهم: احتنك الجرادُ الأرض، إذ أكل نباتها وأتي عليه.

.63

قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63) *

.64

* وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) *

{وَاسْتَفْزِزْ} استَخِفَّ أو أزعِج. يقال: استفَزّه. إذا استخفه فخدعه وأوقعه فيما أراده منه. واستفزَّني فلان أزعجني. {بِصَوْتِكَ} أي بدعائك إياهم إلى معصية الله تعالى. {وَأَجْلِبْ} عليهم أي صِح عليهم وسُقهم؛ من الجَلَبة بمعنى الصياح. يقال: جَلَب على فرسه وأجلب: إذا صاح به من خلفه واستحثَه للسبق. أو أجْمع عليهم خيلك ورَجِلك. يقال: أجلبَ على العدو بخيله، أي جمع عليه الخيل. {بِخَيْلِكَ} أي بفُرسانك الراكبين على الخيل. {وَرَجِلِكَ} أي وبجندك المشاة. يقال: فلان يمشي رَجِلا. أين غير راكب. والمراد: تمثيل تسلطه عليهم بالإغواء والإضلال بقائد جند يفعل ذلك بعدوّه للتمكن منه وإهلاكه. {إِلَّا غُرُورًا} أي إلا وعداً باطلا خادعا، وأصل الغرور: تزيين الباطل بما يوهم أنه حق. يقال: غَرَّ فلان، إذا أصاب غِرَّته – أين غفلته – ونال منه ما يريد. وغَرَّه يَغُرُّه غرورا: خدعه. وأصله من الغُر وهو الأثر الظاهر من الشيء؛ ومنه: غُرَّة الفرس.

.65

*إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65) *

{عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} تسلطٌ وقدرة على إغوائهم.

.66

*رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (66) *

{يُزْجِي} يسوق ويدفعُ برفق. يقال: أزجى الإبل ساقها برفق. والريحُ تُزجي السحاب: تسوقه سَوْقا رفيقا.

.67

*وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (67) *

{إِلَّا إِيَّاهُ} استثناءٌ منقطع إذا أريد بـ {مَنْ تَدْعُونَ} آلهتُم. ومتصل إذا أريد به آلهتهم والله تعالى.

.68

*أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68) *

{أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ} يغور وبغيب بكم تحت الثرى. {حَاصِبًا} ريحا شديدة كرميكم بالحصباء، وهي الحجارةُ الصغار، واحدتها حصَبة. يقال: حَصَب فلان فلانا، إذا رماه بها.

.69

* أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69) *

{قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ} ريحاً شديدة تَقصِف لشدتها ما مرَّت به من الأشجار وغيرها فتحطمه وتدقُّه؛ من قولهم: قصف فلان ظهر فلان، إذا كسره. أو ريح لها قصيف، أي صوت شديد؛ كأنها تتقصف أي تتكسر. {تَبِيعًا} مطالبا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم، ودركاً للثأر من جهتنا. فعيلٌ بمعنى فاعل أي تابع، بمعنى مطالب بالثأر. ويقال لكل من طالب بثأر أو غيرهُ: تابعٌ وتبيع.

.70

*وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70) *

.71

* يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (71) *

{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} أي بنبيّهم، أو بكتاب أعمالهم؛ فيقال: يا أتباع موسى، ويا أتباع عيسى، ويا أتباع محمد. أو يا أصحابَ كتاب الخير، ويا أصحاب كتاب الشر. {فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} أي أعُطي صحائف أعماله بيمينه تشريف وبشارة. {وَلَا يُظْلَمُونَ} من أجورهم {فَتِيلًا} أي قدر فتيل، وهو الخيط الرَّقيق الذي في الحز الكائن في ظهر النواة طولا. وهو كنايةٌ عن أنهم لا ينقصون أي شيء من ثوابهم.

.72

* وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (72) *

وأما الذين يؤتون كتبهم بشمالهم فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله: {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ} أي في الدنيا {أَعْمَى} البصيرة {فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى} لا يهتدى إلى سبيل النجاة {وَأَضَلُّ سَبِيلًا} منه في الدنيا؛ لاستحالة تداركه ما فات.

.73

* وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73) *

{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ .. } (إن) مخفَّفة من الثقيلة، واسمُها ضمير الشأن، و {كَادُوا} قاربوا، أي إن الشأن قاربوا في ظنهم الباطل ليصرفونَك بفتنتهم عما أوحينا إليك. والآية مكية، نزلت فيها عرضه كفار قريش عليه صلى الله عليه وسلم. من جعل آية الرحمة آية عذاب و بالعكس، وقيل مدنية، نزلت في وفد ثقيف. {لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا} لتختلق وتتقول علينا.

.74

*وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) *

{وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ .. } أي ولولا تثبيتنا اياك على الحق بالعصمة لقاربت أن تميل إليهم شيئا من الميل فيما اقترحوه عليك بقوة خَدْعهم وشدة احتيالهم؛ لكن الله تعالى ثَبتك تثبيتاً، فَمَنعك بالعصمة من أن تقارب الميل، فضلا عن الميل نفسه إليهم. و {لَوْلَا} حرف يدل على امتناع الجواب لوجود الشرط؛ أي امتناع القرب من الركون لوجود التثبيت، وإذا امتنع القرب منه امتنع هو بالضرورة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله معصوما، ولكن هذا تعريفٌ للأمة لئلا يركن أحد منهم

إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه. {تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ} تميل إليهم.

.75

* إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75) *

{لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ .. } أي عذابا مضاعا في الحياة الدنيا، وعذابا مضاعفا في الممات. والمرادُ به: ما يشمل العذاب في القَبر والعذاب بعد البعث. أو ضِعف العذاب المعجَّل للعصاة في الدنيا، وضعف العذاب المؤجل لهم بعد الموت. وضعف الشيء: مثلُه [آية 38 الأعراف].

.76

*وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) *

{وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ} أي وإن الشأن قاربوا ليُزعجُونك بعداوتهم ومكرهم ليخرجوك من مكة، ولو أخرجوك لاستُؤصلوا على بكرة أبيهم، ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه. أخبره الله تعالى بذلك قبل الهجرة. والآية مكية. وقيل مدنيَّة. قال في لباب التأويل: إن الأول أليق بالآية؛ لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة، والسورة مكية. [راجع في معنى الاستفزاز آية 64 من هذه السورة].

.77

*سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77) *
{تَحْوِيلًا} تغييرا وتبديلا.
.78
*أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (78) *
{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ} أي بعد زوالها وهو ميلها عن وسط السماء لجهة الغَرب. يقال: دَلَكت الشمس تدلُك، أي مالت وانتقلت من وسط السماء إلى ما يليه. ومادَّةُ (دَلك) تدل على التحول والانتقال. {إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} أي شدة ظُلمته. يقال: غسق الليل وأغسَقَ، وظَلِم وأظلم، ودَجا وأدجى، وغبسَ وأغبَس، وغَبِش وأغبش، بمعنى. وأصلُ معنى الغسق: السَّيلان يقال: غَسَقت العين –كضَرب وسَمِع – أي سال دمعها، فكأن الظلمة تنصبّ على العالم وتسيل عليهم. والمراد بالصلاة التي تقام من بعد الدلوك إلى الغسق؛ صلاة الظهر. والعصر والمغرب والعشاء. {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ} أي وأقم قراءة الفجر أي صلاته. وسُمِّيت قرآنا
لأن القراءة ركنُها، من تسمية الشيء باسم جزئه، كتسمية الصلاة ركوعا وسجودا وقنوتا.
.79
*وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (79) *
{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ} أي وتيقظ من نومك في بعض الليل فتهجَّد بالقرآن، أي بالصلاة. {نَافِلَةً لَكَ} فريضة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون أمَّتك، بناءً على أن فرض التهجُّد لم ينسخ في حقه صلى الله عليه وسلم، أو فضيلة وزيادة درجات، بناء على أنه مندوب في حقه، وأن الوجوب منسوخٌ في حقه كما نُسخ في حق أمّته. والتهجُّد: الصلاة بعد القيام من النوم ليلا، وقيل: الاستيقاظ من النوم ليلا للصلاة، من الهجود، وهو النوم ليلا. ثم استعملت صيغة (تهجّد) في إزالته، كتأثم وتُخرّج في إزالة الحرج والإثم. {مَقَامًا

مَحْمُودًا} هو مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء. أو مقامُ الشفاعة لأمته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.
.80
*وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (80) *
{مُدْخَلَ صِدْقٍ} إدخالا مَرْضِيّا جيدا في كل ما أدخل فيه من أمر أو مكان. فهو مصدر بمعنى الإدخال: كالمجرى والمرسى، وإضافته من إضافة الموصوف لصفته [آية 3 يونس]. {سُلْطَانًا نَصِيرًا} قهرا وعِزًّا تنصر به الإسلام.
.81
* وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81) *
{جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} أي جاء الإسلام أو الدين الحق. وزالَ واضمحل بمجيئه الشِّرك. يقال: زهَقَت نفسه تزْهق زُهوقاً. خرجت من الأسف على الشيء. وزهقَ السهم: جاوز المرْمى إلى ما وراءه.
.82

*وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82) *
{وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ .. } أي لا يزيد القرآن المكذبين به إلا هلاكا، فكلَّما نزلت آية تَجَدَّد تكذيبهم وكفرهم بها فازدادوا هلاكا. والخسارُ والخسارة: الهلاك والضلال. {خَسَارًا} هلاكا بسبب كفرهم به.

.83

*وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (83) *
{وَنَأَى بِجَانِبِهِ .. } بَعُد منَّا بنفسه تكبُرا وتعاظما؛ كأن لم تنله نعمة منا، من النأْي وهو البُعد. والجانِبُ: النفس. يقال: جاء من جانب فلان كذا. أي منه، وهو كناية؛ كما يعبَّر بالمقام والمجلس عن صاحبه. {يَئُوسًا} شديد اليأس من رحمتنا.

.84

*قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (84) *
{كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ} أي كل واحد من المُعْرِض والمقبل، أو من المؤمن والكافر يعمل على طريقته ومذهبه الذي يشاكل حاله ويُشابهه في الهدى والضلال، والحُسْن والقبح. من قولهم: طريقٌ ذو شواكِل، أي طرق تتشعَّب منه، مأخوذة من الشَّكل – بالفتح – وهو المِثل والنَّظير يقال: لست على شكلي ولا شاكلتي.

.85

*وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85) *
{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كُنه الرُّوح تعنتا وامتحانا، فأُمِر أن يُجيبهم بأنه مما استأثر الله بعلمه. وعن عبد الله بن بُريدة: أن الله تعالى لم يُطلع على الروح مَلَكا مقربًّا ولا نبيا مرسلا: بدليل هذه الآية.

.86

* وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (86) *
{وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ .. } الآية امتنان من الله تعالى بابقاء القرآن أي إلى قرب قيام الساعة. {ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا} أي من يتعهَّد باسترداده بعد

إذهابه: كما يلتزم الوكيل ذلك فيما يوكَل فيه.

.87

*إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (87) *

.88

* قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88) *
{لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ .. } أي لا يقدرون على الإتيان بمثله في بلاغته وحسن نظمه، وتأليفه وأسلوبه البديع، ولو

تعاونوا جميعا على ذلك. وقد عجز فصحاء العرب – وهم أئمة البيان وفرسانُ البلاغة وذوو اللسن في الخطب – عن معارضته بعد التحدي. فكان غيرهم أعجز! وتتابعت القرون وتضافر الأعداء فلم يستطع أحد أن يأتي بمثله؛ فكان ذلك آية من آيات الله، ودليلا على أنه من وحي الله، وليس من كلام البشر. {ظَهِيرًا} أي مُعينا؛ ومنه: أظهره الله على عدوِّه، وأعانه. واستظهر به: استعان.

.89

*وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89) *

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا .. } أي كرّرنا ورددنا البينات والعبر في القرآن بأساليب مختلفة، وأتينا فيه من البدائع ما يشبه في حسنه وغرابته الأمثال: ليهتديَ الناس بهديه، فأبى أكثرهم إلا جحودا للحق. وحين قرعتهم حُججُه وألقوا بأيديهم عجزًا، اقترحوا واحدا من هذه الأمور الستة التي اشتملت عليها الآيات، تعنتا واستخفافا وإمعانا في التكذيب. {فَأَبَى} فلم يرض. {كُفُورًا} أي جحودا؛ من الكفر وهو السَّتر. والتغطية.

.90

* وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) *

{يَنْبُوعًا} أي عَينا لا ينضب ماؤها ولا يغور، من يَنْبع الماء من العين: ينبع – بتثليث الباء فيهما – خرج.

.91

* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) *

{فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ} أي تشقّقها. والمراد: فتجريها.

.92

*أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) *

{كِسَفًا} أي قِطَعا. جمعُ كسْفة. يقال: كسَفْت الثوب، قطعته. {قَبِيلًا} أي مقابلة وعِيانا. أو كفيلا بما تدعيه شاهدا بصحته.

.93

* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93) *

{مِنْ زُخْرُفٍ} أي ذَهب، وأصلُه الزينة، وإطلاقه على الذهب لأن الزينة به أعجب. {تَرْقَى فِي السَّمَاءِ} تَصعد في معارجها. يقال: رَقِيَ يرقى رَقْيا ورُقِيّا. صَعِد.

.94

*وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (94) *

.95

* قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (95) *

.96

* قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (96) *
.97
*وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (97) *
{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ .. } أي نبعثهم يوم القيامة منكبين على وجوههم، إهانة لهم وتعذيبا، إما مَشيا وإما سَحْبا عليها. وجائزٌ أن يكون الأمران في حَالَيْن قبل دخولهم النار، وأما فيها فيسحبون على وجوههم ويقال لَهم: { .. ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48)} [القمر]. {عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} فلا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون. وهذا هو شأنهم في بعض المواقف يوم القيامة. {خَبَتْ} سكن
لَهبُها، وصار عليها خباءٌ من رماد، أي غشاء. وقيل: سكنت وطُفِئَت أي ذهب لَهبُها. {سَعِيرًا} لهبا وتوقدا.
.98
*ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (98) *
{وَرُفَاتًا} ترابا أو أجزاء مُتفتِتةٌ [آية 49 هذه السورة].
.99
*أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (99) *
{أَوَلَمْ يَرَوْا} جواب عن استبعادهم قدرته تعالى على الإعادة في اليوم الآخر.
.100
*قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (100) *
{قَتُورًا} مبالغا في القتير والبخل. يقال: قَتَر يقتُر ويَقتِرن وأقتر وقتر: قلل. وفلان مُقتر: أي فقير. وأصله من القُتار، وهو الدُّخان من الشواء والعود ونحوهما.
.101
*وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا (101) *
{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ} وهي في رواية عن ابن عباس: العصا واليد والطُوفان والجّراد والقُمَّل والضفادع والدم والجدبُ، أي في بواديهم والنقص من الثمرات، أي في مزارعهم. {مَسْحُورًا} سُحرتَ فَخُولط عقلك واختل، وادَّعيت ما ادَّعيت [آية 47 هذه السورة].
.102
*قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (102) *

{بَصَائِرَ} بينات تُبَصِّر من يشهدها بصدقي. {مَثْبُورًا} مُهلَكا: من ثَبر الله الكافر يَثْبُره ثبورا: أهلكه. أو مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر؛ من قولهم: ما ثَبرك عن هذا؟ أي ما منعك وصرفك عنه.

.103

*فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (103) *

{أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ} يُزعجهم أو يستخفَهم ويخرجهم من أرض مصر. [آية 64 هذه السورة].

.104

*وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (104) *

{لَفِيفًا} مختلطين أنتم وهم. واللفيف: اسم جمع لا واحد له من لفظه. ومعناه: الجماعة من قبائل شتَّى.

.105

*وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105) *

{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ} أي وما أنزلنا القرآن إلا ملتبِسا بالحكمة الإلهية التي اقتضت انزاله. وما نزل إلا مُلتبسا بالحق؛ أي العقائد والأحكام. ونحوها مما اشتمل عليه. أو ما أردنا بإنزال القرآن إلا تقريره للحق، فلما أردنا ذلك وقع وحصل كما أردنا.

.106

*وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (106) *

{فَرَقْنَاهُ} فصَّلنا، أو فرقنا فيه بين الحق والباطل. أو أنزلناه مُنَجَّما على تفريق. وقريءَ: بالتشديد، أي أنزلناه مفرَّقا لا جملةً. {لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ} أي على تَؤدة وتأن وترتيل في التلاوة؛ ليفهموه ويتيسر لهم حفظه. والمُكث: التلبُّث في المكان والإقامة مع الانتظار. {وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} أي على حسب الحوادث والمصالح.

.107

*قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) *

{يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ} يسقطون بسرعة على وجوههم ساجدين تعظيما لله تعالى وشكرا له لإنجاز وعده ببعثتك. يقال: خَرَّ لله ساجدا يَخرُّ خُرورا، أي سقط. والآية في مؤمني أهل الكتاب.

.108

*وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) *

.109

* وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (109) *

.110

* قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ

بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110) *

{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ} أي بقراءتها حتى لا يسمعها المشركون فيسبوا القرآن ومُنزلَه. {وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} حتى لا يَسمعها من خلفك. والمخافته: إسرار الحديث لا يسمعه المتكلم، وهي ضد المجاهرة به. يقال: خفت الرجُل بصوته: إذا لم يرفعه. وخافت بقراءته مخافتة: إذا لم يرفع صوته بها، وقيل:: الصلاه الدعاء. {سَبِيلًا} طريقاً وسطاً.

.111

*وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111) *

{وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} عظمه تعظيما عن أن يكون له ولد أو شريك، أو ناصر معين. والله أعلم.

سورة الكهف

.1

*الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) *

{وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} أي لم يجعل فيه شيئا من العِوج بنوع من أنواع الاختلال والاختلافِ، لا في اللفظ ولا في المعنى. والعِوَج: الانحراف عن الاستقامة [آية 99 آل عمران].

.2

*قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) *

{قَيِّمًا} أي مستقيما معتدلاً، لا إفراط فيما اشتمل عليه من التكاليف حتى يشق على العباد، ولا تفريط فيه بإهمال ما هم في حاجة إليه؛ حتى يحتاج إلى كتاب آخر. أو قيّما بمصالح العباد، متكفلا بها وببيانها لهم؛ لاشتماله على ما ينتظم به المعاش والمعاد. {لِيُنْذِرَ بَأْسًا .. } لينذر الذين كفروا عذابا شديدا في الآخرة. وأصل البَأس: الشدة في الحرب.

.3

*مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) *

.4

* وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) *

.5

*مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5) *

{كَبُرَتْ كَلِمَةً} أي عَظُمت في الشَناعة والقبح تلك الكلمة التي تفوهوا بها دون تعقل وفهم، وهي قولهم: (اتخذ الله ولدا). و (كَبُر): فعل ماض؛ لإنشاء الذم، وفاعله ضميرٌ مفَسر بالنكرة بعده المنصوبة على التمييز. والمَخصوص بالذم محذوف. أي كَبُرت هي. أي المقالة التي قالوها كلمةً خارج من أفواههم تلك المقالة

الشنعاءُ.

.6

*فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6) *

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ} قاتل نفسك حزنا وغضبا لإعراضهم عن الإيمان وتكذيبهم بالقرآن، والمرادُ: لا يكن منك ذلك. يقال: بخع نفسه بخعاً و بخوعا، قتلها من شدة الوجد أو الغَيْظ. وأصل البَخْع: أن تبلغ بالذبح البِخاع – بكسر أوله – وهو عرق في الصُّلب يجري في عظم الرقبة، وذلك أقصى حد الذبح. {أَسَفًا} مفعول لأجله.

.7

*إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) *

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ .. } تعليلٌ للنهي المقصود من كلمة الترجي. تسلية له صلى الله عليه وسلم وتسكينا لأسفه؛ لأنه تعالى مختبرٌ لأعمالهم ومجازيهم عليها. فكأنه تعالى يقول له: لا تحزن فإني منتقم لك منهم.

{لِنَبْلُوَهُمْ} لنختبرهم بما خلقنا من هذه الزينة {أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} أي أتْبَع لأمرنا ونهينا، وأعمل بطاعتنا، وأبعدُ من الاغترار بزينة الدنيا. أي لنعاملهم معاملة المختبر، من الابتلاء بمعنى

الاختبار [آية 49 البقرة].

.8

*وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8) *

{وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ} أي وإنا لمُصَيرون عند انقضاء الدنيا {مَا عَلَيْهَا} مما جعلناه زينة لها {صَعِيدًا} تُرابا {جُرُزًاْ} لا نبات فيه. يقال: أرضٌ جُرُز؟، لا تُنبت، أو أُكِلَ نباتُها، أو لم يصبها مطر. وجُرِزت الأرض: إذا ذهب نباتها بقحط أو جراد، وهو كناية عن إفناء متاع الدنيا، ويعقب ذلك الجزاء على الأعمال، فلا يَحْزنك أمرهم فانا سنجازيهم على ما عملوا يوم الحساب.

.9

* أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9) *

{أَمْ حَسِبْتَ} بل أظننت. {الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ} الكَهْف: النَّقب المُتَسِع في الجبل: فإن لم يكن فيه سَعة فهو غار. وجمعه كُهوف وأكْهُف. والمراد: الكهف الذي اتخذه هؤلاء الفتية بمدينة أفسوس أو طَرسوس. [أفسوس: بلد بثغر طرطوس، وطرطوس: مدينةٌ شهيرة بآسيا الصغرى]. {وَالرَّقِيمِ}: لوحٌ رُقمت فيه أسماء أهل الكهف وقصَتُهم. أو ما تمسكوا به من شرع عيسى عليه السلام؛ فهو مصدر بمعنى المَرقوم أي المكتوب. أو هو اسم للوادي الذي كانوا فيه.

.10

*إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) *

{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ .. } التجأوا إلى الكهف واتخذوه مأوى لهم. يعبدون الله وحده فيه؛ فرارا بدينهم من قومهم الذين كانوا يعبدون غير الله، ومِنْ مَلِكهم الذي كان يأمرهم بذلك واسمه دقيانوس. يقال: أوَى إلى منزله يأوي أُوِيا، نزله بنفسه وسَكَنه. والفتيةُ: جمع فتى وهو الطريُّ من الشباب. {وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا} الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على الإيمان والطاعة {رَشَدًا} اهتداءً إلى الطريق الحق، وسَدَادا إلى العمل الذي تحبُّ. والرَّشد والرُّشد: ضدُّ الغي والضلال. يقال: رشِد يَرْشَد، ورشَد يَرشُد – رُشداً ورَشَدا ورشادا: اهتدى.

.11

*فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) *

{فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ} أنمناهم إنامة ثقيلة.

.12

*ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12) *

{بَعَثْنَاهُمْ} أيقظناهم من نومهم. {أَمَدًا} مدة وعدد سنين أو غاية.

.13

* نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) *

.14

* وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) *

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ} قويناها بالصبرِ والتَّثبيت على الحق، حين وقفوا بين يدي مِلِكهم الجبار؛ موقف صدق وعزم، وأعلنوا: التوحيد بنوعيه: توحيد الرُّبوبية. وتوحيد الألوهية؛ نَبذا لما دعاهم إليه من عبادة الأوثان. وأصلُ الرَّبط: الشَّدّ. يقال: ربطتُ الدابة، شددتُها برباط. واستعماله فيما ذكر مجاز؛ كما في قولهم: هو رابط الجَأش: إذا كان قلبه لا يَفْرَق ولا يفزع عند الحرب والشدة. {قُلْنَا إِذًا} أي

إن دعونا غيره تعالى {شَطَطًا} أي قولاً هو عين الشطط والبعد المفرط عن الحق. والشَطَط: مصدر بمعنى مجاوزة القدر في كل شيء. وصف به القولُ مبالغة. ثم اقتصر على الوصف مبالغة على المبالغة. يقال: شط يَشِط ويَشُط شططا وشُطوطا. بعد.

.16

*وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (16) *

{مِرْفَقًا} ما ترتفقون وتنتفعون به من الأشياء. وقرئ

(مَرْفِقا) بفتح الميم وكسر الفاء بهذا المعنى. وفي الآية امتداح الهجرة لسلامة الدين.

.17

* وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (17) *

{وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ} تعدِل وتَميل {عَنْ كَهْفِهِمْ} من الزَّور بمعنى الميل، ومنه: زاره إذا مَال إليه. والأزوارُ: المائل الزَّور أي الصدر. وازْوَرَّ عن الشيء ازورارا. وتزاور عنه تَزاوُرا: عَدَل وانحرف. وأصله: تتزاورُ. فحُذفت إحدى التاءين تخفيفا. {ذَاتَ الْيَمِينِ} جهة يمين الكَهْف. أي يمين الداخل فيه هو {وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ} تتركهم وتعدل عنهم. يقال: قَرض المكان، عدل عنه وتنكَّبه. أو تقطعهم بمعنى تتجاوزهم وتتركهم؛ من القرض بمعنى القَطْع. يقال: قَرض المكان يقرضُه، أي قطعه. {وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ} أي في متّسَع منه وهو وسَطه. والفَجْوة: ساحة الدّار: مأخوذة من الفَجَا وهو تباعد ما بين الفخذَين. يقال:

رجل أفجى، وامرأةٌ فجواء. والمراد: أن الشمس تميل عنهم طالع وغاربة، لا تبلغهم لتؤْذيهم بحرّها، وتغير ألوانهم، وتُبلى ثيابهم. وهم في وسط الكهف بحيث ينالهم رَوْح الهواء، ولا يؤذيهم كربُ الغار ولا حَرُّ الشمس. {ذَلِكَ} أي ما ذكر من هذه الأوضاع والحالات {مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} الدالة على قدرته، وعجيب صنعته.

.18

*وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18) *

{بِالْوَصِيدِ} أي برَحبَة الكهف، أو بعتبة الباب، كأنه يحفظه عليهم. وجمعه وصائد

ووُصد. {رُعْبًا} أي خوفا وفزعا. مصدر رَعَبه يَرْعبُه، أي خوّفه، فهو مرعُوب ورعيبٌ.

.19

*وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) *

{بَعَثْنَاهُمْ} أيقظناهم من موتتهم الطويلة. {فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ} بدراهمكم المضروبة. {أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا} أي أيُّ أطعمة المدينة أحل وأطهر، أو أجود أو أكثر بركة

{وَلْيَتَلَطَّفْ} وليتكلف اللطف في الاستخفاء دخولا وخروجا {وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا} لا يخبرنّ أحدا بأمركم خشية تعذيبكم.

.20

*إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20) *

{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} أي يَطَّلعُوا عليكم، أو

يَظفَروا بكم. وأصل معنى: (ظَهرَ): صار على ظهر الأرض، ولما كان ما عليها مشاهدا متمكنا منه، استعمل تارة في الإطلاع، وأخرى في الظَّفر والغلَبة، و عُدِّي بعلى.

.21

*وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21) *

{وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ} أي كما أنمناهم وبعثناهم هذا البعث الخاصَّ، أطلعنا الناس عليهم. {إِذْ يَتَنَازَعُونَ} ظرفٌ لـ (أعثرنا): أي يتنازع المؤمنون والكافرون في أمرهم.

.22

*سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (22) *

{سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ .. } سيختلف الناس في عدة أصحاب

الكهف، فحكى الله تعالى عنهم ثلاثة أقوال لا غير، فدَلّ على أنه لا قائل برابع؛ وأتبع القولين الأولَيْن – وهما لغير المؤمنين – بقوله: {رَجْمًا بِالْغَيْبِ} أي قوة بلا علم ولا اطلاع، فدل على بُعدهما عن الصواب. وحكى الثالث – وهو للمؤمنين – وأعقبه بقوله: {وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ}، فدل على أنه الواقع في نفس الأمر وإنما استفيد منه التقرير، لأن الكلام قد تمَّ عند قوله:

{وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ} ثم عطف عليه قوله: {وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ} والثامن لا يكون ثامنا إلا بعد سابع؛ فكأنه قيل: هم سبعة وثامنهم كلبهم. {رَجْمًا بِالْغَيْبِ} أي يرمون رَمْيا بالخبر الغائب عنهم، الذي لا مُطَّلع لهم عليه ويأتُون به. والرَّجم في الأصل: الرَّميُ بالرجم، وهو الحجارة الصغيرة، استعير للتكلم بما لا علم به، ولا اطلاع عليه لخفائه؛ تشبيهاً له بالرمي بالحجارة التي لا تصيب المرمى. {قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ} أي أقوى وأقدم في العلم بها. وفيه إرشادٌ إلى أن الأفضل في مثل هذا ردُّ العلم إليه تعالى، وعدم الخوض فيه؛ فإذا أطلعنا الله على أمره قلنا به، وإلا وقفنا. وثبوتُ الأعلمية له تعالى لا ينافي علم قليل من الناس به؛ وهو قوله تعالى: {مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ} أي ما يعلم عدتهم إلا قليل من الناس، والأكثرون لا يعلمونها.

{فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ} أي فلا تجادل في شأن أصحاب الكهف أحدا من الخائضين فيه {إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا} واضحا بذكر ما قصصنا عليك من شأنهم ولا تزد عليه. يقال: ماراه مِراء، جادله. {وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا} فإن فيما أوحينا إليك لمندوحة عن غيره.

.23

*وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) *

{وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ .. } أي لا تقول أفعل غدا إلا متلبسا بقول: إن شاء الله. نزلت إرشادا له صلى الله عليه وسلم حين سألته قريش عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال: (ائتوني غدا أُخبركُم) ولم يقل إن شاء الله. فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه.

.24

*إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24) *
{وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} أي إذا نسيت تعليق القولُ بالمشيئة. ثم ذكرتَ أنك لم تعلقه بها فائت بها؛ أي ما دمت في مجلس الذكر –كما رويَ عن الحسن – أو ما لم تأخذ في كلام آخر.

.25

*وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) *

.26

* قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26) *
{قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا} أي بالزمن الذي لبثوه في كهفهم ممن اختلفوا فيه. وقد أخبر أنه ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمرية، فهو الحق الصحيح الذي لاشك فيه، وهو إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم. {أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ} صيغتا تعجُّب؛ أي ما أبصره وما أسمعه تعالى. والمراد: الإخبار بأنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء. وذُكر بصيغة التعجُّب للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عما عليه إدراك المبصرين والسامعين، إذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت عنده لطيفٌ وكثيفٌ، وصغير وكبير، وخفي وجلي.

.27

*وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27) *
{وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} ملجأً تعدل إليه وتميل عند المام مُلِمّة؛ من الالتحاد بمعنى الميل. يقال: ألحد، مال وعدل. والتحد إلى كذا: مال إليه.

.28

*وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28) *
{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ} نزلت في شأن فقراء الصحابة وضعفائهم؛ كعمَّار وصُهَيب وبلال وأضرابهم. حين طلب سادة قريش من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُنحيهُم عن مجلسه وقالوا: لونَحَّيت هؤلاء لجالسناك واتبعناك؛ أي أحبس نفسك وثَبتها. يقال: صَبَرتُ زيدا أصْبِره صبرا – أي حبسته. {مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} أي يعبدونه بذكره، وحمده وتَهليله وتسبيحه وتكبيره، أو بتلاوة القرآن. {بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِ} أي في طَرَفي النهار، وهو كناية عن دوام العبادة. {وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ} أي لا تصرف عيناك النَّظر عنهم إلى هؤلاء المتغطرسين

المستكبرين. يقال: عداه عن الأمر عَدْوانا، صرفه وشغله. {مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ} جعلناه غافلا ساهيا. {وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} أي إفراطا وإسرافا، أو ضياعا وهلاكا، أو مجاوزا فيه الحدّ.

.29

*وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ

يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29) *

{أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} السُّرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مِضرب أو خباء، أو كل بيت من كُرسُف أي قطن، أو الحجرة التي تكون حول الفسطاط تمنع من الوصول إليه، وجمعه سُرادقات. {يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ} هو ماءٌ غليظ كدُرديّ الزيت. أو هو دُرديُّه وعكرُه. أو ما أذيب من معادن الأرض أو من النحاس فانْماع و تَموّج بالغليان حتى بلغ أقصى الغاية في الحرارة. أو هو القَطِران الرقيق. {وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} متَّكأ، من الارتفاق وهو الاتكاء على مرفق اليد. وأطلق عليها مرتفق مشاكلة لقوله بعد: {وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا} وإلا فلا ارتفاق لأهل النار.

.30

*إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30) *

.31

* أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31) *

{جَنَّاتُ عَدْنٍ} جنات إقامة واستقرار. {مِنْ سُنْدُسٍ} ما رقَّ من الحرير. {وَإِسْتَبْرَقٍ} ما غلظ منه وثَخُن {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ} جمع أريكة، وهي كل منا يتوكأ عليه من سرير أو مِنَصة أو فراش. أو هي السرير في الحَجَلة، وهي بيت كالقُبة يزين للعروس بالثياب والستور والأسرة، ويكون له أزرار كبار.

.32

*وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) *

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا .. } أي اضرب مثلا للمؤمنين الذين يَدعون ربهم بالغداة والعشي مع مكابدة مشاق الفقر. وللكافرين المستكبرين على الله مع تقلُبهم في نعمه تعالى {جَنَّتَيْنِ} بستانين. {وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ} جعلنا النّخل محيطا بكل منها.

.33

*كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) *

{آتَتْ أُكُلَهَا} ثَمرها، وهو ما يُؤكل من ثمر النخل والكرم وصنوف الزرع. {وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا} أي ولم تنقص منه شيئا من النقص في سائر السِّنين، وهو كناية عن تمامها ونموها دائما. {وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا} شققنا وأجرينا وسطهما.

.34

*وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) *

{وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ .. } أي وكان لصاحب الجَّنتين؛ أموال كثيرة أخرى غيرهما. جمع ثَمَرة، وهو يجمع على ثمار وجمعه ثُمُر. {وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} أن يراجعه الكلام. يقال: تحاورُوا إذا تراجعوا الكلام بينهم. {وَأَعَزُّ

نَفَرًا} أي عشيرة، أو حَشَما وأعوانا. والنَّفر: من ينفِرُ مع الرجل من قومه وعشيرته لقتال عدوه.

.35

*وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) *

{مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ} تهلك وتفنى. يقال: باد يَبيد بَيْدا و بيوداً، إذا هلك.

.36

*وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) *

{خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} مَرجعا وعاقبة. اسمُ مكان؛ من الانقلاب بمعنى الرجوع والانصراف عن الشيء إلى غيره. أقسم أنه إذا فُرِض بعث في الآخرة ليجد فيها خيرا من جَنته التي في الدنيا.

.37

*قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) *

.38

* لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) *

{لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ} أي لكنْ أنا أقول: هو الله ربي.

.39

*وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) *

{وَلَوْلَا} كلمةُ تحضيض كَ (هلا)، وإذا دخلت على الماضي أفادت التوبيخ. أي هلا قلت – عند دخولك جنتك وإعجابك بها – ما أراه بها من الحُسن والنضارة هو ما شاءهُ الله تعالى؟ فرددتَ الأمر إلى المشيئة الإلهية؟

.40

*فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) *

{وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا} عذاباً {مِنَ السَّمَاءِ} كالصواعق والسَّموم. أو مراميَ من عذابه، إمّا بَردا وإما حجارة، وإما غيرهما مما يشاء. {فَتُصْبِحَ صَعِيدًا} ترابا أو أرضا {زَلَقًا} لا نبات فيها. أو مُزلِقة لا تثبت عليها قدم. والمراد أنها تصبح عديمة النَفع حتى منفعة المشي عليها. يقال: مكان زَلَقٌ، أي دحَضْ؛ وهو في الأصل مصدر زَلَقت رجلُه تَزلق زلقا، ومعناه الزلل في المشي لوحل ونحوه.

.41

*أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) *

{أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا} غائرا ذاهبا في الأرض؛ مصدرٌ وصف به للمبالغة وهو بمعنى الفاعل. يقالُ: غار الماء يَغور غَورا وغُئورا، أي سَفَل في الأرض وذهب فيها.

.42

*وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا

* (42)
{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ} أهلكت أثمارُه وأفنيت كلها، مأخوذٌ من إحاطة العدو بالإنسان، وهي استدارته به من جميع جوانبه؛ ومنه {إلا أن يُحَاط بِكُم} [يوسف:66]

{يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ} كناية عن الندم والتحسر. {خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} [آية 259 البقرة].

.43

* وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (43) *

.44

* هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44) *

{الْوَلَايَةُ لِلَّهِ} النصرة له تعالى وحده. {وَخَيْرٌ عُقْبًا} أي وهو تعالى خير عاقبة لمن والاه. والعُقْب والعُقُب: العاقبة. يقال: عاقبةُ أمره كذا وعُقباه وعُقُبه، أى آخره وما يصير إليه منتهاه.

.45

*وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45) *

{فَأَصْبَحَ هَشِيمًا} يابساً متفتتا بعد البهجة والضارة؛ من الهَشم وهو كسر الشيء اليابس؛ ومنه هَشم الثريد يهشمه: كسره وثَرده. {تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ} تفرقه وتنسفَه. يقال: ذَرت الريح الشيء تذروه وذَروا وتذرية، أطارته وأذهبته.

.46

*الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46) *

{وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ} الطاعات وأعمال الحسنات.

.47

*وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (47) *

{وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} ظاهرة للأعين، من غير شيء يَسترها من جبل أو شجر أو بنيان. يقال: بَرَز بروزا، خرج إلى البَرَاز – أي الفضاء – وظهر بعد الخفاء. {وَحَشَرْنَاهُمْ} جمعناهم إلى الموقف من كل صوب. {فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} فلم نترك منهم أحدا دُون أن نبعثَه من قبره حياً.

.48

* وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48) *

{مَوْعِدًا} وقتا لإنجازنا الوعد بالبعث والجزاء.

.49

*وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً

إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49) *
{وَوُضِعَ الْكِتَابُ} صحائف أعمال العباد. {مُشْفِقِينَ} خائفين وجلين. {لَا يُغَادِرُ} لا يترك ولا يبقي. {أَحْصَاهَا} عدها وضبطها وأثبتها. {يَاوَيْلَتَنَا} نداءٌ لهَلْكتهم؛ كأنهم يقولون: ياهلاكنا أقبل، فهذا أوانك! والويلةُ: الهلاك وحلول الشر والقبح والحَسْرة.

.50

* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50) *
{اسْجُدُوا لِآدَمَ} سجود تحية وتعظيم لا عبادة. {فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} خرج عن طاعته [آية 26 البقرة].

.51

*مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (51) *
{وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا} أعوانا وأنصارا في شأن من شئوني. يقال: فلان يعْضُد فلاناً، إذا كان يقويه ويُعينه. والعضُدُ في الأصل: ما بين المِرْفق إلى الكَتِف، ويستعار للمُعين والناصر فيقال: فلان عضُدي؛ ومنه {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} [القصص:35] لأن اليدَ قوامُها العضُد.

.52

* وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (52) *
{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا} وجعلنا بين الدَّاعين والمدعوِّين مَهْلكا يشتركون فيه وهو جهنم. اسم مكان من وبَقَ وُبوقا – كَوَثب
وثوبا –، أو وبِقَ وبَقا – كفرح فرحا –: إذا هلك.

.53

* وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (53) *
{فَظَنُّوا} أي علموا. {مُوَاقِعُوهَا} واقعون فيها أو داخلون فيها. {وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا} أي معدلا عنها، ومكانا ينصرفون إليه.

.54

*وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54) *
{صَرَّفْنَا} كررنا بأساليب مختلفة. {كُلِّ مَثَلٍ} معنى غريب بديع كالمثل في غرابته.

.55

* وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (55) *
{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا .. } أي وما منع كفار مكة من الإيمان بالله ونَبْذِ الشرك، ومن الاستغفار مما فرط

منهم من الآثام إلا تقدير الله إتيانَهم ما جرت به سنتُه في الأمم المكذِّبة السابقة من الهلاك الدُّنيوي أو العذاب الأخروي. أو إرادته تعالى ذلك، بناءً على ما عَلِم سبحانه من سوء استعدادهم وخُبْث نفوسهم؛ ف (أنْ) وما بعدها في تأويل مصدر فاعلُ (منع)، بتقدير مضاف وهو: تقديرُ أو إرادة. وفي الآية إنذار لهم بأن شأنهم وعاقبة أمرهم شأن الأولين المكذبين. {سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} عذاب الاستئصال إذا لم يؤمنوا.

{أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا} أي صنوفا وألواناً، أو عِيانا ومُقابَلة.

.56

*وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (56) *

{لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ} ليزيلوا أو يبطلوا الحق بجدالهم؛ من إدحاض القَدَم، وهو زلاقها. يقال: أدْحض قدمه، أي أزلقها وأزلها عن موضعها. والدَّحْض: الطين الذي يزلق فيه. {هُزُوًا} استهزاء وسخرية.

.57

*وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57) *

{أَكِنَّةً} أغطية. {وَقْرًا} أي ثقلاً وصمما [آية 25 الأنعام]. والآية فيمن علم الله أنهم يموتون على الكفر من مشركي مكة.

.58

*وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58) *

{مَوْئِلًا} ملجأ يلجأون

إليه. يقال: وأل إليه يَئِل وَأْلا و وُءولاً – بوزن وُعولا – لجأ.

.59

*وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59) *

{لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} لهلاكهم ميقاتا وأجلاً معينا، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون.

.60

*وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) *

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى} شروع في قصة موسى الكليم عليه: السلام. {لِفَتَاهُ} يوشع بن نون. وقيل: إنه ابن أخت موسى عليه السلام. {مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ} أي قرب ملتقاهما مما يَلي المشرق، وهما على ما يظهر البحر الأحمر، والبحر الأبيض. {أَمْضِيَ حُقُبًا} أي أسير دهراً طويلا: جمعُه أحقاب، وفي معناه الحِقبة من الدهر وجمعها حِقَب – كسِدْرة وسِدَر –، والحُقبة وجمعها حُقَب، كغُرفة وغُرَف.

.61

*فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) *

{مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا .. } أي المكان الذي وعد موسى أن يجتمع فيه بالخضر عليه السلام. و (بين) ظرف أضيف إلى البحرين على الاتساع. {سَرَبًا} مَسلكا ومَذهبا، كالسَرب في الأرض. والسَّرب: النَفق والحفير تَحت الأرض، والقناة يدخل منها الماء البستان.

.62

*فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) *

{نَصَبًا} تعبا و إعياء.

.63

* قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) *

{أَرَأَيْتَ} أخبرني. أو تنبه وتذكر. {أَوَيْنَا} التجأنا. {وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا} أي سبيلاً يُعجب منه، أو اتخاذاً عجبا وهو كون مسلكه كالطَّاق والسَّرب.

.64

*قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) *

{ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ} أي ذلك الذي ذكرت من أمر الحُوت هو الذي كنا نطلبه ونلتمسه، من حيث إنه أمارة على الفوز بالمطلوب من البُغاء بمعنى الطلب. {فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا} فرجعا في طريقهما الذي سلكاه يتبعان آثارهما اتباعا حتى انتهيا إلى مَدْخل الحوت. يقال: قصَّ أثره قَصًّا قَصَصا، تَتبعه.

.65

*فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) *

{فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا} هو الخَضِر، وهو نبي عند الجمهور. واختلف في حياته؛

فذهب جمع من الأئمة إلى أنه ليس بحي اليوم: منهم البخاري وإبراهيم الحربي وعلي بن موسى الرضا وأبو يعلى وشيخ الإسلام ابن تيمية. وذهب آخرون إلى أنه حي وسيموت آخر الزمان. وقال ابن القيم: إن الأحاديث التي يُذكر فيها حياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد.

.66

* قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) *

{مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا} علما ذا رشد أصيبُ به الخير في ديني.

.67

*قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) *

.68

* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) *

{تُحِطْ بِهِ خُبْرًا} علما. يقال: خَبَر الأمر يَخْبُرُه، عَلِمه، والاسم الخُبْر، وهو العلم بالشيء؛ ومنه الخبير، أي العالم.

.69

*قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) *

.70

* قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) *

.71

* فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) *

{شَيْئًا إِمْرًا} عظيما مُنكرا. والإمر: الداهية، وأصله كل شيء شديد كثير؛ ومنه قيل للقوم: قد أمِرُوا، إذا كَثُروا واشتد أمرهم. وأمْر إمْرٌ: منكر عجيب.

.72

*قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) *

.73

* قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) *

{وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا} لا تكلِّفني من أمري مشَقة في صحبتي إياك. يقال: أرهقه طُغيانا، أغشاه إياه وألحق ذلك به. وأرهقه عُسرا: كلّفه إياه. والإرهاق: أن يُحمل الإنسان على ما لا يطيقه.

.74

* فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74) *

{شَيْئًا نُكْرًا} منكرا عظيما. يقال: نَكُر الأمر، أي صعب واشتد. وعن قتادة: النُكْر أشدُّ من الإمر.

.75

*قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) *

.76

* قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) *

{قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا} أي قد بلغت إلى الغاية التي تُعذر بسببها في فراقي حيث خالفتك مرارا.

.77

*فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) *

{فَأَبَوْا} فامتنعوا. {يَنْقَضَّ} ينهدم ويسقط بسرعة.

.78

*قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78) *

{بِتَأْوِيلِ} بمآل وعاقبة.

.79

* أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) *

{وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ} من دأبه تعقُّب السُّفن الصالحة للاستيلاء عليها. ومن تعقب الشيء وتبعه يقال: إنه وراءه بحثا واستقصاء، سواء أتاه من الأمام أو من الخلف. قال الزجاج: وراء يكون لخلف وقدام، ومعناها: ما توارى

عنك، أي ما استتر عنك، وليس من الأضداد كما زعم بعض أهل اللغة. اه. وهو مما يستأنس به لما قلنا.

{غَصْبًا} استلابا بغير حق.

.80

* وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) *

{فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا} يُوقعهما لو بقيَ حيا في الطغيان والكفر لشدة محبتهما له، وقد أعلمه الله أنه طُبع كافرا [آية 73: هذه السورة].

.81

*فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) *

{مِنْهُ زَكَاةً} أي طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة. {وَأَقْرَبَ رُحْمًا} أي رحمة عليهما وبِراً بهما.

.82

* وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82) *

{يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا} قوتهما وشدتهما وكمال عقلهما.

.83

* وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) *

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ} هو عبدٌ صالحٌ ملَّكه الله الأرض. وأعطاه العلم والحكمة والسلطان. وقيل: نبيٌّ؛ كما يشهد له ظاهر قوله تعالى: {قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ}. وسُمِّيَ ذا القرنين لبلوغه المشرق والمغرب، فكأنه حاز قَرني الدنيا. وليس هو الإسكندر المَقْدُوني تلميذ أرسطو. بل كان قبله بقرون.

.84

*إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) *

{مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} أي علما أو طريقا يوصله إليه.

.85

*فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85) *

{فَأَتْبَعَ سَبَبًا} سلك طريقا أفضى به إلى المغرب. يقالُ: اتْبَعَ واتَّبَع بمعنى واحد وهو السَّير.

.86

*حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86) *

{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ} أي منتهى الأرض المعمورة في زمنه من جهة المغرب. وكذا يقال في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ .. }. {وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} أي رآها في نظره عند غروبها كأنها تغرب في عين مظلمة و إن لم تكن كذلك في الحقيقة، كما أن راكب البحر يراها كأنها تطلع من البحر وتغيب فيه إذا لم يَره الشَّط، والذي في أرضٍ ملساء واسعة يراها كأنها تطلع من الأرض وتغيب فيها. و {حَمِئَةٍ} أي ذات حمأة وهي الطين الأسود: من حَمِئت البئر

تحمأ حَمَأً: صارت فيها الحمأة. وقُريء (حامية) أي حارة. اسم فاعل مِن حَمِيَ يَحْمى حَمْيا.

.87

*قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) *

{عَذَابًا نُكْرًا} منكرا فظيعا، وهو عذاب جهنم.

.88

*وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) *

.89

* ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (89) *

.90

* حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (90) *

{لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا} أي لم نجعل لهم من دون الشمس ما يستترون به من البناء أو من البناء واللباس؛ فهم قوم عراة يسكنون الأسراب والكهوف في نهاية المعمورة من جهة المشرق.

.91

*كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91) *

{خُبْرًا} علما شاملا.

.92

*ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92) *

.93

* حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) *

{بَيْنَ السَّدَّيْنِ} الجبلين. وسُمّيَ الجبل سدًّا لأنه سدَّ فجاً من الأرض. قيل: إنهما فيما يقرب من عرض تسعين درجة من جهة الشمال.

.94

*قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) *

{يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ} قبيلتين من ذرية يافث بن نوح. {خَرْجًا} وقريء (خراجا) ومعناهما الجُعْل من المال. وقيل: الخرجُ المصدر. أطلق على الخراج وهو اسم لما يُخرج من الأموال. {عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} حاجزاً يمنعهم من الوصول إلينا. والإفساد في أرضنا.

.95

*قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) *

{رَدْمًا} حاجزاً حصينا وجدارا متينا. وهو أوْثق من السد وأحكم، يقال: ثوبٌ مُرَدَّم، أي فيه رقاعٌ فوق رقاع. وسَحاب مُرَدَّم: أي متكاثِف بعضه فوق بعض.

.96

*آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) *

{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} قِطَعه العظيمة. جمع زُبْرة – كغرفة – وهي القطعة الكبيرة من الحديد. وأصلُ الزَّبر: الاجتماع؛ ومنه زُبْرة الأسد، لما اجتمع من الشعر على كاهله. وزَبرْت الكتاب: أي كتبته وجمعت حروفه. {بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ} جانبي الجبلين؛ وأصل الصَّدف الميلُ في خُف البعير إلى الجانب الوَحْشي. وسُميَ

كل واحد من الجانبين صدَفا لكونه مصادِفا ومقابلاً للآخر. من قولك: صادفت الرجل أي لاقيته؛ ولذا لا يقال للمُفرد صَدَف حتى يصادفه الآخر، فهو من الأسماء المتضايفة كالزَّوج والشَّفع. {قِطْرًا} نحاسا مذابا، أو رَصاصا مُذابا. وأصله من القَطر؛ لأنه إذا أذيب قَطر كما يقطر الماء.

.97

*فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) *

{أَنْ يَظْهَرُوهُ} يعلُو ظهره ويَرقَوْا عليه لِملاسته وارتفاعه. {نَقْبًا} خرقا لصلابته وثَخانته.

.98

*قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98) *

{جَعَلَهُ دَكَّاءَ} أرضا مستوية. أو مثل دَكَّاء وهي الناقة لا سنام لها. وقريء (دَكا) أي مدكوكا مسوًّى بالأرض. {وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} تذييل من ذي القرنين، وهو آخر ما حُكي من قصته.

.99

*وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99) *

{يَمُوجُ} يختلط ويضطرب. {نُفِخَ فِي الصُّورِ} نفخة البعث.

.100

*وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100) *

.101

* الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101) *

{غِطَاءٍ} غشاء غليظ وستر كثيف.

.102

*أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (102) *

{نُزُلًا} شيئا لضيافتهم. وأصلُه: المنزلُ وما يهيأ للضيف من الزاد تَكرمة له.وفي التعبير عن جهنم بالنُّزل تهكُّم واستهزاء بهم.

.103

*قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) *

.104

* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) *

.105

* أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) *

{وَزْنًا} مقدارا و اعتباراً لحبوط أعمالهم.

.106

*ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106) *

.107

* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107) *

{جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ} أفضل الجنة. وهو معنى قولهم: انه وسط الجنة وربْوتُها وأعلاها وأرفعها، وهو لفظ عربي يجمع على فراديس. وقيل مُعَّرب، ومعناه: البستان الذي يجمع ما في البساتين. {نُزُلًا} ذكرَ في مقابلة ذلك النُّزل المعد للكافرين.

.108

*خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108) *

{لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} تحولا، لكونها أطيب المنازل وأعلاها. مصدرٌ سماعيٌّ لِتحَول كالعِوج والصِّغر. يقال: حال من مكانه حِوَلاً.

.109

*قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109) *

{مِدَادًا} هو المادة التي يُكتب بها. {لِكَلِمَاتِ رَبِّي} معلوماته وحكمته تعالى. {لَنَفِدَ الْبَحْرُ} فَنِيَ وفرغَ. يقال: نَفِدَ يَنفد نَفادا ونَفَدا، فَنِيَ وذهب؛ ومنه: أنفده واستنفده، أي أفناه. {مَدَدًا} عونا وزيادة.

والله أعلم.

سُورة مَرْيَم

.1

*كهيعص (1) *

.2

* ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) *

{ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ} خبرُ مبتدا محذوف، أي المتلوُّ عليك ذكر ... الخ.

.3

* إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) *

{نِدَاءً خَفِيًّا} دعاء مستورا لم يسمعه أحد.

.4

*قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) *

{وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} ضَعُف من الكبر. وقريء (وهن) بالحركات الثلاث: من الوَهنْ وهو الضعف. وخُص العظم بالذكر لأنه عمود البدن وبه قِوامُه، فإذا وهن تداعي البدنُ كله. وأفرد لأن المراد به الجنس. {وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ} أي بدعائي إياك فيما مضى من عمري {رَبِّ شَقِيًّا} خائبا، بل كنت سعيدا بإجابته، فأسعِدني الآن بإجابته.

.5

*وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) *

{خِفْتُ الْمَوَالِيَ .. } أي بَني عمي وعَصَبَتي، وكانوا شرار بني اسرائيل؛ فخاف ألا يُحسنوا خلافته من بعد موته في أمته ويُبدلوا عليهم دينهم. جمعُ مَوْلًى، وهو العاصب. {فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا .. } ابنا مَرْضيّا عندك.

.6

*يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) *

{يَرِثُنِي} في العلم، {وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ} النبوة، بمعنى أنه يصلُح لها. والوليُّ: يُطلق على النَّصير والمعين. {رَضِيًّا} مَرْضِيًّا عندك قولا وفعلا.

.7

*يازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) *
{لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} شريكاً في الاسم؛ حيث لم يُسَمّ أحدٌ قبله بيحيى، أو شبيها في صفاته وأحواله.
.8
* قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) *
{أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ} كيف؟ أو من أين يحدُث لي غلام!؟ استفهام تعجُّبٍ وسرور بهذا الأمر العجيب. {بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا} أي بلغت بسبب الكبر حاله لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها؛ وهي اليُبْس والصلابة في المفاصل والعظام. يقال: عتا الشيخُ يَعتو عِتِيًّا، كَبِر وَوَلى وأصله عُتُووٌ، قلبت الواو الثانية ياء وأدغمت، ثم كسرت التاء ثم العين إتباعا لها. وقُرِيءَ (عُتِيًّا).
.9
*قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (9) *
.10
* قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10) *
{آيَةً} علامة على تحقق المسئول لأشكرك. {أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ} أي لا تستطيع تكليمَه [م بلسانك {ثَلَاثَ لَيَالٍ} مع أيامهن. {سَوِيًّا} أي حال كونك سَوِيَّ الخَلْق سليم الحواس، لا علة بك من خَرَس أو مرض.
.11
*فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) *
{مِنَ الْمِحْرَابِ .. } من المصلَّى، أو من الغرفة [آية 37 آل عمران]. {فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ} أشار إليهم {أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} أي صلوا لله تعالى طرفي النهار. أو نزِّهوه فيهما، وهو كقوله تعالى: { ... وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41)} [ال عمران].
.12
*يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) *
{وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ} فَهْمَ التوراة والعبادة، أو النبوة.
.13
*وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13) *
{وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا} ه أي وأعطيناه من عندنا رحمةً عظيمةً عليه، أو رحمة في قلبه وتعطُّفا على الناس. {وَزَكَاةً} بركة ونَماء، أو طهارة من الذنوب؛أي جعلناه مباركًا نفّاعاً معلماً للخير {تَقِيًّا} مطيعاً مجتنباً للمعاصي.
.14
*وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (14) *
{وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ} كثير البر والإحسان إليهما. {وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا} مستكبرا متعالياً {عَصِيًّا} ذا عصيان ومخالفة لربه.
.15

*وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15) *

.16

* وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) *

{انْتَبَذَتْ .. } اعتزلتْ وانفردت للتَّخلِّي للعبادة. افتعالٌ من النَّبذ، وهو طرح الشيء وإلقاؤه كأنها ألقت بنفسها إلى جانب، معتزلة عن الناس في مكان إلى شرقيِّ بيت المَقْدس أو شرقي دارها، متخذة من دونهم ساترا.

.17

*فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) *

{حِجَابًا} سترا. {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} أي جبريل عليه السلام [آية 87 البقرة] ليبشرها بالغلام ولينفخ فيها فتحمل به. والإضافة للتشريف؛ كبيت الله. {فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} أي في صورة إنسان معتدِلِ الخَلق كامل البِنية؛ لتستأنس بكلامه ولا تنفِر منه. ولو بدا لها في الصُّورة المَلَكية لنَفرت منه ولم تستطع مكالمته. يقال: رجل سويٌّ، إذا استوت أخلاقه وخِلْقتُه عن الإفراط والتفريط.

.18

*قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) *

{إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} أي إن كان يُرجى منك تقوى الله فإني عائذ به منك، وهو كقول القائل: إن كنت مؤمنا فلا تظلمني.

.19

*قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) *

{غُلَامًا زَكِيًّا} مزكى مطهرا بالخلقة.

.20

*قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) *

{وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} فاجرة تبغي الرجال. أو يبغيها الرجالُ للفجور بها. يقال: بغت الأمة تبغي بَغْياً. فهي بغيٌّ وبَغُو، إذا عهرت. والبغيُّ: الأمة أو الحرة الفاجرة.

.21

*قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) *

.22

* فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) *

{مَكَانًا قَصِيًّا} بعيدا من أهلها وراء الجبل. يقالُ: قصا عنه قَصْوا وقصُوًّا، بَعُد فهو قصيٌّ. وهو بمكان قصي: أي بعيد.

.23

* فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) *

{فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ} ألجأها. يقال: أجأْته إلى كذا. بمعنى ألجأته واضطررته إليه: وهو تعْديةُ (جاء) بالهمز. والمحاض: وجع الولادة، يقال: مخضت المرأة تَمْخَض. إذا أخذها الطلق. والجِذع: ما بين العروق ومتشعب الأغصان من الشجرة. {وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} شيئا متروكاً مطرَحاً. وكل شيء نُسِيَ وترك ولم يُطلب فهو نَسيٌ ونِسي. و (منسيا) تأكيد.

.24

*فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) *

{فَنَادَاهَا} جبريل أو عيسى عليهما السلام. {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} انساناً رفيع القَدْر. والمراد به عيسى عليه السلام: من السَّرو بمعنى الرِّفعة. يقال: سَرُو الرجل يَسْرو –كشرُف يَشْرُف – فهو سَري. أو جعل قُربك جدولا صغيرا كان قد انقطع ماؤه ثم جرى وامتلا. وسُمِّي (سريا) من سرى يسرِي؛ لأن الماء يسري فيه.

.25

*وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) *

{رُطَبًا} هو نضيج البُسر. {جَنِيًّا} مُحنيًّا، أي صالح للاجتناء.

.26

*فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) *

{وَقَرِّي عَيْنًا} طيبي نفسا بالولد، وارفُضي عنك ما أحزنك؛ أمرٌ من قَرَّت عينُه تَقِر – بالكسر والفتح – قَرَّة وقُرْة وقروراً: إذا رأت ما كانت

متشوقة إليه. مأخوة من القرار بمعنى الاستقرار أي السكون؛ ولأن العين إذا رأته سكنت إليه ولم تنظر إلى غيره.

.27

*فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) *

{شَيْئًا فَرِيًّا} عظيما أو عجيباً. أو مصنوعاً مختلقاً؛ يقال: فلان يَفْري الفَرِي، إذا | كان يأتي بالعجب في عمله. والفريُّ: الأمر المُختلق المصنوع.

.28

* يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) *

{يَاأُخْتَ هَارُونَ} هو كقولهم: يا أخا العرب، ويا أخا تميم. وهارون: قيل هو أخُ موسى عليه السلام، وكانت من نسله. وقيل: هو رجل صالح في بني إسرائيل.

.29

*فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) *

{مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ} أي كيف نكلِّم من لم يزل في المهد صبيا؟ [آية 46 آل عمران] وقد تكلم، فوصف نفسه بثماني صفات، أولها – العبودية لله عز وجل، وآخرها– تأمينُ الله له في أخوفِ المقامات. وكل هذه الصفات تقتضى تبرئة

أمِّه.

.30

*قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) *

{اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ} سبق في قضائه إيتائي الكتاب. وكذا يقال فيما بعده.

.31

*وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) *

.32

* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) *

{وَبَرًّا بِوَالِدَتِي} باراً بها مُحسنا مُكْرِما.

.33

*وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) *

.34

* ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) *

{قَوْلَ الْحَقِّ} أي حال كون عيسى كلمةَ الله. بمعنى أنه خلق بكلمة (كُن) من غير أب. {يَمْتَرُونَ} أي يختصمون ويختلفون. يقال: ماريت فلاناً: إذا جادلته وخاصمته آية 147 البقرة].

.35

*مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) *

{سُبْحَانَهُ} تنزيها لله عن اتخاد الولد؛ من التَّسبيح بمعنى التنزيه عن النقائص. {إِذَا قَضَى أَمْرًا} أي أراده [آية 117 البقرة].

.36

*وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) *

.37

* فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) *

{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ .. } فقال فريق منهم: هو ابنُ الله، وقال فريق إنه هو الله، وقال

فريق ثالث: إنه ثالث ثلاثة [راجع مزاعم هذه الفرق في تفسير الالوسي الآية 171 من سورة النساء]. والثلاثة: الله وعيسى ومريم؛ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا؟؟.

.38

*أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38) *

{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ} صيغتا تعجُّب، لفظهما لفظ الأمر ومعناهما التَّعجيب، أي حَمْل المخاطب على التعجب، وفاعلُهما الضمير المجرور بالباء وهي زائدة فيهما لزوما، كما زيدت جوازا في فاعل (كفى بالله شهيدا) [النساء:79]. والمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم، لما يخلع قلوبَهم ويسوّد وجوههم، وقد كانوا في الدنيا صُمًّا وعُميانا.

.39

*وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39) *

{يَوْمَ الْحَسْرَةِ} الندامة الشديدة على ما فات.

.40

*إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40) *

.41

* وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) *

.42

* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) *

.43

* يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) *

{صِرَاطًا سَوِيًّا} مستقيما لا اعوجاج فيه، وفيه النجاة لك من غضب الله ونقمته.

.44

*يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) *

{لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ} إذْ أنَّ عبادة الأصنام عبادة له، لأنه هو الذي يُسوِّلها ويُغْري بها. {كثير العَصِيًّا} كثير العصيان.

.45

* يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) *

{وَلِيًّا} قريناً تليه ويليك في العذاب.

.46

* قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) *

{وَاهْجُرْنِي} أي فاحذرني واتركني {مَلِيًّا} أي دهر طويلا، من المَلاوة – بتثليث الميم – وهي البُرهة الطويلة من

الدَّهر. والمرادُ: أبدَ الدَّهر.

.47

*قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) *

{كَانَ بِي حَفِيًّا} بارًّا ملطفاً؛ فيجيب دعائي لك. يقال: حَفِيَ به حفاوة. اعتني به و بالغ في إكرامه؛ فهو حافٍ وحَفِيٌّ.

.48

*وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) *

{شَقِيًّا} خائبا ضائع السعي.

.49

*فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) *

.50

* وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50) *

{لِسَانَ صِدْقٍ} ثناء حسنا في أهل كل دين.

.51

* وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) *

{كَانَ مُخْلَصًا} أخلصه الله تعالى له واصطفاه. وقريء بكسر اللام. أي أخلص عبادته لله.

.52

*وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) *

{وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} مُناجيا تقريب مكانة وتشريف إسماعه كلامنا؛ من المناجاة وهي المُسارّة بالكلام.

.53

*وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53) *

.54

* وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) *

.55

* وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55) *

.56

* وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56) *

.57

* وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (57) *

.58

* أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (58) *

{وَاجْتَبَيْنَا} اصطفينا واخترنا للرسالة والوَحْي: من الاجتباء بمعنى الأختيار. {خَرُّوا سُجَّدًا} ساجدين و باكين، خضوعاً وخشوعاً وخوفاً وحذرا، وتعظيماً وتمجيدا الله تعالى. جمع ساجد وباكٍ وأصله بُكُويٌ، فقلبت الواوُ ياءً وأدغمت، وحُرِّكت الكاف بالكسر لمناسبة الياء.

.59

*فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) *

{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} عَقِبُ سوء. والمشهور استعمالُ الخَلْف – بالسكون في الشر كما هنا، وبالفتح في الخير؛ فيقال: خَلَف صالح. {غَيًّا} ضلالاً وخسرانا؛ أي جزاء غيٍّ وهو العذاب في الآخرة [البقرة: آية 256].

.60

*إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60) *

.61

* جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (61) *

{إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا} أي كان موعوده وهو الجنّة آتيا عباده الذين وعدهم بها في الدنيا. وهي غائبةٌ عنهم غيرُ حاضرة. ف (مَأْتِيًّا) اسم مفعول بمعنى فاعل.

.62

*لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (62) *

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا} أي فضولاً من الكلام لا نفع فيه، أو: باطلاً وقبيحاً منه.

{بُكْرَةً وَعَشِيًّا} أي في مقدار طَرَفي النهار في الدنيا. والمرادُ: دوام الرزق فيها وعدمُ انقطاعه.

.63

* تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (63) *

.64

* وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64) *

{وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ} نزلت لمّا احتبس الوحيُ عنه صلى الله عليه وسلم أياماً، حين سُئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والرُّوح، وشق ذلك عليه، ثم نزل الوحي بعد أيام، فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل: (أبطأتَ عليَّ حتى ساءني واشتقت إليك) فقال له جبريل: (إني كنت أشوقَ، ولكني عبد مأمورٌ إذا بُعثت نزلت، وإذا حُبست احتبستُ) فأنزل الله الآية.

.65

*رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65) *
{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} نظيراً أو شبيها يستحق العبادة لربوبيته وألوهيته، وكمال تنزهه عن النقائص، واتصافه بصفاته الجليلة.

.66

*وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) *
{وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ .. } نزلت في الوليد بن المُغيرة. أو ابَيّ بن خلف أو العاص بن وائل. فهو من العام الذي أريد به الخصوص. وقيل: المراد جنسُ منكري البعث.

.67

*أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (67) *

.68

* فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (68) *
{جِثِيًّا} باركين على الرُّكب عجزا عن القيام؛ لما يصيبهم من هَوْل الموقف وشدته. يقال: جَثا يجثُو ويجثِي جُثُوًّا وجثِيًّا، جلس على ركبتيه، فهو جاثٍ وجمعه جثِيّ وجُثِيّ، وبهما قُرِيء. وأصله جُثُوو بواوين، قلبت الثانية ياءً ثم الأولى كذلك وأدغمت في الياء، ثم كُسرت الثاءُ لمناسبة الياء، والجيمُ إتباعا لم بعدها. أو أصله جُثُوي.

.69

* ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (69) *
{لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ .. } ثم لنخرجَنَّ من كل طائفة تشايعت على الكفر والباطل – الذين هم أشدُّ نُبوًّا عن طاعة الله وعصيانا، إلى أن يحاط بهم. فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب. نقدّم أولاهم فأولاهم بالعذاب. والشِّيعة في الأصل: الجماعة المتعاونون على أمر من الأمور. يقال: تشايع القوم، إذا تعاونوا. {عِتِيًّا} أي نبوًّا عن الطاعة وعصياناً. يقال: عتَا عِتيا وعُتِيا وعُتُوًّا، استكبر وجاوز الحد؛ فهو عاتٍ وعَتِي.

.70

*ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (70) *
{ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ} أي بالأشدّ كفرا. الذين {هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا} أي مقاساة لحرها، أو دخولا فيها. يقال: صلِيَ النار وبها –كَرضيَ – صُلِيًّا وصِليًّا و صَلاء، قاسى حرها؛
كَتصّلاها، ويقال: صَلَى اللحم يصليه صَلْياً، شواه وألقاه في النار للإحراق، وأصلاه النار، وصلاه إياها وفيها وعليها: أدخله إياها وأثواه فيها. وأصلُ صِلِيٍّ: صُلوى. قلبت الواو ياء وادغمت وكسرت اللام لمناسبة الياء.

.71

* وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) *
{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا

وَارِدُهَا .. } أي داخلها، مسلماً كان أو كافرا؛ فتكون برداً وسلاماً على المؤمنين، ثم ينجي الله الذين اتقوا. أو واصلها بالمرور على الصراط المنصوب على مَتنها من غير دخول فيها. والخطابُ خاص بالذين سَبَقت لهم الحُسنى، أو يراد بالورود: الإشرافُ والاطلاع والقُرب، فإنهم حين يحضرون للحساب يكونون بقرب جهنم، فيرونها وينظرون إليها ثم ينجّي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه، ويُصار بهم إلى الجنة، ويذر الظالمين في النار جثِيّا.

.72

*ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (72) *

.73

* وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (73) *

{وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} مَجْلساً ومُجتمعا؛ يفاخرون فقراء المؤمنين بالمال والجاه العريض، والنَّدِيُّ والنادِي والنَّدوَة والمُنْتدى: مجلس القوم ومجتمعهم حيث نتدُون. يقال: ندوْت القوم اندُوهم نَدْواً، إذا جمعتهم في مجلس للانتداء؛ ومنه؛ دار النَّدوة.

.74

* وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (74) *

{قَرْنٍ} أمة. {أَثَاثًا} متاعاً {وَرِئْيًا} منظرا ومَرْءًا في العين، من الرُّؤية، كالطحن بمعنى المطحون.

.75

* قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (75) *

{فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ} فلْيمهله وليُمْلِ له في العمر والسَّعة، ليزداد طغيانا وضلالاً. {وَأَضْعَفُ جُنْدًا} أقل أعوانا وأنصارا.

.76

* وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (76) *

{وَخَيْرٌ مَرَدًّا} أي مرجعاً وعاقبةً.

.77

*أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) *

{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا .. } نزلت في العاص بن وائل، وكان من المشركين المنكرين للبعث. وقال ما قال استهزاءً وسخريةً. وقيل في الوليد ابن المغيرة، وكان كذلك.

.78

* أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78) *

{أَطَّلَعَ الْغَيْبَ} أعَلِم الغيب (استفهام).

.79

*كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) *

{كَلَّا} حرْفُ رَدْع وَزْجر عن التفوه بهذه العظيمة النّكراء، أي لم يكن ذلك!. {وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ} نزيده فوق عذاب كفره عذاباً في جهنم على ذلك؛ من المَدّ، وأكثر ما يستعمل في المكروه. كما أن الإمداد أكثرُ ما يستعمل في المحبوب.

.80

*وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (80) *

.81

* وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) *

عِزًّا} شُفَعاءً وأنصارا يتعززون بهم.

.82

*كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82) *

{وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} أعداءً مخالفين لهم. يقال: ضده في الخصومة – من باب ردّ – غلبه

ومنعه برفق. وضادّه خالفه.

.83

*أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83) *

{تَؤُزُّهُمْ أَزًّا} تُحرِّكهم تحريكاً قويا، وتُغريهم إغراء شديدا بالمعاصي حتى يواقعوها. يقال: أَزَّ الشيء يَئِزُّه ويئُزُّه ازًّا، حركه شديدا. وأزّه يؤُزُّه ازًّا، أغراه وهيجه. وأزّه: حَثَّه. والأزُّ والأزيز والهَزُ والهَزيز: بمعنى التهييج وشدة الإزعاج. وأصله من ازّت القِدْر تَؤُز وتَئز أزًّا وأزيرا: اشتد غليانُها.

.84

*فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (84) *

.85

* يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (85) *

{وَفْدًا} رُكبانا على نجائب، جمع وافدٍ. يقال: وفدَ إليه وعليه يَفِد وَفْدا ووُفودا، قدِم وورَد. والوَفْد: هم الذين يَفِدون على الملوك مستنجزين الحوائج.

.86

* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86) *

{وِرْدًا} عطاشاً. والورْد: الجماعة يردون الماء، ولا يَرِدُون إلا للعطش.

.87

*لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87) *

{لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ} جملة مستأنَفَة؛ أي لا يملك الناس في ذلك اليوم أن يشفعوا في غيرهم ولا أن يشفع غيرهم فيهم؛ إلا من اتصف منهم بما يستأهل معه أن يشفع، أو إلا من أذن له الرحمن فيها؛ كقوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109)} [طه]. {عَهْدًا} أي أمرا؛ من قولهم: عَهِد الأمير إلى فلان بكذا، إذا أمره به. ويقالُ: أخذت الإذن بكذا اتخذته.

.88

*وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) *

.89

* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) *

{شَيْئًا إِدًّا} فظيعاً مُنْكرا. والإِدُّ والإِدَّةُ – بكسرهما–: العَجَب والأثر الفظيع، والداهية والمُنْكر؛ كالأَدّ بالفتح. وأدَّته الداهيه تؤدُّه وتَئِدُّه: دَهتْهُ.

.90

*تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) *

{يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ} يتشقّقن منه قطعاً؛ من التّفْطير. يُقال: فَطَره يفطُره ويفطِره، شقه، فانفَطر وتَفطّر. {وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} أي تَسقط مهدودة، يقال: هدَّ الحائط يَهُدُّه هَدًّا، إذا هدمه.

.91

*أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) *

{أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا} أي من أجل أن نسبُوا للرحمن ولداً.

.92

*وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) *

.93

* إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) *

.94

* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) *

.95

* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95) *

.96

*إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96) *

{سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} مودَّة ومحبة في القلوب لإيمانهم وعملهم الصالح. وقيل في الآخرة، إذ يكونون إخوانا على سرر متقابلين. يقال: ودِدْتُه

ووددْتُه أوَدّه، أحببته.

.97

*فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (97) *

{قَوْمًا لُدًّا} ذوي لَدَد وشدة في الخصومة بالباطل؛ وهم أهل مكة. جمع ألدّ، وهو – الخصم الشديد التَّابي [البقرة: آية 240].

.98

*وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (98) *

{قَرْنٍ} أمة. {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ} أي هل تجد أحدا منهم. يقال: أحَسَّ الرجل الشيء إحساساً، علم به: أي لا تعلم منهم أحدا لعدم وجوده. {تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} صوْتاً خفيا. وأصلُ الرِّكز: الخفاء. يقال: رَكَز الرُّمح يَرْكِزُه، ويَركُزُه، غرزه في الأرض؛ ومنه الرِّكاز للمال المدفون. والمرادُ: أنه استأصلهم؛ فلا عين لهم ولا أثر؟ فكذلك عاقبة مشركي مكة. والله أعلم.

سورة طه

.1

*طه (1) *

{طه} لفظ استأثر الله بعلمه أو اسم للسورة. أو للرسول صلى الله عليه وسلم.

.2

*مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) *

{لِتَشْقَى} لتتعنَّى وتتعب من فَرْط تأسُّفك على كفرهم به؛ بل لتبلغ وتذكر وقد فعلت، فلا عليك إن لم يؤمنوا بعد ذلك. وأصل الشقاء في اللغة: العناء.

.3

* إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) *

{لِمَنْ يَخْشَى} أي لمن شأنُه أن يخشى الله ويتأثر بالإنذار. وخُصَّ الخاشي بالذكر مع أن القرآن تذكرة للناس كافة لأنه هو الذي ينتفع به، وغيرُه بمنزلة العدم.

.4

*تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (4) *

.5

* الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) *

{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} أي استواء يليق بكماله تعالى؛ بلا كَيْف ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ [آية 54 الأعراف].

.6

* لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) *

{وَمَا تَحْتَ الثَّرَى} الثّرى: الترابُ النّديّ. يقال: ثَرِيت الأرض– كرضِيت – ثَرى فهي ثَرِيَّة؛ إذا نَدِيت ولانت بعد الجُدُوبة واليُبْس. والمراد: ما واراه الثرى وهو تخوم الأرض إلى نهايتها. وخُصَّ بالذكر مع دخوله في قوله: (وما في الأرض) لزيادة التقرير، ثم بيّن تعالى إحاطة علمه بجميع الأشياء اثر بيانِ إحاطة قدرته وشمولها لجميع الكائنات بقوله: {وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ}.

.7

*وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) *

{وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ} أي ترفع صوتك بالذكر

أو الدعاء {فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} أي ويعلم أخفى من السِّر. والسِّرُ: ما حدّث الإنسان به غيره في خفاء، والأخفى منه: خواطُره النّفسيَّة التي لا يُحدِّث بها غيره.

.8

*اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8) *

.9

* وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) *

{وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} استئناف لتقرير أمرُ التَّوحيد الذي إليه انتهى مساق الحديث، وبيان أنه أمر مستمر جاءت به جميع الرسالات السماوية ودعا إليه كل رسول.

.10

*إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) *

{إِذْ رَأَى .. } وهو قادم من مَدْين إلى مصر ومعه زوجُه بنت شعيب عليه السلام. {إِنِّي آنَسْتُ} أبصَرْت ابصارا بيناً لا شبهة فيه. {لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ} بجَذْوَة من النار، وهي الشعلة التي تأخذها من النار في طرف عُود و نحوه. {أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى} أي أجد عندها هادية يدلني على الطريق، وكانت الليلة مظلمة. أو على الماء؛ فإنه قد ضلَّ طريقه. مصدر سُمِّي به الفاعل مبالغة.

.11

*فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى (11) *

{فَلَمَّا أَتَاهَا} أي النار التي آنسها، وكانت في شجرة. قيل: إنها لم تكن نارا، بل كانت نورا من نور الرب تبارك وتعالى. {نُودِيَ} من حضرة رب العالمين: {يَامُوسَى} وهذا أول المكالمة بين الله تعالى وبينه في هذه الواقعة. وآخرُها قوله تعالى: {إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)} [ايه 48 من هذه السورة] وقد سمع الصوتَ من جميع الجهات وبجميع الأعضاء؛ فعرف أنه نداء رب العالمين.

.12

*إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) *
{الْمُقَدَّسِ} المطهر أو المبارك. {طُوًى} اسم للوادي المقدَّس؛ أي المُطهَّر أو المبارك.
.13
*وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) *
.14
* إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) *
.15
* إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) *
{أَكَادُ أُخْفِيهَا} أقرب أن أسترها من نفسي. فكيف أظهركم عليها! أو فكيف يعلمها مخلوق! جرى الخطاب على ما تعارفه العرب إذا بالغ أحدهم في اخفاء شيء أن يقول: كِدتُ أخفيه من نفسي! أو أقرب أن أخفيها ولا أظهرها بقولى إنها آتية–ولولا أن في الإخبار بذلك من اللطف وقطع الأعذار مالا يخفى لما فعلت! وقوله: {لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى} متعلق {آتِيَةٌ}. جمله {أَكَادُ أُخْفِيهَا} معترضة بينهما.
.16
* فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) *
{فَتَرْدَى} فتهلك إن أنت انصددت عن ذكرها ومراقبتها والتأهب لها. يقال: رَدِيَ –كرضي – ردى، هَلَك. وأرداه غيره: أهلكه؛ ومنه تَرَدَّى في

البئر: أي سقط فيها.
.17
*وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى (17) *
.18
* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) *
{أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا} أتحامل عليها في المشي ونحوه. {وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي} أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه غَنمي. يقال: هَش الشجرة بالعصا يهُشُّها ويهِشُّها هشًّا، إذا تخبطها ليتساقط ورقُها. {وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} حاجات ومنافع أخرى غير ذلك. مفردُها مأربة – مثلثة الراء – من قولهم: لا أرَبَ لي في كذا، أي لا حاجة لي فيه.
.19
*قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى (19) *
.20
* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) *

{حَيَّةٌ تَسْعَى} تمشي بسرعة وخفة.

.21

*قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) *

{سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} أي إلى هيئتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيّرها حية تسعى. فِعلة من السير، تقال للهيئة والحالة الواقعة فيه، ثم استُعملت في مطلق الهيئة والحالة التي يكون عليها الشيء.

.22

*وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22) *

{وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ} أي واضمم يدك اليمنى إلى عَضُد اليسرى بأن تجعلها تحته عند الإبط، وذلك بعد أن دخلها من طوق مِدْرَعتِك .. والجناحُ: العضد، وأصله جناح الطائر، وسمِّي بذلك لأنه يجنحه أي يُميله عند الطيران، ثُم تُوسِّع فيه فأطلق على العضد.} نيرة مشرقة. {مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} أي من غير عَيْب. والسُّوء: الرداءة والقبح في كل شيء، وكُنِّي به عن البرص لشدة قُبحه. {آيَةً أُخْرَى} معجزة أخرى غير العصا.

.23

*لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) *

.24

* اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) *

{إِنَّهُ طَغَى} جاوز الحد في العُتُو والتَّمرُّد على ربه حتى ادّعى الرُّبوبيَّة (آية 256].

.25

*قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) *

.26

* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) *

.27

* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) *

.28

* يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) *

.29

* وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) *

{وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا} مُعينا وظهيرا في ابلاغ رسالتك؛ من المُوازرة وهي المعاونة. يقال: وازرت فلانا موازرةً، أعنته على أمره. أو من الوَزر وهو الملجأ وأصله الجبل يتحصَّن به.

.30

*هَارُونَ أَخِي (30) *

.31

* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) *

{اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي} قوِّ به ظهري. يقال: أزرَ فلانٌ فلانا، إذا أعانه وشدّ ظهره. وآزره: أعانه وقَوّاه، وأصله من شد الإزار.

.32

*وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) *

{وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} اجعله شريكي في أمر الرسالة لنتعاون على أدائها.

.33

*كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) *

.34

* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) *

.35

* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) *

.36

* قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى (36) *

{قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ} أعطيتَ مسئُولَكَ، فعل بمعنى مفعول، كالأكل بمعنى المأكول.

.37

* وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) *

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى} ذكر الله من المِنن على موسى بغير سؤال ثمانياً: الأولى –

قوله: {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ ... (38)} إلى قوله: {وَعَدُوٌّ لَهُ .. (39)}.

والثانية – قوله: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي .. (39)}.

والثالثة – قوله: { .. وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)} إلى قوله: {مَنْ يَكْفُلُهُ .. (40)}.

والرابعة – قوله: {فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ .. (40)} إلى قوله: {وَلَا تَحْزَنَ .. (40)}.

والخامسة – قوله: {وَقَتَلْتَ نَفْسًا .. (40)}.

والسادسة – قوله: {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا .. (40)}

والسابعة – قوله: {فَلَبِثْتَ .. (40)}.الى قولهُ {يَامُوسَى (40)}.

والثامنة – قوله: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)}.

.38

*إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) *

.39

* أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) *

{فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ} فألقيه واطرحيه في نهر النيل. {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} أي ليفعل بك الصنيعة والإحسان، وتُربَّى بالحُنو والشفقة، وأنا مراعيك كما يراعى الإنسان الشيء بعينه إذا اعتني به. يقال: صنعتُ الفرس صَنْعا وصَنعة، إذا أحسنت إليه وقُمت بعلفه وتسمينه؛ وهو استعارة تمثيلية للحفظ والصَّون.

.40

*إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى (40) *

{عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ} على امرأة تضمّه إلى نفسها فتحفظه وتُرضعُه وتربيه. يقال: كَفَله وكفّله، إذا عاله. والكافل العائل. {كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا} أي تُسَرّ برجوعك إليها بعد أن قذفتك في اليم [آية 26 مريم]. {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} أي ابتليناك ابتلاء بالمِحَن؛ فخلصناك منها مرة بعد أخرى. والفُتون: مصدر كالقعود والجلوس. أو فتناك فتونا وضروبة من الابتلاء؛ جمع فَتْن. {فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ} قرية شعيب عليه السلام، واقعة حول خليج العقبة عند نهايته الشمالية، وشمال الحجاز وجنوب فلسطين، على ثماني مراحل من مصر. {ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ} أي وَفْق الوقت الذي قدّرناه لتكليمك و استنبائك بلا تقدم ولا تأخر عنه. تقول العرب: جاء فلان على قَدَر، إذا جاء لميقات الحاجة إليه، وكانت سِنّه إذ ذاك أربعين سنة.

.41

*وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41) *

{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} جعلتك محل صنيعتي و احساني؛ لتبليغ رسالتي وإقامة حُجّتي. افتعال من الصُّنع بمعنى الصَّنيعة وهي الإحسان. وقيل: هو تمثيل لما خوّله الله تعالى من جلائل النعم؛ بتقريب الملِك من يراه أهلا للتقريب؛ فيصطنعه بالكرامة ويجعله من خواصه وندمائه.

.42

*اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) *

{وَلَا تَنِيَا} لا تَضْعُفا ولا تفترا. يقال: وَنَى في الأمر وعن الأمر يني ونياً، إذا فَتَر وضَعُف. {فِي ذِكْرِي} في تبليغ رسالتي. أو في ذِكْرى بما يليق بي من الصفات الجليلة عند تبليغ رسالتي، والدعاء إلى عبادتي.

.43

*اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) *

.44

* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) *

.45

* قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) *
{إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا} أي نخشى أن يُعاجلَنا

بالعقوبة، ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة. يقال: فَرَطَ عليه يَفْرُط، عَجِل عليه وآذاه. {أَوْ أَنْ يَطْغَى} أي يزداد طغيانا فيقول في شأنك مالا ينبغي لفَرْط جراءته.

.46

*قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) *
{إِنَّنِي مَعَكُمَا} حافظكما وناصركما.

.47

*فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) *

.48

* إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48) *

.49

* قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى (49) *

.50

* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) *
{أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ} أي وهب كل شيء من الأشياء الأمرَ اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع المطابِقَ له؛ كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذُن الشكل الذي يوافق الاستماع، وهكذا. و {خَلْقَهُ} مصدر بمعنى اسم المفعول: مفعول ثان لـ (أعطى). {ثُمَّ هَدَى} أي دل بذلك على وجوده وقدرته وتفضله.

.51

*قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) *
{فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى} البالُ في الأصل: الفكر، ثم أطلق على الحال التي يُعتنى بها. أي ما حالُ الأمم الخالية التي عبدت غير ما تدعو لعبادته، مثل قوم نوح وعاد و ثمود الذين عبدوا الأوثان. فأجابه موسى بأن العلم بأحوالهم لا تعلق له بمنصب الرسالة، وأن علمها عند علاّم الغيوب الذي أحاط بكل شيء علما، فيجازيهم على كفرهم وضلالهم.

.52

*قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) *
{لَا يَضِلُّ رَبِّي} لا يغيب عن علمه شيء ما.

.53

*الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) *

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ .. } ابتداءُ كلام منه تعالى بعد انتهاء كلام موسى عليه السلام بقوله {وَلَا يَنْسَى}. وقيل: هو من كلام موسى عليه السلام. {مَهْدًا} فرشا، وهو والمِهادُ في الأصل؛ ما يمهد للصبي (آية 206 البقرة].

{سُبُلًا} طرقا تسلكونها لقضاء مآربكم. {أَزْوَاجًا} أصنافا أو ضروبا. {مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى} مختلف المنافع والألوان والطعوم والروائح جمعُ شَتيت بمعنى متفرق، وألفه للتأنيث.

.54

*كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) *

{وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ} ارعوها فيما خلقناه لها من هذه

النباتات. يقالُ: رعت الدَّابة تَرعى رَعْيا ورعاية، ورعاها صاحبها إذا أسامها وسرحها وأراحها. {لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى} أي لذوي العقول السليمة يدركون بها أن ذلك الخلق العظيم، والنظام البديع لا يكون إلا من رب قادر حكيم. جمع نُهْية، سُمّى العقل بها لنهيه عن القبائح.

.55

* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) *

{نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} مرة أخرى يوم البعث، بتأليف أجزائكم المتفرقة، وردّ الأرواح من مقرها إليها، وإخراجكم إلى المَحْشر. عدد الله عليهم هذه النعم تذكيرا و إرشادا ليؤمنوا به. والتَّارة: مُفرد تارات وتير؛ وهي في الأصل: اسم للتّور الواحد وهو الجريان، ثم أطلق على كل فعلة من الفعلات المتجددة؛ تارة. ويقال: أتاره، أعاده مرة بعد مرة.

.56

*وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56) *

{وَأَبَى} أمتنع عن الإيمان والطاعة.

.57

*قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى (57) *

.58

* فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) *

{مَكَانًا سُوًى} محلاً نَصَفا عدْلا بيننا وبينك. يقال: مكانٌ سُوّي وسِوّي وسواءٌ، أي عدل ووسط، يستوي طرفاه بالنسبة للفريقين.

.59

*قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) *

{مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ} يوم عيد كان لهم في كل عام. أو يومُ سُوق كانوا يتزينون فيه.

.60

* فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60) *

{فَجَمَعَ كَيْدَهُ} مكرَهُ، وذلك بجمع سَحَرته.

.61

*قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61) *

{وَيْلَكُمْ} دعاء عليهم بالهلاك. {فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ} فيستأصلكم ويُبيدكم بعذاب عظيم؛ من الإسحات، وأصلُه استقصاءُ الحَلْق للشعر، ثم استعمل في الإهلاك والاستئصال مطلقا. يقال: أسحت مالَه اسحات، استأصله وأفسده؛ كسّحَتَه سَحْتا.

.62

*فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62) *

{وَأَسَرُّوا النَّجْوَى} بالغوا في إخفاء ما يتسارُّون به عن موسى وأخيه. والنَّجوى: المُسارة في الحديث.

.63

* قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63) *

{قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ} أي قالوا بطريق التَّناجي والإسرار ما استقر عليه رأيهم من أنَّ موسى وهارون ساحران. و (إنْ) مخففة مهملة عن العمل، واللام فارقة. و (هذان) مبتدأ خبره (ساحران). {وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى} أي بمذهبكم ودينكم الذي هو أمثل المذاهب وأفضلها؛ من قولهم: فلانٌ حَسَنُ الطريقة؛ أي المذهب. أو بِمُلْككم الذي أنتم فيه، وعيشكم الذي تنعمون به.

.64

*فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64) *

{فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ} فأحْكِموا كيدكم واعزموا عليه، ولا تجعلوه متفرقا. يقال: أجمعتُ الرأي وأزمَعْته وعزمت عليه بمعنى. {وَقَدْ أَفْلَحَ .. } فاز بالمطلوب من طلب العلو والغَلب وسَعى سعيه.

.65

*قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) *

{يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ} أي تطرح ما معك قبلنا. والإلقاء في الأصل؛ طرحُ الشيء حيث تلقاه أي تراه، ثم تُعورف في كل طَرْح.

.66

*قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) *

.67

* فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) *

{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً} الإيجاسُ؛ الإخفاء والإضمار، والخِيفَة: الخوف أي أخفى موسى في نفسه شيئا من الخوف من مفاجأة ذلك بمقتضى الجبلة البشرية عند رؤية الأمر المَهُول، ولكن الله ثَبّته وقال له: {لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى} {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا}.

.68

*قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) *

.69

* وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) *

{تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا} أي تبتلع بسرعة ماموَّهُوا به. يقال: لَقِفه يَلْقَفُه لقفا ولَقفانا، تناوله بسرعة وحِذْق باليد أو الفم.

.70

*فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70) *

.71

* قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71) *

.72

* قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) *

{وَالَّذِي فَطَرَنَا} أي ولن نُؤثركَ على الذي أبدعنا وأوجدنا، أو هو قسمٌ بالله. وفعله من باب نصر.

.73

*إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73) *

.74

* إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74) *

.75

* وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) *

.76

* جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76) *

{تَزَكَّى} تطهر من دنس الشرك والكفر.

.77

*وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) *

{أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي} أي سِرْ بهم أول الليل من أرض مصر إلى خليج السويس [آية 1 الإسراء].{يَبَسًا} أي يابسا لا طين فيه ولا ماء. واليَبَس: المكان إذا كان فيه ماء وذهب. {لَا تَخَافُ دَرَكًا} أي لا تخشى أن يدركك فرعون وجنوده من ورائك. والدَّرَكُ – مُحَرَّكة –: اللحاق. يقال: أدركه لحقه. {وَلَا تَخْشَى} الغرق من الأمام.

.78

*فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) *

{فَغَشِيَهُمْ} علاهم وغمرهم.

.79

*وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79) *

.80

* يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80) *

{الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} [البقرة: 57].

.81

*كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81) *

{وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ} تتعدوا حدود الله فيما رزقناكم بأن تكفروا به؛ من الطغيان وهو تجاوز الحد في العصيان [البقرة 256]. {فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي} فيجب عليكم عقابي. يقال: حلَّ أمر الله عليه يَحِل حلالا، وجب. وقُرِيء بضم الحاء، أي فينزل عليكم. يقال: حلَّ يحلُّ حُلولاً، نزل. {فَقَدْ هَوَى} أي هَلك: وأصله السقوط من عُلْو. يقال: هوَى يَهْوِي هَوِيًّا و هُوِيًّا و هَوَيانا، سقط إلى أسفل. ثم استُعمل في الهلاك للزومه له.

.82

*وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82) *

.83

* وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى (83) *

{وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ} أُمر موسى عليه السلام بحضور الميقات مع قوم مخصوصين؛ وهم النُّقباء السَّبعون الذين اختارهم الله من بني إسرائيل ليذهبوا معه إلى الطور لأجل أن

يأخذوا التوراة، فسار بهم موسى ثم عَجِل من بينهم مشوقا إلى ربه، وخلّفهم وراءه وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، فقال تعالى: {وَمَا أَعْجَلَكَ}، أيْ أيُّ شيء عجل بك عنهم فتقدمت عليهم. يقال: أعجله و عجّله تعجيلاً، اسْتَحثه: من العَجَلة وهي طلب الشيء وتحريه قبل أوانه.

.84

*قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) *

.85

* قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) *

{قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ} أي ابتلينا القوم الذين خلفتهم مع هارون – وهم غير النقباء السبعين – بعبادة العجل؛ إلا قليلا منهم حيث أطاعوا موسى السامريَّ فيما دعاهم إليه، وكان من عظمائهم، من قبيلة تعرف بالسامرة، وكان منافقا. والفِتنةُ: الابتلاء والاختبار [البقرة:102].

.86

*فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) *

{أَسِفًا} حزينا على ما صنع قومه. أو شديدُ الغضب. والأَسَف: الحزن والغَضَب

معا، وقد يطلق على كل واحد منهما على الانفراد. {أَنْ يَحِلَّ} أي يجب {عَلَيْكُمْ غَضَبٌ}. {مَوْعِدِي} وعْدكم لي الثبات على ديني.

.87

* قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) *

{مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا} أي بقدرتنا وطاقتنا ورغبتنا. يقال: مَلَكه يَمْلِكه مِلْكاً – بتثليث الميم – احتواه قادرا على الاستبداد به. {حُمِّلْنَا أَوْزَارًا} أي أثقالاً وأحمالاً، جمع وِزْر وهو الثقل. {مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ} أي من حلي الْقِبط. {فَقَذَفْنَاهَا} فطرحناها في النار {فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ} ما معه من الحلى. وقيل: ما معه من الحلي ومن التراب الذي وقع عليه حافر فرس جبريل عليه السلام.

.88

*فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) *

{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ} [الأعراف:148].

.89

* أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89) *

.90

* وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) *

.91

* قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) *

.92

* قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) *

.93

*أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) *

.94

* قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) *

.95

* قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ (95) *

{فَمَا خَطْبُكَ} فما شأنُكَ وما الأمر العظيم الذي حملك على ما صنعت؟ [آية 51 يوسف].

.96

* قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) *

{قَالَ بَصُرْتُ .. } علمت بالبصيرة ما لم يعلموا به. يقال: بَصُر بالشيء يَبْصر –كَكَرُم وفرح – أي عَلِمه، {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ} رُوِيَ أن السامريَّ رأى جبريل عليه السلام راكبا على فرس حين جاء إلى موسى ليذهب به إلى الميقات: ولم يره أحد غيره من قوم موسى، ورأى الفرسَ وضعت حافرها على شيء اخضر؛ فعلم أن للتراب الذي تضع عليه الفرسُ حافرها شأناً، فأخذ منه كفة وألقاها في الحَلْي المذاب. وخُصَّ بالرؤية ابتلاءً

ليقضيَ الله أما كان مفعولا. وعَلْمه بأن له شأنا يجوز أن يكون لما شاهده من اخضرار الأرض، وأن يكون باخبار موسى عليه السلام فيما مضى. {فَنَبَذْتُهَا} ألقيتها في الحلي المذاب. {سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي} زَيّنت وحسَنت. يقال: سولت له الأمر تسويلاً، إذا صورته له بالصورة التي تستَهويه و تحسّنه لديه.

.97

*قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) *

{لَا مِسَاسَ} أي لا أَمِس ولا أُمس طول الحياة. مصدرُ ماسَّ؛ كقتال من قاتل. والمرادُ: أنه لا يخالط أحدا ولا يخالطه أحد. {ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا} لَنذريَنَّة في البحر تَذرية، حتى لا يبقى منه عين ولا أثر. يقالُ: نسف الطعام يَنْسفه بالمِنْسف، إذا ذراه فطير عنه قُشورِه وتُرابه.

.98

*إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98) *

.99

*كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) *

100

* مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100) *

{وِزْرًا} عقوبة ثقيلة على إعراضه.

.101

*خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101) *

.102

* يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102) *

{زُرْقًا} زرق العيون من شدّة الهَوْل. أو عُمْيا، لأن العين إذا ذهب نورُها ازرق ناظرها: قال تعالى: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا .. } [الاسراء:97]. أو عِطاشا، لأن العطش الشديد بغيْر سواد العين فيجعله كالأزرق، قال تعالى: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86)} [مريم:86]. ولا منافاة بين ذلك كما هو ظاهر.

.103

* يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103) *

{يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ} يتهامسون بينهم لشدة هول الموقف؛ من المخافتة وهي إسرارُ المنطق، كالتَّخافت والخَفْت.

.104

*نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104) *

{أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً} أعدلُهم وأفضلهم رأيا ومذهباً.

.105

* وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) *

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ} سأل كفارُ قريش النبيَّ صلى الله عليه وسلم عما يفعل الله يوم القيامة بالجبال سؤال استهزاء؛ لإنكارهم البعث. {فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا} يقلعها من أصولها ثم يجعلها كالرّمل، ثم يُصيِّرها كالصوف المنفوش. ثم تذروها الرياح، ثم يصيّرها كالهباء المنثور.

.106

*فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) *

{فَيَذَرُهَا} فيترك الأرض التي كانت عليها الجبال {قَاعًا} أرضا لا نبات فيها ولا بناء {صَفْصَفًا} مستوية ملساء؛ كأنَّ أجزاءها صفٌّ واحد من كل جهة. وعن ابن عباس ومجاهد: القاعُ والصفصف بمعنى واحد. وهو المُستوى الذي لا نبات فيه.

.107

*لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107) *

{لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا} أي لا ترى في الأرض مكانا منخفضا

{وَلَا أَمْتًا} أي مكانا مرتفعا؛ لخلوها من الأودية والرَّوابي، بل تراها مستوية.

.108

* يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108) *

{لَا عِوَجَ لَهُ} لا يعوج له مدعو ولا يزيغ عنده {لَا عِوَجَ لَهُ} صوتاً خفيّاً خافتاً، هو صوت خَفْق الأقدام في سيرهم إلى المحشر. يقال: هَمَس الكلام يَهْمِسُه هَمْسا، إذا أخفاه.

.109

***يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) ***

.110

*** يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) ***

.111

*** وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) ***

{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ} أي ذلَّ الناس وخضعوا الله تعالى في ذلك اليوم خضوع العُنَاة، أي الأسارى. {لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} [البقرة:255]. [حَمَلَ ظُلْمًا] شركاً وكفراً.

.112

*** وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112) ***

{وَلَا هَضْمًا} ولا يخاف انتقاصاً من حقه. يقال: هَضَمه حقه، نقصه.

.113

*** وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) ***

{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} أي ومثل إنزال الآيات المشتملة على ذكر القصص المتقدمة المُنبئة عما سيقع من أحوال القيامة وأهوالها– أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة.

{عَرَبِيًّا} مبينا {وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ} أي كررنا الوعيد فيه {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الكفر والمعاصي. {أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} اعتباراً مؤدياً إلى الاتّقاء؛ لكنهم لم يلتفتوا لذلك ونَسوه، كما لم يلتفت أبوهم آدم إلى النَّهي، ونسي العهد إليه.

.114

***فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114) ***

{أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ} أن يفرغ ويتم إليك.

.115

***وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) ***

{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ} أى وصيناه ألا يقرب هذه الشجرة {فَنَسِيَ} العهد. ولم يشتغل بحفظه حتى غَفَل عنه.

{وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} ثباتَ قدم في الأمور. أو صبراً عن أكل الشجرة.

.116

***وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) ***

{أَبَى} امتنع عن السجود استكبارا.

.117

*فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) *

{فَتَشْقَى} فتتعب بمتاعب الدنيا.

.118

* إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) *

{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى} أي ألا يصيبك فيها شيء من الجُوع والعُرْي والظما. والعُريُ: خلاف الُّلبس. يقال: عَرِيَ من ثيابه يَعْرى عُرْيا وعُرْيةً، إذا تجرد من اللباس.

.119

* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) *

{وَلَا تَضْحَى} أي لا يصيبك حَرُّ شمس الضُّحى لانتفائها فيها. يقال: ضَحَا -. كَسَعى ورَضِيَ - ضَحْوا وضُحِيّا، أصابته الشمس.

.120

*فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) *

{فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ} الوَسْوسة: الخَطْرَة الرديئة. وأصلها من الوسواس وهو صوْت الحَلْي والهَمْس الخَفِيّ؛ أي أنهى إليه الوسوسة. {لَا يَبْلَى} لا يزولُ ولا يفنى.

.121

*فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) *

{فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا} [الأعراف:22]. {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ} أخذا يلصقان ويلزقان. {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ} خالف نَهْيه، ولكنه

كان متأوِّلا، إذ اعتقد أن النَهْي عن شجرة معينة لا عن النوع كله، وتسميةُ ذلك عصيانا لعلو مَنْصبه عليه السلام. وقد قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. {فَغَوَى} أي فَضَل

عن مطلوبه، وهو الخلود في الجنة، وحاد عنه ولم يظفر به. يقالُ: غَوَى يَغوى غَيّا، وغَوِيَ غواية، ضل. أو فسد عليه عيشه بنزوله إلى الدنيا. والغيُّ: الفساد.

.122

*ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) *

{اجْتَبَاهُ} اصطفاه للنبوة وقَرَّبه.

.123

* قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى

* (123)
{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ} أي ما أبعثه بهداية الخلق من رسول أو كتاب.
124.
*وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) *
{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي} عن الهدى، الذاكِر لي والداعِي إليّ {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} ضيقة شديدة. والضَّنْك: ضيقُ

العيش، وكل ما ضاق فهو ضَنْك؛ يستوي فيه الواحد والأكثر والمذكَّر والمؤنث، يقال: ضَنُك يَضْنُك ضَنْكا وضَنْاكة وضُنوكة، ضاق.

ييي و أفلم يهد لهم أغفلوا فلم يبين الله لهم كم أهلك أم غابرة لتكذيبها الرسل، ليتوظوا و يعتبروا ونيوا إلى ربهم. وأصل
125.
*قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125)
*

126.
*قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) *
127.
* وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127) *
128.
* أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128) *
{أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ} أغفلوا فلم يبين الله لهم كم أهلكَ أمماً غابرة لتكذيبها الرسل؛ ليتعِظوا ويَعتبروا ويُنيبوا الى ربهم. وأصلُ معنى (يَهدِي) يدلُّ على الهُدَى. {كَمْ أَهْلَكْنَا} كثرة إهلاكنا الأمم الماضية. {لِأُولِي النُّهَى} لذوي العقول والبصائر.
129.
* وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129) *
{لَكَانَ لِزَامًا} لكان عقابُهم على جناياتهم لازم لهم في الدنيا، كما فُعل بالأمم السابقة. مصدر لازمه إذا لم يفارقه. وأجَلٌ مسمى معطوف على (كلمة) أي ولولا العبرة بتأخير العذاب عنهم، والأجل المسمى لأعمارهم ما تأخر عذابهم أصلاً.
130.

*فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) *

{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} صلِّ متلبسا بحمد ربك {قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ} أي قبل صلاة الفجر {وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} اي صلاة العصر. {وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ} أي فصلِّ المغرب والعشاء {وَأَطْرَافَ النَّهَارِ} أي وصلِّ في أطراف النهار الظهر أي في طرفي نصفيه، يعني في الوقت الذي يجمع الطرفين وهو وقت الزوال؛ إذ هو نهاية النصف الأول وبداية النصف الثاني. وقيل: المراد: بالتسبيح التنزيه عن السوء والثناء على الله بالجميل في هذه الأوقات.

.131

* وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) *

{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ} نهى عن الإعجاب بالدنيا وزينتها والرغبة فيها والتَعْلق الشديد بها؛ بحيث يلهية ذلك عن النظر إلى الأخرى، وتكون هي الشغل الشاغل له. والخطابُ له صلى الله عليه وسلم والمراد أمَّته، لأنه صلى الله عليه وسلم كان أزهد الناس فيها؛ وأبعدهم عن التطلع لزخارفها وأعلق بما عند الله من كل أحد. {أَزْوَاجًا} أصناف من الكفار. {زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} زينَتها وبهجتها؛ مفعولٌ ثان لـ {مَتَّعْنَا} لتضمينه معنى أعْطَينا {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}

لنعاملهم معاملة من يختبرهم به، أو لنعذبهم في الآخرة بسببه.

.132

*وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) *

.133

* وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133) *

{أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى} أي أجهلوا ولم يكفهم اشتمالُ القرآن على بيان ما في الصحف الأولى وهي الكتب الإلهيَّة؛ في كونه معجزة حتى طلبوا غيرها؟ فالبينة: القرآن، والصحف الأولى: ما سبقه من الكتب السماوية.

.134

*وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134) *

{مِنْ قَبْلِهِ} من قبل الإثبات بالبينة. {نَذِلَّ} أي بالهوان والعذاب في الدنيا {وَنَخْزَى} بالافتضاح والعذاب في الآخرة.

.135

* قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135) *

{مُتَرَبِّصٌ} منتظر مآله. {الصِّرَاطِ السَّوِيِّ} الطريق المستقيم وهو الإسلام. {وَمَنِ اهْتَدَى} من الضلالة. والله أعلم.